النفائس الكتانية (19)

كتاب

الذب عن التصوف

المسمى

لسان الحجة البرهانية في الذب عن شعائر الطريق الأحمدية الكتانية

تأليف
حجة الإسلام أبي الفيض
محمد بن عبد الكبير الكتاني الحسني
المتوفى ١٣٢٧هـ

مراجعة وتقديم
الشريف محمد حمزة بن علي الكتاني

تحقيق
عدنان بن عبد الله زهار

DKI
دار الكتب العلمية
أسسها محمد علي بيضون سنة 1971
بيروت - لبنان

النفائس الكتانية

(19)

لسان الحجة البرهانية

في الذب عن شعائر الطريق الأحمدية الكتانية

تأليف

حجة الإسلام أبي الفيض

محمد بن عبد الكبير الكتاني الحسني

المتوفى سنة 1327 هـ

مراجعة وتقديم

الشريف محمد حمزة بن علي الكتاني

تحقيق

عدنان بن عبد الله زُهار

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم بقلم الدكتور محمد حمزة بن علي الكتاني:

الحمد لله وحده، وصلى الله وسلم على سيدنا ومولانا أحمد القاسم الفاتح الخاتم، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وصحابته العدول الأبرار المقربين.

وبعد؛ فيسعدني التقديم لكتاب "لسان الحجة البرهانية في الذب عن شعائر الطريقة الأحمدية الكتانية"، لجد جدي لوالدتي مجدد الإسلام في المغرب القرن الماضي، وحجة الإسلام، أبي الفيض محمد ابن الشيخ أبي المكارم عبد الكبير ابن الشيخ أبي المفاخر محمد ابن الشيخ عبد الواحد الكتاني الإدريسي الحسني، المتوفى – قدس سره – شهيدا بسجن قصر أبي الخصيصات بفاس، في 14 من ربيع الثاني لعام 1327 عن سبعة وثلاثين عاما، بعد أن هز القصر باسم الجلالة الأعظم. والذي هو الإصدار التاسع عشر من سلسلة "النفائس الكتانية" التي خصصناها لرسائل شيخنا الإمام المذكور رضي الله عنه.

هذا الكتاب في موضوعه العام دفاع عن شعائر السادة الصوفية وما سنوه في طرقهم مما له أصل أصيل في كتاب الله تعالى، وسنة النبي صلى الله عليه وسلم وعلى آله، وفعل السلف الصالح الذين عليهم المعول في كل أمر رابح، خاصة في مسألة "البدعة" ومفهومها عند علماء الإسلام سلفا وخلفا، ومسألة ابتكار الأذكار المقربة إلى الحق تعالى مما لم ترد أعيانه في السنة الطاهرة، وإنما وردت شواهد أصوله.

إذ إن كل علم متى توسع وصادم الواقع، إلا وتنتج للمكافحين له فهوم لا تنتج لغيرهم، واستنباطات وفتوح، وابتكارات في مجال خدمة الشريعة من بابه لا تفتح لغير

أربابه، فللفقهاء اجتهادات وابتكارات وتفريعات فقهية لا يعيها غيرهم، وللمحدثين وسائل في الترجيح والتصحيح والتضعيف، وابتكارات في الاصطلاح والتصنيف، وتمييز للرجال مما ينكره عليهم غيرهم، وللأصوليين مباحث وابتكارات في أبواب الترجيح والتعارض، والتعميم والتقييد، والقبول والرد، والنسخ والإحكام لا يقبلها غيرهم، وللمتكلمين وسائل في فهم الاعتقاد ومحاججة أهل التفريط والزيغ والإلحاد، ومباديء ابتكروها ينكرها عليهم غيرهم.

وكذلك الصوفية؛ فلما تفرغوا لأمراض القلوب، وبحثوا فيما يصلحها من الأعمال والتصرفات، ولما بحثوا عن المجاهدة ومراتبها، وعن نتائج الذكر وثمراته، اطلعوا على أمور في السنة، وتقريرات ولطائف وفهوم لم يطلع عليها سواهم، ولم يدرك مرماها غيرهم، ولما بحثوا عن عوارف القرآن والسنة، ودقائقهما، ولطائف الإشارات، تفتق لهم من العلم اللدني الطاهر ما لم يدرك بعضه فحول العلماء ممن لم يبحث ولم يتفرغ لهذا الأمر، فاتهمهم من لم يكافح ما كافحوا بالبدعة، وبالغلو، وبغير ذلك من التهم التي هم بعيدون عنها.

ومن هنا تمايز أهل الرأي من أهل الحديث، والمتكلمون من السلفيين، والصوفية من الفقهاء، فكل من لم يع مدارك الآخر وملاحظه واستنباطاته ينكر عليه ويعتقد أن فعله مخالف للسنة والكتاب. أما الراسخون في العلم فيقولون: كل من عند ربنا، ويدركون أبعاد كل صاحب مذهب وطريق.

وكتابنا في موضوعه الخاص: دفاع عن الطريقة الأحمدية الكتانية، التي أسسها الشيخ الإمام أبو الفيض محمد بن عبد الكبير الكتاني قدس سره، من أجل النهضة بالاسلام دينا ودنيا، عبادة وعادة، شريعة وحقيقة، ذكرا وسياسة، جهادا وتبتلا. خاصة الصلاة

القدسية المسماة بالأنموذجية، والتي لخص فيها الشيخ الإمام – قدس سره – مجمل معارفه اللدنية، وعلومه الإفاضية، في ألفاظ يسيرة، من السهل الممتنع، وحض أصحابه على مداومة الذكر بها، والتفهم لمعلوماتها وما انطوت عليه من الخصائص والمعارف..

وهو في الموضوع الأخص؛ يرد على بعض فقهاء بادية الشاوية ناحية الدار البيضاء، وشيخ الطريقة البوعَزّاويّة بالمغرب؛ أبي عبد الله محمد بن الطيب البوعزاوي، المتوفى – رحمه الله – بمراكش نحو عام 1330هـ، والذي ألف في الرد على الطريقة والتقذيع والتشهير رسائل أبرزها كتاب "الانتصار بالله لقول لا إله إلا الله". والتي خالف فيها الصواب، وتساهل في الطعن، بل والتكفير والإخراج من الملة، في أمور ضاق عن فهمها عقله، وأخرى لم يهتد لدلائلها من الكتاب والسنة، وفعل السلف والخلف.

صدّر المؤلف – رضي الله عنه – كتابه بفواتح خمسة، ومرغبين، ثم فصول وخاتمة، وقد تضمنت الفصول حل إشكالات المنكِر، وعدة تنبيهات ولطائف، كما ضمت الخاتمة أحد عشر لؤلؤة، ثم تذنيبا بأنواع الكبائر التي وقع فيها المنكِر.

وقد تضمنت الفواتح مواعظ للمنكر، وقواعد في علم الجدل والمناظرة، ثم قصة وسبب تأليف الكتاب.

وتضمن المرغب الأول مشروعية الذكر بألفاظ غير واردة في الكتاب والسنة، آتيا بأمثلة ذلك وأدلته من القرآن الكريم، والسنة المطهرة، وفعل الصحابة الكرام، والسلف الصالح جيلا بعد جيل، ثم انعطف إلى فروع من هذه المسألة؛ وهي: جواز ابتكار أمور في الدين مما سندرج تحت أصل عام، متحدثا عن المصلحة المرسلة وتطبيقاتها في التشريع الإسلامي.

ومن ثمة تحدث عن البدعة وتقسيمها، وأن جمهور علماء الأمة على ذلك، وأن القول بعدم تقسيم البدعة إنما هو من الفقه البدوي الذي لم يتحضر!.

ومن هناك عاد المؤلف – رضي الله عنه – بعد أن أثبت مشروعية الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى آله، بصيغ مبتكرة، إلى إثبات أن الأجر الوارد في مطلق الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى آله يعم كذلك الذاكر بالصلوات الأخرى التي منها الصلاة الأنموذجية وصلاة القاسم للمؤلف، رادا في مبحث مطول على القاضي أبي بكر ابن العربي المعافري المالكي الذي قال خلاف ذلك، ومبديا في بضع عشرة بندا مخالفته لجمهور، بل إجماع العلماء.

ويجدر بالذكر هنا؛ التنبيه إلى أن تلك الفضائل المذكورة للصلاة الأنموذجية وصلاة القاسم جلها مما يندرج تحت أحاديث صحاح وحسان وضعاف وردت في فضل مطلق الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى آله.

ثم تحدث المؤلف – قدس سره – في المرغب الثاني عن أصل التعبير بأحمد بدل محمد في الصلاة الأنموذجية، ومشروعية ذلك، وجعلها مناسبة للحديث عن الحقيقة المحمدية والحقيقة الأحمدية، تعريفا ومعارف، من حيث عدة علوم؛ منها: التفسير، والعقائد، والسير، واللغة وأسرارها، والمعارف اللدنية...إلخ.

ويجدر بالذكر أن الشيخ أبا الفيض الذي أعلن عن نفسه بدءًا أنه ختم أحمدي، وذلك مقام لم يدعه أحد من أهل الولاية قبله، وكان خرّيت فنه، وأول من تحدث عن ذلك المقام علنا، ونافح عنه في مؤلفات كثيرة، وهذا المقام هو روح الشريعة الإسلامية، فلسفة ومعنى، ونظرا لغموضه وبعد مرماه أنكر بعض العارفين المتأخرين أن يطلع على هذا المقام ويستمد منه حتى الأنبياء والرسل.

ولم يتوان المؤلف – قدس سره – في هذا المبحث في الرد على شبه المعترضين، وذكر أسرار المقامين الأحمدي والمحمدي، بلسان جامع رباني، مازجا الشريعة بالحقيقة مزج الروح بالجسد، والعرض بالجوهر، ذاكرا بعض ما يستنبط من علوم ذلك عند أهل الباطن، وعند أهل الظاهر على حد سواء. وتلك هي عادة المؤلف – قدس سره – في كتبه، حيث تعود مزج العلوم، والاحتجاج للباطن بالظاهر وللظاهر بالباطن في أسلوب مزجي اجتبائي فريد، كاد يعدم من ينسج على منواله.

ثم ينقلب المؤلف – رحمه الله تعالى ولا حرمنا رضاه – إلى البحث مع المعترض على ألفاظ هذه الصلاة المباركة، في فصول، قاصرا كل فصل على لفظ من ألفاظها، مقترحا اعتراضات للمردود عليه قد تفهم من كلامه، ومجيبا عن كل اعتراض، ذاكرا ومستطردا في كل إشكال ما يناسبه من المباحث العلمية، سواء الكلامية، والأصولية، واللغوية والعرفانية...إلخ، فهو ينطلق من مفردات ألفاظ الصلاة إلى أن يغوص في المعاني العامة، كل ذلك على سبيل الاختصار، والتنزل لعقل المناظَر معه.

وفي الإشكال الخامس استطرد المؤلف – رحمه الله تعالى – بشرح حديث: "خلق الله آدم على صورته"، ذاكرا مخرجيه، ومتحدثا عنه من حيث الصنعة الحديثية، ثم عن معناه، وأقوال العلماء في شرحه، ثم يتحدث عن علم المناسبات، ثم علوم البلاغة والبيان والبديع، ثم علم الكلام، باحثا في المحكم والمتشابه، ذاكرا قواعد هامة في تأويل المتشابه والتعامل معه بما عز أن يوجد في موطن آخر.

وهنا أحب التنبيه إلى أن المؤلف في هذا المبحث آثر تقرير مذهب الأشاعرة بشقيه التفويض والتأويل، وإن كان في مؤلفاته العرفانية الأخرى ينحو منحى الإثبات، وينعى على الأشاعرة التأويل، ويعتبر تلك الآيات والأحاديث المتاشبهة الظاهر الأكمل فيها

والأسلم والأعلم: تسليمها على ظاهرها، من دون تكييف ولا تشبيه ولا تمثيل ولا تعطيل، لأن الله تعالى – حسب قوله رضي الله عنه – لا ينعت نفسه إلا بأكمل الصفات وأعلاها، ولولا توهمنا التشبيه؛ لما عطلنا ولا أولنا.

وربما كانت الحكمة في تقريره مذهب الأشاعرة: التنزل مع المناظر معه بذكر العقائد المسلمة لدى علماء البلاد، وإظهار جهله بها، بله أن يطلع على علوم السلف الصالح ومَلاحظهم، وعلوم المحققين من العارفين بالله تعالى رضي الله عن الجميع.

وفي الإشكال السادس؛ استطرد المؤلف – رضي الله عنه – في مسألة استعمال ألفاظ من القرآن مرادا بها غير المعنى الذي أريدت له في القرآن الكريم، وهو مبحث نفيس، جلب فيه نقولا قيمة من السنة المطهرة، وعمل الصحابة الكرام، والتابعين، وأئمة الإسلام المتبوعين، والعارفين بالله تعالى من أهل الحقائق، مما يدل على اطلاع واسع على أحوال طبقات الأمة سابقا ولاحقا، واستحضار فريد، غير غافل عن ذكر الحكم الفقهي للاقتباس عند أئمة المذاهب المتبوعة.

وفي الخاتمة؛ عرض – قدس سره – عدة مباحث تحت عنوان: "لؤلؤة"، وهي مما يتوقف عنده في المناظرة، منها في التكفير وضوابطه، والتفسير الإشاري ومشروعيته.

ثم أردف ذلك بذكر ثمانية عشر كبيرة التبس بها المنكر على الطائفة الكتانية أشاد الله بنيانها، ومن ضمنه المنكر على المتصوفة عموما.

ثم ألحق المحقق – حفظه الله – الكتاب برسالة لأحد علماء الطائفة الكتانية، لم نقف بعد على تحديد اسمه، ذب بها عن الطريقة، ورد على البوعزاوي. وكأنني بها الرسالة التي نوه إليها البوعزاوي وظن أنها للمؤلف رحمه الله، والمشار إليها أثناء "لسان الحجة".

والمؤلف – رحمه الله – يسترسل في كتابه بلغة عربية فصيحة، غير متكلف لسجع مثقل، ولا تعابير ركيكة، معط كل مقام ما يستحقه لغة وأسلوبا واستشهادا، غواصا على دقائق الاستباطات والإشارات، مغتنما كل فرصة تسنح للاستطراد بذكر فائدة أو مبحث لا يحيدان عن مضمون الكتاب.

كما أنه يعتمد في المناظرة والجدل أساليب المحاورة، والفنقلة، بقوله: فإن قلتم؛ قلنا..وهو أسلوب معروف في فن الجدل والمناظرة، ويمزج الأبحاث الفقهية، بالكلامية، باللغوية، بالمعرفية، بالتفسيرية، بالأصولية مزجا يدل على استيعاب تلك العلوم، وفهم عميق لفلسفة التشريع وملاحظ العلوم وإدراكاتها، غير غافل عن جانب الموعظة الديني، الذي هو الأصل في كل أعمال البر، إذ كل عمل بر إنما يتوقف على ملاحظة الحق تعالى وما له من التوجيهات فيه.

وأحب التنبيه إلى أن التصوف الذي يدافع عنه المؤلف – رحمه الله تعالى – هو التصوف المبني على الكتاب والسنة، والإجماع المستوفي للشرائط، تصوف المراقبة لله تعالى ولنبيه صلى الله عليه وسلم وعلى آله، في كل تصرف، في اللحظات والسكنات والحركات، لا تصوف الشطح، أو ما انتشر في هذا الزمان نتيجة بعد الكثير من المتصدرين عن منابع الشريعة الغراء.

وبالجملة؛ فهذا الكتاب "لسان الحجة البرهانية في الذب عن شعائر الطريقة الأحمدية الكتانية"، يعد مدرسة في فن الجدل والمناظرة، وحجة عظيمة في يد السادة الصوفية يرجعون إليها لمعرفة مستنبطات شيوخهم وطريقة أخذهم من الكتاب والسنة، إضافة إلى كونه معلمة علمية فريدة في بابها، خاصة بين ما كتبه المتأخرون في الموضوع.

ومحقق الكتاب، هو أخونا وحبيبنا العالم المدرس المفيد، المفتوح عليه بإذنه تعالى سيدي عدنان بن عبد الله زوهار، نعرفه ويعرفه الجميع، له يد بيضاء في الدعوة إلى الله تعالى، والتزام طريق التصوف النقي فكرا وعملا وسلوكا، إضافة إلى متانة علمه، وحسن سمته، حفظه الله تعالى وبارك فيه. فقد أسدى إلى هذا الكتاب عملا مهما بالقيام بتحقيقه وإعداده للنشر، والتعليق عليه تعاليق زادته طلاوة وفوائد، وقربت مضمونه للقاريء والباحث، فجزاه الله تعالى خير ما يجازي عبدا عن خير.

نسأل الله تعالى أن يعم النفع بهذا الكتاب، وأن يجد طلاب الحق فيه ضالتهم، إنه على ما يشاء قدير، وبالإجابة جدير، وجعله في ميزان الختم الأكبر مؤلفه قدس سره العطر، والجميع في ميزان سيد الخلق وإمام الغر المحجلين، سيدنا ومولانا محمد بن عبد الله صلى الله عليه وعلى آبائه المعظمين، وآله الطاهرين، وزوجاته أمهات المؤمنين، وصحابته الأطهار المبجلين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، والحمد لله رب العالمين.

وكتبه الفقير إلى مولاه

الشريف محمد حمزة بن علي بن محمد المنتصر بالله الكتاني

الإدريسي الحسني غفر الله له

الرباط 18 رمضان الأبرك لعام 1427

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المحقق:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على سيدنا ومولانا محمد أشرف المخلوقين، وعلى آله وأزواجه الطيبين الطاهرين، وصحابته الكرام الغر الميامين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد؛ فإن الحقائق العلمية والتصديقات المعرفية لا تظهر ناصعة ولا ينكشف أمرها جليا إلا بالمناقشة والمحاورة، والأخذ والرد والمساجلة والمذاكرة. ولذلك فإن المطلع على تاريخ الثقافة الإسلامية الواسع يرى هذا قد غلب على أكثر المصنفات في مختلف العلوم والفنون. فقد كان لأهل العصور السابقة إقبال منقطع النظير على مراجعة الأقوال بين أهل العلم، واهتمام بالغ بالنقد والتصحيح والاستدراك والرد. حتى أضحى الرد فنا مستقلا بذاته، له قواعده وآدابه، لا يخالف في ذلك إلا منكر للمحسوس المشاهَد.

وإن قوما ممن ضعفت مداركهم يرون أن الاشتغال بالرد والنقد مضيعة للوقت وتشتيت للجمع وكسر للألفة وتهشيم للمودة، وما علموا أن بقاء العلم واستمرار نموه وتصحيح مسائله وضبط مباحثه لا يكون إلا بالمحاورة والأخذ والرد والمجادلة والمناظرة...

قال القنوجي في "أبجد العلوم"[1]: "علم الجدل: هو علم باحث عن الطرق التي يقتدر بها على إبرام أي وضع أريد ونقض أي وضع كان، وهو من فروع علم النظر ومبنى علم الخلاف"...

"...وفائدته كثيرة في الأحكام العملية العلمية من جهة الإلزام على المخالفين، ودفع شكوكهم، كذا في "مفتاح السعادة"، ولا يبعد أن يقال: إن علم الجدل هو علم المناظرة لأن المآل منهما واحد، إلا أن الجدل أخص منه".اهـ.

وفي "كشف الظنون" لحاجي خليفة الجامع للإنتاج الفكري العظيم لعلماء الأمة، وكذا في ذيوله المشهورة برهان لما سمعت من اشتغال العظماء من العلماء بالردود على بعضهم تمحيصا لقول قيل أو استدراكا أو تصحيحا...

ففي التوحيد نذكر كتاب "الرد على المشبهة في قوله تعالى: {الرحمن على العرش استوى}". للقاضي بدر الدين ابن جَماعة.

وفي فقه الحديث: "الدر النقي في الرد على البيهقي" لعلاء الدين ابن التركماني.

و"الدرر المنيفة في الرد على ابن ابي شيبة عن الإمام أبي حنيفة" لأبي محمد القرشي.

و"الدرر النضية في الرد على ابن تيمية" لكمال الدين ابن الزملكاني.

وفي علم الرجال نذكر: "الرد الوافر على من زعم أن من أطلق على ابن تيمية شيخ الإسلام كافر" لابن ناصر الدين الدمشقي.

و"الرد على المتعصب العنيد المانع من ذم يزيد" لابن الجوزي.

---

(1) 208/2.

وفي اللغة خذ: "الرد على من نسب رفع الخبر بـ:"لا" إلى سيبويه" لابن الفخار الجذامي.

وفي "التصوف": "لوائح الأنوار في الرد على من أنكر على العارفين لطائف الأسرار" لسراج الدين الغزنوي الهندي...الخ.

هذا، وقد كثر من جماعة من الناس قديما وحديثا الانتقاد والرد على السادة الصوفية {وليس بضارهم شيئا}. [المجادلة/ 10]، إذ الانتقاد في حد ذاته أمر محمود والرد شيء مقرر مقبول، لكن إذا خالطه التعصب والاعتساف، خرج النقد عن فائدته وصار ضدا على صاحبه.

ولذلك ترى القوم – رضي الله عنهم – مقرين بالخلاف وعاذرين المخالف لما أنه لم يغرف من واديهم ولم يُسق من بحار معارفهم، فله أن يخالف ويستغرب ويعاكس. لكن جعلوا لذلك حدودا وضوابط وشروطا وقواعد، خوفا أن يسلك المنتقد طريق المبارزين الله بعداوة أوليائه، وسدا لذريعة الخوض فيما لا يحسنه فيصدر منه إذاية لله ورسوله وأصفيائه.

قال العارف بالله الشعراني – رضي الله عنه – في "اليواقيت والجواهر"[1]: "وكان شيخ الإسلام المخزومي يقول: لا يجوز لأحد من العلماء الإنكار على الصوفية إلا إن سلك طريقهم ويرى أفعالهم مخالفة للكتاب والسنة. وأما الإشاعة عنهم؛ فلا يجوز به الإنكار عليهم"...

(1) ص 16.

ثم قال: "وبالجملة؛ فأقل ما يجب على المنكر حتى يسوغ له الإنكار: أن يعرف سبعين أمرا، ثم بعد ذلك يسوغ له الإنكار:

منها: غوصه في معرفة معجزات الرسل على اختلاف طبقاتهم وكرامات الأولياء على اختلاف طبقاتهم، ويؤمن بها، ويعتقد أن الأولياء يرثون الأنبياء في جميع معجزاتهم إلا ما استثني.

ومنها: اطلاعه على كتب التفسير والتأويل وشرائطه. ويتبحر في معرفة لغات العرب في مجازاتها واستعاراتها حتى يبلغ الغاية.

ومنها: كثرة الاطلاع على مقامات السلف والخلف في معنى آيات الصفات وأخبارها، ومن أخذ بالظاهر ومن أَوَّل ومن دليله أرجح من الآخر.

ومنها: تبحره في علم الأصوليين ومنازع معرفة أئمة الكلام.

ومنها، وهو أهمها: معرفة اصطلاح القوم فيما عبروا عنه، من التجلي الذاتي والصوري وما هو الذات وذات الذات، ومعرفة حضرات الأسماء والصفات، والفرق بين الحضرات وبين الأحدية والواحدية، ومعرفة الظهور والبطون، والأزل والأبد، وعالم الغيب والسكون، والشهادة والشؤون، وعلم الماهية والهوية والسكر والمحبة، ومن هو الصادق في السكر حتى يسامَح ومن هو الكاذب حتى يؤاخَذ، وغير ذلك. فمن لم يعرف مرادهم كيف يفهم كلامهم أو ينكر عليهم بما ليس من مرادهم؟!".اهـ

قلت: ولذلك خطّأ العلماء المنتقدين على الصوفية انتقادهم وضللوا مذهبهم لافتقار هؤلاء إلى الشروط المذكورة آنفا في كلام الشيخ المخزومي رحمه الله. "ومن حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه"[1].

وقال شيخ الإسلام ابن حجر الهيتمي في "الفتاوى الحديثية"[2]: "وأما مطالعة كتبه[3]؛ فينبغي للإنسان أن يعرض عنها بكل وجه أمكنه، فإنها مشتملة على حقائق يعسر فهمها إلا على العارفين المتضلعين من الكتاب والسنة، المطلعين على حقائق المعارف وعوارف الحقائق، فمن لم يصل لهذه المرتبة يُخشى عليه منها مزلةُ القدم، والوقوع في مهامه الحيرة"...

ثم قال: "وأيضا؛ ففي تلك الكتب مواضع عُبر عنها بما لا يطابقه ظواهر عباراتها اتكالا على اصطلاح مقرر عند واضعها، فيفهم مطالعُها ظواهرَها الغير المرادة، فيضل ضلالا مبينا".

"وأيضا؛ ففيها أمورٌ كشفية وقعت حال غيبة واصطلام، وهذا يحتاج إلى التأويل، وهو يتوقف على إتقان العلوم الظاهرة، بل والباطنة".اهـ.

ثم إن المنتقدين على أهل الله – رضي الله عنهم – صنفان:

---

(1) رواه الترمذي في "سننه" 558/4 ح 2317 عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(2) ص 388.

(3) أي: كتب الشيخ الأكبر سيدي محيي الدين ابن العربي الحاتمي رضي الله عنه.

طائفة انتقدت عليهم أمرهم كله جملة وتفصيلا، وردت علمهم بالكلية، وجهَّلوا أهله، وانتقصوا منهم، بل وكفروهم وأعلنوا راية الحرب عليهم...وهم صنف المحرومين، لا حرمنا الله من فضله.

والطائفة الثانية: أنكرت بعض جزئيات علمهم الشريف، أو استنكرت أسرارا غابت عنها في فهم هذا المسلك النبيل المنيف، فرد أهلها أمورا أُغلق فهمها على أذهانهم واستقبحوا عبارات بعض المفتوح عليهم. وقد يكون من هؤلاء صوفية أخيار، وأهل إقبال على الله وزهد وتنسك من الصالحين الأبرار، لكن هذا الأمر فَتح، والفتح رزق، {والله يرزق من يشاء بغير حساب}. [البقرة/ 212].

فيوجد عند بعضهم من العلم والبيان، والكشف والإلهام، والسقي من أبحر المعرفة ما لا يتمتع غيره بمعشاره أو أقل، فينقد هذا على هذا، وهو لعمري معذور غير مؤاخذ، لما أنه أنكر ما حجب عنه فهمه ولا بلغه إدراكه.

ولذلك ترى انتقاد جماعة من الصوفية أنفسِهم على مثل الحلاج وابن سبعين، وابن العربي والشعراني والنابلسي، رضي الله عنهم، وغيرهم، بما أجاب عنهم الغيورون على طريق أهل الله وعلى أعراض أصفيائه، وبرؤوا ساحاتهم وجهروا بأنهم أبرار لا فجار، كما صنع السيوطي – رحمه الله – مع السخاوي في حق الشيخ الأكبر بما لا مزيد عليه...

ومن ذلك كذلك: أن الشيخ العارف بالله مجدد قرنه الولي الصالح سيدي أبا الفيض محمد بن عبد الكبير الكتاني – رضي الله عنه – لما ظهر بصلاته الأنموذجية التي لفظها:

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا أَحْمَد، الَّذِي جَعَلْتَ اسْمَهُ مُتَّحِدًا بِاسْمِكَ وَنَعْتِك، وَصُورَةَ هَيْكَلِهِ الجِسْمَانِي عَلَى صُورَةِ أُنْمُوذُجِ حَقِيقَةِ خَلَقَ اللهُ سَيِّدَنَا آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ،

وَفَجَّرْتَ عُنْصُرَ مَوْضُوعِ مَادَّةِ مَحْمُولِهِ مِنْ أَنِيَةِ أَنَا اللهُ، بَلْ حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللهَ عِنْدَهُ، وَآلِه وَصَحْبِهِ وَسَلِّمْ.

اعترض عليه بعض الفقهاء بما تضمنته هذه الصلاة العظيمة البركة من أسرار وأسرار، وحوته من معارف ولطائف وأخبار، وضمته من علوم ورسوم وكشفت عن أستار، وحقائق عميقة، عجزت عن إدراكها العقول الضعيفة وعن تحمل معانيها القلوب الكليلة، وعن تصديق ما فيها وتصور معانيها الأذهان العليلة.

فجمع لذلك الانتقاد الشيخُ محمد بن الطيب البُوعَزّاوي - رحمه الله - كتابا ردَّ فيه على الطائفة الكتانية عموما وعلى الصلاة الأنموذجية على وجه الخصوص[1].

وسبقت مشيئة الله وحكمته أن يَظهر ذلك الكتاب، ليُظهر به العجب العجاب، نادرة النوادر، وخبيئة الدهر، السفر الرائع، الذي خطته أنملة الشيخ أبي الفيض سيدي محمد بن عبد الكبير الكتاني، والمسمى: "لسان الحجة البرهانية في الذب عن شعائر الطريق الأحمدية الكتانية". {ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين}. [البقرة/ 249].

نرجع لكتاب "لسان الحجة" إن شاء الله بعد أن نورد ترجمة مختصرة للإمام المؤلف رحمه الله.

(1) هو كتاب "الانتصار بالله لقول لا إله إلا الله" توجد منه عدة نسخ بالخزانة الوطنية بالرباط وأرقامها هي: ك2853 ود 1319 ود 2172 ود 3937 ود 3942، وعندي منها د 1319 في خمس وعشرين 25 ورقة.

ترجمة الإمام سيدي محمد بن عبد الكبير الكتاني

لقد اعتنى جمع من أهل الفضل والعلم بجمع ترجمة الشيخ ونشرها بين الناس:

- ✓ منهم: شقيق المؤلف الإمام الحافظ الرباني سيدي عبد الحي الكتاني رحمه الله في "المظاهر السامية" (خ خ ع 1/ 109).
- ✓ ومنهم: نجله الإمام العارف بالله سيدي محمد الباقر رحمه الله في كتاب نفيس عمدة، اسمه "ترجمة الشهيد".
- ✓ ومنهم: العلامة محمد بن محمد المعطي العمراني في "روض الجنان" (خ ص 248).
- ✓ ومنهم: العلامة المسند سيدي عبد الحفيظ الفاسي رحمه الله في "معجم الشيوخ" 1/ 45.

وله ترجمة موسعة في كل من الكتب التالية أيضا:

- ➢ "معجم المطبوعات المغربية" لإدريس القيطوني ص 303.
- ➢ "الإعلام" للمراكشي 7/ 155.
- ➢ "الأعلام" للزركلي 6/ 214.
- ➢ "موسوعة أعلام المغرب" تنسيق محمد حجي 8/ 285.

وكذلك اعتنى أخونا العلامة سيدي حمزة بن علي الكتاني حفظه بترجمته في "من رسائل الإمام محمد بن عبد الكبير الكتاني" ص 11. وكذلك الأستاذ الفاضل الدكتور

إسماعيل الموسوي في عدد من تحقيقاته لرسائل الشيخ رضي الله عنه، ككتاب "الديوانة" ص 26.

ولادته ونشأته:

ولد – رضي الله عنه – في منتصف ربيع الأول عام 1290هـ. بمدينة فاس. دخل الكتاب لتعلم القرآن فحفظه، ثم التحق ببعض المدارس والزوايا بفاس قبل أن يتم تعليمه بالقرويين، ثم حفظ مهمات المتون.

ونبغ في كثير من الفنون، المنطوق منها والمفهوم، فرزق التبحر في علم التفسير وأدواته وعلم السنة واصطلاحاته، والأصول والكلام، والفقه حتى بلغ فيه درجة الاجتهاد، وفلسفة التشريع، والتاريخ والسيرة، والأنساب واللغة، وعلمي المعاني والبيان، وعلم الحكمة والمنطق، والعلم الإلهي، وعلم الهندسة، والعلم الأرتماطيقي، وعلم الموسيقى، وعلم الهيئة، وعلم التصوف، وعلم الرقائق، وعلم الحقائق، وعلم الحروف، وعلم سر الحروف، وعلم المناسبات، وعلم المفردات...وغير ذلك.

شيوخه:

1. والده جبل السنة والدين الشيخ أبو المكارم عبد الكبير بن محمد الكتاني.
2. خاله شيخ الإسلام أبو المواهب جعفر الكتاني.
3. ابن خاله الإمام أبو عبد الله محمد بن جعفر الكتاني.

4. العلامة الشيخ أبو عبد الله محمد بن التهامي الوزاني.

5. الشيخ العلامة الإمام شيخ الجماعة أبو عبد الله مَحمد بن قاسم القادري الحسني.

6. الإمام المؤرخ أبو العباس أحمد بن خالد الناصري السلاوي.

7. الإمام الفقيه شيخ الجماعة أبو العباس أحمد بن محمد ابن الخياط الزكاري الإدريسي.

8. الإمام العلامة أبو محمد التهامي بن المدني كنون.

9. العلامة الحافظ أبو محمد عبد الهادي بن أحمد الصقلي.

وغيرهم..

تلاميذه:

1. ابن خاله الإمام أحمد بن جعفر الكتاني.

2. نجله الإمام محمد المهدي الكتاني.

3. نجله الإمام المجدد محمد الباقر الكتاني.

4. شيخ الجماعة بالرباط الإمام محمد المكي البطاوري.

5. العلامة أبو عبد الله محمد بن محمد بن المعطي العمراني.

6. الإمام العلامة محمد الزمزمي بن محمد بن جعفر الكتاني.

7. شيخ الطريقة الشاذلية بفاس الإمام العارف أبو عبد الله محمد ابن إبراهيم الفاسي.

8. الشيخ الإمام العارف أبو عبد الله محمد بن الصديق بن أحمد الغماري.

9. شيخ علماء الشام أبو الفضل محمد المكي بن محمد بن جعفر الكتاني.

وغيرهم كثير في مشارق الأرض ومغاربها.

مؤلفاته:[1]

ترك الشيخ – رضي الله عنه – أكثر من ثلاثمئة وأربعين مؤلفا بين مجلدات كبار وتصانيف في أوراق، وحوالي عشرة آلاف رسالة. نذكر من كل حرف من الحروف الأبجدية واحدا:

- أسرار الاستعاذة.
- بيان الآفات في حكم تضييع الأوقات.
- تفاسير خمسة للبسملة من علم الكلام والتصوف والحقائق والنحو.
- حديقة الجنان في الجواب عن أمور تنكر على الصوفية.
- خبيئة الكون في شرح الصلاة الأنموذجية، وهو خزانة في المعارف.

(1) يرجع لمعرفة باقي مؤلفات الشيخ إلى كتاب "ترجمة الشيخ سيدي محمد الكتاني الشهيد" للعلامة سيدي محمد الباقر الكتاني ففيه استيفاء. وهو مطبوع حديثا بدار ابن حزم بيروت، بتحقيق حفيدة المؤلف الدكتورة نور الهدى الكتاني.

- الديوانة في وقت حصول الفتح للذات المحمدية.
- روح الفصوص في الفلسفة الإسلامية.
- زبدة المرام في حكم دخول الحمام.
- سلم الارتقاء في وجوب شيخ التربية.
- شرح قول الغزالي: "ليس بالإمكان أبدع مما كان".
- صلاة مولانا أحيد.
- الطلاسم في الكمالات المحمدية.
- الفرق بين الواردات الرحمانية والملكية والنفسانية والشيطانية.
- الكمال المتلالي والاستدلالات العوالي في محاججة أهل التفريط والتغالي ..
- اللؤلؤة الاستعطافية بالأعتاب المحمدية.
- مسألة أبوته صل الله عليه وآله وسلم للمؤمنين.
- نسخة من غاب عنه المطرب.
- وجوب اقتران ذكر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بذكر الله تعالى.

وغيرها..

ثناء العلماء عليه:

قال عنه الشيخ يوسف النبهاني في "جامع كرامات الأولياء"[1]: "أبو الفيض الشيخ محمد بن عبد الكبير الكتاني الفاسي، السيد الشريف، العلامة الإمام، الولي الكبير، أحد أفراد العصر، ونوابغ الدهر. وقد بلغني من الثقات الصادقين أنه من أولياء الزمان، وأوعية العلم والعرفان، وأن له كرامات وخوارق عادات، أعظمها: اجتماعه بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم يقظة، وظاهر حاله يدل على صدقه في ذلك، فإنه بعد أن ادعى هذه الدعوى الصادقة تفجرت من صدره ينابيع العلوم الشرعية والمعارف الإلاهية، فقررها في الدروس في الملإ العام، وأطاب بها النفوس بحضرة العلماء الأعلام، فسلم له صحة دعواه الولاية الكبرى الخاص والعام، سوى من غلب عليهم الحسد لعدم بلوغهم هذا المقام، ومَن دأبُهم الاعتراض على أولياء الله الكرام، وأنا أصدقه وأومن بولايته، وأسأل الله تعالى ألا يحرمني من بركاته"...اهـ.

وقال عنه الشيخ عبد الحفيظ الفاسي في "معجم الشيوخ"[2]: "صدر من صدور عصره، وعالم متبحر، حافظ من حفاظ الحديث بمعانيه وفقهه، متمكن في علم التفسير والأصلين والكلام، متبحر في التصوف، غواص على دقائقه، ناهج في ذلك منهج أرباب الحقائق...قدير على فك المشكلات وفض المعضلات، مثابر على نشر العلم، دؤوب على تقريره وتدريسه، لا يخلو وقت من أوقاته من الغوص في مسائله"...اه. بخ.

وقال عنه مفتي الشافعية بمكة أبو علي حسين بن محمد الحبشي اليمني الباعلوي في آخر إجازته لنجله الشيخ محمد المهدي الكتاني: "إنه من ذوي العلوم الواسعة والحقائق

---

(1) 377/1.

(2) 45/1.

الجامعة، الذين علت همتهم، وتسامت في العلوم الظاهرة والباطنة رتبتهم، الواصل الموصل إلى طريق الحق والصدق واليقين، البدر السامي المقدار، الظاهر كالشمس في رابعة النهار، العارف بربه، المستغرق فيه بقلبه، من أرجو باتصالي به الخير، وزيادة النور والبركة ودفع الضير، سيدي محمد.."الخ.

وقال عنه الشيخ أبو شعيب بن عبد الرحمن الدكالي كما نقله العلامة محمد الباقر الكتاني في "ترجمة الشهيد"[1]: "الشريف الأجل، العالم الأمثل، الحافظ اللافظ، الذي كرع من بحري الشريعة والحقيقة حتى ارتوى، سيدي محمد ابن سيدي ومولاي عبد الكبير الكتاني الحسني، رضي الله عنهم ونفعنا ببركاتهم آمين".

قيامه رحمه الله بالدعوة والإرشاد:

قام – رحمه الله تعالى – بالدعوة والإرشاد وتعليم الناس، فخرج إلى البوادي والجبال من أجل ذلك، حتى إن الأعرابي والبربري الذي لم يكن يجيد ذكر الشهادتين أصبح يحفظ القرآن ويواظب على الأوراد والأذكار النبوية وملازمة دقائق السنن التي لم تكن معروفة ومتبعة في حواضر الأمة الإسلامية ذلك الوقت.

ورباهم على الأخلاق الإسلامية المحمدية، وحفظ السنن، وتعلم الفقه، والجهاد ضد المستعمر، والصيام والقيام...

(1) ص 244.

وانطلق الناس إليه أفواجا أفواجا في سبيل ذلك، حتى تتلمذ له بعض شيوخه وأبناء الملوك فمن دونهم، وأحيى في بلاد المغرب رسم الإسلام ونشر العلوم...وانتشر تلاميذه وتلاميذ تلاميذه في شمال إفريقيا والحجاز واليمن والشام ومصر والهند وجاوا وغير ذلك من البلاد داعين إلى التزام الكتاب والسنة والشعائر المحمدية والابتعاد عن البدع والأهواء والضلالات.

حتى قال فيهم شيخ الإسلام في الآستانة الشيخ محمد المكي ابن عزوز في رسالة مطولة للحافظ عبد الحي الكتاني: "إن في الزوايا خفايا، وفي الرجال بقايا، وإن أولئك السادات الكتانيين هم الطائفة القائمة بأمر الله ورسوله، هم العلماء بالله وبرسوله وبالدين، هم المعانون من الله في أوقاتهم وكتبهم"...الخ.

وكان مع ذلك كله قائما بأعباء الإصلاح الاجتماعي ومنشغلا بالمصالحة بين القبائل والعشائر المتناحرة في وقته، ففي سنة 1326 هـ جمع رحمه الله زعماء القبائل المغربية بمكناس، وعقد بينها رابطة الصلح والسلام والأخوة، وأن لا تطالب قبيلة الأخرى بدم ولا بغيره، فتم السلام وانتشر الأمن هناك بعد أن غاب دهرا.

ثم – وفي قصة طويلة – وبعد خذلان الأمان، عمل السلطان على جلد الشيخ رضي الله عنه بالسياط إلى أن وقع شهيدا، وذلك صبيحة يوم الثلاثاء 13 ربيع الآخر عام 1327، وله من العمر سبعة وثلاثون سنة، وأخفي جثمانه رضي الله عنه[1].

(1) أغلب ما ذكرته في ترجمة الشيخ المؤلف منقول من ترجمة العلامة الدكتور حمزة الكتاني التي قدم بها مجموعة رسائل الشيخ رضي الله عنه. من صحيفة 11 إلى صحيفة رقم 28.

كتاب "لسان الحجة البرهانية" في سطور

هذا المؤلف العجيب النفيس أقدمه للقراء الكرام، المتعطشين لمعرفة دليل السادة الصوفية الأبرار فيما ذهبوا إليه وحققوه، وما عبروا عنه من تجليات الحقائق في صدورهم، خاصة فيما أُفهموه من أسرار الحقيقة الأحمدية والحقيقة المحمدية، التي اعترف علماء الظاهر رضي الله عنهم بوقوفهم دون إدراكها، وألقوا حبال الجواب عنها على أسوار معارف القوم نفعنا الله بهم.

قال الحافظ ابن حجر في "فتح الباري"[1] عند حديث البراء بن عازب لما قال في دعائه: و"برسولك الذي أرسلت"، فقال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم: "لا، قل بنبيك الذي أرسلت": "قيل: الحكمة في رده صلى الله عليه وآله وسلم على من قال (الرسول) بدل (النبي): أن ألفاظ الأذكار توقيفية، ولها **خصائص وأسرار**، لا يدخلها القياس، فتجب المحافظة على اللفظ الذي وردت به"...اهـ

فاعتراف الحافظ هنا أن هذين اللفظين – يعني: النبي والرسول – من الأسرار المخبآت، وأن القياس والقاعدة العلمية لا تنفع في التطلع إليه، إشارة إلى أن لها أهلا قدّرهم الحق عز وجل على فكها وتبصرها، وانتشالها من الخفاء إلى الظهور، كشفا وفتحا...

(1) 112/11.

وكتاب "لسان الحجة" من هذه البابة وعلى هذه الشاكلة، فيه أسرار كشفت وألغاز كونية فُكَّت، وهو مع ذلك يجتهد فيه الشيخ لتسهيل فهمه وتيسير قراءته على عوام العلماء فضلا عن غيرهم...فموضوعه أثقل وزنا من أن تقدر على إيصال مفاهيمه القواعدُ العلميةُ الموضوعةُ الاجتهاديةُ، ***فصار لذلك خزانة مليئة من التطبيقات العلمية على أساس قواعد العلوم والفنون الظاهرية المختلفة...***

فأورد فيه الشيخ النادرة – رضي الله عنه – من العلوم، والصناعات والرسوم، ما لا يوجد مجموعا عادة في مصنف واحد. ودونك أيها المطلع الكريم باقة من تلك العلوم التي تكلم بها أو فيها الشيخ في مؤلفه الأعجوبة هذا:

- التوحيد.
- التفسير.
- أسباب النزول.
- الناسخ والمنسوخ.
- الجرح والتعديل.
- التخريج.
- تاريخ الرجال.
- أصول الفقه.
- المنطق.
- الفقه.

- علم الحرف.
- علم سر الحرف.
- علم العدد.
- علم الحساب.
- البيان.
- البديع.
- المعاني.
- النحو.
- الصرف.
- فقه اللغة.
- تاريخ الإسلام.
- التصوف.
- علم الأديان.
- الفلسفة.
- العروض.
- الأدب.
- علم الاجتماع.

- السيرة.
- السياسة الشرعية.

وغيرها...

ولذلك قال الإمام العلم المحدث المسند الشيخ عبد الحي الكتاني في كتابه "السر الحق الامتناني"[1]: "لسان الحجة البرهانية في الذب عن شعائر الطريقة الأحمدية الكتانية" ألفه رضي الله تعالى عنه في شأن بعض المعترضين على رواتب هذه الطريقة، جمع فأوعى. **وأنا أقطع بالعجب ممن يرى مثل هذا المؤلف من تآليف شيخنا أبي الفيض، ولا يقال إنه أعلم أهل مصره بل ودهره؟!"**.اهـ.

هذا؛ وإن الشيخ لا يذكر كل ذلك تقليدا أو ترديدا، بل له وقفات ووقفات، مع كل قول يرى ضعفه، فلا يبخل على القارئ ببيان وجه مرجوحيته وبُعده، إنْ في الفقه أو في الحديث أو في اللغة أو في غيرها...

ومن أمثلة ذلك: ما اعترض به على شائعة المحدثين في كلامهم عن أسباب الوضع، فقال:

"وأما قول أهل الحديث وعلماء المصطلح: إن من علامة وضع الحديث كون الفضل أكثر من العمل، فهو كلام أغلبي لا أكثري، بدليل أمور في السنة - وخصوصا مكفرات الأعمال - وهي يسيرة ولم يرد ذلك في الأعمال الشاقة".

---

(1) ص 11 مخطوط.

وكتاب "لسان الحجة البرهانية" اسم على مسمى، فهو مدعّم من أوله إلى آخره بحجج وبراهين، ومقوى في كل سطر من سطوره بقواعد العلوم الظاهرية والباطنية.

وأولى الأدلة عنده: القرآن الكريم، لا تكلف في تأويله ولا تنطع في تفسيره، ولذلك يخالف في فهم آياته جمهورَ المفسرين، لمخالفتهم قواعد الفهم وضوابط التأويل التي حكموها هم أنفسهم وتحاكموا إليها وقرروها وقعدوا أبوابها...انظر ذلك في قوله رحمه الله:

"... وأمر بتسبيحه في قوله {وتسبحوه}، على أن الضمير يعود إليه، وسماه: أحمد..".

ثم دليله السنة الصحيحة، ولذلك اعتنى بالتخريج والجرح والتعديل والكلام في التواريخ ونقد المتون وغيرها، مما كان شبه منعدم في كتب أهل زمانه، وترى ذلك – أيضا – في اعتماده الكتب التي اعتنت بالتصحيح والتضعيف، ككتب المنذري والسيوطي وغيرها.

وهنا وقفة لا بد منها، إذ قد يعترض بعض المعترضين على وجود أخبار غير صحيحة في الكتاب، موضوعة أو باطلة أو لا أصل لها أو ضعيفة...وهذا يدفعني للحديث بإيجاز عما يجب التفصيل فيه في دراسة مستقلة، وهو "منهج الشيخ سيدي محمد بن عبد الكبير الكتاني" في الحديث، أو "محمد بن عبد الكبير الكتاني محدثا". وليسمح لي القارئ الكريم أن أسمي هذه العجالة هنا:

التصحيح والتضعيف بين المحدِّثين والمحدَّثين:

اعلم أن مذاهب أهل العلم في التصحيح والتضعيف خمسة أنواع:

النوع الأول: هو التصحيح أو التضعيف عن طريق القواعد الاصطلاحية المقررة في كتب أهل الحديث المتداولة بين الخاص والعام، والتي أغلب الأحاديث المحكوم عليها صحة وضعفا، هي باعتبار موازين تلك القواعد التي تفنن علماء الأمة بالتصنيف فيها والكلام في مباحثها، بما بقي شامة في جبين الثقافة الإسلامية وفضيلة وفخرا للأمة المحمدية، بين الأمم السابقة واللاحقة: أن لم تعرف واحدة منها اعتناء بالرواية وضبطا للمنقولات والمسموعات كما صنع ذلك علماء الحديث، وأسسوا لذلك أسسا عليها قامت أحكامهم على الأخبار والمرويات:

منها: طلب الإسناد، والنظر في حاله وحال رجاله فنقدوا الرواة وبينوا أحوالهم واحدا واحدا.

ومنها: سبر متون الأخبار ومعانيها...وابتدعوا لذلك علما مستقلا وفنا قائما هو "علم المصطلح"...

ومع ذلك اختلفوا في تلك القواعد ولم تكن قولا واحدا لحكمة أرادها الله، فاختلفت أحكامهم على الأخبار تصحيحا وتضعيفا في كثير من المناسبات، وتضاربت أقوالهم في نقد الرجال، حتى قسموا المجرِّحين أقساما: معتدلين ومتشددين وغير ذلك...

وإن اتفقوا على قول من الأقوال أو قاعدة من القواعد؛ اختلفت طرقهم في تطبيقها، بل الناظر البصير يقف على مجموعة من القواعد الاصطلاحية وضوابط التجريح والتعديل خالفها وأخذ بضدها جمع من المحدثين في أحكامهم على الحديث...بحيث يُشعر ذلك بأن هذا العلم الشريف - وإن كان من أعظم علوم الشريعة وأشرفها - فليس

القول به واحدا، ولذلك ظهرت مناهج وطرق أخرى لتصحيح الأخبار وتضعيفها غير هذا، نذكر منها:

✍ **النوع الثاني**: التصحيح والتضعيف بناء على الموافقة أو المخالفة للأصول العامة التي جاءت بها الشريعة الإسلامية أو قررتها الأصول العامة، بحيث ضعف جمع من الحفاظ أحاديث في أعلى درجات الصحة سندا لمخالفته ومعارضته أصلا قويا معلوما من الدين بالضرورة، كما حصل في حديث خلق التربة يوم السبت المروي في صحيح مسلم[1]، المناقض لعدد أيام خلق السماوات والأرض المذكور في القرآن بأنه ستة أيام، والذي أعله البخاري في "التاريخ الكبير" بأن وهم بكونه من رواية الإسرائيليات.

وكذا صححت أخبار على هذا الأساس...

✍ **النوع الثالث**: التصحيح للخبر لتلقي الأمة له بالقبول، وهذه طريقة معروفة في تطبيقات واختيارات أهل العلم قديما، ومنها الحديث المشهور: "لا وصية لوارث". الذي هو ضعيف من كل طرقه، لكنه معمول به ومقبول لدى علماء الأمة قديما وحديثا. وموضوعه: المسائل التي شاعت وذاعت بين أهل العلم. وللإمام التهانوي كلام مهم حول هذه القاعدة في كتابه "قواعد في علوم الحديث"، وكذا للشيخ أبي غدة أيضا جمع موسع في كتاب "الأجوبة الفاضلة" للكنوي...

✍ **النوع الرابع**: التصحيح والتضعيف عن طريق التجربة والواقع، وهو مذهب جماعة من أهل العلم وكثير من الصوفية، وقد اعتمده الإمام الطبراني والنووي والسخاوي...

---

(1) 2149/4 ح 2789 عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وقال الإمام محمد بن إدريس القادري في "إزالة الدهش والوله عن المتحير في صحة حديث ماء زمزم لما شرب له"[1]: "هذا الحديث صحيح متنا وسندا وتجربة وكشفا".

قال المحدث الألمعي سيدي عبد العزيز ابن الصديق الغماري في "الأربعين العزيزية"[2]: "قد أذكر في هذه الأربعين بعض الأحاديث التي لا تبلغ درجة الصحيح والحسن، ولأنها لا تنزل مع ذلك عن درجة الضعيف المنجبر، إما بورودها من طرق تعضدها وترفعها إلى درجة الحسن لغيره، كما هو مقرر في علم الحديث، وإما أن يكون خبرها مطابقا للواقع، وذلك شاهد قوي لصدق راويها وإن لم يكن لها طريق آخر يشهد لها".

"وقد حكم الحفاظ على كثير من أحاديث الضعفاء بالثبوت لمطابقتها للواقع، وهذا معلوم عندهم مقرر في كتبهم، بل إنهم ربما يعتمدون على التجربة في ثبوت الخبر وجواز العمل به، كما وقع منهم ذلك في حديث ابن مسعود في صلاة الحاجة: اثنتا عشرة ركعة تصليهن من ليل أو نهار، الحديث رواه الحاكم في "المائة" له وغيرها، ومن طريقه البيهقي، وذكر الحاكم أن جمعا من رواته جربوه فوجدوه حقا. قال الحاكم: قد جربته فوجدته حقا".

"وذكره الحافظ المنذري رحمه الله في "الترغيب والترهيب"[3]، فقال بعد أن ضعف سنده: والاعتماد في مثل هذا على التجربة لا على الإسناد".

---

(1) ص 188.

(2) ص 24.

(3) 147/1.

"وهذا العمل منهم لا شبهة فيه، وهو موافق للمقرر عندهم في المصطلح وعلوم الحديث، وذلك أنهم: قرروا أن الراوي الضعيف الواهي قد يصدق ويأتي بالحديث على وجهه، فإذا ثبت ما يدل على صدقه ورواية الحديث على وجهه صحح حديثه وعمل به".اهـ.

☜ **<u>النوع الخامس</u>**: التصحيح عن طريق الكشف والإلهام، وهو مذهب معتبر عند السادة الصوفية وأنكره عليهم أهل الظاهر، وقد نقله العجلوني في" كشف الخفا" وأقره واعتمده، وكذا الحافظ الغماري في "المغير" و"البرهان الجلي"...

وهذا النوع من قبول الأخبار واعتمادها معتمد عند الشيخ الإمام سيدي محمد بن عبد الكبير الكتاني رحمه الله في كثير من كتبه، ولذلك يكثر في كثير من المناسبات قوله: "في الحديث الصحيح عندنا"، أو "وقد صح كشفا" أو غير ذلك...

بل وجدته قعّد ذلك – رحمه الله – وبينه واضحا، فقد قال في "الفص المختوم شرح سورة الضحى": "إن الوحي قد يكون للأولياء كما يكون للأنبياء إلا في التشريع، ومن ذلك: تصحيحهم وتضعيفهم للأحاديث التي يراها غيرهم بخلاف ذلك...إذن ما في الكتاب من أحاديث باطلة وموضوعة وضعيفة فهي عند غيرهم أو على مذهب من مذاهبهم، لا على طريقة السادة الصوفية الكرام...فالإنكار عليهم من هذه الجهة لا مسوغ له ما دام أمرهم اتفاقا بينهم ومعمولا به ومعتمدا لديهم"...

"ثم إن الحكم على الأخبار عن طريق الكشف البحث فيه من أصول أخرى اختلف فيها أهل الظاهر مع أرباب السلوك والكشف...منها: مسألة رؤية النبي صلى الله عليه وآله وسلم والاجتماع به يقظة، والتي ألف في الانتصار إليها وإثباتها عقلا وشرعا جمع من أهل العلم، منهم الحافظ السيوطي في "تنوير الحلك برؤية النبي والملك"...وتكلم في

جوازها – أيضا – جمع غفير – أيضا – منهم شيخ الإسلام ابن حجر الهيتمي في "الفتاوى الحديثية" وغيره"...

"ومن تلك المسائل التي هي أصل الخلاف في مذهب الحكم على الأحاديث بالكشف والإلهام: الخلاف في حدود الإلهام والكشف والتحديث والتكليم، التي وردت الأحاديث الصحيحة الصريحة في أن الله يكرم بعض أوليائه بذلك، والتي هي صريح دليل السادة الصوفية في جواز تكذيب صحيح الأخبار بما حُدثوا به أو كشف لهم"...

على أن العمل بالتصحيح والتضعيف عند أرباب هذه الطريقة رضي الله عنهم، مشروط بشروط عندهم ومضبوط بضوابط، أهمها عدم معارضته للأصول العامة التي دلت عليها الأدلة الكلية أو احتفت لتقوية أدلتها القرائن الجملية. والموضوع يحتاج إلى وقفة تصور وتصديق...

شروح الأنموذجية:

كتاب "لسان الحجة البرهانية" – كما قلت من قبل – شرح من شروح الصلاة الأنموذجية، وقد عنى الإمام المؤلف بهذه الصلاة شرحا وتفسيرا في غير هذا المؤلف، بألسنة متغايرة، وأنفاس متباينة، وأدلة وحجج وبراهين متكاملة...نذكر منها:

1. "خبيئة الكون"، شرح كبير جِرما وقدرا...نافس فيه "فتوحات" الشيخ الأكبر، والكلام عنه مطول لهذه المقدمة، ولنذكر أنه لا يوجد منه إلا الجزء الأول.

2. "البحر المسجور" واسمه مطابق لمسماه. "كم فكَّ فيه من طلاسم، وأزاح عن وجوه الحسان البراقع واللثم حتى أراها للناس وهو باسم..."[1].

3. "الرقائق الغَزْلية" يشرح فيه الصلاة الأنموذجية بزيادة ما في الأولَيْن، يصنفها رحمه الله في ساعة زمن أثناء نزهة، كما ذكر في آخره. "أودع فيها من الكمالات المحمدية ما شاء، وملأ فيه الوطاب من الأسرار المحمدية ما جاء..."[2].

4. "روح القُدس" قال في حقه شقيق الشيخ نسبا وفتحا سيدي عبد الحي الكتاني: "كم نفث فيه قلمُ الإملاء من تحقيقات مسائل التوحيد الخاص بما تزاح ببريئته للقلوب الشبهات..."[3].

5. و"لُقطة عجلان" شرحٌ مختصرٌ التقطه الشيخ - رضي الله عنه - على عجل، فجاء مفصحا عن قدره الجلل، كما أعرب عنه العلامة الكبير أبو عبد الله محمد ماء العينين حين قرأه، فقال: "هذا نوّارة الأولياء"، وكفى بها شهادة عن أي شهادة...

6. و"اقتباس العقائد الجُملية من الصلاة الأنموذجية"، قال عنه مفتي مراكش العلامة الأديب أبو الحسن علي العدلوني: "...فيه المُرام...".

7. و"مزج الصلاة الأنموذجية" وهو كما قال الشيخ المذكور آنفا: "...من الغوامض...".

وللصلاة الأنموذجية شروح أخرى لغيره رحمه الله.

---

(1) كذا قال عنه الشيخ عبد الحي الكتاني رحمه الله في "السر الحقي الامتناني".

(2) عن الشيخ عبد الحي الكتاني أيضا من المصدر نفسه.

(3) كذلك.

فلشقيقه الشيخ سيدي عبد الحي الكتاني كتاب "السر الحقي الامتناني" مختصر ومطول في شرحها.

وكذا لنجل الشيخ سيدي محمد الباقر الكتاني رسالة مفيدة اسمها "الفتوحات القيومية في شرح الصلاة الأنموذجية"، جاء في تقديمها لولدي الشيخ سيدي محمد الباقر الأستاذ عبد الرحمن الكتاني والأستاذ محمد الكتاني[1]:

"وأشهر هذه الصلوات الصلاة الأنموذجية التي لا ينكر أحد فضلها سواء من محبي الطريقة الكتانية أو من أعدائها، لأنها كانت في طليعة العوامل القليلة التي ألهبت حماس العلماء والكتاب فبادروا إلى الكتابة عليها مدحا ونقدا، شرحا وتعليقا، حتى ألف فيها ما يقرب من عشرين مؤلفا يطول ذكرها الآن"...

وبالجملة؛ فمؤلّف ك "لسان الحجة البرهانية" ومؤلِّف كالإمام الجبل سيدي محمد بن عبد الكبير الكتاني لا ينبغي لمثلي في انعدام العلم وقلة المعرفة، أن يقول فيه كلمة، لولا أن البحث الأكاديمي المعاصر المبتدع يلزمنا أن نقدم للقارئ الكريم صورة مختصرة عن موضوع الكتاب، فعذرا.

النسخ المعتمدة: في إخراج الكتاب:

تعاملت في إعادة إخراج كتابنا "لسان الحجة البرهانية" على نسختين اثنتين لم أعثر على ثالثة لهما:

---

(1) ص 5.

- النسخة الأولى: هي التي عبرت عنها في حواشي الكتاب بـ:"ج" وهي المطبوعة الحجرية، التي طبعت بفاس سنة 1323 هـ، التي كان الشيخ - رحمه الله - يحضر طبعها بنفسه كما قال الشيخ عبد الحي الكتاني في "السر الحقي الامتناني". ولذلك اعتبرتها عند وجود التعارض بينها وبين النسخة الأخرى الأصل المرجوع إليه والمثبت.

- النسخة الثانية: وهي المعبر عنها بـ: "ط"، وهي طبعة لبنان القديمة للكتاب، لم تذكر فيها سنة الطبع، إلا أنها مليئة بالتصحيفات والسقط والأغلاط الإملائية وغير ذلك.

ووقفت على بضع صحيفات فقط ل"لسان الحجة البرهانية" بخط الإمام المؤلف رحمه الله أثبت صورتها إن شاء الله.

طريقة تخريج الكتاب المعتمدة:

حاولت أن أسلك أهم الخطوات العلمية الشكلية والموضوعية لإخراج هذا التراث النفيس للوجود، وتسهيل قراءته للمطالع الكريم، فعمدت إلى:

- نسخ الكتاب، ثم مقابلة النسختين الحجرية والمطبوعة قديما، وفك العبارات وتصحيح التصحيفات، ونقل الزيادات من هامش الحجرية إلى المتن، ورقمته على الطريقة الحديثة بالنقط والفاصلة وعلامات الاستفهام...وغير ذلك مما يراه المطالع في ثنايا الكتاب.

- خرجت الآيات القرآنية معزوة إلى سورها وأرقامها.

- خرجت الأحاديث المرفوعة والآثار الموقوفة، وعزوتها إلى مظانها المتوفرة لدي.

- توسعت في الكلام عن بعض الرجال تجريحا وتعديلا لما يقتضيه المقام ويلزمه البحث، معتمدا على كتب أهل الفن.

- بينت حكم بعض الأحاديث والأخبار صحة وضعفا، مستمدا ذلك من كلام أهل الصناعة الحديثية.

- شرحت من كتب اللغة والأدب والقواميس والأمثال وغيرها الكلمات الغريبة أو التي قد يشكل فهمها.

- زدت توضيحا بعض مباحث الكتاب من كلام الشيخ نفسه في كتبه الأخرى، خاصة "الديوانة" و"البحر المسجور" و"الرقائق الغزلية" وغيرها.

- بينت بعض ما كان من سبق قلم أو خطإ طبع في المتن وصححته.

- قدمت للكتاب بما مر بك.

- أضفت ملحقا للكتاب، وهو جواب بعض الفقهاء الكتانيين على رسالة البوعزاوي.

- صنعت فهرسا متواضعا للموضوعات دون غيرها.

هذا؛ ولا يفوتني أن أنوه وأشكر من كان سببا سلوكي هذا المهيع والعمل على إخراج هذا الكنز الثمين، وأخص بالذكر الأستاذ المكرم من سلمتني يده الكريمة "لسان الحجة" وشجعني على إخراجه سيدي أحمد بن عبد الخالق التيجاني، والأستاذ الفاضل أحد خدام الجناب المحمدي، الغيور على المقام الأحمدي سيدي الحاج عمر بناني، والأستاذ البركة الدكتور العلامة سيدي حمزة بن علي الكتاني الذي ما فتئ يمدني من هنا وهناك بما يساعد على إتمام هذا العمل...فلهم ولغيرهم الشكر والمنة.

ولقد كتب على ابن آدم حظه من الزلل والخلل، فليسارع أهل الفضل والغيرة على إصلاح ما كان منه في عملي هذا، وليس معهم مكان لأهل الحقد والحسد والعناد.

نسأل الله أن ينفعنا بما علمنا والحمد لله رب العالمين

خادم أعتاب الشرفاء:

أبو سلمى عدنان بن عبد الله زُهار

كان الله له

تقريظ بوصيري العصر الشيخ يوسف النبهاني لكتاب

"لسان الحجة البرهانية"

الحمد لله المنعم على من شاء بما شاء من أنواع عطاياه، والصلاة والسلام على سيدنا محمد أحمد الخلق وحبيب الحق، القاسم لتلك العطايا بحسب ما أراه الله، وعلى آله وأصحابه وكل من آمن به ووالاه.

أما بعد؛ فقد طلب مني بعض الفضلاء أن أقرظ كتاب "لسان الحجة البرهانية في الذب عن شعائر الطريق الأحمدية الكتانية"، فأجبته قبل أن أراه بنعم نعم، وقلت له: إن لي بذلك الشرف الأعظم، لما أعلم من فضل مؤلفه الإمام ابن الإمام، أحد أعلام الإسلام، مولانا السيد الشريف أبي الفيض وأبي المكارم شمس الدين محمد بن عبد الكبير الكتاني الفاسي رضي الله عنه.

فمجرد نسبة الكتاب إليه كاف للوثوق به والاعتماد عليه، لأنه بحر الشريعة وحَبرها، وشمس الحقيقة وبدرها، قد فاز بالشرفين، وجمع بين الحسنيين، وفوق ذلك عنده من الأسرار والمعارف والأنوار التي أفاضها عليه يقظةً جدُّه المصطفى المختار، ما تعجز عن تصوره العقول والأفكار، ويحمل كل مؤمن على تلقي كلامه بكمال الاعتماد والاعتبار، فهو العلم الفرد الغني عن كل تعريف، لا حاجة به وبكتبه إلى التقريظ والتوصيف.

ثم اطلعت على هذا المؤلف الفريد، الذي ما على حسنه من مزيد، فوجدته مورد علم وعرفان، ومصدر حق وإيقان، قد أحسن به كل الإحسان، بأفصح لسان وأوضح بيان،

بالنقول الصحيحة، والبراهين الصريحة، من الكتاب والسنة، وكلام أئمة الأمة، حتى ظهر الصواب لأولي الألباب، فكتبت هذه الكلمات لا بقصد التقريظ بل بقصد الانتساب، إلى ذلك الجناب، فإني أنا وأمثالي نتشرف بخدمة صاحب هذا الكتاب، والدخول إلى مرضاته من كل باب.

وإني لأدعو لذلك المعترض بالهداية والتوفيق، وسلوكه في سبيل الرشد والإرشاد أقوم طريق، وأشكره على أن كان سببا لتكلم الأستاذ بهذا اللسان الفصيح، وأفادتنا بعض ما عنده من الحق الصريح بالقول الصحيح، حتى جاء ذلك كتابا بديعا بهذا الشكل المليح، مع جودة الطبع والورق والتصحيح، وأرجو أنه بعد أن يطلع على أجوبته يندم على ما صدر منه إليه، ويتوب إلى الله مما جنى، فمن تاب تاب الله عليه.

نعم؛ أنا وهو وأكثر الناس لا ندرك الحقائق والدقائق التي تضمنتها صلوات هذا الإمام وأحزابه، لأنه لسان عارفٍ كبيرٍ يجل أن يفهمه أمثالنا وإنما يلزمنا تسليمه إلى أهله، ونقول فيه ما قاله الإمام ابن سريج في حق الجنيد: "إن لكلامه صولةَ ليست بصولة مبطل". والله أعلم.

فائدة:

من الاتفاق العجيب: موافقة سيدي محمد الكتاني هذا لسيدي محمد البكري أبيض الوجه المصري، في اسمه وكنيته أبي المكارم، ولقبه شمس الدين، ووصفه أبيض الوجه، وفصاحة لسانه، وقوة بيانه، وفيوضاته الربانية، في المعارف الإلهية.

بحيث اشتهر كل واحد منهما في عصره اشتهارا لا يشاركه فيه أحد، مع كثرة ما وقع عليهما من إنكار أهل الحسد، وكون كل منهما صار مظهرا لذلك مع صغر السن الذي لا يتسع لتعلم جزء من مئة ألف جزء من تلك العلوم عُلومِ الخاصة، التي أفاضها الله على كل منهما بمجرد الاختصاص.

ومن اطلع على ترجمتيهما يجد أوصافا كثيرة اتفقا فيها، هي من آيات الله الباهرة التي ظهرت في هذين العارفين، مع تباعد الأزمان والأقطار، ومنها: أن كلا منهما من بيت علم وولاية يتوارثونها من قديم الأعصار.

ومنها: قد يصدق عليه ما قاله الإمام الشعراني في حق سيدي محمد البكري: "أن من يراه ويسمع ما يتكلم به من العلوم والأسرار التي تبهر العقول مع صغر سنه ولم يعتقده فهو محروم".

فالحمد لله على نعمة الاعتقاد فيه وفي سائر أولياء الله تعالى، ولا سيما إذا كانوا من أهل البيت الكرام، مثل هذا الإمام، وأسأله تعالى أن يرزقني ببركته وبركة جده الأعظم صلى الله عليه وسلم العفو والعافية وحسن الختام.

يوسف النبهاني

النفائس الكتانية

(١٩)

لسان الحجة البرهانية

في الذب عن شعائر الطريق الأحمدية الكتانية

تأليف

الشيخ الأكبر أبي الفيض

سيدي محمد بن عبد الكبير الكتاني

المتوفى سنة 1327 هـ

اعتنى بإخراجه

خادم الأعتاب

عدنان بن عبد الله زُهار

بسم الله الرحمان الرحيم

الحمد لله رب العالمين، اللهم صل على سيدنا ومولانا محمد خاتم الدوائر، الجامع لأسرار الأوائل والأواخر، وعلى آله ومقتفي آثاره وصحبه، وسلم تسليما.

الحمد لمن يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء، لم تزل أمواج أبحر قدرته تتلاطم وتتدفق على صفحات الأكوان، ومقتضياتُ عجائب مبدَعات أثرَات أسمائه تبرز وتظهر وتترى على كراسي الامتنان، خص جلَّ أمرُه كل جنس من الأجناس الكونية بسمة وعلامات وآيات، وميز كل نوع من الأنواع التكوينية بنوع من التخصيصات والخِصِّيصات.

بل ميز كل نبي من الأنبياء – المائة ألف والأربعة وعشرين ألفا[1] – بمسالك الإنباآت وطريق من طرق العنايات.

وأنزل على كل رسول من رسله – الثلاثمائة وأربعة عشر رسولا – كتابا خاصا وتشريفا خاصا وقاهرا من قواهر المعجزات والتمييزات.

كما جعل كل طبقة من طبقات الولايات، على أقدام الأنبياء والرسل في كل عصر وجيل ووقت من الأوقات لايتخلف واحد منهم عن تعمير رتبته في حال من الحالات.

(1) لحديث أبي ذر رضي الله عنه، قال: دخلت المسجد فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس وحده قال: "يا أبا ذر إن للمسجد تحية، وإن تحيته ركعتان، فقم فاركعهما". قال: فقمت فركعتهما ثم عدت فجلست إليه...إلى أن قال: قلت: يا رسول الله كم الأنبياء؟. قال:"مائة ألف وعشرون ألفا". قلت: يا رسول الله كم الرسل من ذلك؟. قال: "ثلاث مائة وثلاثة عشر جما غفيرا". رواه ابن حبان في "صحيحه" كما في "الإحسان" 77/2، وأقره الحافظ على تصحيحه في "الفتح"361/6.

بل أبان عن وسع مقتضيات القدرة الباهرة بأن جعل لكل شيء من الشيئيات، بينه وبينه شأنا خاصا لايزاحِم فيه غيره من الأشياء ولاتزاحمه الأشياء فيه، إنباء منه – جل سلطانه، وتقدس أمره عن الحصر والتقييد والتناهي والانقضاء – بأن وُسع ربوبيته لا ينفد خزائنها مطالب وحاجات أهل الأرضين والسماوات، على تكاثرهم وتباين طباعهم واتساع مملكتهم وانفساح حكوماتهم واستبحار عمران تقلباتهم على حسب مرور الآنات، وترادُف الدقائق والدُرَج والأقسام والأنصاف والثواني والساعات.

سبحانك سبحانك أنت القائل: {**ومن أصدق من الله حكما لقوم يوقنون وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم**}. [الحجر/ 21]، والقائل: {**ما عندكم ينفد وما عند الله باق**} .[النحل/ 96].

فما زاد من قال: "إن مراتب الولايات انقطعت من الأرض"، على من قال: "إن الله فقير"، إلا بحسن تلبيس العبارات لاغير، وإلا؛ حيث كانت القدرة والإرادة يتعلقان بجميع الممكنات[1]، فمن الممكن أن يجمع الله جل سلطانه في فرد جميع مراتب التخصيص والتشريف وإزلاف المكن بعد أن قالوا: "إن الولاية انقطعت"، وخرقوا أسس العقائد، وهدموا بنيان القواعد. وحيث كُلموا يقولون: قال أبو مدين:

واعلم بأن طريق القوم دارسة وحال من يدعيها اليوم

كيف ترى

(1) كما هو مذهب أهل السنة والجماعة ومحققي الصوفية رضي الله عنهم. قال الإيجي في كتاب "المواقف"11/1: "قادر على جميع الممكنات؛ لأن مقتضى القدرة ذاته، ومصحح المقدورية هو الإمكان المشترك بينهما، فوجب شمول قدرته إياها على سبيل الاختراع والإنشاء"...اهـ.

مع أن أبا مدين أنشد هذا في القرن السابع[1]، فيلزمهم أن جميع من أتى بعد القرن السابع أن طريقه دارسة. وآخر من يصدق عليه البيت هم، وهو خور. {**وما كان معه من إله إذا لذهب كل آله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون**}. [المؤمنون/ 91].

وصلواته وسلامه على مركز دائرة الأنوار، والنور الأعظم، وحاجب حُجّاب الحضرات الكبرى، وخزانة الله المحيطة بالمقتضيات المُلكية، ومحل نظره تعالى من المخلوقات، الساري سره في الأسماء والصفات، وعلى آله النجوم الطوالع، والجبال الفوارع، والغيوث الهوامع[2]، والسيول الدوافع، حصن الله تعالى في الأرض، التي ما استجار بها مستجير جانٍ إلا وألقت عليه الأكناف الإلهية كنَفها[3]، وأمانه في ملكه أوتاد الأرض وجواهر الأصداف الإنسانية.

أصاغرهم في المكرمات أكابر وآخرهم في المأثرات أوائل

وأصحابِه الذين مثلهم في التوراة أنهم: {**رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من أثر السجود**}. [**الفتح**/ 29].

---

(1) هو الزاهد العارف شيخ أهل المغرب شعيب بن الحسين العثماني. كان من أهل العلم والاجتهاد منقطع القرين في العبادة والنسك، بعيد الصيت، ويسميه الشيخ محيي الدين بن العربي بشيخ الشيوخ. ونشر الله ذكره وتخرج به جماعة من العلماء ومن الفضلاء. وله في الحقائق كلام واسع. ذكره ابن رجب في "الشذرات"303/2 ممن مات سنة تسعين وخمسمائة. وانظر ترجمته في "سير أعلام النبلاء"21 /219. فقول الشيخ المؤلف رضي الله عنه أنه أنشد ذاك البيت في القرن السابع للتقريب فقط، مع ما علمت أنه من أعيان القرن السادس.

(2) يقال سحاب هَمِع أي ماطر، "مختار الصحاح" ص 291.

(3) لحديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: "يا أيها الناس، إني قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا، كتاب الله وعترتي أهل بيتي". رواه الترمذي في "سننه"662/5 ح 3786، وقال عقبه: وفي الباب عن أبي ذر وأبي سعيد وزيد بن أرقم وحذيفة بن أسيد.

{وأفوض أمري إلى الله إن الله بصير بالعباد}. [غافر/ 44].

[الفاتحة الأولى: تمهيد للكتاب]

أما بعد؛ فإن الله جل أمره، وتعزز مجده وعلا سناؤه، وتعالى جده وتقدست أسماؤه وصفاته؛ لما جعل النوع الإنساني أشرف الموجودات، لتخصيصه بسر الخلافة في الأرض؛ جعل إنسانيته مركبة من أسهم وشعب، وما لم تجتمع تلك الأسهم في ذات من الذوات وتستكملْها وتكتنفْها فليس لها من الإنسانية إلا الصورة. وإلا فقد طرأت عليها الحيوانية فنسختها، وفي الحقيقة مسختها: {**لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم. ثم رددناه أسفل سافلين**}. [التين/ 4، 5]. وبقدر استكمال تلك الخصائص الإنسانية بقدر استحقاق مراتب الكمال.

والقطبُ الذي تدور عليه أسرار الإنسانية، والمدار الذي عليه مدار النظام الكوني والنقطة التي لاتجتمع النقط إلا عليها، والمغناطيس الذي لا تَنْجذب الأشياء إلا إليه؛ هو: الائتلاف والانتظام، والتآخي والتآلف بين الصور الجسمية كما وقع التعارف في العالم القدسي الذي بين الحقائق الروحية، فلا يتم انتظام الملك إلا بالتآخي والتواصل، والتحابب والتوادد، وحسم أسباب التقاطع والتدابر والتهاجن والتشاحن[1]، ولا يستقيم

(1) للإمام الشهيد المؤلف رضوان الله عليه رسالة "المؤاخاة" فيها تفصيل ما أجمله هنا في هذا المقطع، وقد طبعت ضمن مجموع من رسائله العطرة في الأدب والسلوك باعتناء أخينا الفاضل الدكتور الشريف محمد حمزة الكتاني جزاه الله خيرا.

أمر أُمرنا به من قِبَل الشرع الكريم إلا بواسطة هذا الإخاء الديني الذي عقدته أيدي العناية الربانية في مضامر الغيوب.

لأن الله – جل سلطانه – لما علم هذا عقد ثلاثة ألوية عند افتتاح دورة هذا الوجود:

اللواء الأول: الإشهاد من بني آدم بالإقرار بربوبيته في عالم الذر، وهو قوله جل أمره: **{وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون وكذلك نفصل الآيات ولعلهم يرجعون}**.[**الأعراف/ 172، 173**].

اللواء الثاني: عقد الإشهاد على حقائق الأنبياء والمرسلين إذا أدركوا الجلالة المحمدية أن يؤمنوا بها وينصروها، والأخذ على المتبوع أخذ على التابعين[1]، وهو قوله سبحانه: **{وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما أتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال آقررتم وأخذتم على ذلك أصري قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين فمن تولى بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون}**. [آل عمران/ 81، 82].

اللواء الثالث: عقد عهد التآخي بين المؤمنين والتواصل وأسباب الائتلاف في سائر المواطن والحيثيات، وهو قوله سبحانه: **{إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم}**. [الحجرات/ 10]. وذلك لأن الشؤون الإلهية التي خصصتها الإرادة وكشفها العلم واقتضتها الحكمة؛ وهي: الشرائع الإلهية الموضوعة في الأرض لإصلاح قلوب الخلائق

---

(1) يعني بهذا قدس سره: أمم الأنبياء والمرسلين.

وطب أجسامها والأخذ بأيديها، لا تتم ولا ينتظم المراد منها بحسب الحكمة إلا بالانتظام والائتلاف، وعدم التقاطع بين الخلق، وحسم الإحن البدوية والوقائع الاصطكاكية[1]. وإلا؛ لا تنتظم جماعات ولا جمعات ولا أعياد، ولا قبلت شفاعات قوم عند قوم، ولا وقع تناكح بين مسلمين لولا رابطة التحابب والتعاطف.

فهذه قاعدة كلية من قواعد الشرع المحمدي بل قاعدة اتفق عليها كل شرع للعلة المذكورة، فكل ما وافقها وعضدها ومشى على نحوها فهو الرباني العاقل العالم العامل الفقيه عن الله سبحانه.

وكل ما ناقضها وخالفها وخدش فيها، وأراد نقض إبرامها وقلب قضِيّاتها، وتسبب في نقض هذا الحبل الإلهي الموضوع لجمع كلمة أهل العالم؛ فيجب ردعه وقمعه بلسان العلم، إذ له السلاطة[2] على كل أحد، ولا يحتشم من أحد. ولذلك سمى الله سبحانه الحجج: {سلطانا مبينا}[3]، لما في لسان العلم من السلطنة والسلاطة والترفع وعدم مطاولته، لأنه سيف صارم لا ينبو، وفارس بطل لا يكبو، وضوء لامع لايمتزج بأسداف[4] الظلام.

---

(1) قال في "اللسان" 456/10: "اصطك الجرمان: صك أحدهما الآخر. والصك كما قال قبله الضرب الشديد بالشيء العريض، أو الضرب عامة بأي شيء كان. وبهذا يفهم معنى قوله رحمه الله الوقائع الاصطكاكية.

(2) السلاطة: القهر. انظر "مختار الصحاح" ص130 و"لسان العرب" 320/7.

(3) في كثير من الآيات الكريمة، منها قوله عز وجل: {ولقد أرسلنا موسى بآيتنا وسلطن مبين} . [غافر/ 23].

(4) الأسداف جمع سَدَف بتحريك المهملتين، وهو ظلمة الليل كما في "لسان العرب" 146/9.

وامتن بإتيان الحجج أنبياءَه ورسله في غيرما موطن، فقال: {وآتينا موسى سلطانا مبينا}. [النساء/ 153]. وقال: {وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه}. [الأنعام/ 83]، وقال: {قالوا يا نوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا}. [هود/ 32].

وإن كان الارتداع والانقماع بحجة العلم إنما يقع للألِبَّاء أهل الإنصاف الذين ينصفون من نفوسهم لغيرهم. وهو صعب لا يعطاه إلا من له حظ في الإنسانية: {إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد}. [ق/ 37].

[سبب تأليف الكتاب]:

فلهذا؛ لما رأينا مكتوبا لشخص يقال له: البُعَزّاوي، أغرق فيه في ذم طائفتنا الكتانية - أشاد الله جل أمره أمرها، وأعلى بناءها، وأعظم مجدها، وخفق ألويتها على كل ذي لواء- وأطلق لسانه في الطائفة بالسب، بل واللعن، بل والتكفير في تسعة مواضع، بسبب أمور أبهمت واستغلقت عليه، فلم يُرشّح(1) لفتح مقفلها، ولا للاطلاع على غامض سرها. ويا للعجب من الإنسان كيف كل جزئية لم يُفتح عليه في دركها وفي إدراكها ينكر وجودها، ويجعل عدمَ فقهه هو لها ذريعة لكونها غيرَ موجودة في الشرع، وهذا جهل كبير بالأصول وبالفروع؛ فإن أحدا لم يجعل هذا من الدلائل المأخوذ منها الإثبات والنفي.

وقد صدرت هذه المقالات على عهد النبوة، فقالوا: {لو كان خيرا ما سبقونا إليه}. [الأحقاف/ 11] ، فجعلوا الدليل على عدم أحقية ذلك المسلك: عدم علمهم هم به،

(1) أي: فلم يؤهَّل. يقال: فلان يرشح للوزارة بفتح الشين ترشيحا أي يربى لها ويؤهل، كما في "مختار الصحاح" ص102.

فجَهَّلَهم الرب الكريم وقال: ليس الأمر كما ظنوا: {وإذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا إفك قديم} . [الأحقاف/ 11].

وأصل هذا الفهم إنما ينشأ من عدة أمراض قلبية، وكلها قادحة في ادعاء الكمال. فأنى للإنسان الحيطةُ حتى بضروريات مسألة واحدة من العلم؟، فكيف يجعل عدم علمه هو بمسألة دليلا على كونها ليست من العلم في شيء؟.

وهو يرجع للرضى عن النفس، وللعجب ومسايرة الإنسان نفسه بالمحيط بكل شيء، فيتعجب من فوته علم شيء: {وما أوتيتم من العلم إلا قليلا} . [الإسراء/ 85].

ويظنون أن من عرف الرسوم الرسمية، والأبحاث الظاهرية، واطلع على الأمثال الشعرية، وعرف طُرق المهاجات الغضبية؛ فذلك العلم وذلك الفهم، وذلك الفتح وتلك الشيخوخة.

شواهد الحب لاتخفى على أحد

وكل يدعي وصلا بليلى وليلى لا تقر لهم بذاك

فلما رأينا ذلك منه، وعلمنا أنه كاد يضل بذلك خلقا ممن لايقدرون على الاطلاع على الأمور كيف هي، فحركنا داعي الذب على الحُرَم الإسلامية، وتشييد أركان الطريقة المحمدية الأحمدية، وإفراغ ما لم يفهمه من ألفاظها واصطلاحات أهلها في قوالب النقول المنقولة، والقواعد المعقولة، حتى نعلم ويعلم الناس أنك قعقعت(1) وما تسلحت،

(1) قال في "مختار الصحاح" ص228: القعقعة حكاية صوت السلاح ونحوه. وكذا في "اللسان" 286/8.

وجعجعت[1] وما طحنت، وتطاولت وما راعيت، وأهضمت جانب الله ورسوله والحُرم الإسلامية وما ارعويت.

وقلنا: إذا فرضنا أن أنبياء الله تعالى ورسله - عليهم الصلاة والسلام - والحقيقةَ الأحمدية وجبريل وميكائيل وحملة العرش حضروا مجلسا وفيه رجل يلطخ الكعبة المشرفة بأنواع القاذورات، أتراهم يسكتون ويدعون الحق سبحانه ينتصر لبيته ويذب عن حَرَمه الكريم الأحمى الاسمى، أو يغضبون وتدور حمالق[2] أعينهم في رؤوسهم، ويرون أن من انتصار الله سبحانه لبَيته وحَرَمه كونَهم حضروا وسمعوا ورأوا الحُرَم تُنتهك؟. بلى؛ إنهم يغضبون. وأقربهم من الرب جل جلاله أعظمهم غضبا، حيث رأى أعظم الشعائر تهضم.

ولما كانت حرمة المؤمن أعظم عند الله تعالى من الكعبة - كما صحت بذلك الآثار - كيف لا يَذُبُّ أنبياء الله تعالى ورسله وملائكته ومولانا رسول الله عمَّن حُرْمته أعظم من حرمة الكعبة؟، ولا مرية أن أولئك الرفيق الأعلى – وهم: أنبياء الله تعالى وملائكته عليهم الصلاة والسلام - ينتصرون بالحجج على تعظيم حرمة بيت الله ومهبط ملائكته وطُواف أعينه من خلقه أولا، ثم بأيديهم ثانيا، ثم بإزالة ذلك التلطيخ وذلك التنجيس.

تنبيه: [حرمة المسلم أعظم من حرمة الكعبة]:

---

(1) الجعجعة صوت الرحى. "مختار الصحاح" ص 44. وقال في "جمهرة الأمثال" 154/1: قولهم أسمع جعجعة ولا أرى طحنا، معناه جلبة ولا أرى عملا. والجعجعة ههنا الصوت.

(2) حملق الرجل: فتح عينيه ونظر نظرا شديدا. انظر "مختار الصحاح" ص66.

وكون حرمة المؤمن أعظمَ عند الله تعالى من حرمة الكعبة تدل له الأحاديث المتكاثرة:

فمنها: مارواه ابن ماجه(1) من حديث سيدنا ابن عمرو(2) بلفظ: "ما أعظمك وأعظم حرمتك، والذي نفسي بيده لحرمة المؤمن أعظم حرمة منكِ: ماله ودمه، وأن تظن به إلا خيرا". وشيخه نصر بن محمد بن سليمان الحمصي ضعفه أبو حاتم ووثقه ابن حبان(3).

ولفظ ابن ماجه: "رأيت - مولانا - رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله يطوف بالكعبة وهو يقول: ما أطيبك وأطيب ريحك، ما أعظمك وأعظم حرمتك. والذي نفس محمد بيده لحرمة المؤمن أعظم عند الله سبحانه حرمة منك، ماله ودمه وأن يظن به إلا خيرا".

ولابن أبي شيبة(4) من طريق مجالد(5) عن الشعبي عن ابن عباس رفعه: "نظرَ إلى الكعبة فقال: ما أعظمك وأعظم حرمتك، والمسلم أعظم حرمة منك، فقد حرم الله سبحانه ماله ودمه وعرضه وأن يظن به ظن السوء".

وعن البيهقي(6) من طريق مجاهد، عن ابن عباس نحوه. وفيه حفص بن عبد الرحمن(1).

---

(1) 1279/2 ح 3932.

(2) في ج وط ابن عمر وهو سبق قلم من المؤلف رحمه الله.

(3) في كتاب "الثقات"217/9 وترجمته في "التهذيب" للحافظ 386/10.

(4) في "المصنف"435/5.

(5) في ط مجاهد وهو خطأ.

(6) في "شعب الإيمان" 444/3.

وقال صاحب "القوت"[2]: "وفي الخبر المشهور عن ابن عمر وأبي هريرة وكعب الأحبار أنه صلى الله عليه وسلم نظر إلى الكعبة فقال: ماأشرفك وأعظمك، ولَلْمؤمن أعظم درجة عند الله تعالى منك".

ومنه: مارواه ابن ماجه[3] من رواية أبي المهزم[4] يزيد بن سفيان عن أبي هريرة رفعه: "المؤمن أكرم على الله تعالى من بعض ملائكته". وأبو المهزم تركه شعبة وضعفه ابن معين. ورواه ابن حبان في "الضعفاء"[5]، والبيهقي في "الشعب"[6]، من هذا الوجه بلفظ: "المؤمن أكرم على الله سبحانه من الملائكة عليهم السلام"، وهو الذي اقتصر عليه في "الإحياء"[7].

ونحو هذا الحديث قول عمرو بن العاص: "ليس شيء أكرم على الله سبحانه من ابن آدم"، قلت: الملائكة؟ قال: "أولئك كمنزلة الشمس والقمر، أولئك مجبورون"[8]، أخرجه البيهقي[1] وقال: "إن الصحيح وقفه، ورَفَعَه بعضُهم، وهو ضعيف[2].

---

(1) حفص بن عبد الرحمن. الفقيه أبو عمر البلخي، قاضي نيسابور. قال أبو حاتم: صدوق مضطرب الحديث. وقال النسائي: صدوق.وقيل: كان ابن المبارك يزوره لدينه وتعبده. مات تسع وتسعين ومائة. انظر "الضعفاء والمتروكين"222/1، و"ميزان الاعتدال" 321/2.

(2) 217/1.

(3) 1301/2 ح 3947.

(4) في ط: "أبي المهزم بن يزيد . . ."، و"بن" مقحمة لأن أبا المهزم اسمه يزيد بن سفيان.وهو كما قال الإمام الشهيد تركه شعبة وضعفه ابن معين. كما في "ميزان الاعتدال"244/7 و"الضعفاء الصغير"ص 121.

(5) 99/3 وهو عنده مرفوع.

(6) 174/1، لكنه عنده موقوف. قال البيهقي: "كذا رواه أبو المهزم عن أبي هريرة موقوفا . وأبو المهزم متروك".

(7) "إحياء علوم الدين" 150/4.

(8) في ط مجيدرون.

وروى ابن النجار عن حكامة[3]: حدثنا[4] أبين عن أخيه مالك بن دينار، عن سيدنا أنس رفعه: "المؤمن أكرم على الله سبحانه من الملائكة المقربين".

فهذا التمثيل هو الذي حذانا حذو أنبياء الله تعالى ورسله وملائكته في أن نذب عن هذه الطائفة، وننتصر لتأسيساتهم، ونبين مقفلات اصطلاحاتهم. وفي الطائفة حملة القرآن الكريم، وأهل البيت النبوي، والعلماء، والشيب والأبرار، والمصلون والصائمون، والمتصدقون والخاشعون، والقانتون والصابرون، والذاكرون الله كثيرا، والحافظون فروجهم...

وكل هؤلاء حَقَن الشارع عرضهم كما حقن دمهم وأموالهم، حتى جعل الربا سبعين بابا أدناها كإتيان الرجل أمه[5]، وأن أربى الربا: استطالة الرجل في عرض أخيه المسلم. فجعله من أكبر أكبر الكبائر.

فأقمنا الميادين الجدلية بحق لإدحاض باطل وباطل وباطل، وهو ممدوح في القرآن. ورتبنا: ***"لسان الحجة البرهانية في الذب عن شعائر الطريق الأحمدية الكتانية"*** مؤسسا على فواتح ومراغب ووصول وخواتيم.

---

(1) في "شعب الإيمان" 175/1.

(2) لأنه من أفراد عبيد الله بن تمام. قال البخاري في "التاريخ الكبير"375/5: "عنده عجائب". اهـ. وخالف فيه غيره ممن وقفوه على عبد الله بن عمرو.

(3) حكامة بنت عثمان بن دينار، أخي مالك بن دينار، قال الحافظ في "لسان الميزان" 331/2: "أحاديث حكامة تشبه أحاديث القصاص، وليس لها أصل". اهـ.

(4) في ط زيادة "قال".

(5) إشارة إلى حديث البراء بن عازب الذي رواه الطبراني في "الأوسط" بلفظ المؤلف، وفيه عمرو بن راشد وثقه العجلي وضعفه الجمهور، كما في "المجمع" للهيثمي 117/4.

الفاتحة الأولى: ماتقدم، من "أما بعد" إلى هنا.

الفاتحة الثانية: [الحق أحق أن يتبع]

قيل لباب العلم كرم الله وجهه[1]: "إن فلانا خالفك في المسألة الفلانية"، فقال: "لايضرنا ذلك وخيرنا أتبعنا لهذا القرآن"[2].

وقيل لسعيد بن جبير: "إن فلانا خالفك في الحرف الذي تقرأ به"، فقال: "إن القرآن لم ينزل على سعيد ولا على غيره".

ولما سئل سيدنا ابن عمر – رضي الله تعالى عنهما – كم اعتمر النبي صلى الله عليه وسلم وعلى آله؟، فقال: "أربعا، إحداها – أو إحداهن – في رجب"، فقالت عائشة رضي الله تعالى عنها: "يرحم الله – سبحانه – أبا عبد الرحمن؛ ما اعتمر النبي صلى الله عليه وسلم وعلى آله إلا وهو معه، وما اعتمر في رجب قط"[3].

الفاتحة الثالثة: [عمر الدنيا أقصر من تطاع فيه الأحقاد]

---

(1) هو أمير المومنين علي بن أبي طالب عليه السلام، الوارد فيه حديث ابن عباس رضي الله عنهما: "أنا مدينة العلم وعلي بابها" المروي في "المستدرك" 137/3، وهو الحديث الذي صنف في تصحيحه الحافظ أحمد ابن الصديق الغماري جزء "فتح الملك العلي بتصحيح حديث باب مدينة العلم علي". وقد أتى فيه بالعجاب في الصناعة الحديثية. ورغم الأصوات الخافتة التي تحاول تضعيفه؛ فما رأينا لحد الساعة من تصدى لرد براهينه وتضعيف حججه وأدلته.

(2) ذكره الغزالي في "الإحياء" 80/1، وفي "المستصفى" ص 296 بلفظ: "الدين" بدل "القرآن".

(3) رواه البخاري 630/2 ح 1685 ومسلم 917/2 ح 1255 والترمذي 274/3 ح 936 وابن ماجه 997/2 ح 2998.

لولا أن في قولي: "لا أعلم"، إخبارا بأني أعلم؛ لقلت: "إني لا أعلم". وكان ينبغي لك أن تعلم أن عمرَ الدنيا أقصر من أن تطاع فيه الأحقاد، وتعلم أن من اتسع علمه جمع محاسن الناس إليه، ومن قل عمله جمع مساوي الناس إليه. كما أن من اتسعت مَلاحظه أهدت إليه الدنيا محاسن أبنائها. كما أن من ضاق عطنه سُلب محاسن نفسه. وأيسر شيء: الدخول في العداوة، وأصعب شيء الخروج منها. وما نفعت بكلامك مثل ما نفعت بسكوتك، قلت: ما لم ينصرك وتوليت ما تولى عنك.

مع أن الله جل ملكه لم يجمع العقل والعلم[1] لشخص واحد بل فرَّقه، كما لم يجمع منافع الدارين في أرض بل فرقها.

وكان ينبغي أن تعلم أنه: لو لم يرزق الناس الأرزاق المعنوية أو الحسية إلا من حيث ما تعلم؛ لم يعش أحد.

الفاتحة الرابعة: [المعارف الإلهية تدرك بالمجاهدة لا بالفكر]

(1) **فائدة:** منهم من فضل العقل على العلم ومنهم من قلب ففضل العلم على العقل، وأدار بينهما حوارا لطيفا بعضهم، كل منهما يبدي فيه فضله على الآخر، فقال على لسانهما:

علـــم العلـــيم وعقـــل العاقـــل اختلفـــا ... مـــن الـــذي منهـــا قـــد أحـــرز الشـــرفا ؟
فـــالعلم قـــال: أنـــا أحـــرزت غايتـــه ... والعقـــل قـــال: أنـــا الـــرحمن بـــي عُرفـــا
فأفصـــح العلـــمُ إفصـــاحا وقـــال لـــه ... بأينـــــا الله في فرقانـــــه اتصـــــفا ؟
فبـــان للعقـــل أن العلـــم ســـيده ... فقبـــل العقـــل رأس العلـــم وانصـــرفا

وكان ينبغي أن تعقل أنك لما رأيت الحديدة المحماة تشبه النار لمجاورتها وتفعل فعلها، فلا تتعجب من نفس استنارت واستضاءت بنور الله جل أمره فأفيضت عليها المعارف والأسرار، وظهر أثرها في الأكوان.

قال القيصري في "شرح الفصوص"(1): "الأرواح منها كلية ومنها جزئية، فأرواح الأنبياء كلية يشتمل كل منها على أرواح من يدخل في حكمه ويصير من أمته، كما تدخل الأسماء الجزئية في الأسماء الكلية، وإليه الإشارة بقوله سبحانه: {إن إبراهيم كان أمة}. [النحل/ 130]".

ومعلوم أن هذا العلم – أي: علم الأسرار التشريعية - كلما أقبل الفكر فيه شبرا فر ميلا، وعليه جرى بعضهم فقال:

وإن قميصا خِيط من نسج تسعة　　　وعشرين حرفا، عن معاليه قاصرُ

ولكن نقول: سبحانك سبحانك؛ ما أشق الطريق على من لم تكن دليلَه، وأوحشه على من لم تكن أنيسَه. سأل بعض العارفين امرأة في البادية: "ما الحب عندكم؟". فقالت: "جلَّ فلا يخفى، ودق فلا يُرى، وهو كامن في الحشا، كمون النار في الصفا، إن قدحته أورى، وإن تركته توارى". والأمر كما قيل:

رهبان مدين والذين عهدتهم　　　يبكون من حذر العذاب قعودا
لو يسمعون كما سمعتُ كلامها　　　خروا لعَزّة رُكّعا وسجودا

(1) واسم هذا الشرح كما في "كشف الظنون" 1720/2: "مطلع خصوص الكلم في معاني فصوص الحكم"، وصاحبه هو الشيخ داود بن محمود القيصري المتوفى سنة 751هـ. قلت: و"فصوص الحكم" للشيخ الأكبر ابن العربي عليه شروح أخر منها لكمال الدين ابن الزملكاني 727هـ والمولى عبد الرحمن الجامي 898هـ ومؤيد الدين بن محمود بن صاعد الخاتمي 700هـ في شرحين كبير وصغير، وغيرهم كثير.

قال بعض الكبراء: "إن للمعارف تحت كل لفظة نكتة، وفي ضمن كل قصة حصة، وفي أثناء كل إشارة بشارة، وفي طي كل حكاية كناية". ولذلك تراهم يستكثرون من الحكايات في تضاعيف محاوراتهم ليأخذ كل من السامعين ما يصيبه، ويحظى بما هو نصيبه: {قد علم كل أناس مشربهم}. [البقرة/ 160].

وعلى هذا ورد أن للقرآن ظهرا وبطنا[1] إلى سبعة أبطن إلى سبعين بطنا إلى ألف بطن[2]، فلا يُظن أن المراد بالقصص والحكايات التي هي واردة في القرآن العزيز محضُ الصفة والحكايات لا غير، فإن كلام الحكيم يَجِلُّ عن ذلك. والعاقل يجمع إلى عقله عقل العقلاء، وإلى رأيه رأي الحكماء، فإن الرأي الفذَّ ربما زل، وإن العقل الفرد ربما ضل...

{وأفوض أمري إلى الله إن الله بصير بالعباد}. [غافر/ 44].

الفاتحة الخامسة: [حكاية قصة إنكار المنكر]

(1) أخرج ابن حبان في "صحيحه" عن ابن مسعود رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "أنزل القرآن على سبعة احرف، لكل آية منها ظهر وبطن."انظر "الإحسان" لابن بلبان 276/1.وعنه رواه البزار في "مسنده"242/5 وأبو يعلى في "مسنده" 278/9 والطبراني في "الكبير" 105/10 و"الأوسط" 136/1.

(2) لقوله صلى الله عليه وآله وسلم عن القرآن: "لا تنقضي عجائبه" رواه الترمذي في "سننه" 172/5 ح 2906 عن علي عليه السلام. وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أخرج هذه اللفظة الحاكم في "المستدرك" 741/1.

إذا أقبلت الحكمة والنور والتوفيق؛ خدمت الشهواتُ الوحيَ السماوي، وهو الكتاب المبين والسنة المحمدية، وإذا أدبرت الحكمة وتباعد النور وتخلف التوفيق عن العبد؛ خدمت العقولُ الشهوات.

ومن ههنا ثارت الفتن، وذلك أن سبب قضية البغيض هذا أنه: كاتب أولا أصحابنا بسطات[1] – محل أبعد من رباط الفتح بثلاثة أيام – وتظاهر فيه بما ليس من وظيفه، وجعلهم كأنهم أحدثوا في الدين إحداثا، وكأنهم يصلون سبع صلوات فرائض في اليوم، أو زادوا على قواعد الإسلام قواعد، أو يصلون سبع ركعات في الوقت...وهوَّل وأبرق، فإذا بالبرق خُلَّب[2]، وهوَّس[3] فإذا به تنطَّع، وخَوَّض[4] فإذا بالأمر تهوّر. وجعلهم كأن الوحي عليه نزل، وهو يأمرهم وينهاهم، ويسب شيخهم ويلمزه ويهمزه. وحرّكتهم الغيرة الإيمانية أن أخبرونا بذلك، وأرسلوا نسخة من المكتوب.

فإذا به ينكر أن وِردنا ليست فيه الهيللة، ووِرد النساء ليس فيه التهليل وإنما فيه الاستغفار... واسترسل بعد ذلك في المهاجات.

فقام بعض الفقهاء من الزاوية[5] وأجابه، وذكر أن وردنا فيه مائة من الهيللة صباحا ومساء، ونذكر أعدادا منها دبر الصلوات حتى كأن كلَّ زاوية من زوايانا تذكر فيها الهيللة

(1) "سْطات" مدينة مغربية عامرة تقع جنوب شرق الرباط بأربع وثلاثين ومائة كيلومتر، وتبعد عن المحيط الأطلسي بمائة كيلومتر تقريبا، وهي من المدن التي لها تاريخ يحتاج إلى من يخرجه ويعرفه...

(2) البرق الخُلَّب: الذي ليس فيه مطر، كأنه خادع يومض حتى تطمع بمطره ثم يخلفك. "مختار الصحاح" ص77، و"لسان العرب" 364/1.

(3) الهَوْس الدق والكسر ويأتي بمعنى الإفساد. "القاموس المحيط" ص751.

(4) الخوِض هو المشي في الماء "لسان العرب" 147/7.

(5) ومزيدا للفائدة ألحقت رسالته في آخر الكتاب فلينظر هناك.

نهارا ثلاثمائة مرة وأزيَد. وذكر أن الاستغفار لا يجهل موقعه من الشريعة المطهرة، بل ورد أن ثلاثة منه من مكفرات الذنوب(1)، فكيف لا تُفرغ له الأوقات وتُعمَّر به الأزمان؟!. وجعله سبحانه مقابلا للحضرة المحمدية في خصوصية الأمان، وهو قوله: {وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون}. [الأنفال/ 33]. قال: "على أن الاستغفار فيه التهليل، وهو قولنا: أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو". ثم ذكر الدلائل من القرآن الدالة على الاستغفار، وأمرَ أنبياء الله تعالى ورسله أممهم بذلك. ثم ذكر لطائف أُخر أحلى من الوصال بعد الهجران ومن الوجدان بعد الفقدان.

---

(1) وهي:

1- قوله صلى الله عليه وآله وسلم: "من استغفر الله دبر كل صلاة ثلاث مرات فقال: أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه، غفرت ذنوبه وإن كان قد فر من الزحف". رواه أبو يعلى في مسنده وابن السني في "عمل اليوم والليلة عن البراء بن عازب، كما أشار الحافظ السيوطي في "الجامع الصغير" ورمز إلى ضعفه، وذلك لأن في سنده عمرو بن الحصين وهو متروك...وذكر له الحافظ الغماري في "المداوي"141/9 طريقا آخر عند الطبراني في "الصغير"91/2 من رواية عمرو بن فرقد الضعيف أيضا. قلت: للحديث شواهد عن غير البراء منها الحسن والصحيح لغيره.

2-قوله صلى الله عليه وآله وسلم: "من قال حين يأوي إلى فراشه أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه ثلاث مرات غفر الله له ذنوبه وإن كانت مثل زبد البحر، وإن كانت مثل رمل عالج، وإن كانت مثل عدد بنوي الشجر". رواه أحمد 10/3، والترمذي 5/.470 ح 3397 عن أبي سعيد الخدري. قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه من حديث الوصافي عبيد الله بن الوليد.

3-قوله صلى الله عليه وآله وسلم: "من قال قبل صلاة الغداة يوم الجمعة ثلاث مرات: أستغفر الله الذي لا إله إلا هو وأتوب إليه. غفرت ذنوبه وإن كانت أكثر من زبد البحر". رواه الطبراني في "الأوسط" كما قال الهيثمي في "المجمع"168/2 وفيه كما قال عبد العزيز بن عبد الرحمن البالسي وهو ضعيف جدا.

قلت: وهذه الأحاديث وإن كان ظاهر أسانيدها ضعيفا؛ فلها اعتبارات من شواهد ومتابعات تعرف من الكتب المصنفة في الباب، ومنها: للحافظ ابن حجر "الخصال المكفرة للذنوب المتقدمة والمتأخرة"، وابن الديبع الشيباني له "مكفرات الذنوب وموجبات الجنة"، وعبد الرحمن بن خليل الأذرعي له: "بشارة المحبوب بتكفير الذنوب"، والإمام محمد بن جعفر الكتاني له "شفاء الأسقام والآلام بما يكفر ما تقدم وتأخر من الذنوب والآثام"، وأحمد بن الصديق الغماري له "تنوير الحلبوب بمكفرات الذنوب".

ثم إن تلك الرسالة أرسلت للإخوان فراسلوه بها، ولما راسلوه بها؛ حركته الدواعي التي كفرهم [بها][1] في نحو تسعة مواضع، ونازعه في الاستدلال بالآيات الدالة على مطلوبية الاستغفار، وانتقل بعد ذلك للطعن في الطائفة وأورادها، وأطلق لسان السب والتهجين فيهم وتَتَبَّع العورات، وأنكر الصلاة الأحمدية القدسية المسماة في العموم بـ:"الأنموذجية". وأنكر الصلاة بمولانا أحمد، وأنكر: "بل حتى إذا جاءه لم يجده شيئا"...الخ، ولم يدر كيفية تطبيقها على ما قبلها من الأماديح المحمدية.

وأنكر فضائل الصلاة القدسية، وقال: إن سندنا في الطريقة منقطع وسنده في طريقه متصل. وأنكر ترتيب وردنا المحمدي الكتاني، ومدح ترتيب ورد له في طريقه – لعله وجده في اللوح المحفوظ – مع أن مقتضى إنكاره علينا أنه لا سلف له في ذلك الورد. وأنكر التكلم بالألفاظ الغامضة، مع أمور أخر.

فلما رأينا هذا وأشباهه قلنا: لا بد من الذب عن الله تعالى ورسوله؛ لأن شيئا أسسته العناية المحمدية وبناه الإذن النبوي؛ فالخادش فيه والطاعن فيما لديه خادش في التأسيس النبوي وقادح في الترتيب المحمدي:

إذا أنعمت نُعْمٌ علي بنظرة ... فلا أسعدت سُعدى ولا أجملت جمل

فلست أبالي من رماني بريبة ... إذا كنت عند الله غير مريب

وقلت متمثلا:

[1] كلمة ساقطة من النسختين وبها يستقيم معنى الكلام

إذا رضِيتْ عني كرامُ عشيرتي[1]

وهذا أوان البدء في المقصود، وإنجاز إذاعة ذلك التشييد الموعود، قائلا: وما توفيقي إلا بالله، ومتنصلا من الحول والقوة بلا حول ولا قوة إلا بالله، ولائذا بأسرار: حسبنا الله ونعم الوكيل.

ولنبدأ بالأجوبة العتيدة عن اعتراضاته على الصلاة المحمدية القدسية التي تكسب قارئها مرة واحدة رضوان الله تعالى الأكبر الذي هو أعظم من الجنان وما فيها.

---

(1) تمامه: "فلا زال غضبان عليَّ لئامُها"...وهو لأبي العيناء في قصة مع المتوكل ذكرها بطولها في: "المستظرف في كل فن مستظرف"13/2.

المرغب الأول

[مشروعية الذكر بألفاظ غير واردة في الكتاب والسنة]

وإليه طمحت الهمة ونحوه صرفت العناية فنقول: ولما وصلنا في سماع ما كتبتم إلى محل الاعتراض على الصلاة المحمدية القدسية المسماة في العموم بالأنموذجية، قلنا:

يا سبحان الله؛ كأن لسان حالكم يقول: {لو كان خيرا ماسبقونا إليه}. [الأحقاف/ 11]، ولسان القسط والحق يقول: ليست الحجة كما فهمتم، وليس الأمر كما تخيلتم، وليس ما توهمتموه بحجة؛ لأنه لا يلزم من كل ما لم يفهمه الإنسان ولم يحط به خُبرا أنه باطل وزور، ولا يلزم أن كل خير في الخزائن الإلهية يستحقه واحد وحده ويبقى غيره عاطلا.

لا، لا؛ بل عطايا الربوبية مبذولة لمن شاء الله جل جلاله في عالم غيبه، ورشحته العنايات التخصيصية له، لا لشيء من الخلائق من أمر نفسهم شيء، لا فتح ولا حجاب ولا تقريب ولا تبعيد ولا إضلال ولا اهتداء. بل مولانا هو الفاتح والمبعد والمقرب والهادي والمضل، لا رادَّ لحكمه. ولكن جواب ما أدليتم به هو قول القرآن: {وإذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا إفك قديم}. [الأحقاف/ 11].

ولم يأت في القواعد العلمية أن الحُسبان الخيالي (ليس)[1] من الدلائل الشرعية والتخييل الفكري من الدلائل الشرعية..بل ما دلت الدلائل. إلا أن الحسبان الخيالي وما يتخيله الإنسان ويظنه أن الأمر فيه كذا ليس من الأدلة في شيء[2].

وكان ينبغي – على فهمكم – أن يزيد علماء الأصول الحسبان الخيالي خامس الأدلة الشرعية، حيث عدوا الكتاب والسنة المتواترة والإجماع والقياس المستجمع للشرائط. أو ينبغي أن تستدركوه على علماء الأصول وتحاججوهم حيث أهملوه، أو تضعوا – لما ظننتموه أنتم أنه الحق – ضوابطَ تفهمها الناس وتتمشى عليها. وماهذا إلا ترتب في الأرض على عبيد الله.

يا سبحان الله؛ كيف آثرتمونا بالاعتراض حيث عدلنا عن الصلاة النبوية وصلينا بغيرها، ولم تعترضوا على الأمة كلها حيث كانت لها صيغ ربما لا تُحصى في الصلاة على مركز دائرة الأنوار، تقصد بذلك الإدلاء لجانبه الكريم العظيم، الذي هو حرم الله سبحانه الذي من استجار به أمِن ومن لاذ به عُظم، ومن انتسب إليه أجير من أنواع العذاب، ومن تحبب إليه بأدنى أنواع التحبب غُفر له وقُبل وسومح؟!. ومن ليس من الخلق له صلوات مُنشآت تراه يصلي بصلوات غيره؟. فلأي شيء آثرتمونا بالاعتراض؟. وما هو إلا لأجل مرض، أعظمُ[3] الأمراض.

---

(1) كذا في ج وط ولعل الصواب حذفها.

(2) قال ابن حزم في "الإحكام"445/7 عند قول ابن عباس: "ولا أحسب كل شيء إلا مثله". بعد ما روى حديث: "من ابتاع طعاما فلا يبعه حتى يستوفيه". قال: "فإن ابن عباس لم يقطع بصحة ظنه في ذلك وإنما أخبر أنه يحسب كل شيء مثل الطعام في ذلك. وهذا هو الذي قلنا عنهم رضي الله عنهم أنهم **لا يقطعون برأيهم فيما رأوه، وإنما هو ظن لا يثبتونه دينا، وليس حكم القياس عند القائلين به من باب الحسبان الذي ذكره ابن عباس في هذا الحديث**".اهـ. قلت: وعلى هذا يظهر الفرق بين الحسبان الخيالي والفكري وبين القياس.

[3] بدل من مرض والتقدير هو أعظم الأمراض

وأيضا؛ رأينا صلوات لكم رتبتموها في ورد لكم لعله أُوحِي إليكم به، حيث اعترضتم على غيركم إذ لم يقف مع الأوراد المحمدية ولا يزيد عليها. وأنتم - لعله لا حرج عليكم - أبحتم لأنفسكم ما حرمتموه على غيركم، وليس الأمر بأمانيّكم ولا أمانيّ غيركم.

ورأينا تلك الصلوات وكُرر فيها لفظ "الهوية" نحو عشرين مرة أو أزيد، مع أن الشعر - الذي تضيق قوافيه عن حمل المعاني - عُدَّ عند علماء القوافي من عيوب الشعر: "الإيطاءُ"[1]، وعرفوه بأنه: تكرار القافية، وإن كانوا استثنوا لفظ الجلالة كما في قوله:

ياغــارة الله جــدي الســير مسرــعة	في حـــــل عقـــــدتنا ياغــــــارة الله
إن أبطـأت غـارة الأرحـام وابتعـدت	فـــأقرب الشيـــء منـــا غـــارة الله

أو اللفظ الشريف محمد[2]، كما في غيرما قصيدة.

وأنتم جئتم للنثر الذي لا مضيق فيه ولا لاجئا يلجأ لتكرار لفظ الهوِّيَّة وكررتموه هذا القدر، ثم استحسنتم هذا الصنيع منكم وعددتموه من أوراد أهل التربية.

ثم لننقلب ولنقل: ما درينا وجه اعتراضكم على هذه الصلاة المحمدية؟، واعتراضكم عليها يحتمل وجوها:

---

(1) قال محمد بن سلام الجمحي في "طبقات فحول الشعراء"68/1: "قال يونس: عيوب الشعر أربعة: الزحاف والسناد والإقواء والإيطاء، والإكفاء وهو الإقواء . . .ثم قال 72/1: ومنه الإيطاء وهو: أن تتفق القافيتان في قصيدة واحدة، فإن كان أكثر من قافيتين فهو أسمج.

(2) في ط محد .

[الرد على اشتراط ورود لفظ الصلاة في الكتاب والسنة]:

الوجه الأول: من اعتراضاتكم أنها غير موجودة في الكتاب والسنة التي هي معصم الإسلام وكفه، أو لم توجد في القرآن الكريم. فهذا وجه الطعن فيها.

والجواب عنه والله سبحانه الموفق ولا رب لنا غيره ولا ملجأ لنا سواه، {وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه} .[الإسراء/ 67]:

[القول بذلك يلزم الطعن في سلف الأمة وخلفها]:

إن هذا الاعتراض يرد على كل من له صلاة من المشايخ المتقدمين والمتأخرين، فيلزمهم أن صلواتهم حيث لم توجد في الكتب الستة لا تُقبل وتُعار آذانا صما وأعينا عميا. وقد ذكر صاحب "روح البيان" عند آية: {يأيها الذين آمنوا صلوا عليه} . [الأحزاب/ 56]، صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم: أن صيغ الصلوات الموجودة في الدنيا أربعة آلاف صيغة، أو اثنى عشر ألفا، ونصه:

"واعلم أن الصلوات متنوعة إلى أربعة آلاف، وفي رواية: إلى اثني عشر ألفا، على ما نقل عن الشيخ سعد الدين محمد الحموي قُدِّس سره، كل منها مختار جماعة من أهل المشرق والمغرب بحسب ما وجدوه رابطة المناسبة بينهم وبينه عليه الصلاة والسلام، وفهموا فيه الخواص والمنافع"...الخ كلامه.

وأنت إذا تطلَّبت وتكشَّفت بطون الكتب أو الصدور؛ تجد الصيغ أكثر من ذلك، لما أن الناس في كل عصر لا يتنافسون إلا فيما يقربهم لذلك الجناب المعظم المكرم، وأدنى

شيء يتشبثون به: إما الإدمان على الصلاة والسلام عليه، الأربعون ألفا وأزيَد في اليوم والليلة، أو انتخاب صيغ مشتملة على غرر الأماديح وصادق التماجيد، ويتقربون بذلك إليه عسى نفحات القبول تشملهم وتأخذهم على ما فيهم من عوج، فيقال لهم:

لـك البشـارة فـاخلع مـا عليـك؛ فقـد ذُكـرتَ ثَـمّ عـلى مـا فيـك مـن عـوجِ

ومع هذه الصيغ التي قال صاحب "روح البيان"؛ كيف تؤثر هذا الجناب بالخدش؟، فكأنك إما لا علم عندك بوجود هذه الصيغ في الأرض، وهو ينبيء على عدم الاطلاع، أو علمتها وأشهدك الحق سبحانه ما صبه في صدور أهلها لما انتاشها مولاها[1]، ولم يشهدك مولانا ما أودع في سرائرنا فأنكرتنا.

وقد أجاب مولانا جل أمره عن مثل هذه الشبهة - صدرت من قوم ثابروا على إنكارهم - بقوله معجزا لهم ومبكتا ومخجلا: {أُشهدوا خلقهم ستكتب شهادتهم ويسئلون}. [الزخرف/ 19]، وحاجج آخرين بقوله: {أم عندهم خزائن ربك أم هم المصيطرون}. [الطور/ 37]، أي: الجبارون، {أم عندهم الغيب فهم يكتبون. أم يريدون كيدا}. [الطور/ 41، 42]، {أم لهم إله غير الله سبحان الله عما يشركون}. [الطور/ 43]، {أم لهم سلم يستمعون فيه فليأت مستمعهم بسلطان مبين}. [الطور/ 38][2].

ويلزم على كلامكم هذا حيث أطلقتم لسان الذم والتصريح بالانحراف عن الصراط المستقيم حيث لم نقف مع الصلاة النبوية؛ أن كل أفاضل الأمة الذين لهم صلوات كلهم

---

1 هكذا في النسختين المعتمدتين

(2) لم يأت الشيخ بالآيات مرتبة؛ لأنه يقصد استنباطات معينة من كل واحدة منها .

منحرفون عن الصراط المستقيم، وكلهم زاغوا عن طريق الحق وآثروا نظرهم على نظر الشارع...

ولعمري هذا تكذيب للشارع في قوله: "إن أمتي لا تجتمع على ضلالة"(1)، وقدح في علماء الشريعة الذين عدوا هذا من خصائص هذه الأمة المرحومة ببركة من انتمت إليه وشرفت به صلى الله تعالى عليه وآله وسلم.

ثم نقول: جواب مائة ألف ويزيدون من خيار هذه الأمة عن إبرازهم صلوات لهم وعدم وقوفهم مع الإبراهيمية مثلا، هو جوابنا ولله المنة.

[جل الصحابة لهم صيغ من الصلاة على النبي ﷺ، ودليلهم على ذلك]:

بل الصحابة الذين رووا كيفية الصلاة على نور النور وروح الحق، ولم يبلغك أنهم صلوا بمولانا أحمد كما ستسمعه، جلُّ أكابرهم - رضي الله تعالى عنهم - لهم صلوات طويلة الذيل، أبرزتها قرائحهم وبنات أفكارهم، أو وضعوها لغيرهم بحسب قوابلهم، أو ألهموها أو رأوها مكتوبة على حجر بقلم القدرة، أو كُلموا بها من قبل العوالم الغيبية، وهم أهل المعارف الحقية اليقينية رضي الله تعالى عنهم.

فمن صيغ الصلوات الواردة عن الصحب الكرام:

---

(1) أخرجه ابن ماجه في "سننه" 1303/2 ح 3950 عن أنس بن مالك. قال البوصيري في "مصباح الزجاجة"169/4: "هذا إسناد ضعيف لضعف أبي خلف الأعمى واسمه حازم بن عطار... وقد رُوي هذا الحديث من حديث أبي ذر وأبي مالك الأشعري وابن عمرة وأبي نصرة وقدامة بن عبد الله الكلابي، وفي كلها نظر، قاله شيخنا العراقي".اهـ.

1 – ماروه الدارقطني في "الأفراد" وابن النجار في "تاريخه" عن أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه قال: "كنت عند النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وآله فجاءه رجل فسلم، فرد النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وأطلق وجهه وأجلسه إلى جنبه. فلما قضى الرجل حاجته نهض، فقال النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: يا أبا بكر؛ هذا رجل يُرفع له كل يوم كعمل أهل الأرض. قلت: ولم ذاك؟. قال: إنه كلما أصبح صلى علي عشر مرات بصلاة الخلق أجمع. قلت: وماذاك؟. قال: يقول: اللهم صل على سيدنا محمد النبيء عدد من صلى عليه من خلقك، وصل على سيدنا محمد النبيِّ كما ينبغي لنا أن نصلي عليه، وصل على سيدنا محمد النبئ[1] كما أمرتنا أن نصلي عليه". أورده الحافظ الأسيوطي في"الدر المنثور"[2]، وإن كان الحديث فيه كلام...

فإن قلت: يحتمل أنها نبوية[3] علمها قبل؟.

قلت: عدم علم سيدنا أبي بكر بها – رضي الله تعالى عنه – أولا؛ أدل دليل على أنها من قريحة شيقة بذلك الجمال المعشوق لأهل السماوات والأرض، وهي قريحة هذا الرجل الداخل. وإلا ما كانت لتعزب عن علم سيدنا أبي بكر حتى يتعجب من كونه يُرفع له كل يوم كعمل أهل الأرض، مع ما عُلِم أن الصديق الأكبر ما فارق مولانا رسول الله لا في حضر ولا في أسفار، إلا قضية الحج[4] وبعض جزئيات محفوظة.

---

(1) هذه الصلاة "صلاة الخلق" تقرأ عند خواص الكتانيين بتغيير لفظ "النبي" بصيغ القرآات القرآنية، فالأولى النبيء بهمزة ومد، والثانية بتشديد الياء، والثالثة بهمز دون مد، ولهم في ذلك إشارات وأسرار عميقة تطلب في مصنفات شيوخ الطريقة.

(2) 648/6.

(3) أي: لفظة نبوية علمها الرجل قبل أن يعلمها أبو بكر رضي الله عنه.

(4) روى البيهقي في "السنن الكبرى"341/4 عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: "كانت الحديبية سنة ست بعد مقدم النبي صلى الله عليه وآله وسلم المدينة في ذي القعدة، وكان الفتح في رمضان سنة ثمان، ثم خرج النبي صلى الله عليه

فتعين أنها من قريحة ذلك الرجل، وانظر الثواب الذي رُتب عليها مع أنها ليست من ألفاظ النبوة.

قلت: ويُنظر ما السر في عدم ذكره - صلوات الله وسلامه عليه - هذا الفضل للصلاة الإبراهيمية؟!. ولأجل ما رتب على هذه الصلاة من الفضل كانت من أورادنا الصباحية.

وفي هذا الحديث فائدة: وهي أن من قال: "اللهم صل على سيدنا محمد عدد ما في علم الله" مثلا، أو: "عدد المتحركات والسواكن"، أو: "عدد ما يخطر في الصدور"...يعطى ثواب من صلى ذلك العدد تفصيلا.

ولعل الإمام ابن عرفة لم يصله هذا الحديث فلذلك نقل عنه تلميذه الأبي في "شرح الصحيح" أن قائل ذلك: يُعطى أكثر من ثواب من صلى مرة ودون من صلى ذلك العدد، وهذا الحديث يرشح عكس ما قال. والله ذو الفضل العظيم.

وكيف يلبس هذا التلبيس على الخلق ولم يرد نهي من الشارع في الباب، بل ورد عكس ذلك؟.

خرج في "الدر المنثور"[1] عن عبد الرزاق[1]، عن مجاهد قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: "إنكم تُعرضون علي بأسمائكم ومسماكم، فأحسنوا الصلاة علي"،

وآله وسلم من فوره إلى حنين والطائف، فلما رجع في شوال اعتمر من الجعرانة ثم حج عتاب بن أسيد فأقام للناس الحج، استعمله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على الحج، ثم رجع أبو بكر سنة تسع استعمله النبي صلى الله عليه وآله وسلمن ثم حج النبي صلى الله عليه وآله وسلم سنة عشر من مقدمه المدينة وهي حجة الوداع" .اهـ. قلت: فحجة أبي بكر المذكورة هي التي فارق فيها المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم، كما ذكر المؤلف رحمه الله.

(1) 652/6.

فتحتمل الأحسنية وجهين؛ الثاني منهما: إذا صليتم على ذلك الجناب العاطر مأوى الرحمات وتنزل البركات، فانتخبوا أفصح الألفاظ وأبرع الفِقر، وأجمع الأماديح، وهو ماتنتجه قرائحكم.

ولولا أن هذا هو القصد لما كان في الإخبار بهذا الخبر فائدة، لأنه علم من دين الصحابة الكرام أنهم لا يتقدمون بين يدي الله ورسوله، فما كانوا ليؤثروا صيغ صلواتهم على الصيغة المحمدية. ولكن بهذا الاسترواح من الحديث ابتكروا الصلوات من مكنون الحب وباطن الاشتياق، وما كان عليهم بأس في أن يكثروا السواد المحمدي ويكثروا من اللهج بالدعاء له والثناء عليه واستفراغ القوى والجهد في الغوص على كمالاته ونُعوته وإبرازها على صفحات الوجود.

وإن لم تقل هذا الاحتمال في الحديث؛ بقي فعل الصحابة بلا دليل، ونسبت لهم أنهم تقدموا بين يدي الله ورسوله، فكنت بذلك مكذبا للقرآن في ثنائه عليهم بقوله: {أولئك هم الصادقون}. [الحجرات/ 15] فعرَّف تعالى الجزأين، وهو يفيد[2] الحصر، كأنه تعالى يقول: لا صادق سواهم.

وصدور هذه الافتيات الذي نسبه لهم باللزوم هذا المتكلم يفيد أنهم غير صادقين في الائتساء النبوي والاقتداء المحمدي، لما أنهم لم يقفوا على حد ما بُيِّن، ولم يفهموا سر ما أوضح. وكل هذا بعيد عن الحق بمراحل.

---

(1) 214/2. وهو حديث ضعيف؛ لأن يونس بن خباب الراوي عن مجاهد ضعيف، بل قال يحيى بن سعيد: كان كذابا، وقال ابن معين: رجل سوء ضعيف، وقال ابن حبان: لا تحل الرواية عنه. ثم هو حديث مرسل لم يذكر فيه الصحابي راويه. ولعل علة الإرسال من يونس بن خباب المذكور.

(2) في ط: يعيد وهو خطأ.

ويرشِّح ما بيناه: ما ذكره في "تنبيه الأنام"[1] أن: من حَبَّر مدحه وحسنه صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى آله؛ محا الله سبحانه عنه ذنوب ثمانين سنة". اهـ.

وتذكَّر هنا في بسط كنف العناية للمتشبث بأذيال هذا النبي الأكرم قضيةَ الإسرائيلي الذي غُفر له ذنوب مائتي سنة مع كونه ما غادر شيئا من الشواذ والفواذ إلا تقحمه، لكونه قبَّل الاسم الشريف محمدا صلى الله تعالى عليه.

وتذكر – أيضا – صاحب[2] "تنبيه الأنام" أن الله تعالى غفر ذنوب من صلى عليه مرة واحدة". اهـ.

ويدل لهذا الأخير عدة أحاديث؛ ومنها: ما خرجه الطبراني[3] وابن مردويه وابن النجار، عن الحسن بن علي رضي الله تعالى عنهما، قال: قالوا: "يا رسول الله؛ أرأيت قول الله تعالى: {إن الله وملائكته يصلون على النبي}"؟. قال: "إن هذا لَمِن المكتوم، ولولا أنكم سألتموني عنه ما أخبرتكم، إن الله جل أمره وكَّل بي ملكين لا أُذكر عند عبد مسلم فيصلي علي، إلا قال ذانك الملكان: غفر الله لك. وقال الله سبحانه وملائكته لذينك الملكين: آمين. ولا أُذكر عند عبد مسلم فلا يصلي علي؛ إلا قال ذانك الملكان: لا غفر الله سبحانه لك، وقال الله سبحانه وملائكته لذينك الملكين: آمين".

---

(1) "تنبيه الأنام في بيان علو مقام نبينا محمد عليه الصلاة والسلام" لعبد الجليل بن محمد بن أحمد ابن عظوم المرادي القيرواني، وقد أشار إلى ما ذكره المؤلف عنه في المقدمة ص 3 و4.

[2] أي قول صاحب "تنبيه الأنام"

(3) "المعجم الكبير" 89/3، وفي سنده: الحكم بن عبد الله بن خطاف وهو كذاب، كما قال الحافظ الهيثمي في "مجمع الزوائد" 93/7.

وليس في الأحاديث الواردة في فضل الصلاة والسلام عليه – على كثرتها وتشعبها – تخصيص ذلك الفضل بمن صلى بالإبراهيمية مثلا، ولا نبه على هذا عالم من علماء الأمة على اتساع أفرادهم واستبحار إدراكاتهم وانفساح ملاحظهم، ما بلغنا ولا سمعنا أن أحدا خصص ذلك الثواب بمن صلى بالإبراهيمية.

وطالما صلى عليه الصحابة الكرام بمسمع منه – عليه الصلاة والسلام – بقولهم "صلى الله عليك"، ولم ينكر عليهم ولا قال: ما يعدل بكم عما بينته لكم من كيفية الصلاة علي؟. وكل هذا يدل على أن الأمر واسع، فكيفما صُلِّي عليه كفى.

ولو فهمت الأمة هذا الفهم الذي فهم هذا المعترض؛ ما ابتكر فاضل من الفضلاء، ولا عالم من العلماء، ولا خطيب مصقع من الخطباء، ولا أديب ناثر من الأدباء صيغةً أخرى من الصلوات، حتى لا يحرموا أنفسهم هذا الثواب الغزير.

[الاختلاف إنما كان في أجر اللفظ لا في جوازه، والرد على ابن العربي في تحجيره]

وإن كان وقع الخلاف في مسألة أخرى؛ وهي: أن الفضل الوارد في الصلاة عليه بأن: من صلى عليه مرة واحدة صلى الله سبحانه عليه بها عشرا، هل هو في خصوص اللفظ الوارد أو بأي كيفية كان؟.

قالوا: واختلاف الأحاديث في كيفية الصلاة عليه صلى الله تعالى عليه تدل على السعة، وأن المصلي له أن يصلي بأي لفظ شاء ويؤجر على ذلك، ولا يُشترط خصوص اللفظ الوارد في الحديث. وهذا ظاهر كلام ابن أبي زيد في "الرسالة"[1].

قلت: وهو ظاهر حال هذه الأمة المحمدية كلها، المعصومة من الجمع على الخطأ. فإن الأمة لا تنحو نحوا واحدا في الصلاة على الحبيب، بل تصلي بعدة ألفاظ: إما بقولها: "عليه السلام"، أو بقولها: "عليه الصلاة والسلام"، أو: "صلى الله تعالى عليه وآله وسلم"...وكان هذا من محل الإجماع عندهم كما لا يمتري في هذا من له أدنى مسكة من الميز والتمييز، ولم يحمله التعسف على إثارة الفتن وتلبيس الحق بالباطل. وفي الأمثال: "باطن مشوَّه خير من ظاهر مموَّه".

وتلبيس الحق بالباطل من أعظم المظاهر الإبليسية؛ لأن لإبليس من المظاهر الإغوائية على قدر عدد أسماء الله الحسنى، وأُسُّ مظاهره فسادا: مظهر التلبيس، وهو يتشعب شعبا، ربما لا يوقف لها على طرف. ولذلك قال العالم جل جلاله: "ولقد أضل منكم جبلا كثيرا}. [يس/ 62].

وكل واحد من الخلق له معه نوع من الإغواء وتلبيس خاص، بل هو نفسه لما كان هذا أعظم أمْنياته حتى كانت مصادره كلها صادرة عن هذا المصدر؛ اشتُق له من تلك الحالة اسم، فقيل له: "إبليس" للتلبيس والإبلاس القائم به[2].

(1) ص 30 وذلك عند قوله في بيان وصف الصلاة عليه عليه الصلاة والسلام في التشهد: "اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، وارحم محمدا وآل محمد، وبارك على محمد وعلى آل محمد، كما صليت ورحمت وباركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد".اهـ.

(2) قال النووي في "تهذيب الأسماء والصفات" 119/1: "باب إبليس...قال الإمام أبو الحسن الواحدي: أكثر أهل اللغة والتفسير قالوا: سمي إبليس لأنه أبلس من رحمة الله تعالى أي أيس. والمبلس المكتئب الحزين الآيس. قال: وعلى هذا هو

فإن قلت: أليس ابن العربي في "العارضة"[1] اشترط في حصول الثواب اللفظ الوارد؟.

قلت: أما نصه؛ فقوله: "الذي أعتقده: أن قوله صلى الله تعالى عليه: من صلى علي صلاة صلى الله سبحانه عليه بها عشرا. ليست لمن قال: كان رسول الله صلى الله عليه تعالى وآله وسلم. وإنما هي لمن صلى عليه (أو سلم)[2] كما علم بما نصصناه". اهـ.[3].

ونحوه قول الجزولي في "شرح الرسالة": أن الذي يسقط به الغرض ما في التشهد والجنائز من "الرسالة"، وذلك أن الصحابة رضي الله تعالى عنهم لما نزل: {إن الله وملائكته يصلون على النبي يأيها الذين آمنوا صلوا عليه}، قالوا: "أما السلام عليك فقد عرفناه، فكيف نصلي عليك؟". قال: "قولوا: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم...". الخ. رواه الشيخان[4].

[عد المطلعون وأهل العارضة في المذهب قول ابن العربي إغرابا]:

وأما ثانيا: فقد عَدّ ما ذهب إليه ابن العربي المطلعُون وأهل العارضة في المذهب إغرابا كأنه ليس من المعروف:

عربي مشتق. ولا يجوز أن يكون مشتقا من أبلس؛ لأنه لو كان مشتقا لصرف، كما أن إسحاق إذا كان عربيا مأخوذا من: أسحقه الله إسحاقا انصرف. فلو كان إبليس مشتقا؛ لصرف كإكليل وبابه". .اهـ.

(1) 230/2.

(2) ساقطة من المطبوعة.

(3) في ط قصصناه.

(4) "صحيح البخاري" 1802/4 ح 4519، "صحيح مسلم" 305/1 ح 406 عن كعب بن عجرة.

قال الحطاب في "شرح المختصر"[1]: "تنبيه: أغرب القاضي أبو بكر ابن العربي في "العارضة" فقال...."الخ مانقلناه عنه آنفا. ونقله عن[2] ابن العربي الشيخ زروق في "شرح الوغليسية".

قالوا: ونحوه للتقي السبكي حيث قال: "إن أحسن ما يصلى به على النبي صلى الله تعالى عليه هي الكيفية الواردة في التشهد صلى الله تعالى عليه".

قلنا: وكون اللفظ الوارد هو أحسن ما يصلى به؛ هذا قدر لا يُتنازع فيه، على أن الاستدلال بكلام السبكي في هذا الموضع خروج عن الموضوع. لأن النزاع: هل يحصل الفضل الوارد في كل صيغة أو خاص بالوارد فقط. وكلام السبكي يتكلم على أحسن ما يصلي به المصلي، وبين الموضوعين بون بعيد.

فعلى هذا: السبكي ليس بقائل بما قال به ابن العربي، وإن ذكره من ذكره. وكيف يتنازع في أشرفية وأفضلية لفظ اتفق أئمة الإسلام أنه خرج من بين الشفتين الكريمتين؟.

وصدق من رتب على هذا المنزع أن: من حلف أن يصلي على النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم أفضل الصلاة؛ فطريق البر أن يأتي بذلك، كذا صوبه الإمام النووي في "الروضة"[3] بعد ذكر حكاية الرافعي عن إبراهيم المروزي أنه قال: "يبر إذا قال: كلما ذكره الذاكرون وكلما سهى عن ذكره الغافلون".

---

(1) 29/1.

(2) ساقطة من ط.

(3)"روضة الطالبين" 65/11.

قال النووي: "وكأنه – أي: المروزي – أخذ ذلك من كون الإمام الشافعي ذكر هذه الكيفية[1]". يعني: في خطبة "الرسالة" له، ولكن بلفظ "غفل" بدل "سها"[2].

فظاهر هذا الكلام: أن أفضل الصلاة: ما ذكره الشافعي في الخطبة، قال في "المواهب"[3]: "وقال الأذرعي: إبراهيم المذكور كثير النقل من تعليقة القاضي حسين، ومع ذلك فالقاضي قال في طريق البر: أن يقول: اللهم صل على سيدنا محمد كما هو أهله ويستحقه. وكذا نقله البغوي في تعليقه عن القاضي".اهـ.

[لفظ الصلاة في الآية مطلق يتأتى بأية كيفية]:

وأما ثالثا: فقد قال سيدي العربي الفاسي في "شرح الدليل": "لفظ الأمر بالصلاة في الآية مطلق يصدق بأي كيفية. وقد جاء عنه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم تعليم الكيفية حين سئل عنها، إلا أن ذلك ليس على سبيل التعيين الذي لايجزئ غيره، بدليل اختلاف الألفاظ في روايات التعليم، وكلها صحيحة. ووردت كيفيات أخرى عن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم والصحابة والتابعين ومن بعدهم رضي الله تعالى عنهم، فعلى ذلك جرى عملهم. وقد قال بعض العلماء: لا يصلى عليه إلا بالكيفية الواردة في التعليم، والذي جرى عليه عمل الناس خلافه".

(1) بتصرف من المؤلف في كلام النووي من "الروضة" 65/11.

(2) لفظ الشافعي في "الرسالة" ص 16: "فصلى الله على محمد كلما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون"...

(3) 50/1.

قال في "مطالع المسرات"[1] بعد حكاية الشرذمة الأولى: "ووسع غيرهم في ذلك لاختلاف الروايات في الكيفية المأمور بها وتنويعها واختلاف طرقها بالزيادة والنقص في ذكر النبوة والأمية والعبودية والرسالة في أوصافه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم، وفي ذكر من يُصَلَّى عليه من الآل والذرية والأولاد، ومخالفة ما ورد عن الصحابة والسلف الصالح من ألفاظ الصلاة للكيفيات الواردة عنه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم، وتواطؤ المؤلفين من المحدثين والفقهاء وغيرهم على الصلاة عليه في كتبهم بلفظ: صلى الله تعالى عليه وسلم، ولفظ: عليه السلام، ونحو ذلك من الكيفيات المختصرة، حتى كاد ذلك أن يكون من قبيل الإجماع والتواتر على سعة القول فيها".اهـ.

فانظر كيف نسب للصحابة الكرام والمحدثين والفقهاء أن لهم صيغا في الصلوات، وكل ذلك يشمله الفضل الوارد عن الشارع، إذ لا تتواطأ هذه الأمة على ضلالة، وخصوصا عيونها.

[إقرار النبي ﷺ أذكارا اجتهد فيها أصحابه]:

وأما رابعا: فما ورد في صحيح السنة والأحاديث الصحيحة من تقريره عليه الصلاة والسلام أذكارا وأدعية سمعها من كثير في أوقات مختلفة وألفاظ متباينة ومعان واضحة، وأثنى به عليها وعلى أربابها باستعمالها. مع أنه لم يتقدم لهم تعليم ولا تعلم منه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم لألفاظها، وإن عرفهم معانيها وعرفوا مبانيهان وذلك أحاديث.

(1) للإمام محمد المهدي بن علي الفاسي الفهري ص 42.

الحديث الأول: رواه أبو داود[1] والترمذي[2] وحسنه، وصححه ابن حبان[3] والحاكم[4] وقال: "على شرط مسلم"، عن عبد الله بن بريدة[5] رضي الله تعالى عنه (عن أبيه)[6]، أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى آله سمع رجلا يقول: اللهم إنني أسألك بأنك أنت الله الذي لاإله إلا أنت الأحد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفؤا أحد. فقال له: "لقد سألت الله سبحانه باسمه الأعظم الذي إذ دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى".

ففيه أنه – عليه الصلاة والسلام – أقر هذا الرجل الملهم على إلهامه الصحيح المطابق للواقع، وأثنى على دعائه هذا مع أنه لم يتقدم له به تعليم من حضرة النبوة بألفاظها المخصوصة، وإن عرَّفهم عليه الصلاة والسلام معانيها، فلم يزجره عليه الصلاة والسلام حيث دعا بدعاء لم يسمعه منه، مع أن الله تعالى حجرهم إليه، وليس ثَمَّ باب يُتَلقى عن الله منه إلا منه عليه الصلاة والسلام. فلو كان الثواب موقوفا على المسموعات فقط لما أقر هذا.

فهذا الحديث الكريم نص في رد ما عَوَّل عليه هذا المعترض، وكأنه وجه رابع في رد ما قاله ابن العربي ومن تبعه في قصر الثواب على الألفاظ الواردة عن الشارع الكريم

---

(1) 79/2 ح 1493.

(2) 515/5 ح 3475.

(3) بإخراجه في "صحيحه" ينظر 174/3 من "الإحسان" لابن بلبان.

(4) بإخراجه في "المستدرك" 684/1.

(5) في ط بريرة وهو خطأ.

(6) ساقطة من النسختين معا.

فقط، والشاهد: في تقريره - عليه الصلاة - ما برز من الصحابة ولم يأذنهم به، ولم يقفوا على نصوص ما تلقوه منه.

وأما خامسا: وهو الحديث الثاني، وهو: حديث سيدنا معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه أنه صلى الله عليه وآله وسلم سمع رجلا يقول: ياذا الجلال والإكرام. فقال: "استُجيب لك، فسَل تُعطه". خرجه الترمذي(1) وقال: "حديث حسن". وتقريره في وجه الدليل كسابقه.

وأما سادسا: فحديث سيدنا أنس - رضي الله تعالى عنه - أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى آله مر بأبي العباس الزرقي وهو يصلي ويقول: اللهم إنني أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت، يا حنان يا منان، يا بديع السماوات والأرض، يا حي ياقيوم، يا ذا الجلال والإكرام. فقال: "لقد دعى الله سبحانه باسمه الأعظم الذي إذا دُعي به أجاب، وإذا سُئل به أعطى". خرجه أبو داود(2)، وابن حبان(3)، والنسائي(4)، في "صحيحه"(5)، وقال الحاكم(6): "على شرط مسلم". والشاهد فيه كالذي قبله.

---

(1) 541/5 ح 3527.

(2) 79/2 ح 1489.

(3) "الإحسان" 174/3.

(4) 52/3 ح 1300.

(5) يطلق بعض المحدثين على السنن الصغرى للنسائي "الصحيح"، لما ذكره السيوطي في "التدريب" 102/1، قال: "ورأيت بخط الحافظ أبي الفضل العراقي أن النسائي لما صنف الكبرى أهداها لأمير الرملة فقال له: كل ما فيها صحيح؟. فقال: لا. فقال: ميِّز لي الصحيح من غيره. فصنف له الصغرى". اهـ.

(6) "المستدرك" 683/1.

وأما سابعا: فحديثا سيدنا أبي هريرة وسيدنا أبي أيوب الأنصاري – رضي الله تعالى عنهما – في حفظ الزكاة، إذ وجد الجن يسرق منها، فتضرع إليه فأرسله، ثم كذلك حتى قال في الأخيرة: "ما أنا بتاركك حتى آتي بك إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى آله". فقال: "إني ذاكر لك شيئا إذا قرأته في بيتك لا يقربك شيطان ولا غيره". قال: "وكنا أحرص شيء على الخير. فذكر لي آية الكرسي"...رواه البخاري[1].

وهذا أدق في الاستدلال، حيث تلقف الخير من الجن لحرصه على الخير، ولم تنكر عليه حضرة الوحي صلوات الله وسلامه عليها.

وأما ثامنا: فحديث أبي سعيد – رضي الله تعالى عنه – في رقية الملدوغ بالفاتحة[2]، وتقرير النبي صلى الله تعالى وسلم عليه وعلى آله لذلك وعدم عتبه فيه.

وقد ذكر بعضَ هذا الشيخُ زروق في شرح "حزب البحر" بعد أن قال: "فإن قلت: فما دليلكم على جواز العمل بما يجري به الإلهام من الأذكار والأدعية وإثبات خاصيتها

---

(1) روى البخاري حديث أبي هريرة 812/2 ح 2187، وأما حديث أبي أيوب فرواه الترمذي في "سننه" 158/5 ح 2880.

(2) عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: "انطلق نفر من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم في سفرة سافروها حتى نزلوا على حي من أحياء العرب، فاستضافوهم، فأبوا أن يضيفوهم، فلدغ سيد ذلك الحي فسعوا له بكل شيء لا ينفعه شيء. فقال بعضهم: لو أتيتم هؤلاء الرهط الذين نزلوا لعله أن يكون عند بعضهم شيء؟. فأتوهم فقالوا: يا أيها الرهط؛ إن سيدنا لدغ وسعينا له بكل شيء لا ينفعه فهل عند أحد منكم من شيء؟. فقال بعضهم: نعم والله إني لأرقي، ولكن والله لقد استضفناكم فلم تضيفونا، فما أنا براق لكم حتى تجعلوا لنا جعلا!. فصالحوهم على قطيع من الغنم، فانطلق يتفل عليه ويقرأ: {الحمد لله رب العالمين}. فكأنما نشط من عقال. فانطلق يمشي وما به قلبة. قال: فأوفوهم جعلهم الذي صالحوهم عليه. فقال بعضهم: اقسموا. فقال الذي رقى: لا تفعلوا حتى نأتي النبي صلى الله عليه وسلم فنذكر له الذي كان، فننظر ما يأمرنا؟. فقدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكروا له. فقال: "وما يدريك أنها رقية؟". ثم قال: "قد أصبتم، اقسموا واضربوا لي معكم سهما". فضحك رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم". رواه البخاري 795/2 ح 2156 ومسلم 1727/4 ح 1200، وفي رواية للحاكم 746/1 أن الراقي هو: أبو سعيد الخدري نفسه. ثم قال: "صحيح على شرط مسلم".

بالاستنباط؟. قال زروق: قلت: الدليل على ذلك صريح السنة بتقريره عليه الصلاة والسلام لأذكار وأدعية سمعها من كثير في أوقات مختلفة وألفاظ متباينة ومعان واضحة، وأثنى به عليه وعليهم باستعمالها. مع أنه لم يتقدم لهم تعليم ولا تعلم منه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم لألفاظها وأن عرّفهم معانيها".اهـ. ثم ذكر الأحاديث المتقدمة، وإن كان لم يقررها كما قررناها نحن، ثم قال بعد: "وقد وقع من ذلك في الأذكار والأدعية ما يفيد الجواز تتبعه بوجه لا يمكن دفعه، فهو أصل في هذا. والله تعالى أعلم".

نعم، وقد أدخل مالك – رضي الله تعالى عنه – في باب دعاء النبي صلى الله تعالى عليه في "الموطأ" قول أبي الدرداء عند قيامه بالليل: "نامت العيون، وهدأت الجفون، ولم تبق إلا أنت يا حي يا قيوم"(1). وهذا يعد من الدلائل الدالة على الجواز، حيث أدخله الإمام مالك في باب الأدعية النبوية من "الموطأ"، فيقال فيه: **وأما تاسعا**.

فإن قلت: هذا محمول على الرفع؛ لأن أبا الدرداء لا يقوله إلا بعد سماعه.

وأجاب الشيخ زروق في "شرح حزب البحر" بقوله: "الأصل: خلاف ذلك، ولا معارض في الأصل الذي هو المبنى ولا في الفرع الذي هو المعنى. فهو من جملة ما يترجح به المقام الذي نحن فيه والله تعالى أعلم".اهـ. ونقله برمته العارف بالله تعالى الهاروشي في "الفتح المبين" ورشّحه، وكأنه وجه عاشر في رد التحجير الذي حجره ابن العربي ومن تبعه.

---

(1) "الموطأ" كتاب الأدعية باب العمل في الدعاء 219/1، ولفظ رواية مالك: "نامت العيون وغارت النجوم وأنت الحي القيوم".اهـ. ورُوي مثل هذا الدعاء عن معاذ بن جبل كما عند الطبراني في "الكبير"34/20، وعن أنس بن مالك كما عند الديلمي في "مسند الفردوس" 490/1.

ونص كلام العارف المذكور: "سألت شيخنا العيّاشي عن الثواب المذكور في بعض فضائل الأعمال، المروي عن غير الرسول صلى الله تعالى عليه وآله وسلم؛ كقولهم: من صلى بالصلاة الفلانية فله كذا وكذا، وهي بمثابة فدية، أو: الصلاة الفلانية تعدل عشرة آلاف وغير ذلك...فأجاب بأن ذلك مما يلهَمه الأولياء، يرونه مكتوبا بقلم القدرة على حجر أو ورق شجر، أو يسمعون الهاتف بذلك، أو يتلقونه عن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم في النوم أو اليقظة"(1).

قال الهاروشي: "أو تُخاطَب به عوالمهم اللطيفة. وهو أصل متين من الأصول المعتمدة عندهم رضي الله تعالى عنهم. دليله من السنة قوله صلى الله تعالى عليه وسلم: قد كان فيمن قبلكم محدَّثون - وفي رواية - مكلمون من غير أن يكونوا أنبياء، وإن يكونوا في أمتي فعمر منهم(2). وفي "الحزب الكبير": وهب لنا مشاهدة تصحبها مكالمة". انتهى بلفظه، وكأنه وجه حادي عشر من وجوه الرد.

---

(1) رؤية النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقظة ثابتة وإن أنكرها بعض من أهل العلم، ولتقرأ لها: "أنوار الحلك في إمكان رؤية النبي والملك" للحافظ السيوطي رحمه الله.

(2) رواه البخاري 1279/3 ح 3282 عن أبي هريرة، ومسلم عن عائشة 1468/4 ح 2398 رضي الله عنهما. وللمناوي في "فيض القدير" كلام حسن في معنى هذا الحديث. قال رحمه 507/4: "قد كان فيما مضى قبلكم من الأمم، في رواية: من بني إسرائيل، أناس محدثون. قال القرطبي: الرواية بفتح الدال اسم مفعول جمع محدث بالفتح أي: ملهم أو صادق الظن. وهو من ألقي في نفسه شيء على وجه الإلهام والمكاشفة من الملإ الأعلى، أو من يجري الصواب على لسانه بلا قصد، أو تكلمه الملائكة بلا نبوة، أو من إذا رأى رأيا أو ظن ظنا أصاب كأنه حدث به وألقي في روعه من عالم الملكوت فيظهر على نحو ما وقع له. وهذه كرامة يكرم الله بها من شاء من صالح عباده، وهذه منزلة جليلة من منازل الأولياء".

"فإن يك من أمتي منهم أحد هذا شأنه. وفي رواية بدله: وإن يكن في أمتي من أحد؛ فإنه عمر بن الخطاب. كأنه جعله في انقطاع قرينه في ذلك، كأنه نبي، فلذلك أتى بلفظ: "إن" بصورة الترديد. قال القاضي: ونظير هذا التعليق في الدلالة على التأكيد والاختصاص قولك: إن كان لي صديق فهو زيد، فإن قائله لا يريد به الشك في صداقته بل المبالغة في أن الصداقة مختصة به لا تتخطاه إلى غيره. وقال القرطبي: قوله فإن يكن. دليل على قلة وقوعه وندرته، وعلى أنه ليس المراد بالمحدثين المصيبون فيما يظنون، لأنه كثير في العلماء، بل وفي العوام من يقوى حدسه فتصح إصابته، فترتفع خصوصية الخبر وخصوصية عمر. ومعنى الخبر قد تحقق، ووجد في عمر قطعا، وإن كان النبي لم يجزم بالوقوع .وقد دل على وقوعه لعمر أشياء كثيرة:

الوجه الثاني عشر: قال العارف بالله الهاروشي: "وصح أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم سمع صلوات متنوعات مختلفات من أفراد من الصحابة، لم يُسبق لهم تعليم منه صلى الله تعالى عليه وسلم إياها، فأقرهم عليها، بل زاد في الثناء على ما هو حاصل من الفضل لديها".

"فمنها: قضية صاحب الناقة التي ذكرها الرصاع في "تحفة الأخيار"، وقول النبي صلى الله عليه وسلم: رأيت الملائكة ازدحموا على أفواه سكك المدينة"[1].

كقصة: الجبل يا سارية الجبل. وغيره . . .وأصح ما يدل على ذلك شهادة النبي له بذلك حيث قال: إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه. وليس لك أن تقول: هذا كالصريح في تفضيل الفاروق على الصديق؛ لأنا نمنعه بأن الصديق لا يتلقى عن قلبه، بل عن مشكاة النبوة، وهي معصومة. والمحدث تارة يتلقى عنها وتارة عن قلبه معصوم. ولهذا كان عمر يزن الوارد بميزان الشرع؛ فإن وافق وإلا لم يلتفت إليه".

"قال ابن حجر: وقد كثر هؤلاء المحدَّثون بعد العصر الأول، وحكمته: زيادة شرف هذه الأمة بوجود أمثالهم فيها، ومضاهاة بني إسرائيل في كثرة الأنبياء . فلما فات هذه الأمة المحمدية كثرة الأنبياء لكون نبيهم خاتم الأنبياء؛ عوضوا بتكثير الملهمين. ومما تقدم؛ عرف أنه ليس لأحد من الأولياء العمل بالوارد حتى يزنه بالميزان، فإن وافق؛ انتفع به هو ومن كاشفه به ممن يعتقد صدقه وزادهم إيمانا" .

"**تنبيه:** قال الغزالي: قال بعض العارفين: سألت بعض الأبدال عن مسألة من مشاهد النفس فالتفت إلى شماله وقال: ما تقول رحمك الله؟ . ثم إلى يمينه كذلك. ثم أطرق إلى صدره فقال: ما تقول؟ . ثم أجاب. فسألته عن التفاته. فقال: لم يكن عندي علم فسألت الملكين، فكل قال: لا أدري، فسألت قلبي؛ فحدثني بما أجبت، فإذا هو أعلم منهما . قال الغزالي: وكأن هذا معنى هذا الحديث" .اهـ كلام المناوي، ولا عبرة بالمنتقد .

(1) قال الحاكم في "المستدرك"676/2: حدثني أبو محمد الحسن بن إبراهيم – من أصل كتابه – حدثنا جعفر بن درستوية، حدثنا اليمان بن سعيد المصيصين حدثنا يحيى بن عبد الله المصري، حدثنا عبد الرزاق، عن معمر، عن الزهري، عن سالم، عن عبد الله بن عمر، قال: كنا جلوسا حول رسول الله صلى الله عليه ووآله سلم إذ دخل أعرابي جهوري بدوي يماني على ناقة حمراء، فأناخ بباب المسجد ثم قعد . فلما قضى نحبه قالوا: يا رسول الله؛ إن الناقة التي تحت الأعرابي سرقة. قال: أثم بينة؟ . قالوا: نعم يا رسول الله. قال: يا علي، خذ حق الله من الأعرابي إن قامت عليه البينة، وإن لم تقم فرده إلي. قال فأطرق الأعرابي ساعة، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: قم يا أعرابي لأمر الله وإلا فأدل بحجتك. فقالت الناقة من خلف الباب: والذي بعثك بالكرامة يا رسول الله إن هذا ما سرقني ولا ملكني أحد سواه!. فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: يا أعرابي، بالذي أنطقها بعذرك ما الذي قلت؟ . قال: قلت: اللهم إنك لست برب استحدثناك ولا معك إله أعانك على خلقنا ولا معك رب فنشك في ربوبيتك، أنت ربنا كما نقول وفوق ما يقول القائلون، أسألك أن تصلي على محمد وأن تبرئني ببراءتي. فقال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم: والذي بعثني بالكرامة يا أعرابي؛ لقد رأيت الملائكة يبتدرون

"ومنها: حكاية صاحب الجمل التي ذكرها القسطلاني في "مسالك الحنفا". وأصرح من هذا كله: قضية الشاب الذي أجلسه صلى الله تعالى عليه وسلم بينه وبين أبي بكر الصديق، ولم يكن يجلس أحدا بينه وبينه، فتعجب الصحابة رضوان الله تعالى عليهم من صنيعه صلى الله تعالى عليه وسلم، وسألوه، فكشف لهم عن حقيقة الأمر، وأن هذا الشاب يصلي عليه بصلاة لم يصل عليه بمثلها أحد..".[1] الخ.

[لم يرد نهي عن ابتكار الأوراد، بل ورد خلافه]:

الوجه الثالث عشر: ففي الحديث الكريم "ما تركته لكم عفو"[2]، وهو صلى الله تعالى عليه أعلم بما يكون من أمته، ولم ينبه على شيء من ذلك، مع أن ما وقع فيه مما يرغب في نوعه. قاله العارف بالله تعالى سيدي أحمد زروق.

الوجه الرابع عشر: لم يترك مولانا رسول الله شيئا مما تقتضيه النصيحة لأمته إلا دلهم عليه، أمرا أو نهيا، وهو من مقتضيات الأمانة. فلو كان الثواب المرتب على الصلاة عليه صلى الله تعالى عليه منحصرا فيما علمناه من الكيفيات لما أقر هؤلاء أن يصلوا عليه بصلوات أُلْهِموها. كيف وقد أثنى عليها وأخبر أن الملائكة اشتقات إليها.

أفواه الأزقة يكتبون مقالتك، فأكثر الصلاة علي". ثم قال الحاكم: "رواة هذا الحديث عن آخرهم ثقات، ويحيى بن عبد الله المصري هذا لست أعرفه بعدالة ولا جرح".

(1) عزا القسطلاني في "مسالك الحنفا"ص432 هذه القصة إلى أبي الفرج ابن الجوزي في كتاب "المطرب"، وقال: "وهو منكر بل موضوع".

(2) رواه الحاكم في "المستدرك" 374/2 عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه، بلفظ: "وما سكتُّ عنه فهو عفو". ورواه هو وغيره عن غير جابر.

قال الهاروشي رضي الله تعالى عنه: "وأيضا؛ فقد ورد عن علماء أمته وصلحائها ما لا يُحصى كثرةً، حتى لقد حكى لي رجل ممن أدرك الشيخ القِلِّي - أحد صلحاء بلدنا فاس - أن الشيخ كانت حرفته قَلِيَ الحُمُّص، فكان يحركه بيده وهو يقول: اللهم صل على سيدنا محمد عدد ما قليتُ من الحمّص وأقليه. فبلغ بذلك مبلغ الرجال الكُمَّل والأعمال بالنيات". وهذا كأنه الوجه الخامس عشر من وجوه الرد.

[القول بأن كل ما لم يكن في عهد النبوة أو لم يرد به نص صريح بدعة؛ هو عين البدعة ومخالفة الإجماع]:

فإذا أحاط محيط بهذا خُبرا؛ علم وتيقن وتحقق وترجح عنده أن ما هوّس وهول وأبرق وأرعد به المخالف المجازف المقارف للآثام، بتمضمضه بأعراض هذه الطائفة وتمضمض الناس بأعراضها، بواسطة تلبيسه ومغالطته لمن لم يعلم، وتغليطه لنفسه في قوله: "هذه الصلاة اختراع بالطبع"، وتسوّر على حصن الشرع، وخلاف للأمر النبوي بالوضع، وذلك نفس الابتداع، المفضي إلى التزندق ومعاندة الإجماع، ينادي على صاحبه بشناعات؛ ومنها: ظنه أن كل ما لم يكن على عهد النبوة أو ينص عليه بالخصوص كله ابتداع[1] وخرق للإجماع...وهذا فيه تضليل للأمة أجمع، بصحابتها وخُلَّافها ومجتهدي الأمة وتابعيهم وجميع أهل طبقات العلوم، لا المفسرين ولا المحدثين ولا الأصوليين ولا

(1) أبطل هذه الدعوى العارية عن الدليل والبرهان، المناقضة لقواعد الأصول والمنطق وكليات الشريعة: الإمام المحقق عبد الله ابن الصديق االغماري في رسالته النفيسة "حسن التفهم والدرك لمسألة الترك". وهي مطبوعة. وفي رسالته المطبوعة كذلك: "تحقيق الصنعة في تعريف معنى البدعة".

علماء المعاني والبيان، ولا علماء التاريخ وعلماء السير، وعلماء النحو والإنشاء والعروض والقوافي...وغيرهم.

إذ كل هؤلاء ألفوا وصنفوا ودونوا، ولهم مسانيد ومجاميع وموطآت، وكل ذلك لم يكن على عهد النبوة ولا عهد لهم من النبوة به ولا وصية.

فإن كان كل من لم يكن على عهد النبوة فهو ابتداع؛ فأول من ينسحب عليه ذيل هذا الكلام السلف أجمع. وإذا كانوا مبتدعين؛ فلا وثوق بهذا الدين الذي وصلنا منهم. وهذه أول شناعة تلزم هذا المتكلم.

[عبادات قام بها الصحابة لم يسبقوا إليها بنص]:

أما الصحابة الكرام؛ فقد قال في "التبصرة الفرحونية" نقلا عن القرافي: أنهم عملوا أمورا لمطلق المصلحة لا لتقدم شاهد بالاعتبار. نحو كتابة المصحف، ولم يتقدم فيه الأمر ولا نظير.

وولاية العهد من سيدنا أبي بكر لسيدنا عمر رضي الله تعالى عنهما، ولم يتقدم فيها الأمر ولا نظير.

وكذلك ترك الخلافة شورى بين ستة، وتدوين الدواوين، وعمل السكة للمسلمين، واتخاذ السجن، وغير ذلك مما فعله سيدنا عمر رضي الله تعالى عنه.

وهدم الأوقاف التي بإزاء المسجد، يعني: مسجد رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم، والتوسعة بها في المسجد عند ضيقه.

وحرق المصاحف، وجمعهم على مصحف واحد، وتجديد أذان في الجمعة بالسوق مما فعله سيدنا عثمان رضي الله تعالى عنه.

وغير ذلك كثيرا جدا، فُعل لمطلق المصلحة. فهل هذه الأمور كلها كانت على عهد النبوة؟، أو وجد نص على فعلها منه عليه الصلاة والسلام؟.

فلهذا فَزَع حذاق العلماء إلى أن التوسعة على الحكام في الأحكام السياسية ليس مخالفا للشرع.

قال القرافي: "بل تشهد له الأدلة المتقدمة، وتشهد له - أيضا - القواعد من وجوه".

[من فروع هذه المسألة: المصلحة المرسلة وتطبيقاتها]:

ومنها: المصلحة المرسلة، وقد قال بها الإمام مالك رضي الله تعالى عنه وجمع من العلماء. وهي: المصلحة التي لا يشهد الشرع باعتبارها ولا بإلغائها. ويؤكد العمل بالمصالح المرسلة أمثال هذه الجزئيات التي نقلناها عن الصحابة رضوان الله تعالى عليهم.

ومما يشهد لذلك: تشديد الشارع في الشهادة أكثر من الرواية، لتوهم العداوة، فاشترط العدد والحرية.

ووسع في كثير من العقود للضرورة؛ كالعرايا[1]، والمساقاة، والقراض..وغيرها من العقود المستثناة.

(1) في ط: المصرايا.

وضيَّق في الشهادة في الزنى، فلم يقبل فيها إلا أربعة يشهدون بالزنى كالمروَد في المكحلة. وقبل في القتل اثنين، والدماءُ أعظم؛ لكون المقصود الستر. ولم يحوج الزوج المُلاعن إلى بينة غير أيمانه، ولم يوجه إليه حد القذف، بخلاف سائر القذَفة؛ لشدة الحاجة في الذب عن الإنسان وصون العيال والفرش عن أسباب الارتياب...

وهذه المباينات والاختلافات كثيرة في الشرع لاختلاف الأحوال. فأشباه هذه الملاحظ من الشارع صلوات الله وسلامه عليه هي التي حملتهم على هذه المصالح العامة التي ارتكبوها.

ومنها: الواقعات التي صدرت منهم، فما من حكم في هذه المصالح إلا وورد دليل يخصه أو أصل يقاس عليه، فهو دليل الصحابة الكرام في كتْبهم المصحف وما تقدم.

قال إمام الفريقين[1] سيدي عبد الوهاب الشعراني في "اليواقيت"[2] ما نصه: "فإن قيل: فلم لم يقتصر هؤلاء الصوفية على المشي على ظاهر الكتاب والسنة فقط؟، أليس ذلك كان يكفيهم كما كفى غيرهم؟".

"فالجواب: هذا الاعتراض بعينه اعتراض على الأئمة المجتهدين ومقلديهم، فإنهم لم يقفوا على ظاهر النصوص ولا اقتصروا عليه، بل استنبطوا من النصوص ما لا يحصى من الأحكام والوقائع كما هو مشاهد. فإن رددت استنباط العارف؛ لزمك أن ترد استنباط المجتهدين، ولا قائل بذلك. فكما لا يجوز لك الاعتراض على كلام الأئمة المجتهدين

(1) المقصود بالفريقين: فرقة أهل الكشف وفرقة أهل الرسوم. وكتابه المنقول عنه هو: "اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر"، قال عنه في "الكشف" 2054/2: ألفه في العقائد، حاول فيه المطابقة بين عقائد أهل الكشف وعقائد أهل الفكر، لم يسبقه إليه أحد". اهـ.

(2) 24/1.

لكونهم لم يخرجوا عن شعاع نور الشريعة، كذلك لا يجوز لك الاعتراض على العارفين المقتفين آثار رسول الله في الآداب الظاهرة والباطنة. فكما أوجب المجتهدون وحرموا وكرهوا واستحبوا أمورا لم تصرح بها الشريعة في دولة الظاهر، فكذلك(1) العارفون أوجبوا أمورا وحرموا وكرهوا واستحبوا أمورا في دولة الأعمال الباطنة. فالاجتهاد واقع في الدولتين، ولا غنى بإحداهما عن الأخرى. فحقيقة بلا شريعة باطلة وشريعة بلا حقيقة عاطلة. يعني ناقصة". اهـ.

[البدع مقسمة إلى خمسة أقسام]:

ولأمر ما قَسَّم الناس البدع إلى الأحكام الخمسة؛ فمن البدع ماهو واجب، ومن البدع ماهو محرم، ومن البدع ماهو مندوب إليه، ومن البدع ما هو مكروه، ومنها ماهو مباح، كما نص على ذلك الجم الغفير كابن عبد السلام في "قواعده"(2) وعنه انتشر. ونقله في "فتح الباري" في كتاب الاعتصام(3)، وأولع أهل الفروع ببناء المباني عليه. وقد فصل ذلك القرافي في الفرق الثاني والخمسين والمائتين بين قاعدة: ما يحرم من البدع ويُنهى عنه، وبين قاعدة ما لا ينهى عنه منها.

فانظر كيف جعلوا من البدع ماهو واجب، وهذا بعينه هو الذي حمل السلف على تأليف التفاسير القرآنية ووضع المسانيد الحديثية والموطآت. بَيْد أن إمام دار الهجرة لما

---

(1) في ط: كذلك.

(2) هو كتاب "قواعد الأحكام في مصالح الأنام".

(3) 254/13.

وطأ للناس موطأه ألف الناس موطآت، فقيل له: "إن الناس ألفوا موطآت". فقال: "سيَظهَر من قصد به وجه الله سبحانه منها وما لا"(1).

وليت شعري؛ إذا أنكر هذه الصلاة المحمدية القدسية لهذه العلة فتلزمه تخطئة كل من أبرز شيئا لم يكن على عهد النبوة، وهم الأمة كلها، فتلزمه من الشناعات على عدد الفروع الشرعية التي استنبطت من الكتاب والسنة، والكتاب ليس بنص فيها، وهو ما اشتملت عليه كتب المذاهب الأربعة(2)...إلى هلم جرا.

فإن الفروع المتعلقة بالصلاة والحيض والرعاف والسهو كلها إنما استنبطها المجتهدون ولم ترج على عهد النبوة كما في "مقدمة" ابن خلدون(3). فيلزمه تخطئة جميع المجتهدين بحسب كل فتيا أفتوها، وهي محل اجتهاد منهم...فهلا وقفوا مع ظاهر الكتاب والسنة؟. وهذا وهم من المعترض، وهو حمق وخبال في العقل، وتضليل لمن ليس الإنسان أهلا أن يذكرهم إلا وهو على سكينة وحالة عظيمة.

وليت شعرى؛ هل ما سوده – أيضا – في تكفير هذه الطائفة – أيضا – كان موجودا على العهد النبوي، أو له وصية من الرسول به؟!. مع أن الطائفة مشتملة على أهل البيت النبوي، وأهل العلم والشيب، وأهل الله تعالى، والمحبين له سبحانه، والمعتكفين بأبوابه والملازمين عتباته، ومنهم من هو {آناء اليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجوا رحمة ربه}. [الزمر/ 9]، {قل هل يستوي الذين يعلمون – وهم من هذه صفتهم – والذين

---

(1) وكلمته المشهورة لما قيل له: "ما فائدة موطئك وقد ألف الناس موطآت؟"، هي قوله: "ما كان لله دام واتصل وما كان لغيره انقطع وانفصل".

(2) في ج وط: الأربع.

(3) ص 450 وما بعدها.

لايعلمون}، وهم من ليست صفتهم كذلك. فالآية الكريمة من حذف الضد لدلالة الضد عليه. أي: هل تستوي حالة من هو هكذا مع من ليس هكذا؟. لا، لا!.

وانظر لما زعم أنه يُخَطِّيء هذه الطائفة المحمدية كيف وقع في تخطئة الأمة أجمع، وتخطئة العلماء من أهل كل مذهب، من كل فن، وهي من انتصار الله سبحانه لنا.

وانظر العجب؛ كيف فات هذا المتكلمَ لما رأى اختلاف الناس في الفضل الوارد هل يعم الصلوات كلَّها، ولو لم ترد، أو خاص بالوارد، التبست عليه الموضوعات، فظن أن خلافهم فيمن ابتكر صلاة من الصلاة دون الصلاة الواردة. مع أن الذي قال ذلك – وهو ابن العربي – سمعتَ أن العلماء عدوه إغرابا وعدوه مخالفا لإجماع الأمة، وقالوا: إن لفظ الآية الكريمة، وهو: {صلوا} – مطلق يصدق بأي كيفية، وعدُّوه مخالفا لما نُقل عن الصحابة والسلف من الصلوات.

أنقول: إنهم اختلقوا، أو تقدموا بين يدي الله ورسوله وألغوا ما سمعوه من نبيهم؟. وكل هذه الاحتمالات تُلزِم المعترض، وهي زندقة ومروق من الدين كما يمرق السهم من الرمية. والقصد أنهم: لم يقفوا مع الصيغ الواردة بل زادوا صيغا من عندهم.

قال أبو زرعة العراقي[1]: "إذا رأيت الرجل ينتقص أحدا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاعلم أنه زنديق، لأن الرسول حق والقرآن حق وماجاء به حق، وإنما أدى إلينا ذلك كله الصحابة. وهؤلاء يريدون أن يجرحوا شهودنا ليبطلوا

(1) هكذا في ج وط عن المؤلف رحمه الله وهو سبق قلم، إذ الكلام المنقول هو لأبي زرعة عبيد الله بن عبد الكريم بن يزيد بن فروخ الرازي الإمام الحافظ الثقة المشهور، المتوفى سنة 164هـ. انظر"الكفاية" ص49، أما أبو زرعة العراقي فهو أحمد بن عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن إبراهيم الكردي الرازياني ثم المصري الشافعي الإمام العلامة الفريد الحافظ ولي الدين، ابن الحافظ زين الدين العراقي، وتوفي ولي الدين سنة 826هـ.

الكتاب والسنة، والجرح بهم أولى، وهم زنادقة". اهـ. قال الحافظ ابن حجر: "وهو فصل نفيس".

[الإجماع على أن فضل الصلاة على النبي ﷺ يعم الصيغ الواردة وغيرها]:

فانكشف من هذا الذي نقلناه وتلوناه: أن إجماع الأمة انعقد على أنه يصلى على حضرة النبوة بغير اللفظ الوارد، وإذا كان يصلى عليها ولو بغير اللفظ الوارد فكل ما ورد في فضل الصلاة على مولانا رسول الله كله يصدق على من صلى بأي صلاة شاء.

وكل من لم يقل بهذا فقد خالف الإجماع، ولزمه أن الصلاة المشيشية والمنجية والصلاة الكاملة والصلاة الريسونية لا ثواب لقارئها، مع أنه أطبقت الأرض ومن فيها على قراءة هذه الصلوات وغيرها. مع أنه قيل: "إن المشيشية جمعت أسرار الصلوات"، بل نُقلت عن مولانا أبي العباس الخضر عليه السلام. فكيف يؤذن فيما لم يعلم أنه ليس من القربات؟. وكل ما لا ثواب فيه فليس من القربات.

فيلزمك على هذا - أيها المعترض - الطعنُ حتى في تلقينات الخضر الناس الأوراد، وهي ليست الواردة في العموم، بل ما من شيخ إلا وقد فُتح عليه بواسطة صلاة من الصلوات، فأغرى الناسَ بقراءتها ودلهم عليها، وذلك من علامة صدقهم وخالص نصحهم لعبيد الله سبحانه.

وكذلك هذه الصلاة الأنموذجية هي من الصلوات؛ فيحصل لتاليها من الأجر ما ورد فيمن صلى على مركز دائرة الأنوار.

ويقول القائل: قد كانت تلك الصلوات - أيضا - غير معروفة ولا متداولة، ثم تُدوولت وتُنوولت وعُرفت، فكذلك يصير غيرها من الصلوات. وفي معناه أنشدوا:

أولـــع النـــاس بامتـــداح القـــديم ويصـــير هـــذا الحـــديث قـــديما

وكم ترك الأول للآخر، ومن قال: "إن هذه الصلاة لا يحصل لصاحبها أجر"؛ فقد افتعل واختلق وتربب على مشرع الأحكام وأراد التحكم فيه، وصاحبه جدير بأن ينبذ كلامه ورا[1]، ويطرح بالعرا[2]، وخالف إجماع الأمة في أن من صلى بأي كيفية فقد أجزأه.

وقد استدل الإمام الشافعي[3] على حرمة خرق الإجماع بآية: {ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا}. [النساء/ 115]، وأوضحَ وجهَ الدليل من الآية جمعٌ من أهل التفسير، ومنهم: البيضاوي[4]، والمولى أبو السعود[5]، والفخر الرازي[6]، والكشاف[7]. وإذا توّعد الحق

(1) أي وراء الظهر، وحذفت الهمزة على لغة فيها حفاظا على السجعات بعدها.

(2) أي بالعراء ومعناه الفضاء لا ستر به. "مختار الصحاح" ص 180.

(3) انظر "الإحكام" للآمدي 258/1.

(4) "تفسير البيضاي" 252/2.

(5) "تفسير أبي السعود" 233/2.

(6) "تفسر الرازي".

(7) 563/1.

سبحانه على مخالف الإجماع بأنه: {يوله ما تولى ويصله جهنم}؛ صار القائل بأن الأنموذجية لا تُقرأ يوله الله - سبحانه - ما تولى ويصله جهنم[1]، فقد كُفينا همه وشأنه.

ولولا أنه أصلاه[2] إياها هنا ما استطال في عرض المسلمين، وقد جعل صلى الله تعالى عليه وآله وسلم درهما من الربا أعظم من ست وثلاثين زنية، وجعل أربى الربا: استطالة الرجل في عرض أخيه المسلم[3]، فيكون قائل هذه الكلمة أعظم ممن زنى زنيات، نسأل الله الله سبحانه اللطف والمعونة، ونعوذ برضاه من سخطه، وبمعافاته من عقوبته.

وليت شعري؛ ما شأن مولانا عبد السلام بن مشيش ابتكر صلاته التي هي: "اللهم صل على من منه انشقت الأسرار، وانفلقت الأنوار..".ولم يقف مع الصلاة الإبراهيمية الواردة في الكتب الستة[4]، التي عليها مدار الإسلام؟. فما كان جوابه هو جوابنا.

وما بال الإمام الشاذلي وضع الأحزاب الكثيرة وعدل الناس بها عن الأدعية الكثيرة النبوية؟، وما بال الإمام النووي كذلك حيث وضع الحزب المعلوم؟.

هذا؛ وإنما تنزلنا هذا التنزل مع هذا المتكلم، وارتكبنا هذا البساط الرسمي من باب إغضاء الجفون على القذى، وإسبال الذيول على الأذى، وإلا؛ فالأمر من وراء ذلك.

وإنما انتحينا هذا المنحى لما رأينا هذا المتكلم تكلم على أنه عارف بالله تعالى وبرسوله، فإن تكلم وأفصح عن مكنون ضمائره وغيب سرائره؛ علمنا أنه ذهل حتى عن النصوص

---

(1) جزم الفعلان نوله ونصله في كلام المؤلف لأنهما في حكم جواب الشرط المفهوم من سياق الكلام، ولتكون مناسبة الاقتباس أصح وأبلغ، والله أعلم.

(2) في ط أملاه.

(3) رواه الحاكم في "المستدرك" 43/2 عن عبد الله بن مسعود.

(4) في ج وط الست.

الظاهرية المعروفة في المسألة بلسان الحديث والتفسير مثلا، لأن مِن لازم المفسر أو المحدث إذا رد العنان إلى أسرار الآية الكريمة الآمرة بالصلاة والسلام على البرزخ الأعظم ومرآة التجلي الكبرى، التي هي محل نظر الله تعالى من الخلق؛ لم يكن له بد من البحث في الأمر في الآية: هل هو مطلق بأي كيفية كانت، أو بخصوص اللفظ الوارد. ويحتاج إلى الاطلاع على مدارك الناس الخائضين في بحور معاني الآية الكريمة، فيجدهم قالوا مانصصناه عنهم وكتبناه من كتبهم وأنقالهم.

فكيف يُجمل بوَرِع عَلِم ما لله سبحانه عليه من التكليف اللساني والجناني واليدي أن يسطر ويسود كواغد[1]، ويهتك الأعراض، ويطلق لسان السب واللعن، بل والتكفير، ولا يبالي ما لله سبحانه عليه في هذه الجوارح، وهو لم يُحِط خُبرا حتى بالمنقولات في الباب، فضلا عن وجدانيات الناس وكشوفاتهم، فضلا عن فتوحاته هو وفيوضاته وتلقياته؟. فلم يتقن حتى الأبحاث اللفظية المنصوصة في الباب، ولو أتقنها لسكت ولم ينكر، وعلم أن المسألة منصوصة من لدن عهد الصحابة الكرام والتابعين وتابعيهم وهلم جرا، إلى أن ألفت الدلائل والكتب في الصلوات، وهي كثيرة جدا.

[الحديث عن مسألة الإلهام ومشروعيتها][2]:

(1) جمع كاغد وهو الورق يكتب عليه.

(2) للاستزادة في الموضوع؛ راجع رسالة "الفرق بين الواردات"، للمؤلف قدس سره، المطبوع ضمن سلسلة "النفائس الكتانية" (1- 11): "من رسائل الإمام محمد بن عبد الكبير الكتاني في الآداب والسلوك"، بتحقيق واعتناء أخينا الشريف محمد حمزة بن علي الكتاني.

ومع هذا كلِّه؛ فلا بد من بسط بساط آخر إقناعي قهري يلجم من لم يعرف، ويشد قلب العارف ويؤيده، ما ضر هذا المنكر أن لو حملها عليه:

قال في "الأجوبة الكبرى"(1) ما نصه: "جوابكم سيدي فيمن قال: قيل لي أو أذن لي على مذهب الصوفية، بحيث إذا سئل عن ذلك أبان عنه بما يرفع الإبهام، ويحسم مادة الإيهام، حسبما هو مفسر كذلك عند القوم. والحالة أن القائل ممن عُرف بالخوض في طريقهم، واشتهر بالانتساب إلى فريقهم. وجوابكم أيضا عما اعتمده بعض الفقهاء من مثل قائل ذلك؛ هل هو على الإطلاق حتى يتناول كالشاذلي والجيلاني، ممن صدر أمثال ذلك منه، أو هو خاص بقائلها من غيرهم، وأتاها من غير مذهبهم؛ كالفسقة والكهنة؟".

فأجاب والله سبحانه الموفق: "أما أمثال هذه العبارات؛ فمعهودة في كلام أهل الصدق مع الله تعالى، الذين طهر الله سبحانه أسرارهم وتكاملت أنوارهم وحرص(2) بواطنَهم من الأغيار، فلم تتشبثْ بها صورُ الآثار، وكانت محلا ومظهرا لتنزلات الأقدار، ومعلوم عندهم ما يريدون بتلك العبارات. ولكل أهل فن اصطلاحات تدور بينهم، فيها ألفاظ وكلمات يعرفها أهلها، ويجهلها غيرهم ممن لاخبرة له بها. وقد قال الشاذلي رضي الله تعالى عنه في شأن حزبه الكبير: ما رتبت منه كلمة إلا بإذن من ربي، وأمر من رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم".

---

(1) يعني: شيخ الإسلام عبد القادر الفاسي رحمه الله.

(2) في ج حرس، وأثبتُ ما في ط لموافقة "حرص" إشارت القرآن أنها تأتي في الحفظ المعنوي ومنه قوله عز وجل: {حريص عليكم} . [التوبة/ 128].

"قال شيخنا العارف بالله تعالى أبو محمد عبد الرحمن بن محمد الفاسي في "حاشيته"[1] على "الحزب الكبير": يعني على وجه التلقي يقظة ونوما، كما هو معلوم في حق أهل الله تعالى، وشواهده من الكتاب والسنة كثيرة شهيرة، وناهيك بآية الوحي إلى أم موسى كما أخبر الله سبحانه، وبموافقة الفاروق الحق سبحانه[2] في غيرما قضية[3]، وبقضية[4] تلقي الأذان نوما ويقظة، وقتال[5] مانعي[6] الزكاة، وجمع القرآن، وإخبار الفاروق عن الصدّيق بعد مراجعته بأن الله سبحانه شرح لذلك صدره[7]، وعلمه من أجل ذلك أنه الحق".

"وهو عين الإذن الذي تعنيه الصوفية. وذلك في حق من فنيت بشريته وتجوهرت نفسه واضمحلت أنانيته...كما يشير إلى ذلك الحديث الإلهي، وهو: لا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه وبصره[8] يعني وسائر قواه. وحينئذ يكون

(1) "شرح حزب البر" للشيخ عبد الرحمن بن محمد الفاسي ص 23.

(2) قال ابن كثير في "تفسيره"390/4: "وقد تقدم أنه – أي عمر بن الخطاب – وافق القرآن في أماكن، منها: نزول الحجاب، ومنها في أسارى بدر، ومنها قوله: لو اتخذت من مقام إبراهيم مصلى".اهـ. ولابن عمة المؤلف العلامة عبد الرحمن بن جعفر الكتّاني المتوفى رحمه الله عام 1334، كتاب: "كشف النقاب عن موافقات سيدنا عمر بن الخطاب". مخطوط.

(3) في المطبوعة من "شرح حزب البر" قصة.

(4) وفيها أيضا وبقصة.

(5) في ط ومثال.

(6) في ج وط مانع.

(7) روى البخاري في "صحيحه" 1720/4 ح 4402 عن زيد بن ثابت، قال: "أرسل إلي أبو بكر مقتل أهل اليمامة فإذا عمر بن الخطاب عنده فقال أبو بكر: إن عمر أتاني فقال: إن القتل قد استحر بيوم اليمامة بقراء القرآن، وإني أخشى أن يستحر القتل بالمواطن فيذهب كثير من القرآن. وإني أرى أن تأمر بجمع القرآن. قلت لعمر: كيف نفعل شيئا لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. فقال عمر: والله إن هذا خير. فلم يزل عمر يراجعني حتى شرح الله صدري لذلك. وقد رأيت في ذلك الذي رأى عمر".

(8) رواه البخاري في "صحيحه" 2384/5 ح 6137 عن أبي هريرة، وذكره المصنف. كما أورده العلامة عبد الرحمن الفاسي بالمعنى لا اللفظ.

يكون العبد إن صمت فمع الله سبحانه، وإن نطق فبالله..قد قال الله تعالى: {فتلقى آدم من ربه كلمات}.[البقرة/ 37].

"وسيقول واضع الحزب: وهب لنا التلقي منك كتلقي سيدنا آدم منك الكلمات عليه الصلاة والسلام. وفي الصحيح: إنه كان فيمن قبلكم محدَّثون - وفي رواية: مكلمون[1] - من غير أن يكونوا أنبياء، وإن يكونوا في أمتي؛ فعمر منهم...وسيقول أثناء الحزب: وهب لنا مشاهدة تصحبها مكالمة".

"وبالجملة؛ فالإذن ينقسم إلى تكليفي - وهو حظ الفقيه - فهو عام، وإلى تصريفي؛ وهو: ما كان بوارد الخبر[2]، وإلى تعريفي؛ وهو: ما كان من طريق المحادثة والتكليم. وليس في ذلك كله مزاحمة للنبوة، ولا مخالفة لما ورد فيه؛ لكون الولي في ذلك على حكم التبع والموافقة لا على حكم الاستقلال والمخالفة". اهـ.

قال الشيخ الأكبر: "من قال من الأولياء إن الله أمره بشيء؛ فهو تلبيس، لأن الأمر من قسم الكلام وصفته، وهذا باب مسدود دون الأولياء من جهة التشريع. وإيضاح ذلك: أنه ليس في الحضرة الإلهية أمر تكليفي إلا وهو مشروع، فما بقي للأولياء إلا سماع أمرها إذا أمرهم الأنبياء بشيء، كما أن لهم المناجاة واللذة السارية في جميع وجودهم. لا غير. ومعلوم أن المناجاة لا أمر فيها ولا نهي، إنما هو حديث، وكل من قال من أهل الكشف إنه مأمور بأمر إلهي مخالف لأمر شرعي محمدي تكليفي؛ فقد التبس عليه الأمر، وإن كان صادقا فيما قال أنه سمعه". اهـ.

---

(1) رواية يكلمون عند البخاري في "صحيحه" 3/1349 ح 3486.

(2) في ط الجبر .

وقال أيضا: "وقد أغلق الله – سبحانه – باب التنزيل بالأحكام المشروعة، وما أغلق باب التنزل بالعلم على قلوب أوليائه الذي هو التنزل الروحاني بالعلم. وذلك ليكون الأولياء على بصيرة في دعائهم إلى الله سبحانه كما كان موروثهم(1) صلى الله تعالى عليه وآله وسلم، ولذلك قال تعالى: {قل هذه سبيلي أدعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني}. [يوسف/ 108]، فهو أخذٌ لا يتطرق إليه تهمة. قال الجنيد في معرض الثناء على علم أهل الله تعالى: ما ظنك بعلم علمُ الناس فيه تهمة؟"...ثم قرر ذلك فانظره.

قال في "النوازل الكبرى": "وقد نقل كلامه الشيخ عبد الوهاب الشعراني ونقل عنه قوله: اعلم أن ما اختص به المحدَّثون من أهل الله تعالى: كونهم يعرفون حديث الحق سبحانه معهم في نفوسهم، لما هم عليه من الصفاء، وغيرهم لا يعرف ذلك. قال: ورأس المحدَّثين عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه، والناس من الأمة ورثته كلهم في ذلك".اهـ.

قال أبو السعود(2) في "الأجوبة": "وكلامهم في هذا المعنى كثير لا يخفى على من خالط كلامهم".

قال: "وممن كان يستبعد قولهم: "قيل لي"، ويستثقله: الشيخُ ابن عرفة رحمه الله تعالى. قال الأبي على حديث سيدنا ابن حصين رضي الله تعالى عنه: وتسليم الملائكة عليه فيه كلام الملائكة لغير الأنبياء. وكان ابن عبد السلام يحكي عن بعض الغلاة استتابة مدعي ذلك، والحديث يرد عليه. والصواب: أن ذلك يختلف؛ فإن كان متصفا بالصلاح

(1) في ط مورثهم.

(2) يعني الشيخ عبد القادر الفاسي رضي الله عنه.

تجوّز عنه، وإلا زُجر. قال الأبي: ومن هذا المعنى: ما يتفق من قولهم: "قيل لي"، و"خوطبت"، وكان شيخنا أبو عبد الله يشدد القول فيه وفي إنكاره على من زعمه".

وقال في موضع آخر: "إنه لا ينبغي لأحد أن يأتى بكلام تعمية، بأن يقول: قيل لي، أو: أذن لي. لإيهامه دعوى النبوة معنى وإن لم يكن لفظا".

قال في "الأجوبة الكبرى": "قال شيخنا – يعني: العارف[1] –: وفيما قاله نظر". يعني: لما تقدم تقريره.

ومن هذا الباب: تلقين أهل الله تعالى أورادهم وأحزابهم وصلواتهم، وهم لَمَّا كانوا مأذونين في ذلك – كما سمعت وتسمع – لم يكونوا مختلقين ولا مفتعلين ولامتقدمين بين يدي الله ورسوله. فاعقل.

قال الشيخ زروق: "فإن قلت: قد حكي عن الشيخ الفقيه الصالح أبي عبد الله محمد ابن عرفة رضي الله تعالى عنه أنه قال: ما يثقل علي شيء ما يثقل علي قولهم: قيل لي.. قال: ولا أقبله ولا من المُرجاني[2] المقطوع بولايته".

"قلنا: أما ثقله؛ فمن جهة عدم اعتياده، وكثرة مايجري من المدعين بسببه، ولأنه لفظ موهم بصورته. ثم هذا النقل ليس بحجة في نفسه؛ لعدم إبداء الوجه والدليل فيه. وأما كونه لا يقبله؛ فلا يضره ذلك، وهو على علمه لايضره هو تقييده كما لا يضره اعتراضه بما

(1) هو سيدي عبد الرحمن بن محمد الفاسي الفهري رحمه الله.

(2) ذكره ابن العماد الحنبلي في "شذرات الذهب"451/3، فقال: "وفيها – أي: سنة 699- الشيخ أبو محمد عبد اللله المرجاني، قال ابن الأهدل الولي الشهير: توفي بتونس. قيل له: قال فلان: رأيت عمود نور ممتدا من السماء إلى فم الشيخ المرجاني في حال كلامه، فلما سكت الشيخ ارتفع العمود. فتبسم. وقال لي: يعرف كيف يعبره، بل لما ارتفع العمود سكت، يعني: أنه كان يتكلم عن مدد الأنوار، فلما ارتفع النور انقطع الكلام.قال اليافعي:ومناقبه تحتمل مجلدا. قال: وأما قول الذهبي: أبو محمد عبد الله المرجاني الواعظ المذكور أحد مشايخ الإسلام علما وعملا، فغض من قدره".اهـ.

علمه. ولا يقدح ذلك في حق غيره؛ لأن حكم الله - جل أمره - في كل أحد: أن لا يتجاوز علمه إلى غيره {ولا تقف ما ليس لك به علم}. [الإسراء/ 36]".

"وأما كون المرجاني مقطوعا بولايته؛ فإن كان قطعه بذلك من جهة العقل؛ فليس للعقل في ذلك من مدخل. وإن كان من جهة الإجماع في وقته؛ فلا يفيد القطع اليوم؛ لعدم تواتره. وإن كان من جهة الشواهد؛ فشواهد الأحوال لا تفيد القطع. وإن كان من جهة النصوص؛ فلا نص في عينه. ثم هو ليس أولى من غيره في زمانه، وإن كان لظهوره وشهرته؛ فغيره أشهر[1] منه. بل الشاذلي[2] آثر في النفوس وأقوى عند الكافة، خاصة

---

(1) في ط شهر.

(2) قال في "شذرات الذهب" 279/3 - في من مات سنة 656هـ - : "وقال الشيخ عبد الرؤوف المناوي في "طبقات الأولياء": علي أبو الحسن الشاذلي، السيد الشريف من ذرية محمد بن الحسن (قال الدكتور حمزة الكتاني: بل من ذرية عمر بن إدريس بن إدريس)، زعيم الطائفة الشاذلية نسبة إلى شاذلة قرية بأفريقية. نشأ ببلده فاشتغل بالعلوم الشرعية حتى أتقنها، وصار يناظر عليها مع كونه ضريرا. ثم سلك منهاج التصوف، وجد واجتهد حتى ظهر صلاحه وخيره، وطار في فضاء الفضائل طيره، وحمد في طريق القوم ساره وسره. نظم فرقق، ولطف وتكلم على الناس فقرط الأسماع وشنف، وطاف وجال ولقي الرجال. وقدم إلى أسكندرية من المغرب وصار يلازم ثغرها من الفجر إلى المغرب، وينتفع الناس بحديثه الحسن وكلامه المطرب. وتحول إلى الديار المصرية وأظهر فيها طريقته المرضية، ونشر سيرته السرية. وله أحزاب محفوظة وأحوال بعين العناية ملحوظة".

"قيل له: من شيخك؟ فقال: أما فيما مضى فعبد السلام بن بشيش، وأما الآن فإني أُسقى من عشرة أبحر، خمسة سماوية وخمسة أرضية... ولما قدم أسكندرية كان بها أبو الفتح الواسطي فوقف بظاهرها واستأذنه، فقال: طاقية لا تسع رأسين، فمات أبو الفتح في تلك الليلة وذلك لأن من دخل بلدا على فقير بغير إذنه فمهما كان أحدهما أعلى سلبه أو قتله. ولذلك ندبوا الاستئذان. وحج مرارا ومات قاصدا الحج في طريقه. قال ابن دقيق العيد: ما رأيت أعرف بالله منه، ومع ذلك آذوه وأخرجوه بجماعته من المغرب، وكتبوا إلى نائب أسكندرية أنه يقدم عليكم مغربي زنديق وقد أخرجناه من بلدنا فاحذروه فدخل أسكندرية فآذوه. فظهرت له كرامات أوجبت اعتقاده".

"ومن كلامه: كل علم تسبق إليك فيه الخواطر وتميل النفس وتلتذ؛ به فارم به وخذ بالكتاب والسنة. وكان إذا ركب تمشى أكابر الفقراء وأهل الدنيا حوله وتنشر الأعلام على رأسه وتضرب الكوسات بين يديه، وينادي النقيب أمامه بأمره له: من أراد القطع بالغوث فعليه بالشاذلي. قال الحنفي: اطلعت على مقام الجيلاني والشاذلي فإذا مقام الشاذلي أرفع. ومن كلام الشاذلي: لولا لجام الشريعة على لساني؛ لأخبرتكم بما يحدث في غد وما بعده إلى يوم القيامة!. وقد أفرد التاج بن عطاء الله مولفا حافلا لترجمته وكلامه. مات رحمه الله تعالى بصحراء عيذاب قاصدا للحج في أواخر ذي القعدة، ودفن هناك". انتهى ملخصا.

وعامة، جملة وتفصيلا. والجيلاني - رضي الله تعالى عنه - كذلك، حتى قال عزالدين: ما بلغت كرامات ولي مبلغ القطع والتواتر إلا كرامات الشيخ عبدالقادر رضي الله تعالى عنه".

[أنواع الإذن وصفته]:

وقال الشيخ زرّوق قبله متصلا به: "الإذن الذي أشار إليه – يعني: الشاذلي:

- إما أن يكون بالرؤيا في النوم،
- وإما أن يكون بالوجه الحكمي على معنى أنه لم يقع فيه إلا ما أذن الشرع في وضعه،
- وإما أن يكون بالإذن الحالي الذي عمدته الإلهام.

والأول أولى؛ إذ لاخصوصية للثاني. والثالث أبين؛ لأنه مقتضى الطريقة، لكنه شرطه موافقة الذي قبله ولو بوجه ما، جمعا بين الحقيقة والشريعة. وظاهر حال الشيخ جمع الثلاثة".

"فإن قلت: فقول الشيخ في غير موضع: قيل لي كذا...على أي وجه هو؟. قلنا: هو بمعنى الإلهام؛ بأن يقع في نفسه وقوعا لا يمكن تكذيبه ولا يصح رده، ويصحبه هدى يثلج به الصدر، وينشرح به القلب، ويسري في عوالمه سريانا، يفهم به حقيقته ولايستند إلى دليل خارج عنه، مع موافقته لأصل الشرع في الإباحة والطلب، وهو بمعنى المكالمة في اصطلاح القوم".

"قال الشيخ أبو محمد المرجاني رضي الله تعالى عنه: من ظن أن الله تعالى يكلم أحداً بعد الأنبياء كما كلم سيدنا موسى عليه السلام؛ فقد ضل وحاد عن الحق. أو كما قال(1). وإنما المكالمة عند القوم: مخاطبة عوالمهم اللطيفةَ التي لا يتطرق إليها الغلط ولا يدخلها الشك، والتردد لشاهد الحال ودوام التجربة، مع موافقة أصل الشرع، والله تعالى أحكم وأعلم".

"وربما عبروا عن هذا المعنى بالهاتف، وربما سمعوا خطاب هذا الهاتف خارجا عن نفس الإنسان، كما في قضية إبراهيم بن أدهم(2) حين سمع النداء من قَرَبُوِسه(3)".

وقال الشيخ زروق: "الإلهام معمول به فيما لا ينافي الحكمة ولا يُغيِّر الحكم ولا يثبت الأحكام، لقوله عليه الصلاة والسلام: كان في الأمم قبلكم مُحَدَّثون، فإن يكن في أمتي فعمر منهم(4)، وهو مَحْمَل ما يذكر القوم من نحو: قيل لي كذا".

(1) في ط قيل.

(2) ابن أدهم ساقطة من ط.

(3) وقصته رواها أبو نعيم في "حلية الأولياء" 368/7 بسنده إليه أنه قال: "كان أبي من أهل بلخ، وكان من ملوك خراسان وكان من المياسر، وحبب إلينا الصيد. فخرجت راكبا فرسي وكلبي معي، فبينما أنا كذلك فثار أرنب أو ثعلب، فحركت فرسي فسمعت نداء من ورائي: ليس لذا خُلقت ولا بذا أُمرت. فوقفت أنظر يمنة ويسرة فلم أر أحدا. فقلت: لعن الله إبليس. ثم حركت فرسي فأسمع نداء أجهر من ذلك: يا إبراهيم؛ ليس لذا خلقت ولا بذا أمرت. فوقفت أنظر يمنة ويسرة. فلا أرى أحدا. فقلت: لعن الله إبليس. ثم حركت فرسي، فأسمع نداء من قربوس سرجي: يا إبراهيم ما لذا خلقت ولا بذا أمرت. فوقفت فقلت: أنبهت أنبهت جاءني نذير من رب العالمين، والله لا عصيت الله بعد يومي ذا ما عصمني ربي!"...ثم ذكر القصة بطولها. والقربوس قال في "لسان العرب" 172/6: حِنو السرج.

(4) تقدم تخريجه ص 25.

وقال الحافظ الأسيوطي في "الخصائص"[1]: "فرَّق الشيخ عبد القادر الجيلاني بين ما يسمعه الأولياء بأن وحي الأنبياء يسمى كلاما وإلهام الأولياء يسمى حديثا. فالكلام يلزم تصديقه، ومن رده كفر. والحديث من رده لم يكفر".

"قال شيخ شيوخنا الإمام النظار أبو عبد الله محمد القصار، على حديث: كان فيمن قبلكم مكلَّمون: فإذا كان كما قاله صلى الله تعالى عليه وسلم محدَّثا أو مكلَّما؛ فما المانع من أن يقول: قيل لي أو نوديت في سري؟...وكلام القوم في تصانيفهم أكثر من أن يحصى. وفيما جلبناه من نصوصهم كفاية لمن أراد الاطلاع على مذاهبهم ومقاصدهم. أفاض الله سبحانه علينا من بركاتهم".

"فإن قال قائل: إن ذلك ممنوع من حيث إنه اطلاع على غيب، وهو لا يجوز، لقوله تعالى: {قل لا يعلم من في السماوات والأرض الغيب إلا الله}. [النمل/ 65]، وغير ذلك من الآيات القرآنية".

"أجيب بأن: المراد بذلك العلم الذاتي الذي لم يُسْتَفَد من الغير، وذلك من خواص الألوهية، ومن زعم ذلك فقد كفر. أما العلم المستفاد من الغير والواقع بتعليم من الله؛ فذلك جائز".

"فإن قيل: إنه خاص بالأنبياء، لقوله تعالى: {فلا يظهر على غيبه أحدا إلا من ارتضى من رسول}. [الطلاق/ 26، 27]، فلا يكون ذلك لغير الرسول".

فالجواب: "ما في "لطائف المنن" عن شيخه المرسي أنه قال: إلا من ارتضى من رسول، وفي معناه: أو صدّيق أو ولي".

---

(1) 175/1.

"فإن قلت: هذه زيادة على ما تضمنه الكتاب العزيز".

"فاعلم أنه: إذا قيل: إن السلطان لم يأذن اليوم إلا للوزير وحده، ربما دخل مماليك الوزير معه، وكان الإذن لمتبوعهم إذنا لهم. كذلك الولي إذا أطلعه الله على غيب من غيوبه؛ فإنما ذلك لانطوائه في حال النبوة وقيامه بصدق المتابعة، فما رأى ذلك بنفسه وإنما رأى ذلك بنور متبوعه".

"وهذا الجواب أصله في "الأمالي[1] على الإحياء" لأبي حامد، لأنه لما اعترض عليه في مواضع من "الإحياء" أملى الأجوبة المسكتة عليها..ونحوه للشيخ الأكبر في غيرما كتاب كتبه، كـ: "الفتوحات"، و"الفصوص"، ومن يده أخذه الشاذلية في كتبه وعنهم انتشر. ويقال: إنه في مصحف أُبَيّ"

"ويُقال أيضا: إن الآية تشير إلى نفي اطلاع العباد على غيب الله إلا من أطلعه الله سبحانه، وبين سبحانه سبب إطلاعه من أطلعه على غيب من غيوبه، وأن ذلك إنما كان لأنه مرتضى من عنده، بقوله: {إلا من ارتضى من رسول}. وقوله: {من رسول}؛ خص الرسول بالذكر ولم يذكر النبي ولا الصديق ولا الولي، وإن كان كل منهم ممن ارتضى، لأن الرسول أولى بذلك ممن سواه".اهـ بعد أن ذكر حكايات في هذا الباب عن الصحابة.

ثم قال: "وحكاية الأولياء في كل زمن وقطر تتضمن ثبوت ذلك، فما بلغ حدَّ التواتر لا يمكن جحده، وللناس في هذه الآية الشريفة عدة أجوبة. وللسعد في "شرح المقاصد"

---

(1) في ط الامالني.

جواب آخر عن الآية. وفوَّقوا السهام لصاحب "الكشاف" حيث أخذ من الآية إنكار وقوع كرامات الأولياء، وهو اعتزال ساذج"[1].

فمن أنكر وقوع أشباه هذه العنايات وهذه الأمداد المحمدية والفيوضات السبحانية لمن رشحته العناية لذلك؛ فقد أخذ بشعبة من شعب الاعتزال، وأعوذ بالله أن أكون من الجاهلين. والقصد من هذه النصوص: تقرير مذهبهم، وثبوت تلك العبارات في كلامهم، والمحق لاعيب[2] عليه في ذلك، والله يعلم المفسد من المصلح.

فما ضر هذا المعترض أن لو قال: إن هذه الصلاة لا جائز من أن تكون وُجدت على حجر بقلم القدرة، فأخذها صاحبها، فحببت إليه، وأذن الناس فيها. وهذا من وجوه الإذن عند أهل هذا الميدان.

أو يقول: أُلقيت عليه في اليقظة من مَلك الإلهام، وتقدمت دلائل هذا. ورد الأُبي كلام شيخه الإمام ابن عرفة حيث استثقل ذلك بالسنة. وتقدم كلام الأسيوطي في "الخصائص" وكلام المرجاني والشيخ زروق في شرح "حزب البحر"، وأن الأولياء يُلهمون بل يحَدَّثون، وتقدم كلام الحاتمي والعارف[3].

(1) قال الزمخشري في "الكشاف" 172/4 عند هذه الآية: "و{من رسول} تبين لمن ارتضى يعني أنه لا يطلع على الغيب إلا المرتضى الذي هو مصطفى النبوة خاصة، لا كل مرتضى، وفي هذا إبطال للكرامات لأن الذين تضاف إليهم وإن كانوا أولياء مرتضين فليسوا برسل، وقد خص الله الرسل من بين المرتضين بالاطلاع على الغيب"... الخ. فرد عليه ابن المنير في "الإنصاف بقوله 172/4: "ادعى عامّا واستدل خاصا، فإن دعواه إبطال الكرامات بجميع أنواعها، والمدلول عليه بالآية بإبطال اطلاع الولي على الغيب خاصة، ولا يكون كرامة وخارق العادة إلا الاطلاع على الغيب لا غير، وما القدرية إلا لهم شبهة في إبطالها".

[2] هكذا في ج وط

(3) يعني به: الشيخ عبد الرحمن الفاسي.

[يصح الاجتماع بالملائكة والأخذ عنهم]:

وفي القرآن: {إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة}. [فصلت: 30]. قال ابن العربي في "الأحكام الكبرى": "وأنا أقول: في كل وقت تتنزل عليهم الملائكة".

وفي القرآن: {إن آية ملكه أن يأتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون تحمله الملائكة}. [البقرة/ 248]. قيل: إنهم رأوا الملائكة تحمله لما جاءت بالتابوت. وإذا رأته الأمم السالفة فكيف بخير أمة أخرجت للناس؟...

وقول الإمام أبي حامد: "لا يجمع بين رؤية الملك والأخذ عنه إلا نبي"؛ لم يرتضه فارس الميادين الشيخ الأكبر، وقال: "إنهم ظنوا أنهم علموا بسلوكهم طريق الله تعالى حتى لم تبق رتبة من الرتب إلا ودخلوها". قال: "وقد اجتمعنا بكثير من أهل الطريق كانوا يعتقدون ما قاله الإمام أبو حامد ثم رجعوا لقولنا". قال الحاتمي: "وهم يقولون: إن زيادة الثقة مقبولة". قال: "ولما لم يقع لهم ذلك؛ ظنوا أنه لا يقع، وذلك سوء أدب مع الله تعالى حيث حكموا عليه بحكم لم يرتضه لنفسه ولم يحكم به على نفسه".

وقد قال الحاتمي: أن روحه اجتمعت بروحانية أبينا سيدنا نوح عليه الصلاة والسلام، واستنطقه عن الذنب الذي استغفر منه في قوله: {رب اغفر لي}. [نوح/ 28]، فقال: "هو تحكمي على الله تعالى في قولي: {ولا يلدوا إلا فاجرا كفارا}. [نوح/ 27]".

مع أن ما في نفس الحق جل مجده وعظم جده لا يُطَّلع عليه، فكذلك ههنا. كيف يجعل من الدليل على نفي الشيء وكونه لا يكون، كونَ الإنسان لم يعثر عليه، هذا مجرد حدس وتخمين، لا دليل عليه وليس الحدس من قبيل الأدلة الشرعية في شيء.

وما قاله الشيخ ارتضاه إمام الفريقين سيدي عبد الوهاب في "اليواقيت"، ووافقه في الكشف صاحب "الإبريز"، وكذا العارف الشامي في كتابه؛ فقد صرح برؤيته للملك أكثر من خمسمائة مرة.

فهذه نصوص أهل الفروع والكشف على أنه تصح رؤية الملك، وتأليف الأسيوطي – وهو: "تنوير الحلك في إمكان رؤية النبي والملك" – نصٌّ في عين النازلة.

وإذا صحت رؤية ذلك الجناب المكرم المعظم المحمدي في عالم اليقظة، كما هو قول معظَمِ أهل النقل والكشف، كما يأتيك جلبُ جيش النقول عليه إن شاء الله تعالى، وهو تأليف الحافظ – أيضا – المذكور آنفا، وهو: "تنوير الحلَك في إمكان رؤية النبي والملك"، وهو تأليف مفيد حسن في بابه، فكيف برؤية الفروع؛ وهم: الملائكة عليهم الصلاة والسلام؛ لأنهم فروع كلية ذلك النور الأعظم؟.

قلت: وحيث سوغوا التحديث للولي – كما تقدم عن المرجاني وزرّوق والشيخ القصار والحاتمي – فكيف برؤية الملَك؟، هو من الأَحْرَويّات[1] والضروريات، تفهمْ.

{وأفوض أمري إلى الله إن الله بصير بالعباد}

---

(1) أي: من قبيل ما يقال فيه: "هذا أحرى"، أو: "هذا أولى" وشبيه ذلك من صيغ مفهوم الأولى.

فهذا آخر الجواب الأول عن الوجه من محتملات اعتراضاته على هذه الصلاة الأحمدية القدسية، وهو جواب اشتمل على عدة أجوبة.

المرغب الثاني

[أصل التعبير بأحمد بدل محمد، ومشروعية ذلك، والحديث عن الحقيقة الأحمدية]

وهو الوجه الثاني من محتملات اعتراضاته. قوله: إن الصلاة بـ: "أحمد" على سيدنا ومولانا أحمد لم تُنقل عن الصحابة والسلف، فإنه لم يجدها لا في رواية الحسن البصري ولا في رواية طاووس ولا في رواية وهيب[1] بن الورد، واعتذر عن السلف الذين لم يُصَلُّوا على سيدنا ومولانا أحمد بأنهم علموا عجزهم عن الوصول لحقيقة الأحمدية، فلذلك لم يُصَلُّوا عليها.

ثم ذكر فرقا عاميا بين الأحمدية والمحمدية، ثم شرح الاسم الكريم محمدا بما نقله عن سيدي بنيس في "شرح الهمزية"[2] عند قولها: "مَن لحواء أنها حملت أحمد"...ثم ذكر كلام الشيخ بنيس ثمة كله.

نقله البغيض هنا ولم ينسبه له، وهَوَّل لما أراد نقله بقوله: "فاستمع للفرق بين الأحمدية والمحمدية إن كانت لك همة عالية، وكَسِّر عصا الانتقاد بالتخيُّلات الواهية، واصغ إليها بأُذن واعية، وقابلها بنفس من الكبر خالية، وفرِّغ قلبك من الدواعي

---

(1) في ج وط وهب، والصواب وهيْب مصغرا وهو: ابن الورد أبو أمية المكي، من المتجردين للعبادة والمتقشفين في الزهادة والمواظبة على الجهد الجهيد، والصابرين على الفقر الشديد . مات سنة ثلاث وخمسين ومائة. انظر "مشاهير علماء الأمصار" لابن حبان ص148.

(2) ص 30 بحاشية شرح سيدي محمد بن قاسم جسوس على "الشمائل المحمدية".

النفسانية؛ تحظ بالأسرار وتُمنحْ ماخفي من باطن الآية القرآنية، وتَجنِي[1] ثمار الشريعة المطهرة، وتنجو من التدليس والنزعات الشيطانية"...هذا كلامه.

ثم استرسل في التقريع وتلطيخ جناب المؤمنين بما يتحاشى أن يصدر ممن علم الوظائف المتعلقة بجارحة اللسان فقط لا وظائف الجوارح الأخر، ولا من تأدب بآداب القرآن، لأن من شأن المؤمن الكامل أن يتأدب بآداب القرآن في كيفيات المخاطبات والمحاورات وكيفية المحاججات. لأن وارث الأنبياء – وهو: العالم الكامل - لا يقبل من نفسه عذرا في التمشية في مدارج الآداب القرآنية والمسالك الضيائية التي نهَجَتها، والمدارج الأفيَحية التي أوضحَتها وأسستها.

نقل في "الرسالة القشيرية"[2] عن أبي يزيد أنه: ما مات حتى استظهر القرآن. أي: اطلع على ما أُكن من أسراره، وعمل بما فيه من الأوامر والنواهي، "العلماءُ ورثة الأنبياء". ونحوه في "الفتوحات المكية" في غيرما موطن.

وها جوابك عما هوّلت به صفوا، وتركنا بحار الهوى والتعسف والتحامل رهوا، وقد اقتضانا الحال أن نذكر:

- أولا: الفرق بين سيدنا أحمد ومولانا محمد،

- ثم نذكر السر الذي من أجله ذكرت حضرة النبوة في الإبراهيمية سيدنا محمدا ولم تذكر أحمد،

(1) إذا كانت الواو هنا عاطفة فإن تجنى لا بد أن تجزم بحذف حرف العلة، لعطفها على جواب شرط مجزوم في قوله "تحظ" "وتمنح". وعلى ما وجدته في ج وط بإثبات حرف العلة فيها، فإن الواو استئنافية، فتركته اعتذارا. فمثله "تنجو" بعدها.

(2) ص 396.

- ثم نذكر الأسرار المنطوية في مولانا أحمد

{وأفوض أمري إلى الله إن الله بصير بالعباد}

وصل:

[الفرق بين الاسمين أحمد ومحمد]

لتعلم أولا أن من المعلوم المعروف المقرر أن ما للحضرة المحمدية من معنى الحمد، الذي هو اسمه المنبئ عن ذاته الشريفة المشتملة على جميع الصفات، الذي سائر أسمائه وصفاته راجعة إليه، وهو في المعنى واحد، له في الاشتقاق صيغتان:

1- الاسم المَبْنِيُّ صيغته على صيغة **"أفعل"** المنبئة عن الانتهاء إلى غاية ليس وراءها منتهى؛ وهو اسمه مولانا **أحمد**. لأنه أفعل تفضيل حذف المفضل عليه قصدا للتعظيم، نحو: الله أكبر. أي: من كل شيء. ثم نُقل ولوحظ[1] أصله، فلا يرِد عليه أنه عَلَمٌ، فكيف يفيد ما ذكر؟.

2- وثانيهما: الاسم المبني على صيغة التفعُّل، المنبئة على التضعيف والتكثير إلى عدد لا ينتهي له الإحصاء؛ وهو: اسمه **سيدنا محمد**. لأن زنة مُفَعَّل بشد العين كمُعظَّم

(1) في ج لحظ.

ومُبجَّل... موضوعة للتكثير. فإن اشتق منه اسم فاعل؛ فمعناه: من كَثُر صدور الفعل منه؛ كمعلِّم. أو اسم مفعول؛ فمعناه: من تكرر وقوع الفعل عليه[1].

ولذا قال السهيلي في "الروض"[2]: "محمد منقول من الصفة، وغلط من قال مرتجل، فالُمحمَّد في اللغة هو الذي يُحْمد حَمْدا بعد حمد، ولا يكون مُفعَّل - بشد العين المفتوحة، مثل مُضرَّب لمن كثر عليه الضرب وممدَّح لمن كثر المدح له - إلا لمن تكرر منه الفعل؛ وهو: الضرب والمدح في المثالين مرة بعد أخرى".اهـ

وأما سيدنا أحمد؛ وهو: اسمه - عليه الصلاة والسلام - الذي سمي به على لسان الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وأتى في الكتب السماوية كما في "الشفاء"[3].

واقتصار صاحب "المواهب" على سيدنا موسى وسيدنا عيسى لشهرتهما عليهما الصلاة والسلام. وإلا ففي "الشفاء": أحمد في الكتب السماوية، وبشرت به الأنبياء. فإنه منقول - أيضا - من الصفة التي معناها: التفضيل، بمعنى: أحمد الحامدين لربه سبحانه.

وكذلك هو في المعنى؛ فاسمه مطابق لمعناه وذاته صلى الله تعالى عليه وسلم، إذا؛ ذاته محمودة على ألسنة العوالم من كل الوجوه، حقيقة وأوصافا، وخَلقا وخُلقا، وأعمالا وأحوالا، وعلوما وأحكاما، وجميع عوالمه المنزّل بها والظاهر بها، وهو محمود في الأرض وفي السماء، وهو أيضا محمود في الدنيا والآخرة. ففي الدنيا ما لا يحصى من مننه على الأمم

(1) "عليه" ساقطة من ط.

(2) 278/1.

(3) ص 155.

والأنبياء والرسل وأهل السماوات، وفي الآخرة بالمواقف التي تَسقُط الأماني حسرى دونها. فقد تكرر معنى الحمد كما يقتضيه اللفظ.

ومع هذا؛ هو الحامد، إذ ما حمده أحد إلا بما علمه إياه، إذ هو له الفلك المحيط بالنبوات والرسالات والملكيات والولايات. فنبوته الكلية منها تُستَمدُّ النبوات، ورسالته المطلقة منها تستمد الرسالات، وقدسيته على الاستمداد منها تتمنى تقبيل وطإ نعاله سكان صفاح السماوات، وولايته الأصلية هي مقتبس جميع مراتب الولايات في المبادي والختامات، وإن شئت قلت: إنه الحامد لربه جل وجهه على الإطلاق

{وأفوض أمري إلى الله إن الله بصير بالعباد}

وصل:

[مصدر أحمد ومحمد من معنى واحد]

انظر كيف جعلوا الصيغتين الشريفتين مشتقتين من معنى الحمد القائم بالذات المحمدية. فمصدر **محمد** و**أحمد** من معنى واحد، سيما على ما انتحله الإمام ابن القيم في كتابيه "جلاء الأفهام"[1]، و"الهدي النبوي"[2] من أن أحمد ليس معناه أنه أحمد الحامدين

(1) "جلاء الأفهام" ص 188.

(2) "زاد المعاد" 98/1، وقد قال ابن القيم عند عرضه لأقوال الطوائف في الفرق بين أحمد ومحمد من جهة الاشتقاق والصرف: "... فالاسمان واقعان على المفعول، وهذا أبلغ في مدحه وأكمل معنى"...

لربه سبحانه، بل هو بمعنى مفعول. ويكون التقدير: أحمد الناس. أي: أحق الناس وأولاهم أن يُحمد.

قال في "المواهب"[1]: "فيكون أحمد كمحمد في المعنى، لكن الفرق بينهما: أن محمدا هو الكثير الخصال التي يُحمد عليها، وأحمد هو الذي يحمد أكثر مما يحمد غيره. فمحمد في الكثرة والكمية، وأحمد في الصفة والكيفية. فيستحق من الحمد أكثر مما يستحقه غيره، أي: أفضل حمد حُمِده البشر. فالاسمان واقعان على المعفول".

قال في "المواهب"[2] مع شرحه: "قال ابن القيم[3]: وهذا القول أبلغ في مدحه وأكمل معنى. قال ابن القيم: وهو الراجح المختار. فلو أريد معنى الفاعل لسمي الحماد بدل أحمد، أي: كثير الحمد، فإنه صلى الله عليه وآله وسلم أكثر الناس حمدا لربه جل أمره. فلو كان اسمه أحمد باعتباره حمده لربه جل وجهه كما قال من قال: إنه بمعنى فاعل، لكان الأولى: الحماد، كما سميت بذلك أمته؛ أي: بالحمادين".

قال ابن القيم[4]: "وأيضا؛ فإن هذين الاسمين إنما اشتُقا من أخلاقه وخصاله المحمودة التي لأجلها استحق أن يكون محمدا وأحمد[5]، لا من كثرة حمد لربه".

---

(1) 375/1.

(2) 375/1.

(3) ص 193.

(4) ص 193.

(5) وأحمد ساقطة من ط وثابتة في طرة ج كما في جميع نسخ "جلاء الأفهام" و"المواهب اللدنية" أيضا.

فإن قلتم: إن كلام ابن القيم تُعُقِّب بوجوه؛ منها: تخصيص بلا مخصص، ومنها: أن بناء اسم التفضيل من المفعول شاذ؛ كـ: أشغل من ذات النِّحْيين[1]... ومنها: أن كون حمّاد أبلغ من أحمد كما اقتضاه كلامه لا وجه له...

قلنا: أُجيبَ عنه بأنه إنما سلك هذا لسلامته من التكرار والترادف الذي هو خلاف الأصل، وترجيحه حماد على مولانا أحمد ليس لأبلَغِيَّته، بل لأنه أكثر وأقيس.

وأما كون التفضيل من المفعول شاذ؛ فمُسلَّم، ولكنه سمع من العرب في قولهم: العَودُ أحمد[2]. وأثبته الزمخشري[3] والميداني وغيرهما...ومعنى: العود أحمد؛ أي: أكثر حمدا. قال الشاعر:

فلـم تجـرِ إلا جئـتَ في الخـير سـابقا ولاعُـدت إلا أنـت في العـود أحمـدُ

كذا في "الصحاح" وكتب الأمثال، لأنك لا تعود إلى الشيء غالبا إلا بعد خبرته، قال المجد[4]: "أو معناه أنه: إذا ابتدأ المعروف جلب الحمد لنفسه، فإذا عاد؛ كان أحمد. أي:

(1) هذا مثل شائع عند العرب، وبطلا قصته امرأة من بني تيم الله بنت ثعلبة والصحابي الجليل خوات بن جبير قبل إسلامه، ذكرها بطولها وطرافتها الميداني في "مجمع الأمثال" 376/1.

(2) قال في "مجمع الأمثال"34/2: "العود أحمد: يجوز أن يكون أحمد أفعل من الحامد، يعني أنه إذا ابتدأ العرف جلب الحمد إلى نفسه، فإذا عاد كان أحمد له أي أكسب للحمد له. ويجوز أن يكون أفعل من المفعول يعني: أن الابتداء محمود والعود أحق بأن يحمد منه. وأول من قال ذلك خداش بن حابس التميمي"...

(3) قال الزمخشري في "المفصل" ص297 عند الباب الخامس عشر المتعلق بأفعال التفضيل في ذكر ما شذ من القياس: "..والقياس أن يفضل على الفاعل دون المفعول، وقد شذ نحو قولهم: أشغل من ذات النحيين وأزهى من ديك وهو أعذر منه وألوم وأشهر وأعرف وأنكر...الخ".

(4) "القاموس المحيط" ص 355، وانظر أيضا "مجمع الأمثال" للميداني 34/2.

اكتسب الحمد له. أو هو: أفعل من المفعول، أي: الابتداء محمود، والعود أحق بأن يحمدوه".

وأول من قال هذا المثل خداش بن حابس التميمي في فتاة من بني ذهل، ثم من بني سدوس؛ يقال لها: الرباب، لما هام بها زمانا وخطبها، فرده أبواها، فأضرب عنها زمانا، ثم أقبل ذات ليلة راكبا، حتى انتهى إلى منزلهم متغنيا بأبيات منها:

ألا ليت شعري يا رباب متى أرى لنا منك نجحا أو شفاء فأشتفي؟
فقد طالما غيبتني ورددتني وأنتِ صفيي دون ما كنتُ أصطفي
لحا الله من تسمو إلى المال نفسه إذا كان ذا فضل به ليس يكتفي
فينكح ذا مال ذميما ملوَّما فيترك حرًّا مثله ليس يصطفي

فسمعته الرباب وعرفته، وحفظت الشعر، وأرسلت إلى الركب الذين فيهم خداش، وبعثت إليه أن: "قد عرفت حاجتك فاغدُ على أبي خاطبا". ثم قالت لأمها: "يا أماه؛ هل أنكح إلا من أهوى، وألتحف إلا من أرضى؟". قالت: "بلى". قالت: "فأنكحيني خداشا". قالت: "مع قلة مالِه؟". قالت: "إذا جمع المالَ السيءُ الفِعال فقبحا للمال". فأخبرت الأم أباها بذلك، فقال: "ألم نكن صرفناه عنا، فما بدا له؟". فأصبح خداش وسلم عليهم، وقال: "العود أحمد، والمرأة ترشد، والورد يحمد"، فأرسلتها مثلا. قاله[1] الميداني[2] والزمخشري[3] وغيرهما.

---

(1) في ج قال.

(2) في "مجمع الأمثال" 34/2.

(3) في "المفصل" ص 297.

فعلى ما قاله ابن القيم من أن **أحمد** معناه: أولى الناس وأحقهم أن يحمد؛ هو: معنى **محمد**، لأن معناه: من كثرت موجبات الحمد منه فكثر حمد الناس له.

فعليه؛ من قال: "اللهم صل على سيدنا ومولانا محمد"، كمن قال: "اللهم صل على سيدنا ومولانا أحمد"، لأن أحمد ليس بمعنى الفاعل، أي: أحمد الناس لربه، لأنه لو كان القصد من هذه الصيغة هذا المعنى؛ لأوثر في التعبير حماد لا أحمد، مع أنه أوثر أحمد، وما ذلك إلا لأنه واقع على المفعول؛ أي: أولى الناس أن يحمد، فهو في المعنى كمحمد، وإن كان الفرق بينهما: أن الحمد هو الكثير الخصال التي يحمد عليها، والأحمد: هو الذي يحمد أكثر مما يحمد غيره. فعلى هذا؛ الثناء بأحمد أولى وأقيد وأكثر من الثناء بمحمد. لأن في أحمد معنى محمد، والزيادة في الصفة والكيفية.

ويرشحه ما قال السخاوي في "سفر السعادة"، ونصه: "أحمد: اسم النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم، ليس بمنقول من المضارع ولا من أفعل التفضيل، فهو كأحمر وأصفر، وهو أبلغ من محمد. وهو كل من تكاملت مناقبه وبلغ النهاية في الحمد"، ولا وجه لقول صاحب "نسيم الرياض"[1] لما نقله: فيه نظر.

(1) أي الخفاجي في شرح الشفا.

وصل

[الذكر بأحمد في قوة الذكر بمحمد من حيث الاحتجاج]

فعلى هذا؛ قول الحضرة المحمدية: "قولوا: اللهم صل على محمد"(1) في قوة: اللهم صل على أحمد. ضرورة أن أحمد ومحمدا في منزلة واحدة في التسمية، والاشتقاقُ جَمَعَهُما.

قال أبو الحسن في "الفتح الرباني في شرح رسالة(2) ابن أبي زيد القيرواني" ما نصه: "فهو في الإنجيل أحمد وفي القرآن محمد، فأحمد ومحمد في منزلة واحدة في التسمية؛ لأن الاشتقاق جمعهما".اهـ.

فإلى هذين الاسمين الكريمين ترجع جميع صفاته، فصيغة المبالغة تؤذن بالتضعيف والتكثير إلى غير نهاية. وصيغة أفعل تنبيء عن الوصول إلى غاية ليس وراءها غاية.

(1) أخرجه البخاري في "صحيحه" 1232/3 ح 3189، ومسلم في "صحيحه"305/1 ح 407 عن أبي حميد الساعدي.

(2) في ط رسالة.

وصل:

[الدعوة بأحمد أو محمد كالدعوة بجميع أسماء النبيﷺ]

أرشق من هذا وأملح وأدق وأرق: ما في "الفتوحات السبحانية" شرح ألفية العراقي للمناوي، ونصه: "قال بعض الأئمة: إن لهذه الحقيقة المحمدية أسماءً نورانيةً وصفات ربانيةً، منها: ما هو بمنزلة الأصول الكلية، ومنها: ما هو بمنزلة الفروع الجزئية، وينشأ بعض عن بعض، ويقال فيها من وجه أنها متناهية، ومن وجه أنها غير متناهية. وترجع من غير تناهيها بوجه إلى تسعة وتسعين، وبوجه آخر إلى أكثر، وأوسعها حيطة وأشملها جمعا: **سيدنا محمد،** وأسبقها حكما وأرفعها حضرة[1]: اسمه **سيدنا أحمد**. فمحمد: بمثابة اسم الله في اشتماله وجمعيته، وأحمد بمثابة الرحمن في عمومه وسبقيته".

"ولما كانت الأسماء الحسنى تدخل بوجه ما تحت حيطة اسمين سابقين؛ وهما: الواحد والأحد، من حيث إن الواحد أصل ومنشأ لجميع الاعتبارات الغير المتناهيات، فيدخل تحته جميع الأسماء السلبية، كان اسم سيدنا محمد لأسمائه بمثابة الاسم الواحد، وأحمد بمثابة الاسم الأحد".

"وكما كانت بوجه آخر تدخل تحت حيطة اسمين عامين شاملين؛ وهما: الظاهر والباطن؛ كان اسم سيدنا محمد بمثابة الاسم الظاهر، وسيدنا أحمد بمثابة اسمه الباطن، ولذلك كان اشتماله من حيث ظهوره في عالم الأمر. وعلى هذا النمط الأول والآخر".

---

(1) في ط حضرة حضرة.

"واعلم أن لكل من هذين الاسمين – بحكم جمعيته – اشتمالا على الآخر، مع رجوع سائر الأسماء إليه سلبية كانت أو ثبوتية[1]، فأيها دعوته به منها فقد دعوته بجميع أسمائه، {قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيا ما تدعوا فله الاسماء الحسنى}. [الإسراء/ 110]". اهـ

فانظر هذا الكلام الرباني الذي لا يصدر إلا من بصيرة اكتحلت بإثمد الغيابات، وزفت إليها المراتب المخدَّرات، وفيه أسرار ولطائف:

ومنها: أن كلا الاسمين أحمد ومحمد جامع. فبأَيِّهما دعوته؛ كأن قلت: "اللهم صل على سيدنا ومولانا أحمد"، فكأنك دعوته بجميع أسمائه. فكلُ من **أحمد ومحمد** مشتمل على معاني الآخر، فأحمد منطو في محمد، ومحمد منطو في أحمد. فلو دعوته بأيها لكنت دعوته بجميع أسمائه.

فعلى هذا؛ قول المعصوم: "قولوا: اللهم صل على محمد"، في قوة: "قولوا اللهم صل على أحمد"، وإنما لم تذكره الجلالة الأحمدية لسر عظيم رائق اقتضاه سر التشريع في سر وضع الأحكام الإلهية في الأرض، وسر مراعاة السياسات الربانية، وسر كيفية مخاطبات الخلائق كما يأتيك.

ولما لم يجد البغيض هذا السر الذي نذكره في "شرح الهمزية" الذي اقتطف من عنده تلك الوجوه التي ذكرها فيما كتبه؛ لم يقبله، مع أن تلك الوجوه التي ذكرها في الكلام على

---

(1) قال في "تحفة الأحوذي" 306/9 عند حديث "كلمتان خفيفتان...: "لأن فيهما المدح بالصفات السلبية التي تدل على التنزيه، وبالصفات الثبوتية التي يدل عليها الحمد". اهـ.

الاسم الشريف محمد أصل ما فيها من الكلام الجيد في "شرح المشيشية" للمحقق ابن زكرى، وانتخب بعضَه سيدي بنيس في "شرح الهمزية" عند قولها:

من لحواء أنها حملت أحمـد[1]

وتبجح به لما أراد أن يذكره كأنه خبرٌ ما طرق الآذان، ومائدة ما جلس عليها طفيلي، وعين ما وردها كل وارد. مع أنه بصدد أن يخبر ما قرع أذن بصيرته لما كان سائحا في الملكوت، فلا بد من أن تعود إليه روحانيته بطرائف الحِكَم من غير أن يؤدي إليها عالم علما، بل من لدنه ومن فيضه السبحاني من طريق التحديث الذي أشار إليه المعصوم بقوله لسيدنا وابصة بن معبد الأزدي: "استفت قلبك وإن أفتوك وأفتوك وأفتوك"[2].

فلولا أن القلب – أيضا – فقيه، وفقهه معتد به؛ ما رده إليه، ولولا أن القلب أفقه من الفتاوى الأخر؛ مارده إليه، وهو بصدد التشريع. و "قد كان فيمن قبلكم محدَّثون، وإن يكن من أمتي فعمر". فإذا به ما تجاوز كليات في شرح "الدليل"، وألفاظا لسيدي بنيس في "شرح الهمزية"، وقال: إنه يغترف من بحر الحقيقة والشريعة.

{وأفوض أمري إلى الله إن الله بصير بالعباد}

---

(1) والبيت هكذا:

مـــــن لحـــــواء أنهـــــا حملـــــت أحمـــــد أو أنهـــــــــا بـــــــــــه نفســـــــــــاء

(2) رواه أحمد في مسنده 228/4 بسند حسن كما قال المنذري في "الترغيب والترهيب"351/2.

وصل:

[انبثاق الحقيقة الأحمدية ومفهومها]

لا بأس من أن أسمعك بعض مقتطفات الأزهار الغيبية المأخوذة من بساتين المنتزهات المحمدية والمهدى من الخزائن السرية على يد الإفاضات الأحمدية، وأهديك ما أخذ من السياحات المعنوية:

ما أحسن الضحك الجاري بغير فم ورؤية غاب عنها هيكل البصر
كن قاطنا ظاهرا والسرُّ مرتحل فالسيرُ من دون رِجْل أحسنُ السفر

وقالوا:

محوتُ نقوشَ الكون عن لوح خاطري وصيّرتُ ذاك اللوح لي أَلِف الوصل

وذلك أن الله جل جلاله لما قضى ببسط مملكة الألوهية، ونشر أسرار الربوبية، بإظهار الخلائق وتسخيرها، وإمضاء الأمور وتدبيرها، وحفظ مراتب الوجود، ورفع مناصب الشهود. وكانت مباشرة هذا الأمر من الذات الأقدس بغير واسطة بعيدة جدا، لبعد المناسبة بين عزة القِدم وذلة الحدوث؛ حكم الحكيم جل أمره بتخليف نائب ينوب عنه في التصريف والولاية، والحفظ والرعاية.

وله وجه إلى الحق - سبحانه وتعالى - يستمد منه، ووجه إلى الخلق يمد به الخلق، فجعل على صورة الحضرة خليفة يخلفه في التصرف، وخلع عليه جميع مقتضيات الأسماء والصفات، ومكنه في مسند الخلافة بإلقاء مقاليد الأمور إليه، وإحالة حكم الجميع عليه،

وتنفيذ تصرفاته في خزائن ملكه وملكوته، وتسخير الخلائق لحكمه وجبروته، وسماه باسمين، وذلك الاسمان تابعان لوجهتيه المذكورتين.

فباعتبار الجهة الخَلقية: سماه بأسماء مراتب الموجودات واختلافها في العلو والنزول، والقرب والبعد، والشرف والانحطاط. ومن جملة ما سماه به: **محمد**. لما أنهم يشاهدونها ويرونها ويرون الكمالات المفاضة عليها. فلما رأوا كثرة الكمالات المكتنفة له؛ أقاموا من تلك الصفات المجتمعة له اسما، فسموه محمدا؛ لكثرة خصاله المجتمعة فيه.

وسماه: إنسانا؛ لإمكان وقوع الأُنس بينه وبين الخليقة برابطة الجنسية وواسطة الإنسية.

وباعتبار الوجهة الحقية سماه: نورا، وسراجا، وأمر بتسبيحه في قوله: {وتسبحوه}[1] على أن الضمير يعود إليه، وسماه: أحمد.

فإن قلت: ولأي شيء أوثر التعبير ههنا بأحمد نظرا لهذه الوجهة الحقية، مع أنه يتلمح أنه لا يمكن السقي منها؟.

[أسرار التعبير بأحمد بدل محمد]:

(1) المعروف المشهور في كتب التفسير وغيرها أن الضمير في قوله تعالى: {وتسبحوه} عائد إلى الحق عز وجل، قال في "فتح القدير" 74/5: "قيل: والضمير في الفعلين للنبي صلى الله عليه وآله وسلم-يقصد وتعزروه، وتوقروه-وهنا وقف تام، ثم يبتدئ {وتسبحوه} أي تسبحوا الله عز وجل بكرة وأصيلا أي غدوة وعشية. . .الخ. والذي رآه المؤلف في عود الضمير في {وتسبحوه} إلى الجناب المحمدي موافق للقاعدة اللغوية التي تقضي بأن الضمير يعود إلى أقرب مذكور، وأقرب مذكور في الآية هو سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. وقد ذكر الرازي هذا الوجه في تفسيره لهذه الآية في "مفاتيح الغيب". ولا إشكال فيما ذهب إليه المؤلف؛ لأن التسبيح يقصد به التنزيه، وسيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم عند من عرفه منزه عن كل نقيصة لا تليق بمقامه الأسمى الذي هيأته له العناية الإلاهية. والله أعلم.

قلت: على الخبير وقعت، فإنما وقع الإيثار بأحمد لأسرار:

1- *السر الأول:* أن ذلك الجمال الأحمدي لما كان أول موجود برز من حضرة النور الربانية، بحيث لم يتقدمه وجود في البروز، بل كان أول موجود توجهت إليه العناية الإلهية فيما لا يزال؛ وقعت البداءة به، بدأة بما بدأ الله به. وفي الحديث الكريم: "ابدأوا بما بدأ الله به"(1)، لما نزل قوله تعالى: {إن الصفا والمروة من شعائر الله}.[البقرة/ 158]، فبدأوا بالسعي من الصفا إلى المروة، لا من المروة إلى الصفا، بدأةً بما بدأ الله به.

وقد ذكر في "الفتوحات"(2) أن شخصا عزم على الحج، وقدم رجلا وأخر أخرى أيَّ السبيلين يسلك، أسبيل البر أم البحر. وعزم على أن أول راءٍ رآه يسأله ويعمل على إشارته، فكان أول من لقي يهوديا، فاختلج في خاطره عدم العمل بإشارته، ثم تذكر العقد الذي عقده، فاستخبره، فقال له: "اسلك سبيل البر، وأين أنت من تقديم الرب الكريم البر على البحر في قوله: {هو الذي يسيركم في البر والبحر}. [يونس/ 22]، وماكان التقديم عبثا؟". فأفاده ما كان ينبغي له أن يتفطن له قبل التخيُّر.

وصل

[أوليات الحقيقة الأحمدية]

(1) اللفظ الذي ذكره المؤلف رواه ابن الجارود في "المنتقى" ص124، وأصل الحديث عند مسلم في "صحيحه" 888/2 ح 1218، ولفظه: "أبدأ بما بدأ الله به"، عن جابر في حديث صفة حجه صلى الله عليه وآله وسلم.

(2) 305/3.

ولهذه الحقيقة الأحمدية أوليات أوجبت البدء بها:

أ- منها: البدء في الخلق، بأن كان أول الأنبياء في الخلق.

ب- ومنها: أنها أول من أجاب ربه بالإقرار بالربوبية في عالم الذر يومَ: {وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى}. [الأعراف/ 172]. كان أول من قال بلى.

ج- ومنها: أنها أول من سمع كلام الله تعالى الأزليَّ في الحضرات الغيبية، بلا حرف ولا صوت. فكانت أولَ فاتح للمعارف الإلهية للأنبياء والمرسلين والملائكة عليهم السلام، ولطبقات الأولياء رضوان الله تعالى عليهم.

د- ومنها: أنها أول من شاهد جمال الربوبية كفاحا بدون مظهرية، لأن المظهر إنما يتوقف عليه في عالم المواد والتراكيب، ولا مواد ولا تركيب ثمة، إنما هناك عالم الصفا والأنوار، وانفجار الفيوضات الإلهية، وتدفق المواهب الطامة العيانية[1] على هذا الخليفة عن الله تعالى. فهاهنا جَمعت الحقيقة الأحمدية بين الرؤية والمكالمة.

هـ- ومنها: أنها أول من دخل لحضرات الأسماء والصفات، ووُوجه بحقائقها ثمة. فإنَّ بإفاضة كمالاتها وخصيصاتها عليه صار أعظمَ ممدوح في العالم وأعظم حامد، وأحمدَ أهل[2] الأكوان لربه جل ثناؤه، وعَلِم ربَّه تعالى هناك على سبيل المكاشفة والمعاينة التي لا يُضام فيها.

و- ومنها: أنه أول فاتح لأبواب التّبيان عن المرادات وما في ضمائر النفوس، كما قال أهل اللغة والأصول: "من الألطاف حدوث الموضوعات اللغوية بإحداثه تعالى، ليعبر

---

(1) في ط والعيانية.

(2) ساقطة من ط.

عما في الضمير"؛ أي: ليعبر كل من الناس عما في نفسه مما يحتاج إليه في معاشه ومعاده لغيره، حتى يعاونه عليه، لعدم استقلاله به. وهي في الدلالة على ما في الضمير أفيد من الإشارة والمثال -أي الشكل- لأنها تعم الموجود والمعدوم، وهما يخصان الموجود والمعدوم، وهما يخصان الموجود والمحسوس، وأيسر منها أيضا؛ لموافقتها للأمر الطبيعي دونهما. فإنها كيفيات تعرض للنفَس الضروري.

ومع هذا؛ إن الحقيقة الأحمدية لما كانت أول مخاطَب من الحق؛ يلزم أنها أول من سمع انفتاح قباب الحروف، التي أولها: الألِف. وهو أول مسموع قرع الآذان، كما أن أول حرف نطقنا به: الباء.

قلت: ولعله لأجل هذا افتُتحت به ديباجة القرآن؛ تذكيرا بما عاهدَنا عليه ربُّنا حتى لا ننسى العقود، فنَجِدُّ في الامتثال والاجتناب. كذا ظهر، وهو عجيب.

فالحقيقة الأحمدية هي: الفاتحة لرتق مجملات الحروف، كما كانت الفاتق لرتق مجملات الكمالات الإلهية التي بها ينتظم الكلام والعالم، ويعبّر بها عما في الغُيوبات من أعاظم المسائل وشريف الأبحاث.

إذ هو أول ما سمع: {ألست بربكم}. ولا يبعد أن تكون الإشارة بقوله عليه السلام: "أوتيت جوامع الكلم"[1] لهذا. فافهم. وإليه الإشارة بقوله تعالى: {الرحمان. علم القرآن. خلق الإنسان. علمه البيان}. [الرحمن/ 1-4]، أي: المنطق والفصيح، ليعبر عما في الضمير. وانظر كيف جعل تعالى تعليم البيان يلي في جانب الامتنان بأصل الخلق من العدم إلى الوجود.

(1) أخرجه أحمد في "مسنده" 250/2 عن أبي هريرة رضي الله عنه.

فلما قامت به هذه الكمالات، واكتنفته هذه الخصّيصات؛ ناسب أن يثني على الله تعالى بما هو أهله. فلما علم الله تعالى منه هذا القدر؛ مدحه بما لم يوجد في مخلوق مثله، بما نطق به لُسنُ[1] الأنبياء والمرسلين. والحال أنه الذي سماه به؛ وهو: أحمد. فيحتمل أنه: أحمد من حمده الحق سبحانه، ويكفي من أحمديته تعالى له: القرآن كله. فكله مدح له، إما بالتصريح أو التلويح، أو الكنايات أو الإشارات، أو التعريضات أو الإدماجات[2]، وهذا الأخير أغلب الآيات البينات القرآنية بعد الصراحات. ولذلك قيل:

مـدحَتكَ آيـاتُ الكتـاب، فـما عسـى ... يُثنـــي عـــلى عَليـــاك نظـــمُ مـــديحي؟
وإذا كتــــابُ الله أثنــــى مُفصـــحا ... كــان القصــور قصــارى كــل فصــيح!

وقيل:

يامصـــطفى مـــن قبـــل نشـــأة آدم ... والكـــون لم تفـــتح لـــه أغـــلاقُ
أيـــروم مخلـــوق ثنـــاءك بعـــدما ... أثنـــى عـــلى أخلاقـــك الخـــلاقُ؟

الأبيات لابن الخطيب، وأَخبَرَ بعد موته أنه غُفر له بسببها[3].

---

(1) اللُسن بضم أوله جمع لسان، وفي ط لسر وهو خطأ.

(2) قال جلال الدين القزويني في "الإيضاح" ص348: "ومنه الإدماج وهو أن يُضَمّن كلاما سيق لمعنى معنى آخر، فهو أعم من الاستتباع". اهـ. ثم ذكر له أمثلة فلتنظر.

(3) قال عماد الدين في "شذرات الذهب" 247/3 خلال ترجمة لسان الدين ابن الخطيب وذكر القصيدة التي منها هذه الأبيات: "وقد ريء فقيل له: ما فعل الله بك؟. فقال: غفر لي ببيتين قلتهما، وهما . . ."فذكر البيتين.

وصل

[النبي ﷺ هو مدد الأنبياء وأحمد الخلق لله تعالى]

قال في "المواهب"(1): "قيل: إن الله تعالى لما خلق نور نبينا سيدِنا محمد صلى الله تعالى عليه وآله وسلم - أي: أكمل خلقَه بإفاضة الكمالات والنبوءة عليه - أمره أن ينظر إلى أنوار الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فغشيهم من نوره ما أنطقهم الله به، وقالوا: ياربنا، مَن غشِيَنا نورُه؟. فقال الله تعالى: هذا نور محمد بن عبد الله، إن آمنتم به جعلتكم أنبياء. قالوا: آمنا به وبنبوته. فقال الله تعالى لهم: أُشهد عليكم؟. قالوا: نعم. فذلك قوله تعالى: {وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه}. [آل عمران/ 81] الخ الآية".

ويحتمل معنى: أحمد؛ أنه: أحمد الحامدين لربه، أي: لو جُلِّيتْ لنا في الخارج قوابل الأشياء واستعداداتها، وفحصنا عن تلك الحقائق؛ لوجدنا ثناآت هذه الحقيقة الأحمدية وأحمديتها للرب سبحانه أكثر من كل حمد يصدر في العالم، لا من الأنبياء ولا من الرسل ولا من الملائكة ولا ممن عداهم. لأن الثناء يكون بحسب الاطلاع على الكمالات والمحامد، ولا اطلاعَ أوسعُ من اطلاع الحقيقة الأحمدية، ولا انكشافَ أفسحُ من

(1) 33/1.

انكشافاتها، وهو يقول: "ما بال أقوام يتنزهون عن الشيء أفعله، والله إنى لأعرفكم بالله وأشدكم له خشية"[1].

وصل

[تقدم خلق الحقيقة الأحمدية هو سبب تقديمنا لها في الذكر]

فلأجل مراعاة هذه الأوَّليات وغيرها؛ أوثر التعبير **بأحمد** عن **محمد** في الأنموذجية الأحمدية. فنفس انتخاب العنايات الإلهية لحقيقته من بين الحقائق يكفي في تسميته بأحمد. فكيف[2] مع ملاحظة مراتب الشفوف الأُخَر؟.

والمراد من هذا: أن أول شيء من تلك الحقيقة تعلقت به العنايةُ الإلهيةُ أولى أن يُقدم بالذكر، فلذلك أوثر ما آثره الحق.

ثم ذكر في الأنموذجية "محمد" بعدُ في قوله: **"وصورة هيكله الجسماني"**[3]، فلعل لأجل هذا أَكَثَرَ الحقُّ سبحانه من ذكره في الكتب السابقة بأحمد إيثارا لأول خصائصه وأول كمالاته وأعظم مفاخره بالذكر، لأن بمثل هذه المفخرة تحصل له الهيمنة عليهم...وكذلك وقع في الأنموذجية، فإنه ذَكَرَ فيها **أحمد** ثم **محمد** كما بينا، فاعقل.

---

(1) رواه بهذا اللفظ البخاري في "صحيحه" 2263/5 ح 5750، إلا "أفعله" فعنده "أصنعه"، عن عائشة. وبلفظ مقارب عند مسلم في "صحيحه" عنها أيضا رضي الله عنها.

(2) في ط وكيف.

(3) فيه إشارة إلى أن مقصد المؤلف قدس سره بالهيكل الجسماني: الإشارة إلى الحقيقة المحمدية. فتأمل.

وصل

[من أسرار تعبير سيدنا عيسى عليه السلام بأحمد بدل محمد]

ولعله لأجل غلبة الروحانية على الجسمانية في سيدنا عيسى عليه السلام آثر الله سبحانه تسميته في كتابه الإنجيل بأحمد؛ لأنه أقرب مناسبة به. فلذلك ترجم عنه القرآن أنه قال: {ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد}. [الصف/ 6]، بخلاف غيره. ويكفي من قرب المناسبة أنه: مسمى بـ:"روح الله وكلماته"(1).

ومن أسماء هذه الحقيقة أيضا: "روح الحق"، وأيضا سيدنا عيسى - عليه السلام - لم يأت بعده إلا سيدُنا محمد عليه الصلاة والسلام، فكان سر إيثاره التعبير بأحمد عن محمد أنه يقول: إن هذا المبشَّر به أحمد منا معاشر أنبياء الله ورسله الذين درجنا قبله لربه جل أمره، ويلزم منه أنه: أعلم منا بربه.

وحُذِف المفضّل عليه؛ ليقع كمال الوهم في كل مفضّل عليه، كما في قولنا: الله أكبر، لينسحب على كل لسان. وهذا من الحور المقصورات في الخيام.

وفيه إشارة - أيضا - إلى أن سير هذه الحقيقة سير اجتبائي لا إنابي؛ لأنهم عمّروا قبله من السنوات الكثيرة ومع ذلك فاقهم في أقل أزمانه.

(1) في "الرقائق الغزلية" للمؤلف رحمه الله زيادة على ذكره هنا فلتنظر لفائدتها .

[أوليات النبي ﷺ بعد إرساله]:

وكما له أوليات في البدء له أوليات في العود:

أ- فهو أول من تنشق عنه الأرض[1]،

ب- وأول شافع، فلا يتقدمه ملك ولا نبي[2]،

ج- وأول مُشفَّع[3]، أي: مقبول الشفاعة،

د- وأول من يؤذن له بالسجود، فيسجد تحت العرش للشفاعة[4]،

هـ- وأول من ينظر لرب العالمين والخلق محـجوب عن رؤيته إذ ذاك حتى يراه قبلهم،

و- وأول الأنبياء يقضى بين أمته،

ز- وأولهم إجازة على الصراط بأمته[5]،

ح- وأول داخل للجنة[6]،

ط- وأمته أول الأمم دخولا إليها بعد دخول جميع الأنبياء[1]، فالأنبياء لهم دخولان: دخول خاص قبل جميع الأمم، ودخول عام مع أممهم.

---

(1) رواه البخاري في "صحيحه" 850/2 ح 2281 عن أبي سعيد الخدري.

(2) أخرجه الترمذي في "سننه" 587/5 ح 3616 عن ابن عباس.

(3) أخرجه الترمذي في "سننه" 587/5 ح 3616 عن ابن عباس.

(4) أخرجه البخاري في حديث الشفاعة الطويل عن أبي هريرة 1215/3 ح 3162.

(5) أخرجه البخاري في "صحيحه" 2704/6 ح 7000 ومسلم في "صحيحه" 164/1 ح 182 عن أبي هريرة.

(6) أخرجه مسلم في "صحيحه" 188/1 ح 196 عن أنس بن مالك.

ي- وأول من يقرع باب الجنة(2).

فباعتبار هاتين الأَوَّلِيَّتَيِن – أعني: في البدء والعود - خوطبت هذه الحقيقة في كل ذلك بما قام بها.

وصل

[حقيقة النبي ﷺ خوطبت باعتبار أولياتها بدءا وعودة]

فمن الاعتبار الأول: ما روى التلمساني في "حاشية الشفاء"، عن ابن عباس رضي الله عنهما رفعه: "نزل جبريل فسلم علي، فقال في سلامه: السلام عليك يا أول، السلام عليك يا آخر، السلام عليك ياظاهر، السلام عليك يا باطن. فأنكرت ذلك عليه، وقلت: يا جبريل؛ كيف تكون هذه الصفة لمخلوق مثلي، وإنما هذه صفة الخالق الذي لا تليق إلا به؟!. فقال: يا محمد؛ اعلم أن الله أمرني أن أسلم بها عليك، لأنه قد فضلك بهذه الصفة، وخصك بها على جميع النبيين والمرسلين: فشق لك اسما من اسمه، ووصفا من وصفه، وسماك بالأول؛ لأنك أول الأنبياء خَلقا، وسماك بالآخر؛ لأنك آخر الأنبياء في العصر، وخاتم النبيين إلى آخر الأمم، وسماك بالباطن؛ لأنه تعالى كتب اسمه مع اسمك بالنور

---

(1) هو مفهوم أحاديث كثيرة في البخاري 1746/4 ح 4435 ومسلم 185/1 ح 194 عن أبي هريرة ومنطوق رواية عند الطبراني في كتاب "الأوائل" بسنده إلى ابن عباس وجابر بن عبد الله قالا: "إن جبريل عليه السلام قال للنبي صلى الله عليه وآله وسلم: أول الأمم يدخل الجنة أمتك".

(2) أخرجه مسلم في "صحيحه" 188/1 ح 196 عن أنس بن مالك.

الأحمر في ساق العرش قبل أن يخلق أباك آدم بألفي عام إلى ما لا غاية له ولا نهاية، فأمرني بالصلاة عليك، فصليت عليك يا محمد ألف عام بعد ألف عام حتى بعثك الحق بشيرا ونذيرا، وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا. وسماك بالظاهر؛ لأنه أظهرك في عصرك هذا على الدين كله، وعرف شرعك وفضلك أهلُ السماوات والأرض، فما منهم من أحد إلا وقد صلى عليك. فربك محمود وأنت محمد، وربك الأول والآخر والظاهر والباطن، وأنت الأول والآخر والظاهر والباطن. فقال مولانا رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: الحمد لله الذي فضلني على جميع النبيين حتى في اسمي وصفتي".اهـ. ونقله أيضا الملا على القاري في "شرح الشفاء" أيضا.

ومن الاعتبار الثاني: ما أخرج ابن أبي الدنيا(1) مطولا عن عبد الله بن عمر، قال: "إن لآدم من الله عز وجل موقفا في فسيح(2) من العرش، عليه ثوبان أخضران كأنه نخلة سحوق، ينظر إلى من ينطلق به من ولده إلى الجنة والنار. فبينما آدم على ذلك؛ إذ نظر إلى رجل من أمة – سيدنا – محمد صلى الله تعالى عليه وآله وسلم، فنادى آدم: يا أحمد، يا أحمد...فيقول: لبيك يا أبا البشر. فيقول: هذا رجل من أمتك ينطلق به إلى النار. فأَشُدُّ الميزر وأسرع(3) في أثر الملائكة، فأقول: يا رسل ربي؛ قفوا!. فيقولون: نحن الغلاظ الشداد، لا نعصي الله ما أمرنا ونفعل ما نؤمر. فإذا أيس(4) النبي صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم؛ قبض على لحيته الشريفة بيده الكريمة اليسرى، واستقبل العرش بوجهه

---

(1) في كتاب "حسن الظن بالله" ص 93.

(2) في النسخة المطبوعة من "حسن الظن" فسح.

(3) وفيها أيضا: أهرع بدل أسرع.

(4) أيس ساقطة من ج وط.

العظيم، فيقول: رب قد واعدتني ألا تخزني في أمتي؟. فيأتي النداء من قبل العرش: أطيعوا محمدا وردوا هذا العبد إلى المقام. فأُخْرِج من حُجْزَتِي[1] بطاقةً بيضاء كالأنملة، فألقيها في كفة الميزان اليمني، وأنا أقول: بسم الله، فترجح الحسنات على السيئات. فيُنادى سَعِد وسَعِد جدُّه، وثقلت موازينه، انطلقوا به إلى الجنة. فيقول: يا رسل ربي؛ قفوا حتى أسأل هذا العبد الكريم على ربه سبحانه. فيقول: بأبي أنت وأمي؛ ما أحسن وجهك وأحسن خلقك من أنت؟، فقد أقلتني عثرتي ورحمت عبرتي. فأقول: أنا نبيك محمد، وهذه صلواتك التي كنت تصلي علي وافتك أحوج ماتكون إليها".اهـ وذكره القشيري في تفسيره أيضا.

ومن الاعتبار الثاني أيضا: أخرج الزبير بن بكار في "أخبار المدينة" وأبو نعيم في "الدلائل" عن ابن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: "صفتي: أحمد المتوكل، مولده بمكة ومهاجره إلى طيبة، ليس بفظ ولاغليظ، يجزي بالحسنة السيئة ولا يكافئ بالسيئة، أمته حمادون يأتزرون على أنصافهم ويوضئون أطرافهم، أناجيلهم[2] في صدورهم، يُصفُّون للصلاة كما يصفون للقتال، قربانهم الذي يتقربون به إليّ دماؤهم، رهبان بالليل ليوث بالنهار"[3].

---

(1) حجزة الإزار جنبته. وقيل: حجزة الإنسان معقد السراويل والإزار. انظر "لسان العرب" 332/5.

(2) جمع إنجيل وهو الكتاب الذي يُتلى.

(3) رواه أيضا عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه الطبراني في "المعجم الكبير" 89/10، وقال الهيثمي في "مجمع الزوائد"271/8: "وفيه من لم أعرفهم".اهـ. قلت: لكن رمز السيوطي لحسنه كما في "الجامع الصغير" ووافقه المناوي في "الفيض"195/4 وأقرهما الحافظ الغماري في "المداوي" بترك التعقيب عليهما. ولعل الثلاثة عرفوا من لم يعرفهم الحافظ نور الدين.

وأخرجه قريبا من هذا اللفظ: ابن أبي عاصم في كتاب "السنة" 306/1 عن أنس في قصة طويلة، والديلمي في "مسند الفردوس" 400/2 عن جابر بن عبد الله.

وأخرج أبو نعيم(1) عن سعيد بن أبي هلال، أن عبد الله بن عمر قال لكعب: "أخبرني عن صفة – سيدنا – محمد صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وأمته. قال: أجدهم في كتاب الله أن أحمد وأمته: حمادون يحمدون الله تعالى على كل خير وشر، يكبرون الله على كل شرَف، يسبحون الله في كل منزل، نداؤهم في جو السماء، لهم دويٌّ في صلاتهم كدوي النحل في الصخر، يصفُّون في الصلاة كصفوف الملائكة، ويصفون في القتال كصفوفهم في الصلاة، إذا غزوا في سبيل الله كانت الملائكة بين أيديهم ومن خلفهم برماح شداد، إذا حضروا الصف في سبيل الله كان الله سبحانه عليهم مظلا كما تظل النسور على وكورها، لا يتأخرون زحفا أبدا حتى يحضرهم جبريل عليه السلام".

وأخرج عبد بن حميد وابن أبي حاتم وأبو الشيخ(2) عن قتادة قال: "قال موسى: رب؛ إني أجد في الألواح أمة هم الآخرون السابقون يوم القيامة: الآخرون في الخلق، السابقون في دخول الجنة. فاجعلهم أمتي. قال: تلك أمة أحمد. قال: رب؛ إني أجد في الألواح أمة خير أمة أخرجت للناس، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالله؛ فاجعلهم أمتي. قال: تلك أمة أحمد. قال: رب؛ إني أجد في الألواح أمة يؤمنون في الكتاب الأول والكتاب الآخر، يقاتلون فضول الضلالة حتى يقاتلوا الأعور الكذاب؛ فاجعلهم أمتي. قال: تلك أمة أحمد. قال: رب؛ إني أجد في الألواح أمة أناجيلهم في قلوبهم يقرأونها – قال قتادة: وكان مَن قبلكم إنما يقرأون كتابهم نظرا، فإذا رفعوها لم يحفظوا منها شيئا ولم

---

(1) "حلية الأولياء" 386/3.

(2) لم أجده عند عبد بن حميد في مسنده ولا عند ابن أبي حاتم في "علله" ولا عند أبي الشيخ في كتاب "العظمة"، ولعله عندهم في غيرها، وإنما ذكرت هذه الكتب لهم خاصة لأنه إذا تم العزو إليهم بإطلاق يقصد منه تلك الكتب، والله أعلم. ولكني رأيت الطبري أسنده في "تفسيره"65/9 إلى قتادة، ولا يخفى أنه مرسل من قبيل المتصل لا يقال بالرأي، إن لم يكن من رواية الإسرائليات. وقد استوعب السيوطي تخريجه في "الدر المنثور" 552/3 إلى 558/3.

يعوه، وإن الله أعطاكم أيتها الأمة من الحفظ شيئا لم يعطه أحدا من الأمم قبلكم، فالله خصكم بها وكرامة[1] أكرمكم بها- قال: فاجعلهم أمتي. قال: تلك أمة أحمد. قال: رب إني أجد في الألواح أمة صدقاتهم يأكلونها في بطونهم ويؤجرون عليها- قال قتادة: كان من قبلكم إذا تصدق بصدقة فقبلت منه؛ بعث الله عليها نارا فأكلتها، وإن رُدت؛ تركت فاكلتها السباع والطير، وإن الله تعالى أخذ صدقاتكم من غنيكم لفقيركم رحمة رحمكم بها، وتخفيفا خفف به عنكم - فاجعلهم أمتي. قال: تلك أمة أحمد. قال: رب؛ إني أجد في الألواح أمة إذا هَمَّ أحدهم بحسنة ثم لم يعملها؛ كتبت له حسنة، فإن عملها؛ كتبت له عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، قال: فاجعلهم أمتي. قال: تلك أمة أحمد. قال: رب؛ إني أجد في الألواح أمة إذا همّ أحدهم بسيئة لم تكتب عليه حتى يعملها فإذا عملها كتبت له سيئة واحدة؛ فاجعلهم أمتي. قال: تلك أمة أحمد. قال رب؛ إني أجد في الألواح أمة المستجيبون والمستجاب لهم، فاجعلهم أمتي. قال: تلك أمة أحمد - قال قتادة: فذُكر لنا أن نبي الله موسى نبذ الألواح، وقال: اللهم؛ إذن فاجعلني من أمة أحمد. قال: - فأعطي اثنين لم يعطهما. {قال يا موسى إني اصطفيتك على الناس برسالتي وبكلامي}. [الأعراف/ 144]. قال: فرضي نبي الله. ثم أعطي الثانية: {ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون}. [الأعراف/ 159]، قال: فرضي نبي الله موسى كل الرضى".

وأخرج هذا الحديث - أيضا - بمعناه أبو الشيخ[2] عن قتادة. وأخرجه[1] أيضا بمعناه عن ابن عباس بأبسط من الرواية المتقدمة. وأبو نعيم[2] في "الدلائل" عن أبي هريرة، وعن عبدالرحمن المغافري[3] بمعناه أيضا.

---

(1) في ط وكرامته.

(2) ينظر "الدر المنثور" للسيوطي 552/3.

فهذا ما عُرف في طريق السياحات السرية وضعناه لأهل الإنصاف، ليعلموا أن الذين يجحدون فتح الرب جل أمره إنما حُجِّر عليهم، فظنوا أن الناس كذلك. ولكن الله يمن على من يشاء من عباده.

{وأفوض أمري إلى الله بصير بالعباد}

[سر العدول في الصلاة الإبراهيمية من أحمد لمحمد]:

فإن قلت: ومع هذا كله؛ فحيث كان التعبير بمولانا أحمد فيه هذه الأسرار البواهر، واللطائف الزواهر؛ فلِمَ لَمْ يُذكر في الصلاة الإبراهيمية؟، فنحتاج لكلام ظاهر يفهم منه سر العدول عن التعبير بمولانا أحمد إلى التعبير بسيدنا محمد.

قلت: على الخبير سقطت، وعلى العارف عثرت، فاصغ إلى السر في ذلك بأُذن واعية، وأَصخِ[4] بقلوب نورانية تظفر وترشد، وتعلم وتعرف وتطلع، وتسترح وتقف {إن في ذلك لعبرة لمن يخشى}. [النازعات/ 26]:

اعملوا أنه لما برز عليه الصلاة والسلام بجسمه الكريم في الملك داعيا إلى الله بإذنه، مكث نحوا من ستة عشر عاما وقريش معه في المنازعات والمعارضات والمحاربات

(1) ينظر "الدر المنثور" للسيوطي 553/3.

(2) ينظر "الدر المنثور" للسيوطي 556/3.

(3) ينظر "الدر المنثور" للسيوطي 557/3.

(4) قال في "لسان العرب" 35/3: "أصاخ له يصيخ إصاخة: استمع وأنصت لصوت".

والردود، ولم يأذنه الله بالجهاد لمصالح. والأجوبة السماوية تترا بحسب قوابلهم واستعداداتهم على ما تعلمه من تصفح وجوه القرآن الكريم. فكان عليه الصلاة والسلام لا يطمع منهم إذ ذاك أن يشهدوا له فوق ما يعلمونه من وصفه المذكور في الكتب، وذلك قوله تعالى: {الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل}. [الأعراف/ 157]. وبلغ من تجهيلهم ومغالطتهم أنفسهم وتغليطهم غيرهم أن وصف حالهم سبحانه فقال: {تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا وعلمتم ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم}. [الأنعام/ 91]، وقال: {يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وإن فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون الحق من ربك فلا تكونن من الممترين}. [البقرة/ 146، 147].

فلما كانت قريش بهذه المثابة من الشرود عن الله تعالى وعن رسوله الأكرم، واكتفى منهم سبحانه - حسبما اقتضاه وصولهم إلى الأجل المستقر - بأن يُقِرُّوا له بما تواطأت عليه ألسنة الأنبياء والمرسلين والكتب الإلهية، وهو مقتضى تحميده بألسنة الخلائق، ومدلوله هو: محمد. وخصوصا متبوعيهم من أنبياء بني إسرائيل، وخصوصا كليم الله عليه السلام، فهو موصوف عندهم في التوراة والإنجيل كما في القرآن، إلا أنهم كما قال تعالى: {يحرفون الكلم من بعد مواضعه}. [المائدة/ 41].

وانظر لما حوججوا بهذه الحجة، وهي: أنه مذكور في الكتب السالفة، وخصوصا توراتهم؛ خرجوا إلى واد الهذيان والمكابرات، فقالوا: {ما أنزل الله على بشر من شيء}. [الأنعام/ 91]، حتى لا تقوم عليهم الحجة. فحوججوا بقوله تعالى منكرا عليهم في صورة التعجب: {من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا}. [الأنعام/ 91]. وانظر كيف حافظ تعالى على رئاستهم

حتى لا يغتاظوا فلا ينقادون لقبول ما ألقى إليهم، فقال: {الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس} ، فمدح كتابهم، وهو كذلك، وكذلك ينبغي للمحاجج إذا كان حكيما.

فلما كانوا بهذه المثابة؛ لم يحوجهم إلى فوق ما أطبقت عليه كتبهم، وهو: كونه محمدا في السماء والأرض، و[1] في الكتب السماوية.

وتأمل ما[2] في "الصحيح"[3] من قوله عليه السلام: "ألا تعجبون كيف يصرف الله تعالى عني شتم قريش ولعنهم، يشتمون مذمما ويلعنون مذمما وأنا محمد؟!". ينقشعْ عنك الغبار، وتدخلْ مداخل الأبرار. فإنه يشير إلى أنهم هلا عاملوه بمقتضى ما وجدوه في كتبهم لا غير؟، فيريحوه من المشاغبات والمناقضات. فإن كفار قريش بلغوا من شدة كراهيتهم في سيدنا محمد صلى الله تعالى عليه وآله وسلم أنهم كانوا لا يسمونه باسمه الدال على المدح، فيعدلون إلى ضده فيقولون: مذمم. ومذمم ليس باسمه ولا يعرف به، فكان الذي يقع منهم في ذلك مصروفا إلى غيره. مع أن اسمه: محمد. وهو: كثير الخصال الحميدة. وفي الأمثال المشهورة: "الألقاب تنزل من السماء".

ومن كانوا بهذه المثابة لا يُطمع فيهم أن يمدحوه بأحمد، أي: أحمد الحامدين لربه سبحانه. والأحمدية تستلزم كمال المعرفة، فإذا هو أعرف الأنبياء والمرسلين، وإباء نفوسهم إذ ذاك تمنعهم من هذا الإقرار عنادا. فاعقل.

---

(1) الواو ساقطة من ط.

(2) ما ساقطة من ط.

(3) "صحيح البخاري" 1299/3 ح 3340 عن أبي هريرة.

ومما يدلك على هذا: ما في "الصحيح"[1] في تفسير قوله تعالى: {قل لا أسئلكم عليه أجرا إلا المودة في القربى}. [الشورى/ 23] عن ابن عباس في كتاب "التفسير" في {حم. عسق}، عن عبد الملك بن ميسرة قال: "سمعت طاووسا، عن ابن عباس أنه: سئل عن قوله تعالى: {إلا المودة في القربى}، فقال سعيد بن جبير: قربى آل محمد. فقال ابن عباس: عجلت، إن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم لم يكن بطن من قريش إلا كان له منهم قرابة، فقال: إلا أن تصلوا ما بيني وبينكم من القرابة".

وأخرجه الترمذي[2] أيضا في التفسير عن ابن بشار به، وقال: حسن صحيح.

وأخرجه النسائي[3] فيه عن إسحاق بن إبراهيم، عن عبد ربه.

والمعنى: قل يا محمد: لا أسألكم عليه، أي: لا أطلب من هذا التبليغ المال والجاه، ولا نفعا عاجلا ولا مطلوبا حاضرا. لئلا يتوهم أنه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم يطلب حظا من الحظوظ. إلا أن تودوا القرابة التي بيني وبينكم، أي: إذا لم تلاحظوا نبوة ولا رسالة، ولا كونكم ما جربتم علينا كذبا، حتى قال الداهية هرقل[4]: "وما كان ليذر الكذب على الناس ويكذب على ربه". ولا التفتم بعقولكم فتجدون أن الأمور التي آمركم بها عليها صلاح الناس وصلاح مابينكم، ونجاة مهجكم من المتالف والمضار؛ فلاحظوا أني من بطون رحمكم، فتهزكم أريحية القرابة الطينية فتراعوها.

---

(1) "صحيح البخاري" 1819/4 ح 4541.

(2) "سنن الترمذي" 377/5 ح 325.

(3) أي في "التفسير" من "السنن الكبرى" 453/6 ح 11474، لكن النسائي رواه عن إسحاق بن إبراهيم، عن محمد بن جعفر، لا عن عبد ربه. والله أعلم بالصواب، فهل عبد ربه هو محمد بن جعفر؟.

(4) قصة هرقل مع أبي سفيان بن حرب رواها البخاري في أول "الصحيح" 8/1 ح 7.

وليت شعري؛ مَن يحتاج مع قومه إلى هذا التنزل، وما فاوضهم هذه المفاوضة حتى شغرت دواعيهم من الإقبال على الله تعالى، كيف يُلْزِمهم أن يُصلُّوا عليه إذا صلوا عليه بأحمد وهم لم يسلموا كونه محمدا عندهم، فضلا عن كونه أحمدهم، فضلا عن أحمديته للبشر، فضلا عن أحمديته للملائكة وكل ما دون الله؟.

[كم من أمر في الشريعة زال سببه وبقي حكمه]:

فإن قلت: كان يلزم من هذا: أنه لما استفحل الإسلام، وزال هذا السبب؛ أن يزول هذا المبنى.

قلت: كم من أمر زال سببه وبقي حكمه في هذه الشريعة.

فهذا السر النهاري في الصلاة، إنما أمروا به لأجل ما كان يتوقع من قوله تعالى: {ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم}. [الأنعام/ 108]، لأنهم كانوا يسمعون سب آلهتهم في الصلاة الجهرية النهارية في أول الإسلام، فلما عرض هذا العارض انتفى ذلك. وأمروا بقوله تعالى: {ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا}. [الإسراء/ 110]. وأمروا بالجهر ليلا؛ لأنهم كان لا يمكنهم استراق السمع إذ ذاك...وهلم جرا من المثل إن كانت لك يد بيضاء في الشريعة المطهرة[1].

(1) ومن أشهر ذلك أيضا أنهم رخص لهم في قصر صلاة السفر مخافة العدو، ولكن بعدما زال السبب بقي الحكم قائما إلى قيام الساعة. ففي "صحيح مسلم" 478/1 ح 686 عن يعلى بن أمية قال: قلت لعمر بن الخطاب: {ليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا} فقد أمن الناس؟. فقال: "عجبتُ مما عجبتَ منه، فسألت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن ذلك؟. فقال: "صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته".

[خطاب القرآن ليس مختصا بالصحابة إنما لجميع العوالم]:

فإن قلت: والمخاطَب في الحقيقة هو الصحابة، إذ هم الذين قالوا: كيف نصلي عليك؟، فلا يضر أن لو آثر – عليه الصلاة والسلام – التعبير بأحمد على هذا، لأنهم من الله تعالى على بصيرة.

قلت: هذا السؤال مهمل بلا جواب له عند العقلاء، ومقتضاه: أن لا ينزل من القرآن الكريم إلا القدر المشتمل على الأحكام، وأما ثلثا القرآن من الأقاصيص فلا يحتاجون إليها، مع أن الله تعالى يقول للرسول الأكرم: {وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك}. [هود/ 120]، فضلا عمن عداه. فاعقل.

مع أن هذا المتشكك لو رُشَّت عليه رَشاشات من النور؛ لوجد أن المخاطب بالقرآن الكريم جميع قوابل أهل الأرض، لا خصوص معاصري زمن الوحي حتى يخاطب الرسول الصحابة بما تقتضيه جلالتهم وخالص إيمانهم، بل الخطاب بالقرآن لهم ولكل نسمة في الأرض. ولذلك تجد خطابات للقرآن الكريم متنوعة، مرة هكذا ومرة هكذا، حتى يظن الظان أن بين الموضع الفلاني وبين الموضع الفلاني تعارضا وإشكالا،

ومن ذلك أنه: صلى الله عليه وآله وسلم همَّ بهدم الكعبة لولا حداثة عهد الناس بالجاهلية، كما في "صحيح البخاري" 464/6 ح 6816 إدخال الحِجر في البيت وإلصاق بابه بالأرض، إلا أنه صلى الله عليه وآله وسلم لم يفعل ذلك ولو مع زوال مانعه، الذي هو حداثتهم بالجاهلية...

ومن ذلك: سنة الاضطباع في الطواف. قال ابن خزيمة في "صحيحه" 211/4: "باب ذكر الدليل على أن السنة قد كان يسنها النبي صلى الله عليه وآله وسلم لعلة حادثة، فتزول العلة وتبقى السنة قائمة إلى الأبد، إذ النبي إنما رمل في الابتداء واضطبع لِيُري المشركين قوته، وقوة أصحابه". فبقي الاضطباع والرمل سنتان إلى آخر الأبد. والسنة مليئة بهذا كثيرا، وما ذكر عنوان عليه، وهذا مقرر في كتب الأصول أيضا.

ويحتاجون للأجوبة عن ذلك. وذلك كله ذهول عما قلناه آنفا من أن خطابات القرآن الكريم تَتَلَوَّن وتتعدد بحسب مراتب القوابل والأزمان والأعصار، ولا يعذر مؤمن في فهم هذا فضلا عن عالم ومفسر. ولكن:

ومـــا أثـــلاثُ القـــدس إلا لأهلهـــا ومـــا كـــل إنســـان بواديهـــا يسرـــح

وبهذا تعلمُ معنى: {ما فرطنا في الكتاب من شيء}. [الأنعام/ 38]، ومعنى قول سيدنا علي كرم الله وجهه: "القرآن أبو اللسن، فإذا جادلتموهم فجادلوهم بالسنن". فافهم واعقل. وهكذا فاغزل الرقائق، وخض في تيار الحقائق، وإلا؛ دونك والرسوم.

وبهذا تعلم أنا ما فاتنا في الأنموذجية الأسرارُ المنطوية في الاسم المحمدي في الإبراهيمية، بل حُزنا تلك الأسرار المنطوية فيه، وزدنا باطلاع على زيادات أسرار محمدية فاتت من لم ينخرط في سلك أهل الله تعالى.

وكلُّ من لم يخالطْ الأكابر ويسمعْ منهم العلوم القريبة العهد من الله، المختلسة من الكتاب والسنة، ويداخلْهم في مداخلهم، ويعلمْ ما هم عليه حتى يتحقق بمثل ما تحققوا؛ فكأنه ما خرج إلى الدنيا إلى الآن. وسيعلم ذلك من لم يتحققه هنا يوم تبلى السرائر، فإن المراتب في الآخرة على حسب المعرفة بالله تعالى المعرفة الخاصة في الدنيا، لأن هذا العالم الدنيوي بمثابة المقدمات، والنتائجُ إنما تظهر ثمة لاغير.

ولهذا؛ تجد العالِمَ إذا أشرف على كمال عقله، وحصلت له يقظة وأوبة إلى الله تعالى خاصة، وإنابة حملته على تطلب الشيخ الحي الفرد المحمدي ليدخل تحت ألويته، ويفطم على يديه، ويتخرج عليه، ولا يقنع بما عنده من العلم. مع أن ذلك الشيخ الذي دخل

تحت حضانته ربما لا يكون في قُعْدُده في العلوم الظاهرية، ومع ذلك ينسلخ عنها ويتقيد به ويلزم عتباته.

[الناس لم يحيطوا لا بالحقيقة المحمدية ولا الأحمدية]:

ثم إني رأيتك استدللت على أن لمعرفة الناس بالمحمدية وعدم معرفتهم بالأحمدية تصرفوا في حروف محمد دون أحمد؟.

قلت لك: ولقد ألزمت الأمة المحمدية شططا، وأوقفتهم موقفا هائلا، تحار فيه قطا العرفان، حيث ألزمتهم أنهم عرفوا المحمدية، مع أن أكابر الصحابة ما عرفوا منها إلا ظلها، كما قال سيدنا أويس القرني للخليفتين بعد مولانا رسول الله: "والله ما رأيتموه إلا كالسيف في غمده".

كما أنك ألزمتهم أنهم لا يعرفون أحمد، ولذلك لم يتصرفوا في حروفه، وهذا من عدم التطلع على مرمى الأسرار، والتحجب بحجب الكثافات والأغيار.

فإن العلماء ما تصرفوا في حروف محمد لمعرفتهم بالمحمدية، وإنما تلك تلميحات وإشارات، وتلويحات ورموز يشحذون بها الأذهان، ويتغزلون بها في ذلك الجناب، ويَسترِوحون[1] منها جمعيةَ ذلك الجناب الكريم لكل مكرمة وفضيلة، وإنه مقابَل بحروفه الرسمية للعالمَيْن العلوي والسفلي، والكونين الدنيا والآخرة، فكيف بمسماه العظيم صلوات الله وسلامه عليه؟. هذا قصدهم بذلك لا غير.

---

(1) في ج يتروحون.

وإذا كان هذا على الحقيقة هو قصدهم؛ فلا عليهم أن يترققوا أيضا في حروف الاسم أحمد، حيث كان الجامع بينهما هو: الاسترواحات وإنتاج اللطائف، واستيلاء القرائح في كلٍّ، مع عدم المعرفة الحقيقية، لا بالحقيقة الأحمدية ولا بالمحمدية. وحيث نفيت معرفتهم الأحمدية – ولذلك لم يتصرفوا فيها– ما قصدك بالمعرفة التي أثبتها لهم للحقيقة المحمدية إلا معرفة الكنه والحقيقة.

مع أن الحقيقة المحمدية لا سبيل للتسور على أول لبنات ذلك المحراب، ولا للتطلع على شم روائح ذلك الجناب:

وكيــف يــدرك في الــدنيا حقيقتــه   قــوم نيــام تســلوا عنــه بــالحلم

فأنَّى لك – يا بغيض – ولهم بذلك؟، فلقد طلسَمَت العناية الإلهية على الحقيقة المحمدية أن تُعرف، وأكَنَّتها الغيرة السبحانية أن توصف، وأبطنتها تحت سجاف[1] الجسمانية الكونية، وسترتها تحت ميادين الأكناف الحسية:

ستر الحسن منه بالحسن، فاعجب   لجمال له الجمال وقاء[2]

فمن أين للعارفين أن يعرفوا المحمدية ولا يقدرون أن يدعوا ذلك؟، وإنما ألبستهم طوق التجريح حيث ألزمتهم الوصول لذلك الحي وهو ممتنع الوصول. إنما عرفت الناس منه رشحات ولمعات.

وكذلك الأحمدية قد يعرف الناس منها غمرات وغرفات ورشقات.

---

(1) في "لسان العرب" 144/9: السجف الستر.

(2) من القصيدة الهمزية للبوصيري رضي الله عنه.

والفضل أجزل والمواهب أوسع[1]

فانظر كيف أردت أن تطعن في طائفتنا الكتانية فوقعت في الطعن في الجناب المحمدي، حيث أقررت أن العارفين عرفوه على الحقيقة حقيقةَ!.

وفي هذا: أن كمالاته المحمدية محصورة ومقيدة ومعقولة، وفي هذا عندي من الجهل به عليه الصلاة والسلام ما لا يكفره حتى قصيدة اشتملت على سبعة آلاف بيت في مدح آل البيت النبوي، وذكر ما لهم من الخصائص على جملة الخلق، وذكر الفروق التي بينهم وبين الناس، كما ألم بذلك أهل النظر وأهل النور في كتبهم ومجالسهم. فكيف وقد زدت مع هذا أن أطلقتَ عَذْبة اللسان في آل بيته النبوي الذين محبتهم ومودتهم واجبة وجوب الأعيان بإجماع من يعتد به؟.

على أن إلزامك أن الناس عرفوا كمالاته عليه الصلاة والسلام على الحقيقة لم[2] يلتزمه لا أرباب المعقول والنظر، ولا أرباب الكشوفات العرفانية، ولا أرباب الهذيانات العامية. وإنما لما رأيتم طائفتنا هذه المحمدية الكتانية خصهم المولى بأعظم كرامة، وهي: خوضهم في بعض الأبحر والجداول والأنهار والسواقي الأحمدية؛ غصصتَ بريقك[3] حيث وجدتهم تفطنوا لما فات غيرَهم، وسقوا مما لم يصلوا إليه بفكر ولا عقل ولا تخمين ولا مجاهدة، وأعطوا بمكيال كُسِّرت به المكاييل، وأفيضت عليهم[4] من سجال العطايا ما

(1) هو عجز بيت مشهور، صدره: حاشا لجودك أن تقنط عاصيا .

(2) في ط لمن.

(3) في ج جاءت هذه العبارة هكذا: "بغصُص بريقه: مِن غص" .

(4) في ط عليه.

كانوا به الشامات البيض في الشعرات السود(1). وكان أعرجهم وجيها عند الله تعالى وسكان مملكته، وأعمشهم مقبولا، ومظلمهم نيرا عند الله سبحانه؛ لِما أن العطايا ليست بسبب ولا تَفَعُّل، وإنما هي من رب الأرباب مسبب الأسباب. جل حكم الأزل أن ينضاف إلى العلل، إلى المشيئة يستند كل شيء ولا تستند هي إلى شيء.

إلهي؛ أنت الغني بذاتك عن أن يصل إليك النفع منك، فكيف لا تكون غنيا عني؟. وأين كنا حين واجهتنا عنايته وقابلتنا رعايته؟، لم يكن في أزله إخلاص أعمال، ولا وجود أحوال. بل لم يكن هنالك إلا محض الإفضال وعظيم النوال.

ولكن لما علم أن العباد يتشوفون إلى ظهور العناية؛ قال سبحانه: {يختص برحمته من يشاء}. [البقرة/ 105]، وعلم أنه لو خلاَّهم وذلك لتركوا العمل، فقال: {إن رحمت الله قريب من المحسنين}. [الأعراف/ 56].

ثم لنرجع ولنقل لك يا بغيض: إن جميع أسرار الحروف(2) التي ذكرتها نقلا عن الناس، كلُّها تأتي في حروف أحمد، لولا الألف. فلو جعلت في موضع ميم محمد ألِفا؛

---

(1) صدق والله الإمام المؤلف في كل ما أتى به هنا، ولأكبر شاهد على ذلك هو نفسه رضي الله عنه، حيث إنه تكلم بأسرار وعجائب وفرائد وغرائب، وطرق أبوابا وفتح مغلقات، وخاض في علوم وكرع من كل الفنون وهو حدث، ما لم نسمع بحصول معشاره للمعمرين من أهل العلم شرقا وغربا... وما ذلك إلا لأنه من لدن حكيم عليم. وصدق والله الإمام المؤلف رضي الله عنه في كل ما ذكر بشواهد آثاره من أبنائه وأحفاده وأحفادهم، الذين عمروا المكتبة الإسلامية وأغرقوها أبحاثا نفيسة، ومعارف وعلوما بينهم حبيسة {والله ذو الفضل العظيم}.

(2) قال في "كشف الظنون" 650/1 عن علم الحروف: "علم الحروف والأسماء: قال الشيخ داود الأنطاكي: وهو علم باحث عن خواص الحروف إفرادا وتركيبا. وموضوعه الحروف الهجائية. ومادته الأوفاق والتراكيب. وصورته تقسيمها كما وكيفا وتأليف الأقسام والعزائم وما ينتج منها. وفاعله المتصرف. وغايته التصرف على وجه يحصل به المطلوب إيقاعا وانتزاعا. ومرتبته بعد الروحانيات والفلك والنجامة". انتهى.

وقال ابن خلدون في "المقدمة": "علم أسرار الحروف وهو المسمى لهذا العهد بالسيميا، نقل وضعه من الطلسمات إليه في اصطلاح أهل التصرف من المتصوفة، فاستعمل استعمال العام في الخاص. وحدث هذا العلم بعد الصدر الأول عند ظهور الغلاة منهم وجنوحهم الى كشف حجاب الحس وظهور الخوارق على أيديهم والتصرفات في عالم العناصر. وزعموا أن الكمال

لصارت أحمد، ولو جعلت في موضع ألف أحمد ميما؛ لصار محمدا. فجميع ما ذكروا ولم يذكروا مما هو في الكتب التي نقلت عنها كله يقرَّر[1] في أحمد من باب لا فرق.

هذا؛ ولو نظرت ختمتنا[2] على الإمام البخاري وقد تكلمنا فيها في عشرة كراريس على أسرار هذين الاسمين، وتكلمنا فيها من ستة وعشرين علما؛ لرأيت ما يحيرك، ثم يبهتك، ثم يدهشك، ثم يخرسك!!. وقد أمليناها بمنة من له الكبرياء في السماوات والأرض، وبفيض من أرسل رحمة للعالمين، من الغلس إلى الزوال عن ظهر قلب، بدون تلكؤ ولا تلعثم ولا تراجع، ولم نقتصر[3] على الحريْفات التي ذكرتها عن "شرح الدليل"، و"شرح الهمزية"، وهوّلت بها وما استحييت، ومن بيت النبوة خرج ذلك وإليها يرجع.

الأسمائي مظاهره أرواح الأفلاك والكواكب، وأن طبائع الحروف وأسرارها سارية في الأسماء فهي سارية في الأكوان، وهو من تفاريع علوم السيميا لا يوقف على موضوعه ولا يحاط بالعدد مسائله. تعددت فيه تآليف البوني وابن عربي وغيرهما"...

"وحاصله عندهم وثمرته: تصرف النفوس الربانية في عالم الطبيعة بالأسماء الحسنى والكلمات الإلهية الناشئة عن الحروف المحيطة بالأسرار السارية في الأكوان. ثم اختلفوا في سر التصرف الذي في الحروف بم هو؟. فمنهم من جعله للمزاج الذي فيه وقسم الحروف بقسمة الطبائع الى أربعة أصناف، كما للعناصر فتنوعت بقانون صناعي يسمونه التكسير. ومنهم من جعل هذا السر للنسبة العددية فإن حروف ابجد دالة على أعدادها المتعارفة وضعا وطبعا للأسماء أوفاق كما للأعداد، يختص كل صنف من الحروف بصنف من الأوفاق الذي يناسبه من حيث عدد الشكل أو عدد الحروف وامتزج التصرف من السر الحرفي والسر العددي، لأجل التناسب الذي بينهما. **فأما سر هذا التناسب الذي بين الحروف وأمزجة الطبائع أو بين الحروف والأعداد فأمر عسر على الفهم إذ ليس من قبيل العلوم والقياسات وإنما مستنده عندهم الذوق والكشف**".

"قال البوني: ولا تظنن أن سر الحروف مما يتوصل إليه بالقياس العقلي وإنما هو بطريق المشاهدة والتوفيق الإلهي. وأما التصرف في عالم الطبيعة بهذه الحروف والأسماء وتأثر الأكوان عن ذلك فأمر لا ينكر لثبوته عن كثير منهم تواترا... وقد يظن أن تصرف هؤلاء وتصرف أصحاب الطلسمات واحد وليس كذلك... ثم ذكر الفرق بينهما وأطال".

(1) في ط يقدر.

(2) "ختمة البخاري" من سبعة وعشرين علما، أملاه رضي الله عنه من حفظه في جامع القرويين عند ختمه شرح صحيح البخاري من الضحى إلى الظهر، وطبع عام 1318.

(3) في ط ولا نقتصر.

[معان في حروف الاسم "أحمد" يتميز بها عن "محمد"]:

على أن حروف الاسم الكريم **أحمد** ازدادت بإشارات وتلويحات ليست في الاسم المحمدي[1].

فمنها: أن الألف في "أحمد" عدد حروفه هي عدد حروف القطب. [فالقاف بمائة، واللام بثلاثين هي: مائة وثلاثون، والطاء بتسعة، والباء باثنين، والألف بواحد، وألف الفاء بثمانين، واللامان بستين، مائة وأربعون، والألف بواحد هو: واحد وأربعون ومائة][2].

فأول حروف أحمد – وهو: الألف – إشارة إلى أن أول مرتبة من مراتبه الكمالية الأحمدية قطبُ الكمالات، وعنها تفاض الأسرار الكاشفات، ويستمد منها مراتب النبوات والرسالات، وتستضيء من حقائقها مراتب الملكيات وطبقات الولايات.

وقطعا؛ لا يكون قطب الكائنات إلا وقد اشتملت حقيقته على جميع ما فيهم من الأسرار والكمالات، وهذا هو مقتضى كون حروف "محمد" عدد الرسل عليهم الصلاة والسلام. فانظر كيف جميعُ ما فُصل في حروف الاسم الشريف محمد، كلُّه جمعه سر الألف من الاسم العظيم أحمد، مع ما ذكره العارفون فيه ومالم يذكروه.

(1) قال الإمام المؤلف رحمه الله في "الرقائق الغزلية": "فإن قلت: ما السر في الإتيان بحروف أحمد كلها نورانية ما عدا الدال فإنه حرف ظلماني؟. قلت: لا شك أن جوهره اللطيف لم يظهر لبسيطة كرة العالم من حيث هي، وما ذلك إلا لتستره تحت مباني الهيكل الجسماني المركب مما يقتضي الكثافة ظاهرا. فهذا هو السر في ختم المادة بحرف ظلماني. كذلك الروحانية الكلية تسترت تحت أصداف عالم الإمكان لأجل ذلك لم تظهر. وهو سر يرقص له العقل السليم". اهـ.

(2) ما بين معكوفين ساقط من ط.

ولا يقال: إن مقتضى تعريف الحيسوبيين للعدد بأنه: نصف مجموع حاشيته التحتانية والعليا لا يصدق على الواحد، إذ ليس له حاشية تحتانية، وهو يقتضي أن الألف ليس بعدد؛ لأنا نقول:

أما أولا: فإنا لا نبني على هذا حكما شرعيا حتى نحتاج لهذا التضييق، وإنما هي رموز ولطائف.

وأما ثانيا: فما أطبق عليه أهل الحساب. لقائل أن يقول: عليه؛ الحاشية الفوقانية لكل عدد تزيد عليه بمقدار نقصان الحاشية التحتانية عنه، ومن ثمة كان مجموعها ضعفَه. وقد أجمعوا على أن العدد إما صحيح وإما كسر. فنقول: الحاشية التحتانية للواحد هي النصف، فالفوقانية واحد ونصف؛ لأنها تزيد على الواحد بقدر نقصان النصف عنه كما هو شأن حواشي الأعداد، والواحد نصف مجموعها[1].

فالتعريف المذكور صادق على الواحد، بل تقول: التعريف المذكور صادق على جميع الكسور أيضا، وليس مخصوصا بالصحاح. مثلا: يصدق على الثلث أنه نصف مجموع

---

(1) **فائدة:** العدد إن عرف بأنه كمية تطلق على الواحد وما تألف منه قيل فيدخل الواحد فيه، وإن عرف بأنه نصف مجموع حاشيتيه – كالأربعة مثلا حيث إن حاشيتها التحتانية ثلاثة، والفوقانية خمسة فالمجموع من الحاشيتين ثمانية فالأربعة نصف مجموع هاتين الحاشيتين منها – قيل: فيخرج الواحد منه. وعرف أيضا بأنه كمية تحصل من الواحد بالتكرير أو بالتجزية حتى يشمل التعريف الكسور أيضا فهذا التعريف عندهم هو الجامع دون الأولين.

ويرد على الأول بأن العدد كم منفصل والكم يقبل الانقسام، والوحدة لا تقبله. وعلى الثاني بأن الواحد أيضا نصف مجموع حاشيتيه لأن الحاشية أعم من الصحيح والكسر والواحد حاشيته التحتانية نصف، والفوقانية واحد ونصف إذ الحاشية التحتانية لكل عدد تنقص عنه بمقدار زيادة الفوقانية والمجموع من النصف والواحد والنصف اثنان فالواحد نصف مجموع حاشيتيه، فتأمل. فالحق كما قال العلامة البهائي في أول خلاصة الحساب: "إن الواحد ليس بعدد وإن تألف منه الأعداد، كما أن الجوهر الفرد عند مثبتيه ليس بجسم وإن تألفت منه الأجسام، وذلك لما قلنا إن العدد لكونه كما يقبل الانقسام والوحدة لا تقبله". وفي الشفاء لم تكن الوحدة غير عدد لأنها لا انفصال فيها إلى وحدات. (ما المصدر؟)

حاشيتيه، فالتحتانية السدس، والفوقانية ثلث وسدس، أعني: نصفا. ولا شك أن الثلث نصف مجموع النصف وسدس، وهو المراد. فاعقل!.

ومن أسرار الاسم أحمد: كون الألف مشتقة من الألفة، ويكفي من الألفة الواقعة به عليه الصلاة والسلام أن الأوس والخزرج مكثوا في التشاحن أربعمائة سنة في الجاهلية، إلى أن جاء الله بهذه الرحمة المهداة المحمدية فأزال ما بهم من الضغائن إلى أن تألفوا، وامتن تعالى عليهم بقوله: {واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها} . [آل عمران/ 103].

وبالألفة انتظمت الترتيبات التشريعية، والأحكام التكليفية، كما يأتيك في الخاتمة إن شاء الله سبحانه، وكل هذه الأحكام إنما تُلُقِّيت من مصدر الإمداد، نور الأنوار وروح الأرواح، وعين العيون صلى الله تعالى عليه وآله وسلم.

ومن الأسرار: كون الألف ألف البهاء، وألف العظمة، وألف الاسم الأعظم، وألف الجمال والجلال والكمال. فألف البهاء المأخوذ من ألف "أحمد" إشارة إلى: أن الحقيقة الأحمدية هي مظهر حضرة البهاء.

أو تقول: إنها إشارة إلى أن البهاء الرحماني لم يتكشف عليه في الحقيقة إلا الحقيقة الأحمدية، لأنها التي مُتِّعت برؤية الله سبحانه جهارا[1] في العالم الدنيوي، وذلك لأن الله جلت عظمته لما اطلع على القلوب ولم يجد قلبا في الكون أشوق إليه من ذلك القلب العظيم المقسوم به في قوله تعالى: {ن} . [القلم/ 1]؛ عجل إليه الرؤية البصرية في الدنيا،

(1) قال الحافظ في "الفتح" 218/7: "وقد أثبت الله تعالى رؤيا القلب في القرآن، فقال: {ما كذب الفؤاد ما رأى} . ورؤيا العين فقال: {ما زاغ البصر وما طغى} . وروى الطبراني في "الأوسط" بإسناد قوي عن ان عباس قال: "رأى محمد ربه مرتين"، ومن وجه آخر قال: "نظر محمد إلى ربه. جعل الكلام لموسى والخلة لإبراهيم والنظر لمحمد" . اهـ.

فكأن حضرة البهاء العزيز لم يكاشف به ولم يطلع عليه إلا الجمال الأحمدي. وهذا مأخوذ من ألف أحمد.

ومن الأسرار: كون الألف أول مادة العظمة، فيستروح منه: أن قبة العظمة لم يؤهل للعلم بما فيها ولا للاطلاع على غيوبات مكنوناتها، ولا للاستكشاف على باطن مخزونها ومكتوم مطلسمها؛ إلا هذا الجمال الأحمدي.

ويرشحك لذلك: ما كان يطرأ عليه حالة نزول الوحي من تصبب العرق في اليوم الشديد البرد، وما كان يغِطُّ كما تغط البكر عند الطلق، وكان يؤخذ عنه، وكان لا تحمله ناقة ولا فخذ لثقل ماينزل[1] عليه. وما ذلك إلا القرآن الكريم الدال بمادته على الجمع، فإنه يقال في اللسان: قرأ الماء في الحوض، إذا اجتمع. فالقرآن في اللسان الصرفي: يطلق ويراد به حضرة الجمع، والقرآن إذا كان يدل على الجمع وقد نزل على أجمع الذوات الإنسانية؛ فما كان ينزل إلا من حضرة جمع الجوامع عليه، وهي: حضرة العظمة. فاعقل وافهم.

ومن أسرار بعض حروف أحمد: أن الألف فيه ألف الاسم الأعظم، أعني: النسبي، وذلك لأن حضرات الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام إنما كانو يُسْقون أيام غيبة الجسم الكريم المحمدي من حضرة روحانيته عليه الصلاة والسلام، المدلول عليها بـ: "أحمد". فالاسم الذي يسقى منه أنبياء الله ورسله هو الاسم الأعظم عندهم، فهو أعرف المعارف عندهم بعد الاسم الأكبر من الأسماء الحسنى. وهذا قدر من العلم ما أراك تفهمه - يا بغيض - لأنه ليس في الكتب التي نقلت عنها.

---

(1) كما في البخاري 4/1 ح 2 عن عائشة رضي الله عنها.

ومن الأسرار المتعلقة بجواهر الحروف المادية من مولانا أحمد: ما ذكره عارفون آخرون – أيضا – لم يطلع عليهم المعترض: إذا لم تقل إن الألف عدد بقي من الحروف النورانية صورة "حمد" هكذا، فهي من المثلثات، فتخرج منها ثلاث حضرات زواهر اتخذها لنفسه الملك القاهر، وأنوارها منصبة في هذه الحروف الثلاثة الظواهر، وهي المعبر عنها بأسماء الضمائر.

فللعالمين كلمة: "أنت" في الخطاب، ولمولانا رسول الله كلمة: "هو" بدون حجاب، وكلمة "أنا" للكريم الفتاح الوهاب. وكلها مجموعة في المثلثات الحرفية من اسم مولانا "أحمد" اشتملت أيضا على جمعية ثلاثمائة خُلُق عظيم، من تخلق بواحد منها دخل الجنة، واشتمل به ظلالها، وحنت وانجذبت إليها أسرار الأسماء الثلاثة في بسم الله الرحمن الرحيم.

وعدد مقامات السلوك في التقريب إلى ملك الملوك: الإيمان، والإسلام، والإحسان. الذي أدار الحبيب كؤوسها على أهل العيان، وثلاثة آلاف من الملائكة عليهم السلام، وأفعال الوضوء لكل سالك، وعدد التجلي بطريق الأفعال والصفات وبطريق الذات الجامع لكمال اللذات، وسر الملك والملكوت المستودَع سرهما في حروف مَظهر الجبروت، وثلاثة آنيات مغطاة للحبيب في الكون معطاة، وعدد ثلاثة مساجد التي لا تشد رحال الصلوات إلا إليها، وفي هذا العدد المنضود كالجوهر عدد آي سورة الكوثر الذي يصب في حوضه في المحشر، وفي تعلق هذه الإشارة لأمته أجل بشارة.

ثم التِفت - يا من ارتدى برداء الإنصاف - إلى منتزه آخر؛ فتجد ثاني الحروف؛ وهي: الحاء، بثمانية، وهي: المثمنات المدامة، عدد كلمات الإقامة[1]، وحملة العرش الكريم يوم ينادي المنادي من مكان قريب[2]، وأبواب جنات النعيم والترحيب[3]، وعدد آي سورة الانشراح[4]، فيها للحبيب سرور وانشراح. وكانت نبوته المحيطة لثمان خلون من ربيع الأول[5]، وكذلك هجرته إلى طيبة المكرمة ذات الحظ الأحفل.

ثم تقول: حاء، فتحسبه اثنين. فتقول: خُلق الحبيب يوم الاثنين، وفيه بعثُه وعروجه، ووقوفه من الغار وخروجه. وفيه دخل المدينة فطابت حياته بانتشار الإسلام، وفيه وفاته[6]. وكان رفيقَه ليلة الرؤية والوصال: الجليلان القدسيان جبريل وميكائيل، وكتاب الله وسنة المختار، والشمس والقمر والليل والنهار، واللوح والقلم ورضوان الجنة ومالك النار، ومحمد وربه في المقام الأسنى، إذ كان منه قاب قوسين أو أدنى، والأرض والسماء، والمنع والعطاء[7]، والعرش والكرسي المرفوع له عنهما الغطاء، وآدم وحواء[8]،

---

(1) أي باعتبار التثنية في التكبير، وفي: "قد قامت الصلاة" كلمة واحدة.

(2) إشارة إلى قوله تعالى: {ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية} . [الحاقة/ 17].

(3) إشارة إلى خبر سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه رفعه: "في الجنة ثمانية أبواب. . . ". رواه البخاري في "صحيحه" 1188/3 ح3084.

(4) المعروفة بسورة الشرح، قال الطبري في "تفسيره": "سورة الشرح مكية وآياتها ثمان".

(5) قال ابن كثير في "البداية والنهاية" 260/2: "الثامن عشر من شهر ربيع الأول، وفيه بعث وفيه عرج إلى السماء وفيه هاجر وفيه مات. وهذا هو المشهور عند الجمهور، والله أعلم. وقيل: لسبعة عشر خلت منه. كما نقله ابن دحية عن بعض الشيعة، وقيل لثمان بقين منه. ونقله ابن دحية من خط الوزير أبي رافع ابن الحافظ أبي محمد بن حزم عن أبيه. والصحيح عن ابن حزم: الأول ، أنه لثمان مضين منه، كما نقله الحميدي، وهو أثبت" .اهـ.

(6) وكل هذا مشهور في كتب السير والسنن والتاريخ.

(7) في ط العطايا.

(8) الواو ساقطة من ط.

والدنيا والآخرة، إشارة إلى كونه البشر وآخرهم والمرسل إليهم من العرب والعجم، والأبيض والأسود من الأمم، وأرسل في الحرمين الشريفين إلى الثقلين.

ولحكمة هذا العدد قال مولانا جل شأنه: {رب المشرقين ورب المغربين} . [الرحمن/ 17]، وقوله: {قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين} . [هود/ 40].

من هنا تشرق لكم شموس الحقائق، وتتضح نيرات الطرائق، فتعلم أن لهذا الاسم أصلية العلائق، وأنه البحر لواردات الخلائق.

وإذا أضفت "الحاء" إلى "الدال" المبهاج؛ وجدت اثني عشر كالشهور والأبراج[1]، وعيون حجر سيدنا موسى الكليم النزيه[2]، والأسباط الذين كانوه معه في التيه[3].

وإذا نظرت إلى نَقط "الميم"؛ وجدته بأربعين، فتقول بلسان ظاهر: إن ذلك مدة أطوار أبي البشر[4]. وفيه إشارة إلى أن أصل شجرة الوجود الجسماني – وهو: الحضرة الآدمية – لها ارتباط في أصل نَشئِها بحرف من حروف اسم هذا الحبيب. فصورة أبي الأشباح وأطواره على شكل حرف من حروف اسم أبي الأرواح. وما بين مصراعي باب

(1) إشارة إلى قوله تعالى: {إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتب الله} . [التوبة/ 36].

(2) إشارة إلى قوله تعالى: {فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا} . [البقرة/ 60].

(3) إشارة إلى قوله تعالى: {إني رأيت أحد عشر كوكبا} . [يوسف/ 4]، باعتبار أنه عليه السلام هو الأخ الثاني عشر. فقد ذكر أسماء إخوة يوسف أهل التفسير، ومنهم الإمام القرطبي فقال: "وأسماؤهم روبيل وهو أكبرهم، وشمعون، ولاوى، ويهوذا، وزيالون، ويشجر. وأمهم: ليا بنت ليان وهي بنت خال يعقوب. وولد له من سريتين أربعة نفر: دان، ونفتالي، وجاد، وأشر. ثم توفيت ليا فتزوج يعقوب أختها: راحيل. فولدت له يوسف، وبنيامين. فكان بنو يعقوب اثني عشر رجلا".

(4) جاء في "البداية والنهاية" لابن كثير 86/1: "وقد ذكر السدي، عن أبي مالك وأبي صالح، عن ابن عباس وعن مرة، وعن ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قالوا: . . .فبعث الله عز وجل جبريل في الأرض ليأتيه بطين منها . . .إلى أن قال: . . .فخلقه بشرا فكان جسدا من طين أربعين سنة من مقدار يوم الجمعة" .اهـ.

الجنان مسيرة أربعين سنة من الزمان[1]؛ إذ هو أول من يطرق بابها[2]، وأول من يأتي بالرعيل الأول رحابها[3]، وإجابة دعوته في عدوه فرعون الفراعنة. وعدد موهوب آدم لداود من عمره أربعين عاما في الوجود[4]. وأربعون الصيف والشتا، ليكون الحبيب أصلا في منافع شتى.

وإذا عبّرت بلسان آخر روحاني؛ فتقول: في "الميم" إشارة عدد مبلغ البعث[5] للرسل، للرسل، ومستوى كاملية العقول، وميعاد الميقات الموسوي، إشارة إلى أن من[6] ظفر به بعد التي واللتيّا؛ ظفر به الحبيب من أول قدم، وترقى بعد ذلك في أبحر[7] قوله سبحانه: {وكان فضل الله عليك عظيما}. [النساء/ 113]، كما ترقى الكليم أيضا في أودية: {وألقيت عليك محبة مني}. [طه/ 39]، {إني اصطفيتك على الناس برسالتي وبكلامي فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين}. [الأعراف/ 144].

---

(1) إشارة إلى خبر كعب الأحبار قال: "ما بين مصراعي الجنة أربعون خريفا للراكب المجد، وليأتين عليه يوم وهو كظيظ الزحام". رواه ابن أبي شيبة في "المصنف" 40/7، ورواه الطبراني في "الأوسط" 289/5 عتبة غزوان، لكن جعل الأربعين سبعمائة، وهو تصرف الرواة لا شك.

(2) إشارة إلى حديث أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "أنا أكثر الأنبياء تبعا يوم القيامة وأنا أول من يقرع باب الجنة". رواه مسلم في "صحيحه" 188/1 ح 196.

(3) لحديث أبي هريرة عند مسلم في "صحيحه" 585/2 ح 855، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "نحن الآخرون الأولون يوم القيامة، ونحن أول من يدخل الجنة بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا وأوتيناه من بعدهم..." . الحديث.

(4) إشارة إلى خبر أبي هريرة الطويل في قصة خلق آدم وفيه: "قال آدم: يا رب من هذا؟. قال: هذا ابنك داود، وقد كتب الله عمره أربعين سنة. قال: أي رب زده في عمره. قال: ذاك الذي كتبت له. قال: فإني قد جعلت له من عمري ستين سنة. قال: أنت وذاك". أخرجه الطبري في "تفسيره"116/9 عند آية: {وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى}، وانظر "صحيح" ابن حبان بترتيب ابن بلبان 41/14 و"المستدرك" 3558/2 وغيرهما.

(5) في ط البحث.

(6) في ط ما.

(7) في ط البحر.

ومن أخلص لله سبحانه أربعين صباحا؛ صار قلبه لينابيع[1] الحكمة مصباحا[2]. فافهم سر اسم الحبيب، في هذا الاستنباط العجيب، من كونه سببا لنيل الحكمة والإخلاص، وليس إليها مدخل إلا منه ياغواص، وقد ألغز فيه من قال:

ما أربعٌ قامت على أربع　　　من السواري فوق بحرعريض؟

البحر العريض هو: الذات المحمدية، والأربع الأصلية هي: السابقية والأحقية، والخلقية والسراجية. والأعمدة التي حملتها هي: الحروف الأربع: ألف، وحاء، وميم، ودال.

تنفجـــر الأنـــوار مـــن أصـــله　　　عـــلى الســـواري وهـــو منـــه تفـــيض
مـا بعـد[3] هـذا البحـر مـن أبحـر　　　في عـــالم السرـــ الـــدقيق الغمـــيض
مـــن ألـــف بحـــر ألـــف بحـــر لـــه　　　مـــن سر أســـماء الكمـــل المفـــيض

أي من ألف اسم إلهي ألف اسم محمدي له:

---

[1] في ج ينابيع والصواب ما في ط كما أثبته

(2) قال الحافظ أحمد ابن الصديق الغماري رحمه الله في تخريجه لأحاديث "عوارف المعارف" 355/1: "القضاعي في "مسند الشهاب" من حديث ابن عباس. وابن المبارك وهناد كلاهما في "الزهد"، وابن أبي شيبة في "المصنف" وابن قتيبة في "عيون الأخبار"، وأبو نعيم في "الحلية" من رواية مكحول مرسلا، وسنده صحيح. وأوصله أبو نعيم في "الحلية" من رواية مكحول، عن أبي أيوب الأنصاري، وسنده ضعيف. ووهم ابن الجوزي فأورده في "الموضوعات"...والحديث صحيح مرسلا على شرط مسلم، ولا يضر ضعف سنده موصولا" اهـ بخ.

وقال في "المداوي" 111/6: "ولكن مع كثرة طرقه وشواهده المذكورة لا يتهيأ الحكم عليه بالوضع، لا يبعد الحكم بحسنه، لأن طريق مكحول المرسلة رجالها رجال الصحيح، فلم يبق فيها إلا الإرسال، وقد تعضد بوصله من طرق أخرى فيثبت الحديث إن شاء الله والحمد لله".اهـ.

(3) في ط وأبعد ؟.

مــــد بحـــار الأنبيـــاء بحـــره	إذا طـــما يومـــا عليهـــا يفـــيض
ووصـــــفه الأول خلـــق ســـما	فيـــه شـــفاء للفـــؤاد المـــريض
ووصـــفه الثـــاني لـــه بهجـــة	عـــلى العـــوالي مشرـــق والحضـــيض
عـــوالم الكـــون لـــه نســـخة	منـــه اســـتمدت دائمـــة الـــوفيض
شـــعاعه في الكـــون لاينقضيـــ	يبـــدي ســـنا في كـــل روض أريـــض
في كـــل قلـــب نـــوره فـــائض	كـــل امـــريء مـــن نـــوره مســـتفيض
تنتشرـــ الأنـــوار مـــن كفـــه	في عـــالم الـــروح انتشـــار البضـــيض
والأنبيـــا مـــن نـــوره اســـتطعموا	في كـــل يـــوم طلـــع سر غضـــيض
والثالـــث الأول مـــن وصـــفه	منـــه اســـتمدت روح ســـود وبـــيض
والرابـــع الآخـــر خـــتم العـــلا	أدرك أصـــولي بالـــذكر يـــا فـــريض
قـــل للـــذي يبغـــي انتهـــا وصـــفه	حـــال الجـــريض فيـــه دون القـــريض

الجريض: يضرب لأمر ما يعوق دونه عائق(1).

فهذه – يا بغيض – تصرفات أخر تصرفها العارفون في حروف سيدنا أحمد، ولا يلزم من تصرفهم فيها أنهم عرفوا الأحمدية؛ لِما قدمنا أنها استرواحات ورموز وألغاز، لا نصوص يوقف عندها. كما لا يلزم من تصرف من تصرف في حروف اسم سيدنا محمد أنه عرف المحمدية.

هيهات أين ثراها من ثرياها!

(1) جاء في كتاب "جمهرة الأمثال" 359/1: "قولهم: حال الجريض دون القريض يضرب مثلا للمعضلة تعرض فتشتغل عن غيرها . والمثل لعبيد بن الأبرص"...ثم ذكر قصته.

ستر الحسن منه بالحسن؛ فاعجب لجمال له الجمال وقاء

وليس لك ولا لمن تقدم أو تأخر أن يحيط بعلم الله أو بأسراره: {وما أوتيتم من العلم إلا قليلا}. [الإسراء/ 85]. والحمد لله على ذلك.

[مفهوم البدعة عند أئمة الإسلام]:

وأما قولك - يا بغيض - إن الصلاة بأحمد لم تنقل عن الصحب الكرام ولا عن السلف، فنقول: كلام بدوي لم يتحضر علمه، وإلا؛ فمفاد كلامك هذا أن كل شيء شهدت قواعد الشرع باعتبار جنسه ولم تأباه الأصول الشرعية ولم ينقل عن السلف؛ فهو بدعة، ما لم ينص عليه بخصوصه!.

وهذا منك تقدم لكل شيء عليه الخلائق اليوم، إذ جل المساكن[1] اليوم والملابس والمآكل والمناكح والمخالطات ليست كما كانت عليه السلف، فيلزم عليه تخطئة كل الأمم وتضليلهم.

بل؛ "المختصر"[2]، والسبكي[3]، و"الألفية"[4]، و"التلخيص"[1]، و"الأجرومية"[2]، و"المرشد المعين"[3]، و"التحفة"[4]، و"الزقاقية"[5]، و"العمليات"[6]...وسائر الكتب كلها

(1) في ط المساكين.

(2) لخليل بن إسحاق الجندي المتوفى سنة 748هـ، وهو المختصر المشهور الذي أقبل عليه علماء المالكية حفظا وشرحا وتحشية.

(3) أي "جمع الجوامع" له.

(4) في علم النحو لجمال الدين محمد بن عبد الله بن مالك الجياني الشافعي مات سنة 672 هـ، واسم "الألفية" الخلاصة.

كلها لم تكن على عهد النبوة، ولم ينقل أنها كانت على عهد السلف أو درسها وقرأها الصحابة الكرام. فيلزمك تخطئة كل علماء الأمة الذين أنشأوها أولا، وشرحوها ثانيا، ودرّسوها ثالثا، وأقرأوها رابعا. فهذا تخطئة منك لكل عالم في الأرض، وخصوصا علماء المغرب؛ لأن لهم عناية بهذه المؤلفات خصوصا.

قال الإمام ابن عرفة: "تكلم الناس - متقدم ومتأخر - على البدع، وقسموها إلى أقسام، والحاصل: استنادها إلى ما شهد الشرع بإلغائه أو اعتباره، وإلى ما ليس بواحد منهما:

فالأول: واجب تركه وإنكاره.

والثاني: معتبر اتفاقا.

وفي الثالث: خلاف. قال: وقول عز الدين: ذكر الصحابة في الخطبة بدعة؛ صحيح لكنها[7] بدعة خير شهد الشرع باعتبار جنسها".

---

(1) أي "تلخيص المفتاح في المعاني والبيان" للإمام جلال الدين القزويني المتوفى سنة 739 هـ.

(2) الأجرومية متن في النحو مشهور للإمام أبي عبد الله محمد بن محمد بن داود الصنهاجي المعروف بابن آجروم، المتوفى سنة 723، ومعنى آجروم بلغة البربر الفقير الصوفي.

(3) للعلامة العارف عبد الواحد ابن عاشر وهو نظم في التوحيد والفقه والتصوف.

(4) هي "تحفة الحكام في نكت العقود والأحكام" أرجوزة لقاضي الجماعة أبي بكر محمد بن محمد بن عاصم المالكي المتوفى سنة 829هـ.

(5) أرجوزة للإمام أبي الحسن الزقاق الفاسي(ت912هـ) الذي ألّف منظومة في القواعد الفقهية التي عليها مدار الفقه الإسلامي المالكي، تحقق غرضَ جمع فروع المذهب في قواعد، وغرضَ جمع هذه القواعد في منظومة سهلة الحفظ سماها "المنهج المنتخب إلى قواعد المذهب".

(6) لجماعة من علماء المغرب.

(7) في ط لا كذب.

ولما كان الاسم الشريف "أحمد" من مشاهير الأسماء النبوية، وقال هو: "لي عند الله أسماء: أحمد ومحمد، وطه ويس، والمقفّى والماحي"[1]، وفي القرآن: {ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد}. [الصف/ 6]. ووقعت في الكتب الإلهية كثير كما قدمنا.

فليس من سماه باسم من أسمائه يصير بدعيا. لا. لا. أو صلى عليه بأي صلاة أيضا، فكما توسع الصحابة الكرام في صيغ الصلوات على الحضرة الأحمدية، وابتكروا صلوات من عندهم، وأُقروا عليها زمن الوحي، ولم يُعَدَّ ذلك منهم تقدما بين يدي الله ورسوله؛ فكذلك هنا: لا بأس بالصلاة على مولانا أحيد[2]، ومولانا ياسين، ومولانا محمود، ومولانا الماحي. وقد سماه الحق سبحانه بأسماء في القرآن لا على المسلمين والمؤمنين أن يصلوا عليه باعتبار تلك الأسماء.

[الحكمة من إكثار الحق تعالى من أسمائه وأسماء نبيه ﷺ]:

(1) قال النووي في "تهذيب الأسماء والصفات" 49/1: "ولرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أسماء كثيرة أفرد فيها الإمام الحافظ أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الشافعي الدمشقي المعروف بابن عساكر رحمه الله بابا في "تاريخ دمشق"، ذكر فيه أسماء كثيرة جاء بعضها في "الصحيحين" وباقيها في غيرهما. منها: محمد وأحمد والحاشر والعاقب والمقفى والماحي وخاتم الأنبياء ونبي الرحمة ونبي الملحمة، وفي رواية نبي الملاحم ونبي التوبة والفاتح وطه ويس وعبد الله".اهـ. قلت:ولم أجد الرواية التي ذكرها المؤلف رحمه الله هنا، إلا أن ما نقله النووي عن ابن عساكر إشارة إلى أن لها سندا وأصلا.

(2) للإمام المؤلف رحمه الله صلاة معروفة بصلاة مولانا أحيد، وأحيد اسم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في التوراة. فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: اسمي في القرآن محمد وفي الإنجيل أحمد وفي التوراة أحيد، وإنما سميت أحيدا لأني أحيد أمتي عن نار جهنم". رواه ابن عدي في "الكامل"337/1، من طريق إسحاق بن بشر، عن ابن جريج، عن ابن عباس. وإسحاق متروك الحديث، ومنهم من كذبه. وتفرد الداربجردي بتوثيقه.

ولكن رأيت الحافظ النووي ذكر هذا الحديث في "تهذيب الأسماء والصفات" 49/1 ولم يبين حاله، مما يدل على أن لمتنه أصلا غير رواية إسحاق بن بشر، والله أعلم.

فما أكثر الحقُّ سبحانه من أسمائه الحسنى إلا لاختلاف أماني الناس وطلباتهم وحوائجهم ومشاهدهم ومشاربهم، فتعددت الأسماء ليقرع كل ذي حاجة باب الاسم الذي يقتضي تلك الطلبة. وكذلك الأسماء المحمدية؛ ما عُدِّدت إلا لتكثر مشارب الناس ومواردهم لتلك الحضرة الأحمدية، ويكثر تخلق الناس بنعوت ذلك الجمال الأنور، إذ كل اسم من الأسماء الأحمدية له معنى من المعاني.

فلو عمل الناس خلوات للتخلق بتلك الأسماء؛ لنالوا من الكمالات الإلهية والأحمدية ما يصيرون به على الحقيقة ورثتَه عليه الصلاة والسلام.

ولقد أغفل أرباب الرياضات هذا الباب، أعني: العمل على فتح أبواب مقتضيات الأسماء المحمدية، ولما أغفلوه أغفلتهم الفتوحات والأسرار والكمالات، وطالت عليهم المسافات، وبعدت لهم الأسفار. وإلا؛ لو عملوا عليها؛ لقرب بهم السير، واختصرت لهم الطريق اختصارا، كما وجد ذلك المحمديون الأحمديون.

وإذا اتفق العلماء على جواز التخلق بالأسماء الحسنى، وقالوا: إن جميع الأسماء تصلح للتعلق والتخلق إلا اسم الجلالة، وما استثني في "خبيئة الكون" – شرح هذه الصلاة الأحمدية المحمدية القدسية[1] – فالتخلق عندهم بالأسماء الإلهية مسلَّم على شرائط عند أهل الله تعالى. وأجابوا عمن لم يقل بذلك؛ كالإمام أبي إسحاق الإسفراييني، وأبي حامد، وإمام الحرمين، كما في "شرح أسماء الله الحسنى" الطويل للإمام الرازي...

(1) هو من أكبر وأنفس مؤلفات الإمام المؤلف رضي الله عنه، لا يوجد منه لحد الساعة إلا الجزء الأول. طبع بالطبعة الحجرية، والباقي ذكر الشيخ عبد الحي الكتاني – رحمه الله – في "المظاهر السامية" (مخطوط) أنه بقي في مسودته لم يبيض.

فإذا اتفقوا على التخلق بأسماء الله – والتخلق غير التعلق – فكيف لا يتفقون على التخلق بالأسماء المحمدية، وهو معنى اتخاذه صلى الله عليه وسلم أسوة وقدوة؟. وإنما لم يتكلم العلماء على التخلق بأسماء سيدنا محمد صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وكيفية التخلق بها والتعلق؛ لعدم اتفاق[1] ذلك لهم، أو لأنهم علموا أنه أَحْروي من التخلق والتعلق بأسماء الله.

وقد قال شيخ الشيوخ ابن لب: "الأصل: القيام بالمشروع".اهـ. ولا يعارَض ذلك بما عسى أن يعتقده جاهل.

[ما لم ينه عنه الله تعالى ولا نبيه ﷺ فلا معنى للنهي عنه]:

وقد نص ابن العربي وأبو عمر ابن عبد البر أن بموت مولانا رسول الله أُمن من أن يُلحق بالفرائض ما ليس منها.

وقد قال الحافظ أبو عمر ابن عبد البر في "التمهيد"[2]: "ما لم ينه الله سبحانه عنه ولا نبيه فلا معنى لمن كرهه".

وكذلك هنا؛ لم ينه الله – سبحانه – ولا نبيه أن لا يسمى إلا بـ: "محمد"، فلا معنى لمن افتأت وتفقه وصدم جما غفيرا من أهل الخير وسفه آراءهم. ورأيُ أكابر العلماء الراسخين في العلم الجامعين بين العلم والعمل والسائرين في طريق تكليفهم على العمل

---

(1) اتفاق ساقطة من ط.

(2) 79/20 بتصرف من المؤلف لا يضر.

بمقتضى الأصول والحديث والفروع مبنيٌّ على هذا. فإن لم يرد فيه نص ولا معارض له بالنهي؛ لا معنى لتركه، ولا معنى لمن كرهه.

قال في "سنن المهتدين"[1]: "قال أبو عمر بن عبد البر، بعد أن ذكر مختار مالك في ترك الركوع: الأَولى أن يركع من ركع الفجر في بيته؛ لأنه فعل خير لا يمنع منه من أراده. إلا أن يصح أن السنة نهت عنه من وجه لا معارض له. قال تعالى: {وافعلوا الخير لعلكم تفلحون}. [الحج/ 77]".

"وكذلك ابن بشير[2]؛ لما ذكر كراهية مالك أذان الفذ، ثم قال: إن أذّن؛ فهو ذكر، والذكر لا ينهى عنه مَن أراده، لا سيما إن كان من جنس المشروع".

"وكذلك أيضا قال أبو عمر[3] في نهي الإمام عن الصلاة على من صُلي عليه: إن حكم الإباحة في الصلاة عليه مستصحب".

"وكذلك ابن رشد[4] في النهي عن الصلاة على الميت في المسجد. قال: فإن ترك أُجِر – يعني: على قول الإمام مالك– وإن صلى فلا يأثم ولايؤجر".

"وورد النهي عن حمد العاطس وهو يبول، فقال ابن رشد[5]: ذِكرُ الله – سبحانه إلى الله جل أمره، فلا يتعلق به من دناءة الموضع شيء. قال: فلا ينبغي أن يمنع من ذكر الله

(1) ص 234.

(2) انظر "حاشية الدسوقي" 198/1 و"التاج والإكليل" 451/1.

(3) "التمهيد" 6/ 279.

(4) ينظر "المقدمات الممهدات" 237/1 و"حاشية الدسوقي" 423/1 و"التاج والإكليل" 239/2.

(5) انظر "مواهب الجليل" 272/1 وما بعدها .

تعالى على حال من الأحوال، إلا بنص ليس فيه احتمال. ونقله الحطاب[1] أيضا وأقره عند قول أبي المودة[2]: وبكنيف نحيي ذكر الله تعالى".

وقال أيضا: "قول اللخمي: اللهم بك وإليك. ليس فيه حرج، وأجر في ذلك إن شاء الله سبحانه، بعد أن ذكر أن هذا بدعة. فقال: هو لا حرج عليه إن قال".

"وبعد أن ذكر الباجي[3] إنكار الإمام للقنوت في رمضان. قال الباجي: إنه لحسن، وهو أمر محدَث لم يكن في زمان عثمان ولا قبله. وأشار أبو عمر[4] أيضا إلى أنه: لا يكون أحط رتبة من المباح".

"وأنكر الإمام مالك[5] قول من حاذى الركن: اللهم إيمانا بك. قال ابن رشد: هو كلام حسن، لا يَكره مالك لأحد أن يقول به".

"وقال الإمام: ليس من عمل الناس التصدق بزنة شعر المولود. قال ابن رشد: هو مستحب من الفعل. وقال الباجي: هو من عمل البر. وقال أبو عمر: أهل العلم يستحبون ذلك[6]".

"وأنكر مالك غسل اليد قبل الطعام، وقال: ليس من الأمر، وأرى تركه. قال ابن رشد: ليس من الأمر الواجب[1]".

---

(1) "مواهب الجليل" 272/1 وما بعدها.

(2) أي: الشيخ خليل صاحب المختصر المشهور.

(3) "المنتقى" 152/1.

(4) "الاستذكار" 2 /74.

(5) "المدونة الكبرى" 364/2.

(6) انظر "حاشية الزرقاني" 129/3.

"وقد قال شهاب الدين: إن الخلاف إذا لم يكن في أمر شرعي؛ إنما هو شيء جائز، وهل ينفع أم لا؟. فينبغي أن يعمل ويعتمد[2] في ذلك على فضل الله تعالى، ويلتمس فضل الله سبحانه بكل سبب ممكن. هذا هو اللائق بالعبد. ولا شك أن من هذا ما عُلم من الإمام من سكناه العقيق وترك ركوبه دابة بالمدينة".

وكذا هنا؛ فلم نغير منار الصلاة النبوية الإبراهيمية، وأبدلناها باسم آخر، بل إذا جازت صيغة أخرى في الصلاة عليه صلى الله تعالى عليه - كما أجمعت عليه الأمة التي لا تجتمع على ضلالة- و[3]كذلك يجوز أن يصلى عليه في تلك الصلاة بأي اسم اقتضاه الحال.

وبالجملة؛ فإن كان هذا المعترض وكلُّ من قلده ممن يقول بصيغ أخرى، كما عليه الأمة، ولم يلزمهم في الصلاة من القول بالتوسع في صيغ أخرى المخالَفَةَ النبوية حيث صلوا عليها بغير ما صلت على نفسها؛ فيلزمه أن يقول بجواز الصلاة عليه باعتبار أي اسم، ووجه به هذا المصلي. ولا يلزم من ذلك المخالفة للصيغة النبوية. ويلزم كل من قال بالتوسع في الصيغ أن يلزم التوسع أيضا - بالأحرى - في الأسماء المحمدية بلا فارق لمن كان له قلب ولم يكن لسان حاله يقول[4]:

وهل أنا إلا من غزية إن غوت ... غويتُ، وأن تَرْشُد غزيةٌ أرشد

---

(1) هنا بياض بالأصل المعتمد قدر ثلاثة أسطر.

(2) في ج يستمر.

(3) الواو ساقطة من ط.

(4) البيت لدريد بن الصمة في قصيدته التي مطلعها: "أرث جديد الحبل من أم معبد"... الخ.

وإن لم يقل بجواز إحداث صيغة أخرى من الصلوات؛ فقد خالف كل الأمة الذين توسعوا في الصلاة والسلام عليه بالصيغ المتكاثرة، ويلزمه منه: إنكاره الصلاة بمولانا أحمد؛ لأنهم حيث توسعوا في الأصل فلا عليهم أن يتوسعوا في الفرع، سيما وذِكر سيدنا محمد في الإبراهيمية يأتيك سرُّه.

وأما القول بجواز التوسع في أصل الصيغ وعدم إلزام التوسع في الصلاة بأي اسم كان؛ فهو تحكُّم صرف. وهو معنى الإطباق على الصلاة بالصلاة المستثنية بالصلاة الريسونية، وهي: "اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله كما لا نهاية لكماله وعد كماله".

وأما القول بجواز التوسع في أصل الصيغ الذي القول به ظاهر في مخالفة ما صلّت به الحضرة النبوية على نفسها، ومع ذلك لم تبال به الأمة، لمَّا لم يرد به نهي خاص في أن لا يصلىَّ عليه إلا بذلك اللفظ، بل ورد ما يدل على جواز التوسع، ولذلك أجمعت الأمة على الجواز وعدم القول بجواز الصلاة بأي اسم كان؛ فهو تحكم صرف، وترجيح بلا مرجِّح، وليس من دأب العقلاء.

فإما أن لا يجيزوا التوسع في أصل صيغ الصلوات، فلا يصلوا بالصلاة المشيشية ولا بالريسونية ولا بالصلاة البكرية – وهي: صلاة الفاتح – ولا بالصلاة النارية – وهي: اللهم صل صلاة كاملة..– ولا بالصلاة المنجية، ولا بصلاة "طب القلوب ودوائها"، ولا بغيرها من الصيغ، وهم لايقولون بذلك، بل جعلوا لكل صلاة من هذه الصلوات خصائص وفضائل.

وحيث جوزوا الصلاة بهذه الصيغ؛ فلا عليهم أن يصرّحوا بجواز التوسع في الأسماء المحمدية، على أنهم ما استفتوا في هذه المسألة، بل هو إلزام محض.

[الأصل في الأمور الإباحة واستثقال المالكية القول بكراهة ما هو مباح]:

ولينظر البغيض ما هو أعظم من هذا الباب، حيث استثقل فحول المذهب القول بكراهته وصرحوا بأنه مباح التفاتا للأصل، مع أن ذلك في أمهات العبادات، وهي: الصلاة. فكيف بهذا وليس فيه تبديل اللفظ النبوي؟. فيلزمها ما يلزم كل من له صلاة أو يصلي بغير اللفظ المحمدي.

قال أبو عمر ابن عبد البر في "التمهيد"(1): "ولا وجه لكراهة وضع اليمنى على اليسرى؛ لأن الأشياء أصلها الإباحة، ولم ينه الله سبحانه ولا رسوله عن ذلك، فلا معنى لمن كره ذلك. هذا لو لم تروَ إباحته عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم". اهـ.

وقال في "الاستذكار"(2): "اختلفوا في تحريك السبابة في التشهد، وكل ذلك مروي، وجميعها مباح والحمد لله".

وقال بعد ذلك(3): "والذي أقول به وبالله تعالى التوفيق: إن الاختلاف في التشهد وفي الأذان وفي الإقامة، وعدد التكبير على الجنائز وما يُقرأ ويدعى به فيها، وعدد التكبير في العيدين، ورفع الأيدي في ركوع الصلوات، وفي السلام من الصلاة واحدة أو اثنتين، وفي وضع اليمنى على اليسرى في الصلاة وسدل اليدين، وفي القنوت وتركه، وما كان مثل

---

(1) 79/20 وفيه تصرف من المؤلف رحمه الله.

(2) 478/1.

(3) 485/1.

ذلك؛ كله اختلاف مباح؛ كالوضوء واحدة أو اثنين أو ثلاثا..". قال بعد ذلك(1): "وذلك مباح كله، وسعة ورحمة وتخيير، والحمد لله".

وانظر - يا بغيض - من الأخف ومن الأثقل؛ هل ما استهولتَه واستكبرتَه، أم هذه الأمور التي هي داخل العبادات؟. ومع ذلك عد الناس توسُّع طرقها من باب الرحمة والتخيير. فكيف بهذا الاسم الكريم مولانا "أحمد" وليس هو في باب التعبدات، ولا فيه تغيير منار شرعي، ولا تغيير أصل شرعي، ولا مخالفة الإجماع، ولا مخالفة القواعد؟!.

[يترك الورع وسد الذرائع خشية حصول الفتنة]:

مع أن هذا الإنكار منك نقول لك فيه ما قال شيخ الشيوخ ابن لب فيمن أنكر الدعاء دبر الصلوات وجعله من البدع مع أنه عليه عمل الناس والعلماء. قال: "خاف أن تعتقد العامة كون المستحب فرضا فأُورثَ الناسُ وحشةً، وصاروا يحسبون المباح فاحشة ومنكرا، فأوقع هذا المنكر الناس في منكر أعظم، يوشك أن تكون جريمة الخمر والكذب من ذلك أهون. قال الله سبحانه: {إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر}. [المائدة/ 91]، فدل أن البغضاء أعظم من الخمر، وفي الحديث الكريم: ليس بكذاب من أصلح بين اثنين فقال خيرا، أو نما خيرا(2). فاضمحلت جريمة الكذب

---

(1) 486/1.

(2) رواه البخاري في "صحيحه" 958/2 ح 2546 ومسلم 2011/4 ح 2605 عن أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط، بلفظ قريب من الذي ذكره المؤلف رحمه الله، وهو لفظ الطبراني في "الصغير" 178/1 وفي "الأوسط" 235/3. وكلمة "نما" في الحديث مصحفة في ج وط إلى عنا، ونما بمعنى رفع وأوصل.

في جنب الإصلاح، فإن هذا كله من شان الأئمة: يتركون الورع وما هو الشأن خوف الوحشة ما لم يكن مأثما، والوحشة حرام والورع فضل".

وانظر ما هو أعظم مما هولْت، ومع ذلك سوَّغَتْهُ قواعدُ العلم الواسع: لما عرَّف عياض في "المدارك"(1) بعبد الجبار المشهور بالورع، قال: "ركب يوما فرس جندي، فنظر إليه أصحابه، فقال: ما لكم؛ إما ورع نقَص أو عِلم زاد؟". قيل: ولعله تصدق بقدر انتفاعه.

وتأمل - يا بغيض - ما هو أدخل في التعبدات الشرعية مما استنكرت، ومع ذلك هون العلماء أمره. قال الإمام مالك(2): "الفصل بين الشفع والوتر بسلام هو الشان". قيل له: "فإن صليت مع من لا يفصل بسلام؟"، قال: "فاتبعه ولا تخالفه"(3). قال في "العُتْبية"(4): "لو كنتُ صانعه لم أسلِّم بين الاثنين والواحدة". قال ابن رشد(5): "يريد أنه: لو أوتر بالناس لِعارض يعرض بإمامهم الذي من شأنه أن يوتر بثلاث لا يفصل بينهن؛ لم يخالف فعله في ترك الفصل".

وفي "المدونة"(6): "من صلى خلف من يرى السجود في النقص بعد السلام لا يسجد معه حتى يسلم، فإن الخلاف شر". فانظر يسارة هذه المخالفة، إذ لو لم يسلِّم ما شعر به

---

(1) "ترتيب المدارك"450/2

(2) "مواهب الجليل" 73/2.

(3) انظر "التمهيد" 252/13.

(4) انظر "التاج والإكليل" 73/2.

(5) "البيان والتحصيل" 22/3

(6) 134/1.

أحد، وكان قد فعل في صلاته المطلوب. فمن باب أولى المساعدة فيما هو من غير صلب الصلاة، كما ليس من باب الحلال.

وأصل هذا: ما ثبت في "الصحيح"(1) عن ابن مسعود لما بلغه أن سيدنا عثمان صلى في سفره أربعا، استرجع وقال: "صليتُ مع النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ركعتين، وكذا مع أبي بكر وعمر، ثم تفرقتْ بكم الطرق". ثم قام ابن مسعود فصلى أربعا. فقيل له: "عتبت على عثمان – وفي رواية: استرجعت – ثم صليت أربعا؟!". قال: "الخلاف شر".

كذلك هذه الطائفة الكتانية؛ لما فُتح عليها في سر هذا الاسم الأعظم للحضرة المحمدية، وصلت به، ومضى عمل أصحابهم عليه؛ فلا على العالم أن لا يشذ(2) في طرق المشاغبات، ويكثر من اللدد والمقارضات، ويوهم من لا يعلم: أن المباح صار منكرا وفاحشة، فيقع ويوقع فيما هو أفظع وأنكر وأشنع مما فزع منه.

ومن هذا المعنى: ترك القيام للداخل هو الأولى بلا إشكال. ورشح القرافي فتيا ابن عبدالسلام أنه: "إذا كان(3) ترك القيام يؤدي إلى التباغض والتقاطع، فينبغي أن يُفعل دفعا لهذا المحذور، ولكون تركه صار وسيلة إلى ذلك، وفي الحديث: لا تقاطعوا ولاتدابروا ولا تباغضوا، وكونوا عباد الله سبحانه إخوانا(4) كما أمركم الله جل ذكره. فهذا لا يؤمر به

(1) في "صحيح البخاري" 597/2 ح 157 أصل القصة، وتمامها عند أبي داود في "سننه" 199/2 ح 1960.

(2) في ط يشهد.

(3) ساقطة من ط.

(4) رواه البخاري في "صحيحه" 2253/5 ح 5718 ومسلم 1983/4 ح 2559 عن أنس بن مالك.

به لعينه، بل لكونه صار تركُه وسيلة إلى هذه المفاسد في هذا الوقت، ولو قيل بوجوبه لم يكن بعيدا".

وكذلك الصلاة على مولانا أحمد؛ ليس معصية، وليس خدشا في الأنظار المحمدية، بل قرْعٌ لباب اسم عظيم من الأسماء المحمدية. فكيف تقام هذه الزعازع وتُبرق هذه البرقات على من صلى به ولا ينكر على المخالفين بالإجماع لأمور لا يقول بها متدين؟.

[النبي ﷺ كان يرشِّح للناس مستنبطاتهم من الخير وإن لم يكن عن أمره]:

قال الإمام المواق في "سنن المهتدين"[1]: "قلت يوما لسيدي ابن سراج: ظاهر الأحاديث أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم كان يُرَشح للصحابة الكرام ما يأتون في مستنبطاتهم من عمل الخير. فقال لي رحمه الله: كذلك كان بعض شيوخي يقول. واستحسن هذا مني وصوّبه. وكانت إشارتي إلى ما ثبت في الحديث[2] أن رسول صلى الله تعالى عليه وآله قال[3] لبلال: أخبرني بأرجى عمل عملتَه عندك في الإسلام منفعة، فإني سمعت خشف نعلك بين يدي في الجنة؟. فقال: ما أذّنت قط إلا صليت ركعتين، ولا أصابني حدَث إلا توضأتُ عنده ورأيت أن لله سبحانه علي أن أصلي ركعتين. فقال رسول الله[4] صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: فَهُما".

---

(1) ص 52.

(2) أصله عند البخاري 386/1 ح 1098 ومسلم 1910/4 ح 2458 عن أبي هريرة.

(3) في ط فقال.

(4) اسم الجلالة "الله" ساقط هنا من ط.

"وفي الموطأ[1]: لما رفع رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم رأسه الكريم من الركوع، وقال: سمع الله لمن حمده. قال رجلٌ وراءه: ربنا ولك الحمد حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه. فلما انصرف رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم [قال: من المتكلم آنفا؟. قال الرجل: أنا يا رسول الله. فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم][2]: لقد رأيتُ بضعة وثلاثين ملكا يبتدرونها أيُّهم يكتبها أولا".

"قال أبو عمر[3]: في هذا: أن رفع الصوت بالذكر في الصلاة لا يضر، ونحوه: رفع الصوت بربنا ولك الحمد".

وما أضرك لو كنت تغترف من بحر الشريعة والحقيقة كما قلت، لتأسيت برسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فيما فعل، فرشحتَ للناس مستنبطاتهم من الخير؟. ولكن: {ويأبى الله إلا أن يتم نوره}. [التوبة/ 32]. ففي "الصحيح"[4]: أن مولانا رسول الله بعث رجلا على سرية، وكان يقرأ لأصحابه في صلاتهم، فيختم بـ: {قل هو الله أحد}، فلما رجعوا؛ ذكروا ذلك لمولانا رسول الله، فقال: "سلوه لأي شيء يصنع ذلك؟"، فسألوه، فقال: "لأنها صفة الرحمن، وأنا أحب أن أقرأ بها". فقال مولانا رسول الله صلى الله تعالى عليه: "أخبروه أن الله سبحانه يحبه".

فلا مرية أن هذا النمط لم تفعله حضرة الرسول؛ وهو: ختم القراءة في الصلاة بالإخلاص، ومع ذلك لم يباده فاعلَها بالإنكار، بل سأله عما يستحضره في ضميره عند

(1) 211/1 ح 493 عن رفاعة بن رافع.

(2) ما بين قوسين ساقط من ط.

(3) "التمهيد" 19887/16 بتصرف من المؤلف.

(4) "صحيح البخاري" 2686/6 ح 6940 ومسلم 557/1 ح 813 عن عائشة رضي الله عنها.

فعله لها، ولما سأله وكشف عن قصده ووجد قصدا حسنا حملته عليه محبة الله سبحانه؛ فقال لهم المعصوم: "أخبروه أن الله سبحانه يحبه".

وكذلك الصلاة بمولانا أحمد؛ لا[1] أقلَّ إن لم يوجد لها أدنى متمَسك من الشرع؛ أن يرجع في ذلك لمستنبط لنا. فإن أفعال العقلاء تصان عن العبث. ثم إن وجد موافقا لشيء من الشرع؛ فليقر أربابه عليه إن كان المنكر له اليد الطولى في بحر الشريعة، ولا تجاوَز اللهُ سبحانه ولا رسوله ولا أنبياؤه عن تقصيركم في جانب آل البيت النبوي الأطهر.

مع أن أولئك الصحابة الكرام الذين فعلوا هذه الأمور، وهو زيادة: "حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه" بعد الرفع من الركوع، وقراءة: {قل هو الله أحد} إثر تمام السورة في الصلاة، ولم يتقدم لهم بها عهد من حضرة الشريعة؛ هم بصدد أن يقال لهم: لأي شيء لم تقفوا على نهج ما سمعتموه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم يفعل أو بلغكم عنه؟. فحسبكم ذلك.

ومع ذلك؛ نفى المعصومُ أن يُعترض عليهم، فرشح مستنبطاتهم من عمل الخير، لأنهم لم يأتوا بما لا تشهد له أصول الشريعة:

ومن هذا الوادي: ما أخرجه الإمام أحمد بن حنبل[2] عن ابن أبي أوفى قال: "جاء رجل ونحن في الصف خلف رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم، فقال: الله أكبر كبيرا. وسبحان الله بكرة وأصيلا. قال: فرفع المسلمون رؤوسهم واستنكروا الرجل، وقالوا، يعني في أنفسهم: مَن هذا الذي يرفع صوته فوق صوت رسول الله صلى الله تعالى

---

(1) في ط لم.

(2) "المسند" 355/4.

عليه وآله وسلم؟!. فلما انصرف رسول الله قال: مَن هذا العالي الصوت؟. فقيل: هذا يا رسول الله. فقال: والله لقد رأيت كلاما يصعد إلى السماء حتى فُتحت له فدخل فيها!".

فحسبك – يا بغيض – إن علمت وعرَفت أن تقول ما قال سيد الثقلين مولانا رسول الله بهؤلاء الذين أتوا بالخيرات وحُببت إليهم، إذ لا مُشرع لنا سواه صلوات الله وسلامه عليه. ولا يجب علينا أن نتبع سواه[1] استقلالا لعدم عصمته.

قال ابن العربي[2]: "ليس الغناء بحرام؛ لأن النبي صلى الله تعالى عليه سمعه في بيته وبيت غيره، وما وقع في سماع أصبغ من كراهة حضوره ذو الهيئة؛ فاسد؛ لأن النبي صلى الله تعالى عليه حضر ضرب الدف. ولا يصح أن يكون ذو الهيئة أعظم من النبي صلى الله تعالى عليه". اهـ نص ابن العربي.

[من فضائل صلاة القاسم للمؤلف رضي الله عنه]:

والله يا بغيض؛ إن من قرأ صلاة "القاسم"[3] عندنا في الورد في الطائفة الكتانية يخرج منها نور لا يبقى موضع في صفاح السماوات ولا في ظواهر وبطون الأرضين إلا وصله

---

(1) ساقطة من ط.

(2) "عارضة الأحوذي" 226/5.

(3) ولفظها: "اللهم صل على سيدنا ومولانا أحمد، القاسم أمداد الخزائن الإلهية، على أجناد الدوائر الملكية، من لجة قاموس بحر جودك الأعظم الطامحة لشآبيب فيضه قوابل الممكنات في عالم البطون والظهور، الذي جعلت اسمه الجامع المفيض ميازيب رحمات العطايا الراعي برعاية الله والحامي بحرز الله والكالئ بكلاءة الله متحدا باسمك الأعظم الذي به انتظم أمر العالم واستقام أمر السماوات والأرضين من منك ونعتك، ووضعت في عالم التخطيط من التجلي الرحماني صورة هيكله الجسماني مثالا انطبعت الكائنات أجمعها بشكله المحمدي، عنوانا للسعادات الأبدية السرمدية، على صورة أنموذج الأشياء من رحمة بحر حقيقة خلق الله سيدنا آدم على صورته، وفجرت عنصر موضوع مادة محموله روح العالم وآدم آدم، ونقطة باء كتب الغيوبات، من أنية أنا الله بابك الأعظم وصراطك الأقدس الأقوم السابح في بحار عظمة نور وجهك الدال عليك بك في جميع

ذلك النور. وكل من أشرق عليه ذلك النور؛ ازداد به قربا إلى الحق سبحانه، شعر بذلك ذلك الشارق عليه أم لا. فيكون ذلك كله في صحيفة القاري بها مرة واحدة، فمن قدر أن يمحو هذا من علم الله؛ فليمحه!، ومن قدر على أن لا يترك الحضرة المحمدية تأذن بما شاءت[1] لمن شاءت، لِما أن الله سبحانه لما أعطى لسيدنا محمد مقاليد التصرف في الكون؛ فله صلى الله عليه أن يخص من شاء بما شاء، والمنتقد والمنكر محروم.

فمن قرأ هذه الصلاة التي عندنا في الورد وهو مصدِّق بما يؤتي الحق سبحانه؛ تاليها أعطي ذلك الفضل العظيم الخارج عن رتبة القياس كما ورد في غير ما جزئية من جزئيات الشريعة من كونها قليلة يسيرة وفضلها عظيم.

وأما قول أهل الحديث وعلماء المصطلح: "إن من علامة وضع الحديث: كون الفضل أكثر من العمل"؛ فهو كلام أغلبي لا أكثري، بدليل أمور في السنة، وخصوصا مكفرات الأعمال، وهي يسيرة ولم يرد ذلك في الأعمال الشاقة:

لولا العناية كان الأمر فيه على ... حد السواء؛ فذو نطق كذي بكم

ومن قرأها ولم يصدق بها يُعطى قارئها؛ أُعطيَ مطلقَ الثواب الوارد في الصلاة عليه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم، وحُرم ذلك الفضل الزائد.

الحضرات والحيثيات، وزج بي في أرض الأنوار واحملني بعنايته على مطية الأسرار وأشهدنيه حتى أتحققه وجدانا وعيانا وأغرقني في عين حياة طوالع سعود حقيقته الربانية، حتى أكون به ومنه وإليه، بل حتى إذا جاءه لم يجده شيئًا ووجد الله عنده، وآله وصحبه وسلم تسليما عدد رضاك عنه يا الله يا الله يا الله".

(1) في ج لمن شاءت بما شاءت.

وقد نصوا: أن من أقدم على حلال صرف يظنه متشابها؛ أن قلبه يَقسى بذلك ويُظلِم، كما أنه لو أقدم على حرام يعتقد أنه حلال؛ لا يقسى قلبه به، ولا يعاقَب على فعله، وإذا أقدم على حلال صرف يعتقد حرمته؛ فعليه درك المخالفة.

وكذلك؛ من قرأ هذه الصلاة التي قد ادخر مولانا جل أمره لقارئها ما ادخر، وفي قلبه حزازة من ذلك الفضل؛ فإنه يُحرمه ولا يعطاه، كما أن من قرأها وهو يظن ذلك الفضل لحُسن ظنه بالناس ولو لم يصله خبر ذلك الفضل؛ فإنه يناله ذلك الفضل الإلهي.

وقد نقل ابن بُشكوال بسنده أن: "من بلغه فضلٌ عن عمل فعمل ذلك العمل رجاء ذلك الثواب؛ أعطاه سبحانه ذلك الثواب وإن لم يكن ما بلغه حقا".

[قواعد مهمة ونوازل في تتبع الخير ولو بأضعف مستند]:

وبالجملة؛ فمريد الآخرة إن وجد باعثا على خير بتأس أو باقتداء أو بسمع من الله تعالى لِيَغْتَنِمْه. قال الشاطبي في حوادثه: "أو برؤيا منامية كرؤيا الكتاني[1] أنه رأى الحق سبحانه في النوم، فقال له: من خاف من موت قلبه فليقل كل يوم بعد الفجر: يا حي ياقيوم لا إله إلا أنت. أربعين مرة. قال الشاطبي: مع نصوص جميع الأئمة أن الرؤيا لا يُستدل بها على حكم. ونقل ابن بشكوال حديثا مرفوعا، وهو[2]: من فُتح له باب من الخير فلينتهزه، فإنه لايدري متى يُغلق عنه".

---

(1) هو محمد بن علي بن جعفر الكتاني أبو بكر، أصله من بغداد، صحب الجنيد والخراز والنوري، وأقام بمكة مجاورا بها إلى أن مات سنة 322 هـ، وكان أحد الأئمة كما في ترجمته من "حلية الاولياء" 357/10، و"تاريخ بغداد" 74/3، و"طبقات الصوفية" 282/1.

(2) رواه ابن المبارك في كتاب "الزهد" عن حكيم بن عمير ص 38 والشهاب القضاعي في "مسنده" ص 268 عنه أيضا.

ومن المناسبات في الباب: ما صدر من أهل العلم المقتدى بهم، وليس منصوصا عن السلف، ومع ذلك فإنه لما لم يراغِم سنة؛ استسهلوه. وذلك كمطلق التشبه بالعجم؛ فليس كل ما فعلته العجم منهيا عن ملابسته.

قال المواق(1): "وكنت أَبَحْتُ لأهل الفحص لبس الرندين، كما قال مالك في المظال: ليست من لباس السلف، وأباحها؛ لأنها تقي من البرد. فشُنِّع هذا عليَّ. فكان من جوابي أن قلت: الرندين ثوب رومي يضمحل التشبه به بالعجم في جنب منفعته، إذ هو ثوب مقتصد يُنتفع به ويقي من البرد. ونص من أثق به من الأئمة أنه: ليس كل ما فعلته العجم منهيا عن ملابسته، إلا إذا نهت الشريعة عنه ودلت القواعد على تركه!".

والمراد بالأعاجم الذين نُهينا عن التشبه بهم: أتباع الأكاسرة في ذلك الزمان في زيهم. ويختص النهي بمقتضى ما يفعلونه على خلاف مقتضى شرعنا. وأما مافعلوه على مقتضى الندب أو الإيجاب أو الإباحة في شرعنا؛ فلا نترك ذلك لأجل تعاطيهم إياه، لأن الشرع لا ينهى عن التشبه بمن يفعل ما أذن الله سبحانه فيه.

فقد حفر صلى الله تعالى عليه وآله وسلم الخندق على المدينة تشبها بالأعاجم حتى تعجب الأحزاب منه، ثم علموا أنه بدلالة سلمان الفارسي عليه.

---

(1) "سنن المهتدين" ص 249 وقال محققه: "الفحص منطقة من غرناطة احتلها النصارى واختلط سكانها بالنصارى في العادات والزي".

فالرندين المذكور مثل هذا؛ لباس مقتصد لا سرف فيه، ينتفع به ويقي من البرد، ويضاهي – أيضا – لباس المظال. قال مالك[1] فيها: "ليس من لباس السلف"، وأباحها لأنها تقي من البرد. فلا فرق بين هذه وبين[2] الرندين.

وصح[3] أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم لبس جبة رومية ضيقة الكمين. قال ابن العربي في "المسالك": "كانت شامية والشام في ذلك الوقت للروم. ففي هذا: جواز لبس الضيق من الثياب، وهو مستحب في الغزو، ومن التشمير والتأسي برسول الله صلى الله تعالى عليه، ولا بأس به في الحضر". اهـ نصه، ونحوه لأبي عمر ابن عبد البر في "الاستذكار"[4].

وقال ناصر الدين المشدالي: "كُرِهت الصلاةُ في السراويل؛ لأنه يحد العورة ويصفها، وقيل: لأنه من زي الأعاجم. ورُدَّ هذا التعليل بأن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم صلى في جبة ضيقة شامية، وهي: القبا، وهي من لبس العجم".اهـ.

فإذا ارتكب الناس هذا المنحى وألغوا التشبه بالعجم في جنب ملاحظة شيء آخر؛ فلا عليك أن تلغي هذه المعصية – وهي: الصلاة على مولانا أحمد – حيث لم تجد في كتب الله تسمية بأحمد، ولا في سنة رسوله أنه قال: "لي عند الله أسماء"، وعَدَّ منها: "أحمد"، ولم تجد في الكتب المنزلة من السماء تسمية بأحمد. فلا عليك أن تلغي هذه المعصية وهذا المنكر في جنب كونه يقتضي التعظيم والاحترام والجلالة لذلك الجناب الأعظم حيث اقتضى أنه

---

(1) "التاج والإكليل" 502/1.

(2) ساقطة من ط.

(3) رواه البخاري 2185/5ح 5461 ومسلم 229/1ح 274 عن المغيرة بن شعبة.

(4) 322/8.

أحمد. وأولى الناس وأحقهم بأن يحمد، وأحمد الحامدين لربه سبحانه. ويتكرر هذا المعنى المرات الكثيرة في اليوم افتراه عليه، كلا. {فمن أبصر فلنفسه ومن عمي فعليها}. [الأنعام/ 104].

فلما كانت هذه الصيغة تقتضي أنه أحمد خلق الله على الإطلاق لربه، وكانت مما يَرجِع منه عليه الصلاة والسلام لربه بخلاف محمد، فهو فيما يرجع منه للخلق. وإن زعم زاعم أن تلك المحامد التي حمد من أجلها هي من الحق؛ نقول له – وهو: عين قول ابن القيم في "الهدي النبوي"(1)، وفي "جلاء الأفهام"(2): "إن أحمد ومحمد متقاربا المعنى كما قدمناه مفصلا، وكانت صيغة سيدنا محمد تقتضي أنه كثرت محامده وخصاله حتى سمي بمحمد".

قلنا: إن أحمد فيما منه إلى الله؛ أي: هو أحمد الخلق لربه، وإن محمدا في نسبته مع الخلائق؛ أي: هو محمدهم، أي: أكثرهم خصال التشريف والتحميد والجلالة. وأدون من هذا بمراحل: ما حدث به أبو عمران ابن منظور عن الخطيب بمسجد القرويين شارح "الحكم" ابن عبّاد، أنه: كان له بعمامته طرز، فقيل له في ذلك؟. فقال: "إنه مليح، ولا تعلق للدين لا بتركه ولا بفعله".

وهلا وسعك ما وسع الإمامَ ابنَ عرفة إذ قال في البوقات في رمضان في المنار: "إنما هي قوارع لا يترتب عليها مفسدة إلا إيقاظ الناس للسحور".

(1) "زاد المعاد" 89/1.

(2) ص 188.

قال السيد مفتي تونس البرزلي(1): "وحاصل هذا؛ أنهم استسهلوها لكون الناس تمالئوا عليها ولا ينبني عليها مفسدة شرعية".اهـ. قال هذا بعد أن ذكر أن قاضي القيروان بعث إلى ابن عبد السلام أن بعضهم أنكر النفير على المنار في رمضان وقال: هي معصية في أفضل الشهور، في أول قبلة اختطت بالمغرب؛ وهو: جامع القيروان.

فأجابه ابن عبد السلام: "إن عاد لمثل هذا؛ فأدبه!". ثم رشّح هذا البرزلي قائلا: "إن هذه مسائل الخلاف فيها موجود بالجواز والكراهة، لا ينبغي لأحد أن يخالف فيها".اهـ.

فكل ما هو من قبيل الخير؛ لا(2) تشمئز أكابر العلماء منه، ولو لم يرد فيه ترغيب بخصوصه ولا نص عليه أحد، كما ذكر أبو عمر ابن عبد البر(3) الخلاف في الإعلام بالجنازة؛ رشَّح الجواز بأن قال: "أجمعوا أن شهود الجنائز خير وعمل بر، وأجمعوا على أن الدعاء إلى الخير من الخير".

ولما قال مالك(4): "قول المُضَحّي: اللهم منك وإليك: بدعة". قال ابن رشد(5): "لا حرج في ذلك، وهو مأجور".

---

(1) "مواهب الجليل" 432/1.

(2) ساقطة من ط.

(3) انظر "التمهيد" 258/6.

(4) "المدونة الكبرى" 67/3.

(5) "المقدمات الممهدات" 427/1 قال العدوي في "حاشية على الرسالة"723/1: "وقيّده ابن رشد بما إذا كان قائله يعتقد أنه من لوازم التسمية وإلا فلا كراهة".

ولما قال الترمذي في "الجامع" في شأن سجدة الشكر[1]: "العمل عند أكثر العلماء[2] ولم ير ذلك مالك". قال في "العارضة"[3]: "ولم ير ذلك مالك، والسجود لله تعالى دائما هو الواجب، فإذا وجد أدنى سبب للسجود؛ فليغتنم". اهـ نص ابن العربي.

والحاصل؛ إن ما لم ينه الله سبحانه عنه ولا نبيُّه، ولا اتفق السلف الصالح على النهي عنه؛ فلا معنى لمن كرهه كما قال أبو عمر ابن عبد البر، مع ما نص عليه القرافي والعز أن: الشرع يحتاط لفعل المندوبات كما يحتاط لفعل الواجبات، فما استحب قوم فعله أولى. وما نص عليه أبو عمر – أيضا – من قوله: "إنه لا يكون أحط رتبة من المباح".

[لا حسبة فيما اختلف فيه من الحلال والحرام، بله غيرهما]:

وأقول لك – يا بغيض – ما قال الإمام البرزلي لمن مزق عرضه: "أنت – يا هذا – قد عمدت إلى مستحَب جائز الترك، أو مكروه جائز الفعل، أو مباح وغيرُه خير منه – أي: في ظنك – وكل ذلك مختلَف فيه. والخلاف إذا كان في التحريم والتحليل لا حسبة فيه؛ فكيف يُحتسب فيما ليس من الحلال والحرام؟!".

---

(1) في ط شكر.

(2) "سنن الترمذي" 141/4 وجملة "لم ير ذلك مالك" من كلام المؤلف.وعبارة الترمذي هكذا: والعمل على هذا عند أكثر أهل العلم رأوا سجدة الشكر"

(3) "عارضة الأحوذي" 56/7.

قال أبو عمر: "ألا ترى أن الصحابة الكرام اختلفوا - وهم الأسوة - فلم يعب أحد منهم على مخالفه، ولا وجد عليه في نفسه؟. فإلى الله تعالى الشكوى، وهو المستعان على أمة نحن بين أظهرها تستحل الأعراض إذا خولفت".اهـ كلام أبي عمر.

هذا إذا خولفت في الفتوى، وهي: من متعَبّدات الإسلام، ومع ذلك لم يعذر المنكر للخلاف في المصيب من هو.

فعلى أن كل مجتهد مصيب، فلا معنى للتشغيب والاعتراض، وما انتقل المفتي إلا من صواب إلى صواب.

وعلى أن المصيب واحد؛ فالإجماع على أنه غير مُعَيَّن، فكيف إذا خولف الناس فيما ليس من ذلك القبيل، كيف يعذرون في التهويس والتخليط والتطويل بما ليس عليه تعويل؟!، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

ولا نصل في فعلنا هذا إلى حد ترك الوتر الذي هو آكد السنن، ومع هذا قال ابن العربي: "قول سحنون: من ترك الوتر أُدِّب. التُقف هذا من أسد بن الفرات، وهي لعَمرُ الله مِلح غير فرات، فإنّ ظهر المؤمن حمىً لا يُستباح إلا إذا عصى".

وقال في "التمهيد"[1]: "إن أسامة بن شريك قال: شهدتُ الأعاريب يسألون رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: هل علينا جناح في كذا وكذا...فقال صلى الله تعالى عليه[2]: عبادَ الله؛ إن الله - سبحانه - قد وضع الحرج إلا امرَأ اقترض من عرض أخيه شيئا، فذلك الذي حرج وهلك".اهـ.

---

(1) 281/5.

(2) والحديث رواه الحاكم في "المستدرك" 208/1.

وإنما هذا لأن العرض من الظلم الذي لا يتركه الله سبحانه وإن كان المغتاب ظالما أو فاسقا، إذ: "كل المؤمن على المؤمن حرام: دمه وماله وعرضه"[1]. فإن كان القائم مدعوا للشهادة أو ممن بسطت يده في الأرض؛ فقد قالوا: "لا يباح له أن يذكر من عرض الفاسق إلا القدر المحتاج إليه، لأجل التغيير عليه مع من له قدرة على التغيير عليه".

وأما التفكه بعرض المؤمن الجاني؛ فلا يحل ولا يجوز. وكما قاله عوف قال: "دخلت على محمد ابن سيرين، فتناولت الحجاج، فقال ابن سيرين: إن الله تعالى حكمٌ عدل، فكما يأخذ من الحجاج يأخذ للحجاج، وإنك إذا لقيت الله سبحانه غدا كان أصغر ذنب أصبته أشد عليك من أعظم ذنب أصابه الحجاج[2]". فالتفكه بعرض الفاسق حرام بإجماع. ومن "الإحياء"[3]: "أخبث أنواع الغيبة: إفهام المقصود على صيغة أهل الصلاح".

---

(1) كما في حديث أبي هريرة في "صحيح مسلم" 1986/4 ح 2564.

(2) انظر "شعب الإيمان" للبيهقي 287/5، و"إحياء علوم الدين" 153/3.

(3) "إحياء علوم الدين" 145/3.

من أسرار معاني الصلاة الأنموذجية

ثم حيث وصلنا إلى هذا الوادي؛ فلننخ فيه الركائب، ولنحط به الرواحل، ولْنُمْلِ عليك أسرار هذه الصلاة الأنموذجية التي ما فهمتها، وأُغلقت عنك أسرارُها، ولم تفتح لك أنوارها، بعد أن بينا أن هذه الصلاة القدسية ليست مخترعة كما قلتَ، وأن الصلاة بمولانا أحمد كل الشريعة تؤيدها وتعضدها. وما بقي إلا أن نبين لك معنى هذه الصلاة حتى ترجع عن التغليط الذي غلطت به الناس، والتوهم الذي حل بك، وإلا؛ فقد نبه ورقة بن نوفل - رضي الله عنه - أن كل من خرج من المألوف عودي. وحتى يعلم العقلاء أنك إن أنكرت هذه الصلاة؛ فقد أنكرت هذه الكتب الإسلامية التي تُنقل عنها شرح هذه الصلاة، ما بين تفاسير وحديث، وأصول وبيان، ومعان وتوحيد، وتصوف وتحقيق...ويكفيك أن بؤت بإثم نفسك واسم من استحل أعراض المسلمين في صحيفتك.

{وأفوض أمري إلى الله إن الله بصير بالعباد}

وإن شاء؛، شاء أن يسمي هذا الشرح: **"شرح المغلقات من يواقيت الأسرار الأحمديات"**. فنقول: الكلام على هذه الصلاة من فصلين:

الفصل الأول: في بيان ما أشكل من ألفاظها، وذكر النصوص الدالة على أن جميعها كما أنه ناهج النهج العربي اللغوي، كذلك منطو على بحر عظيم من بحار المعرفة. كما أنها لم تخرج عن أماديح العارفين لهذا الجناب المحمدي الكريم، إلا أنها تصف الشمائل الباطنة، على عادة[1] الكبراء الذين لا يقفون مع القشور، كصلاة الحاتمي والدسوقي، والجيلاني والرفاعي...وغيرهم من الكبراء.

الفصل الثاني: في حاصل معناها.

[الفصل الأول: في بيان ما أشكل من ألفاظها، وما يتعلق بذلك]

أما الفصل الأول؛ فنقول بعد أن نقدم لك مقدمتين:

[المقدمة الأولى: منشأ الخلاف من عدم الغوص على دلالات الألفاظ]:

المقدمة الأولى: قال العلامة اليوسي في "مناهج الخلاص من كلمة الإخلاص"[2] لما تكلم على كلام الهبطي واليسِّيتْني ومن معهما في النفي في الهيللة الشريفة على ما يتوجه،

([1]) في ط مادة.

([2]) ص 175

قال ما نصه: "أن تعلم ما أتى على كثير من الناس مثل هؤلاء في كثرة إنكار بعضهم على بعض، ومبادرة بعضهم إلى تجهيل غيره وتضليله، إلا من إهمال الألفاظ، وما تدل عليه من أنواع الدلالات، وقلة الالتفات إلى ضروب المعاني المتشعبة من ذهنية وخارجية وجزئية وكلية، وقلة استحضار الفنون المختلفة من معقول ومنقول".

"فعلى الباحث أن أن يوفي كل ذلك حقه، وغير ذلك مما يجب اعتباره، ويتورع[1] مع ذلك بحسن الظن والتماس المخارج لمطلق المؤمنين، فكيف بالعلماء الراسخين؟. فإن أدنى شيء يقع للمعترض على غيره: أن يجد لفظا ظاهر الدلالة على معنى فاسد بعيد الدلالة على الصحيح، فما يتوقف أن يحمله على الفاسد فيتم به الاعتراض محتجا بنفسه الأمّارة، لأن المحمَل القريب الظاهر أولى من البعيد".

"وما يدري المسكين أن هذا – وإن كان بعيدا – فمعه ظاهر يقويه، وهذا المحمل الفاسد وإن كان ظاهرا فمعه بعيد يضعفه ويوهنه. وذلك أن ينظر الرجل علماء الإسلام المعروفين بالعلم والدين واتباع سنة السلف الصالح، فالغالب والمظنون في اعتقادهم وكلامهم، فيعلم أن الغالب والمظنون الظاهر منهم في الجملة هو اعتقاد الحق وإرادة الصواب، بل الخير مظنون بكل مؤمن فكيف بالعلماء؟. فيعلم حينئذ أن بُعد اعتقادهم للفاسد يُبعِد هذا المحمل الفاسد وإن كان قريبا، وظهور اعتقادهم للحق يقرب هذا المحمل الصحيح وإن كان بعيدا، مع السلامة وامتثال أمر الله تعالى في الثاني دون الأول. ثم قال: والله يعصمنا من الزلل، في القول والعمل، ويجعلنا من أهل الصدور السالمة، والمذاهب المستقيمة. بمنه ويمنه".اهـ.

([1]) في ط يتدرع.

[المقدمة الثانية: الخطاب يكون تارة باسم المخاطِب، وتارة باسم المخاطَب]:

المقدمة الثانية: قال الخرّوبي في صدر "شرح الصلاة المشيشية" ما نصه: "اعلم أن الخطاب تارة يكون بحسب المُخاطِب (بكسر الطاء من اسم فاعل)، وتارة يكون بحسب المخاطَب من أجله (بفتح الطاء من اسم مفعول). وهنا وقع بحسب الأول، إذ الثاني لا يُحاط بقدره؛ إذ هو مقام الرسالة الأحمدية، والنبوة المحمدية، وإنما كل مخاطَب صلى على مولانا رسول الله بحسب معرفته بجانبه[1]، وبحسب اطلاعه على خصوصيته وقربه. وخطاب الشيخ في تصليته هذه يدل على علو مقامه في المعرفة، وصدقه في المحبة، وعلى تمكنه في مقام الوُصلة والقربة".

"ولعَمري لقد ضمّن فيه معارف لطيفة، وأسرارا شريفة، تؤذن بعلو قدر الرسول العظيم، وعظيم خصوصيته بين المرسلين. ثم قال بعبارات لطيفة، وإشارات دقائق شريفة، لا يدركها إلا ذو روح عرشي، وسر كرسي، وقلب لَوْحي، ولسان قلمي. ولقد أحسن فيها البداية، وأجاد فيها النهاية، فقال: اللهم صل على من منه انشقت الأسرار"...الخ.

وها هنا قلت: "اللهم صل على مولانا أحمد"...وأول هذا الشرح:

الحمد لله كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، والصلاة والسلام على محل نظره من خليقته، روح الدين وأساس بنيانه، وعلى آله وأصحابه، وكل قائم بالدين، وشادٍّ أزره، ومعلن قواعده، ومشيد أركانه.

([1]) هكذا في ج وط.

أما بعد؛ هذه الصلاة الأنموذجية استُشكِلت فيها مواطن أُغلقت، وما أذنت بالانفتاح إلى الآن، وقد آذنت مغلقاتها أن تفتح، وأسرارُها لطالبيها أن تُبَيَّن وتشرح، وإنما نحن بالله وبرسوله الكريم الأسنى وله.

الإشكال الأول: فيما يتعلق باللفظ الأول من ألفاظها؛ وهو: التعبير بمولانا أحمد

استُشكل التعبير بمولانا أحمد، والحال أنه تقدم الجواب مبسوطا عن سر تعبيره عليه الصلاة والسلام بمحمد في الإبراهيمية، وقدَّمنا أنه لم يَرِد نهي عن الشارع خاصا في أن لا يصلى عليه إلا بمحمد مثلا.

قلت: واستشكل هذا الاستشكال، وشُرح الإشكال الأول. ووجه كونه مشكلا أن تقول: إن هذا المستشكل له وجوه من الاحتمالات:

1 – الاحتمال الأول: [أن يكون أنكر قيام معناه بالذات النبوية]:

كأنه ينكر قيام معنى هذا الاسم الكريم بالذات المحمدية، وإلا؛ لو لم ينكر قيام معناه بالذات النبوية؛ أيُّ معنى لاستشكال الصلاة به؟. أليس سيدنا محمد جمعت ذاته الكريمة حقيقة معنى الحمد الإضافي بعد جناب الربوبية، إذ هو الذي:

تملـــك الحمــــد حتــــى مـــا لمفتخـــر   في الحمـــــد حــــاء ولا مــــيم ولا دال

ومعنى الحمد هذا له في الاشتقاق صيغتان: الاسم المبني صيغته على صيغة أفعل، المنبئة عن الانتهاء إلى غاية ليس وراءها منتهى. وهو: اسمه مولانا أحمد؛ لأنه أفعل

تفضيل، حذف المفضَّل عليه قصدا للتعميم، نحو: "الله أكبر"، أي: من كل شيء، ثم نُقل ولوحظ أصله. فلا يرد عليه أنه عَلَم فكيف يفيد ما ذكر؟.

قال في "روح البيان": "قال حضرة الشيخ الأكبر في كتاب "تلقيح الأذهان": سمي من حيث تكرر حمده مُحمدا، ومن حيث كونه حامل لواء الحمد أحمد..الخ. قال الراغب: أحمد؛ إشارة للنبي عليه السلام باسمه، وخص لفظ أحمد فيما بشر به عيسى: تنبيها على أنه أحمد منه ومن الذين قبله".اهـ

ويوافقه ما في "كشف الأسرار" من أن: "الألف فيه للمبالغة في الحمد، وله وجهان؛

أحدهما: أنه مبالغة من الفاعل، أي: الأنبياء كلهم حامدون لله تعالى، وهو أكثر حمدا من غيره.

والثاني: أنه مبالغة من المفعول، أي: الأنبياء كلهم محمدون لما فيهم من الخصال الحميدة، وهو أكثر مناقب وأجمع للفضائل والمحاسن التي يحمد بها".اهـ.

وقال الإمام السُّهيلي في كتاب "التعريف والإعلام": "أحمد: اسم عَلَم منقول من صفة لا من فعل، وتلك الصفة أفعل التي يُراد بها التفضيل، فمعنى أحمد: أحمد الحامدين لربه عز وجل. وكذلك قال هو في المعنى؛ لأنه يفتح عليه في المقام المحمود بمحامد لم تُفتح على أحد قبله، فيحمد ربه بها، وكذلك يعقد لواء الحمد"...

قال السُّهيلي: "ثم إنه لم يكن محمدا حتى كان أحمد، حَمِد ربه فنبأه وشرفه، لذلك تقدم اسم أحمد على الاسم الذي هو محمد، فذكره سيدنا عيسى عليه السلام فقال: {اسمه أحمد}. [الصف/ 6]، وذكره سيدنا موسى – عليه السلام – حين قال له ربه سبحانه: تلك أمة أحمد. فقال: اللهم اجعلني من أمة أحمد".

قال السهيلي: "فبأحمد ذَكره قبل أن يذكره بمحمد؛ لأن حمده لربه كان قبل حمد الحامدين لربه. ثم يُشَفَّع فيُحمد على شفاعته. فانظر كيف ترتب هذا الاسم قبل الاسم الآخر في الذكر وفي الوجود وفي الدنيا وفي الآخرة؛ تلُحْ لك الحكمة الإلهية في تخصيصه بهذين الاسمين".اهـ كلام السُهَيْلي مختصرا.

فمستشكِل الصلاة بمولانا أحمد لم يُدْرَ وجهُ استشكاله وتوقفه؟، فإن كان ينكر قيام معناه بالذات الأحمدية؛ فيلزمه إنكار القرآن الذي سماه به على لسان سيدنا عيسى عليه السلام، وتكذيب سيدنا عيسى عليه السلام، وكيف صدقه القرآن والفرض أنه كذلك؟، فيلزم عليه – أيضا – نسبة العبث إلى جانب الربوبية. فبشارة سيدنا عيسى بنبينا عليه الصلاة والسلام مما نطق به القرآن المعجز، فإنكار النصارى لذلك ضرب من الهذيان، بل هو في الأناجيل الأربعة[1].

قال السهيلي في كتاب "التعريف والإعلام": "وانظر كيف أنزلت عليه سورة الحمد وخُص بها دون سائر الأنبياء، وخص بلواء الحمد، وخص بالمقام المحمود. وانظر كيف شرع له سُنّةً وقرآنا أن يقول عند اختتام الأفعال وانقضاء الأمور: "الحمد لله رب العالمين"، وقال تعالى: {وقضي بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين}. [الزمر/ 75]، وقال أيضا: {وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين}. [يونس/ 10]. تنبيها لنا على أن الحمد مشروع عند انقضاء الأمور، وسن عليه الصلاة والسلام الحمد بعد الأكل والشرب، وقال عند انقضاء السفر: آيبون تائبون لربنا حامدون[2]".

([1]) كتاب الصورة الحديثة أو العهد الحديث يحتوي على الأناجيل الأربعة: كتاب إنجيل متى، وكتاب إنجيل مرقس، وكتاب إنجيل لوقا، وكتاب إنجيل يوحنا. انظر "الفهرست" لابن النديم ص 35.

([2]) رواه مسلم في "صحيحه" 978/2 ح 1342 عن ابن عمر.

"ثم انظر لكونه عليه السلام خاتم الأنبياء، ومؤذنا بانفصال الرسالة وانقطاع الوحي، ونذيرا بقرب الساعة وتمام الدنيا، مع أن الحمد - كما قدمنا - مقرون بانقضاء الأمور، ومشروع عندها؛ تجد معاني اسمه جميعا وما خُصَّ به من الحمد والمحامد مُشاكلا لمعناه مطابقا لصفته. وفي ذكره برهان عظيم وعَلَم واضح على نبوته وتخصيص الله بكرامته، وأنه قدم له هذه المقامات قبل وجوده تكرمة له وتصديقا لأمره عليه السلام".اهـ كلام السهيلي.

فإن قال قائل: إن هذا لا ننكره، فنحن نعلم قيام أتم المحامد وأكلمها به عليه الصلاة والسلام.

قلنا: ونحن - أيضا - لا نجهل ذلك، وكوننا وكونكم لا نجهل ذلك هو عين دلالتنا عليه بمولانا أحمد.

فإن قيل: لا يحتاج في استحضار هذا المعنى إلى الصلاة بمولانا أحمد.

قلنا: وعليه؛ فلا يحتاج - أيضا - للدلالة على كثرة الحمد والتحميد مرة بعد أخرى المدلول عليه بسيدنا محمد للصلاة بمولانا محمد، لما أن هذا مركوز في الطباع فلا يحتاج إليه. وكل ما يقال مقابَل بأمثال أمثاله. وقد كان سيدنا علي[1] يخرج بين صفوف حرب صفين كل يوم ويقول: "يا معاوية ابرز إلي كما برزتُ إليك، فعلى مَ يقتتل هؤلاء الناس؟".

على أن قولك: "لا يحتاج إليه في الاستحضار"؛ يتوجه منك على القرآن الكريم، فكان ينبغي له أن لا يذكره، أو كان ينبغي على كلامك أن لا يذكر الاسم الشريف محمدا

([1]) كما في "البداية والنهاية" 264/7.

في القرآن إلا مرة واحدة، لأن المعنى منه فُهم بالذكر الأول، وهذا منك - أيضا - اعتراض على القرآن. هذا آخر ما يلزم على الاحتمال الأول من احتمالات المستشكِل للصلاة بمولانا أحمد وقد رأيت وسمعت ما يلزم عليه.

2- الاحتمال الثاني: [أنه لم يرد تسمية النبي بأحمد في السنة]:

يحتمل أن المستشكِل للصلاة بمولانا أحمد لما أنكر الصلاة به، لأنه لم يرد في السنة المحمدية تسميتُه به، وأين هذا مما صح في رواية الإمام مالك والبخاري ومسلم والدارمي والترمذي والنسائي[1] عن جبير بن مطعم قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: "إن لي أسماء: أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الحاشر الذي يُحشر الناس على قدمي، وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر، وأنا العاقب". والعاقب: الذي ليس بعده نبي.

قال الحافظ ابن كثير في "تفسير"[2] عند هذه الآية؛ وهي: {وإذ قال عيسى بن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد}. [الصف/ 6]، قال: "يعني: التوراة بشرت بي وأنا مصداق ما أخبرت عنه، وأنا مبشِّر بمن[3] بعدي؛ وهو: الرسول[4] الأُمّي العربي المكي أحمد. فعيسى

---

(1) "الموطأ" 1004/2 ح 1823، "صحيح البخاري" 1299/3 ح 3339، "صحيح مسلم" 1828/4 ح 2354، "سنن الترمذي" 135/5 ح 2840، "سنن الدارمي" 409/2 ح 2775 و"سنن النسائي الكبرى" 486/6 ح 11590.

(2) 360/4.

(3) في ج وط من.

(4) في أصل ابن كثير "النبي".

هو خاتم أنبياء بني إسرائيل، وقد أقام في ملأ بني إسرائيل مبشرا بسيدنا محمد، وهو أحمد خاتم النبيين والمرسلين الذي لا رسالة بعده ولا نبوة".

ثم ذكر حديث البخاري وقال: "وقال أبو داود الطيالسي[1]: حدثنا المسعودي، عن عمرو بن مرة، عن أبي عبيدة، عن أبي موسى قال: سمى لنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم نفسه أسماء، منها ما حفظنا، فقال: أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الحاشر، والمقفي، ونبي الرحمة والتوبة والملحمة". ورواه مسلم[2] من حديث الأعمش عن عمرو بن مرة به.

وكان السلف يصلون بمولانا أحمد. وها هنا أمنية للمعترض إن كان قصده الوقوفَ على وجه الحق في المسألة: رأيت في "شرح القاموس"[3] في المجلد السابع منه، في مادة "أول" ما نصه: "وكان الحسن رضي الله عنه إذا صلى على النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: اللهم اجعل صلواتك وبركاتك على آل أحمد. يريد نفسه".اهـ لفظه.

فهذا نص من السلف في أنهم كانوا يستعملون هذه الصيغة في صلواتهم، وإنما القصور هو المانع من الاطلاع، ولا يخرج الإنسان عن الكتب المتداولة، ولله الأمر من قبل ومن بعد.

قال تعالى: {فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين}. [الصف/ 6]. قال الحافظ ابن كثير[4]: "قال ابن جريج وابن جرير: فلما جاءهم أحمد – أي: المبشَّر في الأعصار المتقادمة، المُنوَّه بذكره في القرون السالفة – لما ظهر أمره وجاء بالبينات قال الكفرة

---

[1] "مسند الطيالسي" ص 67 ح 492

(2) 1828/5 ح 2355.

(3) 6855/12.

(4) "تفسير ابن كثير" 361/4.

والمخالفون: هذا سحر مبين".اهـ. ونحوه في "الكشاف" و"الخازن" و"روح البيان"، كلهم فهموا أن الجائي في قوله: {فلما جاءهم بالبينات}، هو: ذلك المبشِّر به سيدنا عيسى؛ وهو: مولانا أحمد، مع أنه لما ظهر لم يشتهر إلا بسيدنا محمد، فله أسماء ولا إشكال.

قال صاحب "روح البيان": "فأما إرجاعه إلى عيسى – كما فعله بعض المفسرين – فبعيد جدا، وتخصيص هذا الوارد في هذه الأحاديث لا ينافي ماسواه؛ فقد خص الخمسة إما لعلم السامع بما سواها – فكأنه قال: لي خمسة أسماء زائدة على ما تعلم – أو لفضل فيها. كأنه قال: لي خمسة أسماء فاضلة معظمة. أو لشهرتها كأنه قال: لي خمسة أسماء. أو لغير ذلك مما يحتمله اللفظ من المعاني. وقيل: كانت هذه الأسماء معروفة عند الأمم السالفة، ومكتوبةَ في الأمم المتقدمة. وفيه: أن أسماءه الموجودة في الكتب المتقدمة تزيد على الخمسة كما في "التكملة" لابن عسكر".

3– الاحتمال الثالث: [إنكار وجود الحقيقة الأحمدية]:

مما يحتمله إنكارُ منكِرِ الصلاة بمولانا أحمد؛ أن هذه الذات المحمدية ليس لها حقيقتان، إنما لها حقيقة واحدة تسمى بالمحمدية، وليس لها حقيقة تسمى بالأحمدية. فيلزمه ألف شناعة على هذا الاحتمال. أو ينكر أن الذات المحمدية ليست لها روح؛ إذ هي المعبر عنها بالأحمدية، وإذا أنكر روحه عليه الصلاة والسلام؛ فيلزمه أن ينكر أنه كان حيا عليه الصلاة والسلام ووجودَه من أصله عليه الصلاة والسلام، إذ الذات لا تقوم – في العادة – إلا بالروح.

ومنها –أي: من الشناعات: أن الله لم يتخذ قبضة من نوره فقال لها: "كوني محمدا"[1]، وهذه القبضة هي التي يُعَبِّرعنها أهل الكشف بالأحمدية. فكما أن الصلاة بمولانا محمد ألذ عند السامعين، كذلك علم هذا المعنى عند المؤمنين ممن علمه حق يقين، أو يُسمعه لمن كوشف به أرحل بقلوب المؤمنين إلى امتثال أمور نبيهم، وأشوق إلى حمل نفوسهم على الاجتناب عما نهاهم عنه.

أو يُنكِر هذا المستشكِل تقدم النور الأعظم الأحمدي على سائر الأنوار، فيلزمه: إنكار الأحاديث المؤذنة بأن سيدنا أحمد هو الأول في الموجودات، وأن منه تكَوَّن كلُّ شيء. وإذا لم يكن هو الأول في الوجود العيني الخارجي؛ فيلزم أن هذه الأشياء لم تنشق منه ولم تنفلق الأنوار عنه[2]. وكم أبرق النورانيون وأرعدوا على الأليوري في شرح "بردة المديح" حيث أنكر قوله:

([1]) هذا مما اشتهر واطرد في كلام السادة الصوفية رضي الله عنهم، وقرروه في مصنفاتهم، وليس هو من كلام النبوة البتة كما يتوهمه كثير من الناس، بل وجدت القسطلاني في "المواهب" ينكر كونه من كلام النبي صلى الله عليه وآله وسلم وكذا السيوطي في "الدلائل" وغيرهما من علماء الفريقين. وهذا لا يعني بطلانه لأنه معلوم لدينا من جهة أخرى غير الأسانيد، والله أعلم

([2]) فصل الإمام المؤلف نفعنا الله به الكلام في هذا المعنى في كتابه النفيس "الديوانة في وقت ثبوت الفتح للذات المحمدية"، دونك هذه الدقيقة، قال ص 66: "اعلم أن دوائر هذا الوجود كانت مكنوزة في طي الأزل، ومكنونة في اللوح الأول، وذلك لعدم مقتضيات الاسم الواحد، وغلبة مقتضى الاسم الأحد، وهو لا يقتضي شيئًا زائدا عليه بحسب الظهور العيني لا الحكمي. فلما أراد الأنموذج أن يعرَف؛ أبرز القبضة الأحمدية منه إليه فيه. فظهورها منه هو المعبر عنه بالوحدانية. وهو ظهور إجمالي، وهو التنزل الثالث، إذ من العما إلى الأحدية، ومنها إلى الواحدية. فلما أراد التفصيل التفصيلي، بسط شعاع القبضة الأحدية الخفية، فنقش تلك الأشعة في المرائي المعدومة فأبرزت تفصيلات، ويعبر عن هذه الحضرة بالألوهية. وأول ما ظهر من الثالثة هو: هيولى الإجمال والتفصيل والهباء والهيولى، والأرواح المجردة والمهيمة وسائر البسائط والمركبات على التدريج بحسب الظهور. وهناك انشقت أسرار القبضة وانفلقت في غيرها أنوار الكثرة منها، لولا الوحدة التي هي عبارة عن القبضة، ما ظهر مكنون بطون الكنزية.. .الخ".

لولاه لم تُخْرَج الدنيا من العدم

فكان إنكاره لهذا من إنكار ضروريات الدين، وجهل المسائل الضرورية التي يعلمها كل المسلمين؛ من أن الأشياء كلها مُنْبَجِسَةٌ من النور الأعظم المحمدي الأحمدي، وأن نوره الأعظم أسبق الأنوار.

فلعل هذا المستشكل ينكر - أيضا - هذه السبقية لهذا النور المحمدي، فلذلك أنكر الصلاة بمولانا أحمد، وقد زاد على هذا المعنى صاحب "روح البيان" معنى آخر أرشق من هذا؛ فقال عند قوله تعالى: {يأتي من بعدي اسمه أحمد}، ما نصه[1]: "الذي يلوح بالبال: أن تقدم اسم أحمد على الاسم محمد من حيث: إنه عليه السلام كان إذ ذاك في عالم الأرواح متميزا عن الأحد بميم الإمكان، فدل قلة حروف اسمه على تجرده التام الذي يقتضيه موطن عالم الأرواح. ثم إنه لما تشرف بالظهور في عالم العين الخارجي، وخلع الله سبحانه عليه من الحكمة خلعة أخرى زائدة على الخلع التي قبلها؛ ضوعف حروف اسمه الشريف، فقيل: محمد، على ما يقتضيه موطن العين ونشأة الوجود الخارجي، ولا نهاية للأسرار. والحمد لله".

4- الاحتمال الرابع: [إنكاره كون حمد النبي ﷺ أتم من حمد سواه من الأنبياء]:

مما يحتمله إنكار المنكِر للصلاة بمولانا أحمد أنه ينكر كونَ حمدِ سيدنا ومولانا محمد لربه سبحانه بأحمديته ليس بأتمَّ ولا أشمل من حمد سائر الأنبياء والرسل. قال بعض

---

(1) 45/9

العارفين كما في "روح البيان"[1]: سمي عليه الصلاة والسلام بأحمد لكون حمده أتم وأشمل من حمد سائر الأنبياء والرسل، إذ محامدهم لله تعالى إنما هي بمقتضى توحيد الصفات والأفعال، وحمدُه عليه الصلاة والسلام إنما هو بحسب توحيد الذات المستوعب لتوحيد الصفات والأفعال. وهذا يلزم عليه أن قائله لا يقول بأفضليته عليه السلام على الأنبياء والرسل إذ الأفضلية ملزومة يلزمها زيادة العلم بالله تعالى وأكمليته.

5- الاحتمال الخامس: [إنكاره كون "أحمد" من أسمائه ﷺ]:

مما يحتمله منكروا الصلاة بمولانا أحمد: أنهم - لعلهم - ينكرون أنه من أسمائه عليه الصلاة والسلام، فيلزمهم: أنهم ينكرون أحرفا من القرآن الكريم؛ إذ هو اسم قرآني: {ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد}.

ومما كفَّر السلف به الحجّاج الثقفي: حذفه للام من قوله سبحانه: {إن ربهم بهم يومئذ لخبير}؛ فإنه لما كان يخطب وسبقه لسانه أن فتح "أن"، فلم يرض أن يرجع، ولم يرض أن يثبت اللام بعد "أن" المفتوحة الهمزة؛ لأنها لا يقتضيها اللسان، فحذف اللام من خبير لما فتح "أن". فكانت من الأمور التي كُفِّر بها. هذا في حرف واحد فكيف بأحرف؟.

قال في "الشفاء" في العطف على أهل الضلال: "وكذا من أنكر حرفا من القرآن".اهـ.

---

(1) 44/9

6 – الاحتمال السادس: [أنه يثقل عليه سماع الصلاة بهذا الاسم الكريم]:

مما يحتمله إنكار الصلاة بأحمد؛ أنه: يثقل عليه سماع هذه الصلاة المشتملة على هذا الاسم ثقلا طبيعيا. وهذا يوشك أن تكون عاقبته وخمة[1]؛ فإن لفظ "أحمد" لفظ قرآني، وأول متعلق الثقل يتعلق به، فليحذر هذا النوع أيضا.

وليتذكر هنا ما ذكره أهل الفروع الفقهية في التحذير من أن يجد المكلَّف في نفسه أدنى كزازة عند فعل التيمم، كأنه يتوهم أن لا يجزئه.

قال في "النصيحة الكافية"[2]: "وقد تعين كل منهما في محله؛ إذ الأمر بهما من رب واحد، فكما وجب هذا في محله؛ وجب هذا في محله. فوجب أن يكون المؤمن طيب النفس بكل منهما على السواء".اهـ.

وكذلك سيدنا محمد وسيدنا أحمد؛ كل منهما يقتضيه محله، فمن وجد في قلبه أدنى كزازة عند ذكر مولانا أحمد بواسطة سماع صلوات مذكور فيها ذلك؛ فيلزمه ما ألزم العلماء لمن فرق بين الوضوء والتيمم، لأن فيها لفظا قرآنيا.

قال في "القواعد": "القاعدة إقامة ما طلب شرعا من الأعمال الخارجة عن العادة الداخلة فيها، سواء كان رخصة أوعزيمة، إذ أمرُ الله تعالى فيهما واحد، فليس الوضوء بأولى من التيمم في محله، ولا الصوم بأولى من الإفطار، ولا الإكمال بأولى من القصر في

---

[1] أي وخيمة

([2]) "النصيحة الكافية لمن خصه الله بالعافية" لزروق ص25.

موضعه... وعليه يتنزل قوله عليه السلام[1]: إن الله يحب أن تؤتى رخصه كما يحب أن تؤتى عزائمه".اهـ.

وفي "الموطأ"[2] قال الإمام مالك: "من قام إلى الصلاة فلم يجد ماء فعمل ما أمر الله سبحانه من التيمم؛ فقد أطاع الله سبحانه. وليس الذي وجد الماء بأطهر منه ولا أتم صلاة؛ لأنهما أُمِرا جميعا، فكلٌّ عمِل بما أمره الله سبحانه.."..إلخ كلامه.

وقد كان من أخلاق السلف: أن من وجدوه يذكر وردا ذكروه معه، وكذلك الآخرون يذكرون ورد الآخرين.

ومثل ما لزم على هذا يلزم من يثقل عليه سماع قوم يخللون: "محمد رسول الله" بـ: "لا إله إلا الله"[3]، فكذلك يلزم من استثقال ذلك ما لزم على من فرَّق بين التيمم والوضوء.

{وأفوض أمري إلى الله إن الله بصير بالعباد}

7-الاحتمال السابع: [أن مجرد ذكر "أحمد" يقتضي الاطلاع على مقام الأحمدية]:

---

(1) رواه عن ابن عمر البيهقي في "السنن" 140/3 وصححه ابن حبان، ينظر "الإحسان" لابن بلبان 333/8.

(2) 55/1.

(3) في ط لا إله إلاه الله بمحمد رسول الله، والسياق يرجح ما في ج وهو الذي أثبته أعلاه.

أن هذا المنكِر للصلاة بمولانا أحمد؛ لعله يفهم أن مجرد ذكر مولانا أحمد يقتضي الاطلاع على الأحمدية وهي لا يطلع عليها، اقتضى له الحال أن ينكر هذه الصلاة المقتضية لذلك. ويقتضي حال هذا المنكر: أنه يلتزم أن أمر الله تعالى بذكر أسمائه الحسنى في قوله: {ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها}. [الأعراف/ 180]، يقتضي اطلاعَنا على حقائق الأسماء الإلهية، ويقتضي أنه تعالى يأمرنا بالاطلاع على حقيقة أسمائه، وهذا مناف للقواعد الشرعية، موجبٌ للتضليل الكبير.

وحيث كان مجرد الاسم يقتضي الاطلاعَ على حقيقة المسمى؛ فإذًا أولُ ما يَقرأُ القاريء: {بسم الله الرحمن الرحيم}؛ يطلع على مسميات الأسماء الثلاثة الشريفة: الله، الرحمن، الرحيم. وهذا لا قائل به. على أنه لم يقع!.

بل الأبحاث الرسمية المتعلقة بالاسم تحيرت العقول فيها؛ أهو مشتق أو مرتجل؟. وعلى أنه مشتق: مِمَّ؟، على عشرين قولا. وهل هو عربي أم سرياني فانعكست عليه أنوار من مسماه، فلم يُدرَك منه حتى رسومه اللفظية فضلا عن حقائقه؟.

على أنه إذا كان يلزم من مجرد ذكر الاسم الاطلاع على حقيقته، وأمرنا الله بذكر أسمائه؛ فلا معتبة إذًا على من قال هذا من الأسماء الإلهية، فكأنك تقول بالاطلاع على حقائق الأسماء الإلهية، إذ يلزم ذلك عندك من مجرد ذكر الأسماء. وهو خبال.

وحيث – يا بغيض – ذَكَرَ اللهُ تعالى اسمه "أحمد" في القرآن، وكان يقتضي ما فهمت، فكان مجرد ذكره في القرآن والإذن للناس في قراءة القرآن تسليماً[1] من الحق سبحانه لما أنكرت، وإقرارا[1] لما انحجب عنك، فأين الحقيقة والشريعة التي تغترف منها؟.

([1]) في ج وط تسليم.

{وأفوض أمري إلى الله إن الله بصير بالعباد}

الإشكال الثاني: في قوله: "الذي جعلت اسمه متحدا باسمك"

قيل: إن إطلاق الاتحاد هنا يشير باتحاد الاسم المحمدي مع الاسم الإلهي[2]، وهذا لم يُدر معناه، والجواب والله سبحانه الموفق:

إنه يقال في المُثل العامية: إذا كان المحدث أحمق فيكون السامع عاقلا!. ليت علمي؛ أيُّ معنى لاتحاد الاسمين؟، وكيف يُسَوِّغ عاقل صيرورة هذا الاسم عين هذا؟، مع أن جواهر الحروف لا يمكن – في العقل ولا في النقل، ولا في الخارج – أن تتحد مع جواهر هذه الحروف الأخر، والفرض أن حروف الاسمين ليست من الحروف المتواخية. فإذا لم يجز هذا في العقل، فكيف ينسب لمن له أدنى مسكة من العقل أن يُجَوِّز هذا؟. وحيث رُوج هذا الفهم ولم يُفهم؛ نرجع ونقول:

إن هذا المتكلم لم يقصد هذا المعنى الذي هو في معنى الحشو، بل قصد معنى آخر. وهنالك تظهر مراتب الناس في العارضة العلمية، فكل إناء يرشح هناك بما فيه. فمن

([1]) في ج وط إقرار.

([2]) في "لقطة عجلان" للمؤلف رحمه الله زيادة نفيسة على ما هنا، فليرجع إليه.

غلب عليه علم من العلوم عبر عن مسألة من مسائله، لأن من اندبغ ذهنه بشيء؛ يصير كل ما سمع شيئا لا يجريه إلا على قواعد ما دُبغ به عقله.

وهكذا العارفون؛ لما اندبغت عقولهم وأسرارهم وأنفسهم وأرواحهم بأنوار المعارف وأسرار التجليات؛ صاروا مهما سمعوا شيئا إلا ويطبقونه على ما سمعوا، ويفرغونه في القوالب المناسبة، لما عُلم عندهم من السر الذي بينهم وبين ربهم ونبيهم. فعلى هذا يقاس كل ما يسمع عن العارفين. ولهم ههنا حكايات ونوادر معلومة.

ثم لننقلب ولنقل: إن الاتحاد هنا لا يلزم عليه ما ألزم في إطلاق الاتحاد في جانب الحق على ما يفهم من ظواهر كلام بعض أهل الشهود، وإلا؛ فحاشاهم أن يقصدوا ما قُوِّل عليهم. فالاتحاد هنا المذكور للاسم لا يلزم عليه محذور.

قال العلامة ابن زكري في "شرح همزيته" في "السفر الأول"، نقلا عن الحافظ السيوطي: "إن لفظ الاتحاد اصطلاح لهم، ولا مشاحة في الاصطلاح، كما اصطلح المحدثون والفقهاء والنحاة على استعماله في معان حديثية وفقهية ونحوية، كقول المحدثين: اتحد مخرج الحديث، وقول الفقهاء: اتحد نوع الماء، وقول النحويين: اتحد العامل لفظا ومعنى". اهـ لفظه.

ثم إن الاتحاد في الصلاة هنا؛ لم يقصد به إلا ما صرحت به الأحاديث النبوية واستفاض خبره في جميع كتب الإسلام، من أن: الاسم الشريف المحمدي مكتوب مع اسمه سبحانه في جميع أمكنة السماوات والجنان، والقصور والغرف، ونحور الحور العين، وورق شجرة طوبى، وورق سدرة المنتهى، وأطراف الحجب، وبين أعين الملائكة عليهم السلام.

بل جعل سبحانه التعبد بتعظيم ذكره كالتعبد بتعظيم ذكره، والتقرب إلى حضرته باسمه كالتقرب إلى حضرته باسمه. وجعل اسمه داخلا في أشرف العبادات، لا تكمل إلا به، كاسمه. وجعل لاسمه من الاحترام والانضمام إلى اسمه ما لاسمه، وكلف عباده بتعظيمه كتكليفهم بتعظيمه.

فلما كان اسمه عليه الصلاة والسلام بهذا القرب الخاص من اسم ربنا جل مجده، وبهذا الالتئام الخاص وهذا الارتباط؛ عبَّر عن الاسمين الكريمين كأنهما اتحدا. والمراد: شدة الارتباط وشدة القرب الخاص المشاهَد، وشدة الالتئام، حتى كان قَلَّ ما يُذكر اسم الله سبحانه إلا وذُكر معه اسم حبيبه عليه الصلاة والسلام.

فهذه الخطب لا يُثنى على الله سبحانه إلا ويُثنى على حبيبه الأعظم. وهذه الرسائل لا يحمد ربنا جل جلاله إلا ويصلي على الرؤوف الرحيم، وهذا الأذان والإقامة لا يذكر الله إلا وذُكر معه اسم الرسول، وهذا التشهد – أيضا – لا يقال فيه: "التحيات لله" إلا ويقال: "السلام عليك أيها النبي".

[من معاني لفظة "جعل" وما يستنبط منها في تفسير هذه الصلاة]:

سيما مع ضميمة استحضار معنى "جعل" في الصلاة، أي: في قوله: "جعلت اسمه متحدا باسمك"، وأن "جعل" لها معان تستعمل بمعنى: التصيير؛ ومنه: قوله تعالى: {إنا جعلنا الشياطين}. [الأعراف/ 27]، أي: صيرناها. وقوله تعالى: {واجعلني نبيا}. [مريم/ 30]، أي: صيرني.

وتكون بمعنى: "سَمَّى". ومنه قوله تعالى: {وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا}. [الزخرف/ 19]، أي: سموهم، وقيل: وصفوهم بذلك وحكموا به.

وتكون بمعنى: الاعتقاد. كقوله: {ويجعلون لله البنات سبحانه}. [النحل/ 57].

وبمعنى: "التبيين"، ومنه: قوله تعالى: {إنا جعلناه قرآنا عربيا}. [الزخرف/ 3]، أي: بيناه. وقيل: قلناه وأنزلناه.

وبمعنى: الخلق والإيجاد. فتتعدى إلى مفعول واحد، ومنه قوله تعالى: {وجعل الظلمات والنور}. [الأنعام/ 1]، أي: خلقهما. ومنه قوله تعالى: {وجعلنا من الماء كل شيء حي}. [المؤمنون/ 30]، ومنه قوله سبحانه: {وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة}. [النحل/ 78].

وبمعنى: التشريف. كقوله تعالى: {جعلناكم أمة وسطا}. [البقرة، 143]، أي: شرفناكم، ومنه قوله سبحانه: {جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما}. [المائدة/ 97].

وبمعنى: التبديل. نحو قوله سبحانه: {فجعلنا عليها سافلها}. [الحجر/ 74]، وكذلك قوله: {وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون}. [الواقعة/ 82].

وبمعنى: الحكم الشرعي. كقول الشارح: "جعل الله الصلوات المفروضات خمسا". أي: حكم بها.

وبمعنى: التحكم البدعي. كقوله تعالى: {جعلوا القرآن عضين}. [الحجر/ 01]، وقوله سبحانه: {وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيبا}. [الأنعام/ 143].

وبمعنى: الحكم بالشيء على الشيء. كقوله: {إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين}. [القصص/ 7].

ولا جرم أن هذا المعنى الأخير – وهو: الحكم بالشيء على الشيء – أنسب هنا؛ لأن الله تعالى حكم في سابق علمه بأن من التشريفات التي هي لهذا الفاتح الخاتم: أن قرن اسمه مع اسم رب العالمين في كل موطن شريف.

كما أن المعنى الأول – أيضا – وهو: التصيير؛ أنسب، أي: صيرت – يا الله – اسم حبيبك وصفيك متحدا باسمك.

ويقرب من هذا المعنى – الذي هو: التصيير – معنى: التبيين، وتقدم المعني عليه، أي: بينت لنا يالله أن مِن زُلف المكانات التي وهبتها الجنابَ المحمديَّ: أن قرنت اسمه مع اسمك في بطاح الأرضين وصفاح السماوات.

وكذلك تفسير "جعل" بالتشريف؛ مناسب أيضا، كما في قوله تعالى: {جعلنكم أمة وسطا}؛ أي: شرفناكم. وكذلك قوله: {جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما}.

والمعنى عليه: اللهم صل على من شرفته بأن قرنت اسمه مع اسمك. ولا مرية أنه الكعب الذي لا يُلحق كما ستسمع ما يتلى عليك.

وكذلك تفسير الجعل بالحكم الشرعي مناسب، ومعناه: أن الله تعالى لما قال خطابا للحقيقة المحمدية: {ورفعنا لك ذكرك}. [الشرح/ 2]، وفُسِّرت من قِبَل الله جل أمره بأنه: لا يذكر إلا وذكر حبيبه معه؛ كان حكما شرعيا. والحكم الشرعي: خطابه تعالى في الأزل بأمر أو نهي أو خبر أو استخبار. وهذا خبر أزلي يجب قبوله وإظهاره والإيمان به، كما أنه أمر إلهي ضِمْني أيضا، ضرورةَ أن التخلق بأخلاق الله - سبحانه – مطلوب؛ فانبغى أن لا يُذكر الله جل جلاله إلا ويُقرن معه اسم النور الأعظم صلوات الله وسلامه عليه.

وقد رأيتَ وجه تناسب هذه المعاني ههنا، وقد قرَّر هذا جميع المفسرين عند قوله: {ورفعنا لك ذكرك}:

خرج في "الدر المنثور"[1] عن البيهقي[2] في "سننه" عن الحسن في قوله سبحانه: {ورفعنا لك ذكرك}: "لا يُذكر الله في موضع إلا ذُكر صلى الله تعالى عليه وسلم".

قال الحافظ ابن كثير في "تفسيره"[3]: "قال قتادة: رفع الله تعالى ذكره في الدنيا والآخرة؛ فليس خطيب ولا متشهد ولا صاحب صلاة إلا وينادي فيقول: أشهد أن لا إله إلا الله أشهد أن محمدا رسول الله، وقال مجاهد: لا أذكر إلا وذُكرت معي".

"قلت: هذا التفسير عن مجاهد أخرجه الإمام الشافعي في "الرسالة"[4]، وعبد الرزاق[5]، والفريابي، وسعيد بن منصور، وعبد بن حميد، وابن جرير[6]، وابن المنذر، وابن أبي حاتم[7]، عن مجاهد".

ثم أسند الحافظ ابن كثير[8] عن الحافظ ابن جرير[9] عن أبي سعيد رفعه: "أتاني جبريل جبريل فقال: إن ربي وربك يقول: كيف رفعتُ لك ذكرك؟. قال: الله تعالى أعلم. قال:

([1]) 849/5.

([2]) 286/9.

([3]) 525/4.

([4]) ص 16.

([5]) لم أجده في المطبوع من "مصنف عبد الرزاق".

([6]) "تفسير ابن جرير" 235/30.

([7]) "تفسير ابن أبي حاتم" 3445/10.

([8]) "تفسير ابن كثير" 525/4.

([9]) "تفسير ابن جرير" 235/30.

إذا ذُكرتُ ذُكرتَ معي". وكذا رواه ابن أبي حاتم[1] عن يونس عن عبد الأعلى. ورواه أبو أبو يعلى[2] من طريق ابن لهيعة عن دراج. وخرجه - أيضا - ابن المنذر وابن حبان[3] وابن وابن مردوية، وأبو نعيم في "الدلائل".

وهو تفسير من الله جل جلاله، وهو دائر على أنه تعالى: لا يُذكر إلا وذُكر معه حبيبه.

قال الحافظ الأسيوطي في "الدر المنثور في تفسير القرآن بالمأثور"[4]: "أخرج ابن أبي حاتم[5] عن عدي بن ثابت قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: سألت ربي مسألة وددت أني لم أكن سألته، قلت: أي رب؛ اتخذتَ إبراهيم خليلا، وكلمتَ موسى تكليما. فقال: يا محمد؛ ألم أجدك يتيما فآويت، وضالا فهديت، وعائلا فأغنيت، وشرحتُ لك صدرك، وحططت عنك وزرك، ورفعتُ لك ذِكرك فلا أذكَر إلا ذُكرت معي، واتخذتك خليلا؟!".

وأخرج ابن عساكر[6] من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس: {ورفعنا لك ذكرك} قال: "لا يذكر الله إلا وذكرت معه".

وأخرج سعيد بن منصور وابن عساكر وابن المنذر عن محمد بن كعب[1] في الآية قال: قال: "إذا ذكر الله سبحانه ذكر معه: أشهد أن لا إله إلا الله أشهد أن محمدا رسول الله".

([1]) "تفسير ابن أبي حاتم" 3445/10.

([2]) "مسند أبي يعلى" 522/2.

([3]) "الإحسان" 175/8.

([4]) 549/8.

([5]) "تفسير ابن أبي حاتم" 3446/10.

([6]) لم أقف عليه في النسخة المطبوعة من "تاريخ دمشق" فلربما رواه في غيره وينظر "الدر المنثور" 549/8.

وأخرج[2] عبد بن حميد عن الضحاك: {ورفعنا لك ذكرك}: قال: "إذا ذُكرتُ ذُكرتَ معي. ولا تجوز خطبة ولا نكاح إلا بذكرك معي". وحكاه البغوي[3] عن ابن عباس ومجاهد. وورد من شعر حسان بن ثابت:

أغـــــر عليـــــه للنبـــــوة خـــــاتم ... مـــن الله مـــن نـــور يلـــوح ويشـــهد

وضـــم الإلـــه اســـم النبـــي إلى اســـمه ... إذا قـــال في الخمـــس المـــؤذن: أشـــهد

وشـــــق لـــــه مـــــن اســـــمه ليجلـــــه ... فـــذو العـــرش محمـــود وهـــذا محمـــد[4]

فلما كانت الجلالة المحمدية بهذه المكْنة عند الرب جل جلاله إلى أن قارن اسمها مع اسمه في كل موطن شريف، وكان القرب الحسي ينبيء عن القرب المعنوي؛ نزل هذا الارتباط الحسي الوارد كتابا وسنة منزلة الاتحاد المعنوي.

فإذا قيل اعتمادا على ما في الكتاب والسنة: "صل يا رب بسيدنا محمد على هذا النبي الكريم الذي بلغ من جلالته عندك أن قارنتَ اسمه مع اسمك، أو جعلت اسمه متحدا باسمك". فأي معتبة في هذا أو ملام؟. وما هذا بأول مجاز ارتُكب في الكلام، ولا بأول مبالغة ارتكبت في الكلام.

([1]) "الدر المنثور" 547/8.

([2]) كما في "الدر المنثور" للسيوطي 549/8.

([3]) كما في "الدر المنثور" للسيوطي 549/8.

([4]) للتوسع في هذا الموضوع انظر كتاب "مطالع السعادة في اقتران كلمتي الشهادة" لتلميذ المؤلف وابن خالته الإمام الخطيب الداعية إلى الله محمد الطاهر بن الحسن الكتاني، المتوفى رحمه الله عام 1348 للهجرة، بتحقيق أخينا الدكتور الشريف محمد حمزة بن علي الكتاني – دار الكتب العلمية.

وقد ذكر ابن جني في "الخصائص"[1] أن: "من أسباب العدول عن الحقيقة إلى المجاز: الاتساع والتشبيه والتوكيد، فإن عدمت الثلاثة؛ تعينت الحقيقة. فمن ذلك قوله عليه السلام في الفرس: هو بحر[2]، فالمعاني الثلاثة موجودة فيه".

"أما الاتساع؛ فلأنه زاد في أسماء الفرس - التي هي: فرس (وطرف و)[3]جواد ونحوها - البحر، حتى إنه احتيج إليه في شعر أو سجع او اتساع استعمل استعمال بقية الاسماء".اهـ.

وكذلك هنا؛ فإنه وقع هذا التعبير هنا اتساعا في المدح لا غير، فهو مجاز، والمجاز إنما وُضع في اللغة العربية لأمثال هذه الملاحات، إذ هو: اللفظ المستعمل في غير ما وضع له، لعلاقة مع قرينة.

فهب أن لفظ "الاتحاد" لم يرد في اللغة - إن قُبلت هذه الدعوى - إلا على المعنى الذي استُشكل من أجله لفظُ الصلاة القدسية، وأطلق لفظ الاتحاد ههنا؛ فأدنى ما يخرج عليه أنه استعمل في غير ما وضع له لمائة ألف علاقة مع ألف قرينة، فلا نبلغ إلى هذا الحد من التجهيل والتضليل.

ومعلوم أن اللغة مشتملة على الحقيقة والمجاز، ومن أنكره - وهو: الأستاذ[1] - أسهبوا معه في الإنكار، وقالوا: إنه مذهب المعتزلة، فإنهم الذين أنكروا المجاز.

([1]) 442/2.

([2]) روى البخاري في "صحيحه" 926/2 ح 2484 ومسلم في "صحيحه" 1803/4 ح 2307 عن أنس بن مالك قال: "كان فزع بالمدينة فاستعار النبي صلى الله عليه وآله وسلم فرسا لأبي طلحة، يقال له المندوب فركبه. فلما رجع قال: "ما رأينا من شيء وإن وجدناه لبحرا".

([3]) ما بين قوسين تكميل من "الخصائص" 442/2.

قال ابن بَرهان: "وعمدتنا في ذلك: النقلُ المتواتر عن العرب؛ لأنهم يقولون: استوى فلان على متن الطريق، ولا متن لها. وفلان على جناح السفر، ولا جناح للسفر. وشابت لمة الليل، وقامت الحرب على ساق...وهذه كلها مجازات. ومُنكر المجاز في اللغة جاحد للضرورة، ومبطل محاسن لغة العرب. قال امرؤ القيس:

فقلت له: لما تمطى بصلبه وأردف أعجازا وناء بكلكل

وليس لليل صلب ولا أرداف. وكذلك سموا الرجل الشجاع: أسدا، والكريم والعالم: بحرا، والبليد: حمارا؛ لمقابلة ما بينه وبين الحمار في معنى البلادة، والحمار حقيقة في البهيمة المعلومة، وكذلك الأسد حقيقة في البهيمة، ولكنه نقل إلى هذه المستعارات تجوُّزا. وقد تشبث الأستاذ بشبه وأجابوا عنها كلها..

إلى أن قال ابن برهان: "فإذا ثبت أن الأسامي في لغة العرب انقسمت انقساما معقولا إلى هذين النوعين؛ فسمينا أحدهما حقيقة والآخر مجازا، فإن أنكر المعنى؛ فقد جحد الضرورة، وإن اعترف به ونازع في التسمية؛ فلا مشاحَّة في الأسامي بعد الاعتراف بالمعاني".اهـ.

كذلك يقال هنا؛ فمن اعترف بأن اللغة العربية التي جاء بها القرآن اشتملت على المجاز؛ فهذا منه، وإن أنكر ذلك؛ فقد أنكر الضروريات، وأنكر محاسن اللغة، وأبطن ملاحات القرآن الكريم. وإن أنكر الألفاظ وأقر المعاني؛ فقد شاحّ، ولا مشاحة في الأسامي.

([1]) انظر "المزهر" 289/1.

قال في "جمع الجوامع"[1] مع المَحَلي: "وهو - أي: المجاز - واقع في الكلام، خلافا للأستاذ والفارسي مطلقا، قالا: وما يُظَنُّ مجازا، نحو: رأيت أسدا يرمي؛ فحقيقة. وخلافا للظاهرية في نفيهم وقوعه في الكتاب والسنة، قالوا: لأنه كذب بحسب الظاهر، كما في قولك في البليد: هذا حمار. وكلام الله تعالى ورسوله منزه عن الكذب".

"وأجيب بأنه: لا كذب مع اعتبار العلاقة، وهي فيما ذُكر: المشابهة في الصفة الظاهرة، أي: عدم الفهم".اهـ.

وكذلك هنا العلاقة بين المعنى الأصلي الذي هو حقيقة الاتحاد الغير الممكن هنا، والمعنى الثاني الذي تُجُوِّز به في إطلاق الاتحاد في الصلاة هي: المجاورة. كقولهم للمزادة: راوية. وهنا لما لم يُذكر اسمُ الله تعالى في موطن شريف إلا وذكر معه اسم رسوله، نزل هذا الاتحاد وهذا الاقتران الحسي منزلة الاتحاد. والعلاقة بين المعنيين هي: المجاورة.

فهذه ثلاث معان خرج عليه لفظ الاتحاد، وههنا وجوه أخر يخرج عليها:

الرابع منها: الاتساع، وأن العلاقة فيه هي: الاتساع في المدح. وقدمنا عن ابن جني في "الخصائص" في تقرير قوله عليه السلام: "وإن وجدناه". أي: الفرس "لبحرا". قال: "اجتمع فيه الاتساع والتوكيد والتشبيه، ولذلك إذا خلا المجاز عن الثلاثة فهو حقيقة. وقد قدمنا تقرير الاتساع في الحديث. وأما التشبيه؛ فلأن جريه يجري في الكثرة مجرى مائه. وأما التوكيد؛ فلأنه شبّه الجوهرَ بالعرَض، وهو أثبت في النفوس منه".اهـ.

فلولا مراعاة هذا الاتساع؛ كيف يُتجوّز في إطلاق البحر على الفرس؟، مع أنه ليس بجدول ولا نهر ولا واد، فضلا عن أن يكون بحرا. وكذلك هنا؛ فإنه زاد في الأسماء

---

(1) 53/1.

الدالة على المقارنة والارتباط اسم الاتحاد، وهذا معنى الاتساع عند أئمة اللغة والبيان. ومن ذلك قوله تعالى: {وأدخلناه في رحمتنا} . [الأنبياء/ 75]، فإنه مجاز، وقد اجتمعت فيه الثلاثة.

أما الاتساع؛ فلأنه كأنه زاد في اسم الجهات والمحال اسما هو: الرحمة.

وأما التشبيه؛ فلأنه شبه الرحمة وإن لم يصح دخولها بها يجوز دخوله، فلذلك وضعه موضعه.

وأما التوكيد؛ فإنه أخبر عن المعنى بما يخبر به عن الذات.

وجميع أنواع الاستعارات داخلة في المجاز، كقوله[1]:

غمر الرداء إذا تبسم ضاحكا　　غلقت لضحكته رقاب المال

وقوله:

ووجه كأن الشمس حلت رداءها　　عليه[2]... (البيت)

جعل للشمس رداء استعارة للنور؛ لأنه أبلغ.

ونقل كلام ابن جني هذا: الحافظ في "المزهر"[1] وأقره، ولا يتغير[2] ببحث صاحب "المثل السائر"[3]؛ فإن للكلام معه[4] مجالا، والقصد أمام.

([1]) هذا البيت لكثير عزة.

([2]) تتمته: عليه نقى الخد لم يتخدد . . .وهو لطرفة بن العب.د

التخريج الخامس: "التشبيه": وهو تنزيل ارتباط الاسمين الكريمين في الأذان والإقامة، والتشهد والخطب، ومفتتح الرسائل، وعند الدخول للإسلام، وعند الموت، وعند ابتداء التآليف، وفي ساق العرش، وعلى نحور الحور، وعلى أوراق شجرة طوبى وأوراق سدرة المنتهى، وأبواب الجنة، منزلةَ صيرورتِهما اسما واحدا، ويجري مجراه. وقد تقرر أن قولنا: زيد أسد، أبلغ من قولنا: زيد شجاع. ومنه قوله في الحديث: "وإن وجدناه لبحرا"، وعلى هذا بنى الشاعر قوله[5]:

وتُسعِدني في غمرة بعد غمرة   سَبوح لها منها عليها شواهد

التخريج السادس: أي في قوله: "متحدا باسمك": "التوكيد". وهو: إخباره عن المعنى بما يخبر به عن الذات.

ومما تقرر فيه الثلاثة: قولك: بنيت لك في قلبي بيتا. فهو مجاز واستعارة لما فيه من الاتساع والتوكيد والتشبيه، بخلاف قولك: بنيت دارا، فإنه حقيقة لا مجاز فيه ولا استعارة. وإنما المجاز في الفعل الواصل إليه بها مما هو سائغ[6] في لغات العرب، ومن ينكره ينكر وقوع المجاز في الكلام.

---

(1) 283/1.

(2) هكذا في النسختين ولعلها ولا تغتر.

(3) 352/1 ناقش خلاله ضياء الدين ابن الأثير ابنَ جني فيما أورده المؤلف عنه في مبحث الحقيقة والمجاز، ولا يخلو من تعقبات كما أشار رحمه الله.

(4) معه ساقطة من ط.

(5) قاله أبو الطيب المتنبي.

(6) في ج وط اضطراب في هذه الجملة أصله أخطاء الطبع.

التخريج السابع: "الاستتباع"؛ قال في "التلخيص"(1): "وهو: المدح بشيء على وجه يستتبع المدح بشيء آخر؛ كقول أبي الطيب:

نَهبتَ من الأعمار ما لو حويته ... لهُنِّئت الدنيا بأنك خالد"

مدحه بالنهاية في الشجاعة على وجه استتبع مدحه؛ لكونه سببا لصلاح الدنيا ونظامها، قال في "التلخيص" مع المطول: "وفي البيت وجهان آخران من المدح؛ أحدهما: أنه نهب الأعمار دون الأموال، وهذا مما ينبني عن علو الهمة. والثاني: أنه لم يكن ظالما في مثلهم". اهـ.

وكذلك هنا؛ فإنه استتبع ذكر رفعه له ذكره مع ذكره سبحانه أن ارتكب أنواعا من المبالغات حتى نزّله كأنه عين ذلك الاسم المقارن معه.

التخريج الثامن؛ أي: في قوله: "الذي جعلت اسمه متحدا باسمك": "الإدماج". وهو: أن يضمن كلامٌ سيق لمعنى معنى آخر. قال في "التلخيص"(2) كقول أبي الطيب:

أُقَلِّب فيه (أي في الليل) أجفاني كأني ... أعُدُّ(3) بها على الدهر الذنوبا

فإنه ضمَّن وصف الليل بالطول الشكاية من الدهر، أي: لكثرة تقلبي لأجفاني في ذلك الليل كأني أعد بها على الدهر ذنوبه".اهـ.

---

(1) ص77

(2) ص 83

(3) في ديوان المتنبي: أعد به.

وكذلك هنا؛ فإنه أدمج في علية مطلوبية الصلاة والسلام عليه بعد كونه أهلا لذلك، أنه: حيث قُرن اسمه باسم ربه جل جلاله. فكيف لا يصلى عليه؟. هذا كلام بليغ.

التخريج التاسع: أن تقرر فيه "التورية". ويقال لها: الإيهام. وهو: أن يُذكر لفظ له معنيان، إما بالاشتراك وإما بالتواطؤ، أوالحقيقة والمجاز، أحدهما: قريب، والآخر بعيد، ويقصد التبعيد. ويُوَرَّى عنه بالقريب فيتوهمه السامع من أول وهلة.

قال في "الإتقان"[1]: "قال الزمخشري: لا ترى بابا في البيان أدق ولا ألطف من التورية، ولا أنفع ولا أعون على تعاطي تأويل المتشابهات في كلام الله تعالى ورسوله. قال: ومن أمثلتها: {الرحمن على العرش استوى}. [طه/ 5]، فإن الاستواء على معنيين: الاستقرار في المكان، وهو المعنى القريب المُورَّى به الذي هو غير مقصود لتنزيهه تعالى عنه. والثاني: الاستيلاء والملك، وهو: المعنى البعيد المقصود الذي ورى به عنه بالقريب المذكور".اهـ.

وكذلك هنا؛ فلما لم يصح حمل المعنى القريب في الاتحاد الموهم هنا؛ تنتقل إلى المعنى البعيد، الذي هو شدة الالتئام والارتباط وعدم الانفكاك، فلا إشكال في لفظ الاتحاد في الصلاة أصلا.

قال البيضاوي[2] عند قوله سبحانه: {ورفعنا لك ذكرك}: "أي: رفع مثل أن قرن اسمه باسمه في كلمتي الشهادة، وجعل طاعته طاعته"... الخ كلامه.

---

(1) 226/2.

(2) "تفسير البيضاوي" 505/5.

زاد الخازن في "تفسيره"[1]: "فلو أن عبدا عبد الله تعالى وصدّقه في كل شيء ولم يشهد أن محمدا رسول الله؛ لم ينتفع بذلك من شيء، وكان كافرا". ثم نقل عن الضحاك أنه قال: "لا تقبل صلاة إلا به، ولا تجوز خطبة إلا به".

ثم قال الخازن[2]: "وقيل: رفع ذكره بأن قرن اسمه في قوله: محمد رسول الله"..الخ.

قال في "الكشاف"[3]: "ورفع ذكره: أن قُرن بذكر الله في كلمة الشهادة والأذان والإقامة والتشهد والخطب، وفي غير موضع من القرآن: {والله ورسوله أحق أن يرضوه}. [التوبة/ 62]، {ومن يطع الله ورسوله}. [النساء/ 13]، {وأطيعوا الله والرسول}. [آل عمران/ 132]، وفي تسميته: رسول الله ونبي الله".اهـ.

قال الحافظ ابن كثير في "تفسيره"[4]: "وما أحسن ما قال الصَرْصَري - رحمه الله تعالى - لا يصح الأذان في الفرض إلا باسمه العذب في الفم المرضى به. وقال أيضا: لا يصح أذاننا ولا فرضنا إن لم نكرره فيهما".اهـ.

قال الإمام الورتجبي[5] في تفسيره المسمى بـ: "عرائس البيان": "قال ابن عطاء في قوله: {ورفعنا لك ذكرك}: جعلتُ تمام الإيمان في ذكرك معي. وقال أيضا: جعلتك ذِكرا من ذكري؛ فكان من ذكرك ذكرني!".اهـ.

---

(1) 281/6.

(2) 281/6.

(3) 266/4.

(4) 526/4.

(5) هو العلامة أبو محمد روزبهان بن أبي نصر البقي الشيرازي الصوفي، المتوفى سنة 606 هـ، وتفسيره هو "عرائس البيان في حقائق القرآن".

تنبيهات

التنبيه الأول: [اسم النبي ﷺ مشتق من اسمه تعالى]:

مما يرشح ما نحن بصدده: ما ذُكر في باب الخصائص أن الله سبحانه: اشتق اسم نبيه من اسمه، مأخوذ من شق الشيء؛ إذا جعله قطعتين، وهو قول شاعر الأعتاب المحمدية:

وشَـــق لـــه مـــن اســـمه ليجلَّـــه　　　فــذو العــرش محمــود وهــذا محمــد

الثاني: [لا يصح عن الأستاذ والفارسي إنكار المجاز]:

تقدم أن الأستاذ والفارسي ينفيان وقوع المجاز في الكلام، وسلم هذه النسبة في "جمع الجوامع" ومن خدموه.

قال إمام الحرمين في "التلخيص" والغزالي في "المنخول"[1]: "الظن بالأستاذ أنه: لا يصح عنه هذا القول".اهـ.

وقال التاج السبكي في "شرح منهاج الأصول"[2]: "نقلت من خط ابن الصلاح أن أبا القاسم ابن كج حكى عن أبي علي الفارسي إنكار المجاز كما هو المحكي عن الأستاذ".

([1]) "المنخول" ص 75.

([2]) "الإبهاج" 296/1.

قال في "المزهر"[1]: "هذا لا يصح أيضا، فإن ابن جني تلميذ الفارسي، وهو أعلم الناس بمذهبِهِ، ولم يَحْكِ عنه ذلك، بل حكي عنه ما يدل على إثباته".اهـ

التنبيه الثالث: [مفهوم إنكار المجاز]:

قال ابن السبكي في" شرح المنهاج"[2]: "ليس مراد من أَنكر المجاز في اللغة أن العرب لم تنطق بمثل قولك للشجاع إنه: أسد، فإن ذلك مكابرة وعناد. ولكن هو دائر بين أمرين:

"أحدهما: أن يدعي أن جميع الألفاظ حقائق، ويكتفي في كونها حقائق بالاستعمال في جميعها، وهذا مسلّم. ويُرجع البحث لفظيا، فإنه يطلق حينئذ الحقيقة على المستعمل، وإن لم يكن بأصل الوضع، ونحن لانطلق ذلك".

"وإن أراد بذلك استواء الكل في أصل الوضع؛ فقال القاضي في"مختصر التقريب": فهذه مزاحمةُ[3] للحقائق، فإنا نفهم أن العرب ما وضعت اسم الحمار للبليد، ولو قيل للبليد حمار على الحقيقة كالدابة المعروفة، وإنَّ تَـَناولَ الاسم لهما متساو فهذا دنو من جحد الضرورة". اهـ كلام السبكي.

([1]) 290/1.

([2]) 298/1.

([3]) في ط مزاعمة.

[الإشكال الثالث: توجيه معنى اتحاد النعت في الصلاة المباركة]

ثم قال في الصلاة القدسية "**ونعتك**"، أي: الذي جعلت – يا الله – اسمه متحدا باسمك، وجعلت – يا الله – نعته متحدا بنعتك.

معنى اتحاد النعت بالنعت: أنه تعالى قرن طاعته بطاعته، فقال: {أطيعوا الله وأطيعوا الرسول}. [المائدة/ 92]. وحكمه بحكمه، فقال: {وإذا دُعُوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم}. [النور/ 48]، فقارن تعالى حكمه بحكمه. وقارن بَيْعَتَهُ بِبَيْعَتِهِ فقال: {إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم}. [البقرة/ 10]. وقارن جل أمره عزته بعزته فقال: {ولله العزة ولرسوله}. [المنافقون/ 8].

وقارن جلت عظمته غناه بغناه في قوله: {وما نقموا إلا أن أغناهم الله ورسوله من فضله}. [التوبة/ 7]. وقارن جل ثناؤه نعمته بنعمته فقال: {وإذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه}. [الأحزاب/ 37]. وقارن جل علاه الرضى بحكمه بالرضى بحكمه فقال: {وإذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا}. [النور/ 51]. وقارن جلت سلطنته قضاه بقضاه في قوله: {وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن تكون لهم الخيرة من أمرهم}. [الأحزاب/ 36]. وقارن جل جلاله إجابته بإجابته في قوله: {استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم}. [الأنفال/ 24]، فوحد تعالى الضمير مع أن الداعي الله والرسول، وهذه أصرح مما تقدم في اتحاد نعته بنعت ربه سبحانه.

قال المفسرون(1): "وُحِّدَ الضمير؛ لأن استجابة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كاستجابته، وإنما يذكر أحدهما مع الآخر للتوكيد".

ورُوِي أنه عليه الصلاة والسلام: مر بباب أبي بن كعب(2) فناداه وهو في الصلاة، فعجل في صلاته ثم جاء، فقال: "ما منعك عن إجابتي؟". قال: "كنت أصلي". قال: "ألم تخبر فيما أوحي إلي {استجيبوا لله وللرسول}؟". وقال: "لا جرم لئن تدعوني إلا أجبتك"(3).

تنبيه: هكذا وقع في "الإحياء"، والفخر الرازي وللبيضاوي، نسبة هذه القصة لأبي سعيد الخدري. قال الحافظ ابن حجر(4): "وهو وهم، وإنما هو أبو سعيد بن المعلى".اهـ.

قلت: وأحرى ما في "الكشاف"(5) من أنه أبي بن كعب، فليس هو صاحب القصة.

وقال الحقي في "التفسير"(6) في قوله: {إذا دعاكم}: "أي: الرسول، إذ هو المباشر لدعوة الله تعالى، ودعاؤه بأمر الله سبحانه. فهو دعاء الله، ولذا وحد الفعل".اهـ. وأصله في "الكشاف"(7) والمولى أبي السعود(1).

---

(1) انظر "تفسير البيضاوي" 98/3 و "تفسير النسفي" 61/2.

(2) في ط أبي سعيد الخدري 61/2.

(3) رواه الترمذي في " سننه" 5/ 2875ح155 عن أبي هريرة . وقال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح و رواه البخاري في "صحيحه" 1623/4 ح 4204 و أبو داوود في" سننه" 71/2ح 1458 عن أبي سعيد بن المعلي ، و عنه النسائي في " الصغري" 139/2 ح9/3.

(4) "فتح الباري" 157/8.

(5) 150/2.

(6) "روح البيان" 88/9

(7) 115/2.

وقارن – جل أمره – بين عدم التولي عنه وبين عدم التولي عن الرسول فقال: {أطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه وأنتم تسمعون}. [الأنفال/ 20]. قال "الكشاف"(2): "والضمير في"عنه" لرسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله؛ لأن المعنى: وأطيعوا رسول الله، كقوله: {والله ورسوله أحق أن يرضوه}. [التوبة/ 62]. ولأن طاعة الرسول وطاعة الله شيء واحد: {من يطع الرسول فقد أطاع الله}. [النساء/ 80]".

قال في "الكشاف"(3): "فكان رجوع الضمير إلى أحدهما كرجوعه إليهما، كقولك: الإحسان والإجمال لاينفع في فلان".اهـ لفظه.

وقال أبو السعود(4): "{ولا تولوا عنه}؛ أي: لا تتولوا عن الرسول، فإن المراد هو: الأمر بطاعته و النهي عن الإعراض عنه، و ذكر طاعته تعالى على أن طاعته تعالى في طاعة رسوله عليه السلام: {من يطع الرسول فقد أطاع الله}".اهـ لفظه.

وقال صاحب "روح البيان"(5): "{ولا تولوا عنه} ولم يقل: عنهما؛ لأن طاعة الله إنما تكون بطاعة رسوله". اهـ.

وقارن – سبحانه – رضاه برضاه في قوله: {والله ورسوله أحق أن يرضوه}. [التوبة/ 62].

---

(1) "تفسير أبي السعود" 16/4.

(2) 115/2.

(3) 116/2.

(4) "تفسير أبي السعود" 14/4.

(5) 145/9

فهذا على الحقيقة هو: معنى اتحاد نعت سيدنا صلى الله تعالى عليه بنعت الرب سبحانه.

وقد ذكر الإمام الرازي في "التفسير الكبير"[1] من الدلائل الدالة على أفضليته عليه الصلاة والسلام على جميع النبيين والمرسلين هذه المقارنات التي قارن تعالى بين نعوته ونعوته في غير موطن، ولم يذكر تعالى ذلك لغيره عليه السلام، فكان من وجوه أفضليته عليهم.

فليت علمي؛ إذا كان معنى هذه الجملة هو معنى نحو ستة عشر آية قرآنية وسمع كلام أهل التفسير فيها؛ فما عسى يقول البغيض في معنى الصلاة القدسية وإنكاره لها، ومن قلده ممن يتطلبون العورات ولم يشتغلوا بما يعنيهم؟!، وإذا كان سَدَى[2] هذه الصلاة مأخوذا من القرآن الكريم؛ فمنكرها منكر للقرآن!.

فإن قيل: وأي لاجئ يُلْجِئنَا للغوامض حتى لا تُفْهَمَ أولا؟.

قلنا: حيث بَينا أن معناها منتسج من القرآن الكريم؛ فأي غموض بقي فيها؟!.

والعجب ممن خاض في العلم أزمنة وغاب عنه هذا التطبيق الذي ذكرناه، فمن عَلِمَهُ ولم يطبقه؛ فلم يؤت تطبيق الجزئيات على الكليات، وذلك هو العلم على الحقيقة.

إذ العالم على الحقيقة: هو من صار العلم له ملكة وتصرف في كل العلوم تصرف المالك المستولي عليها، ومن لم يعلم هذا القدر من العلم؛ فكيف يجمل به أن يجهل كمالات نبيه المعنوية المذكورة في مبحث تفضيله على الأنبياء والمرسلين؟. ومع ذلك يعذر نفسه

([1]) في مواضع كثيرة من تفسيره

[2] هكذا في النسختين المعتمدتين

ويُجَهِّل الناس ويوَرّي من لا يعلم أيضا أنه هو العالم، ولكن من أشراط الساعة: أن يقل العلم ويكثر الجهل أيضا[1]:

فعين الرضى عن كل عيب كليلة ولكن عين[2] السخط تبدي المساويا

[عذر أهل الطريق في التكلم بالعبارات الغامضة]:

وأما ثالثا: فقد نقل الإمام الشعراني في الفصل الثالث من "اليواقيت"[3] في بيان إقامة العذر لأهل الطريق في تكلمهم بالعبارات المغلقة على غيرهم، عن شيخ الإسلام السراج المخزومي قال: "في رمز الأشياخ علومهم ثلاثة أمور محققة:

أحدها: حجب من يريد التسلق على طريق القوم بغير أدب، ولا دخول من بابهم، عن إفشاء سر الربوبية من غير ذوق، فيقع في إفشائه أو يكفّر أهل الله بفهمه السقيم.

الثاني: أن في ذلك إشارة لطالب هذا الفن أن يكون متبحرا في العلوم، مداوما على آداب طريق القوم حتى تنكشف له الحجب ويطلع على العلم والمعلوم ذوقا.

الثالث: أن علم القوم من سالف الزمان لا يخوض فيه إلا كل جواد في العلوم، صنديد في علوم المتكلمين، حتى كان الفخر الرازي يقول: ما أُذِنَ لي في تدريس علم

([1]) كما رواه عن أنس البخاري في "صحيحه" 43/1 ح 80.

([2]) في ط عيب.

([3]) ص 22.

الكلام حتى حفظت منه اثنتي عشر ألف ورقة. هذا مع أن علم الكلام أهون من علم التوحيد الذي يخوض فيه القوم".اهـ.

[الإشكال الرابع في قوله: "وصورة هيكله الجسماني على صورة أنموذُج"]

[شرح مفردات الألفاظ]:

ثم قال في الصلاة القدسية الأحمدية: "**وصورة هيكله الجسماني على صورة أنموذُج**".

أما مفردات الألفاظ؛ فهاهنا: الهيكل، والجسم، والأنموذج.

أما الهيكل؛ فهو: العظيم من كل شيء. كما في "القاموس"[1] في إحدى إطلاقاته.

والجسماني: قال في "الصحاح"[2]: "الجسم: الجسد، وكذلك الجسمان والجثمان. وقال الأصمعي[3]: الجسم والجسمان: الجسد، والجثمان: الشخص".

وأما الأنموذج: فقال في "القاموس"[4] مع شرحه: "مثال الشيء: أي صورة تُتخذ على مثال صورة الشيء ليُعرَف منه حاله. معرّب "نموده"، والعوام يقولون: "نمونه"، ولم تعربه العرب قديما، ولكن عربه المحْدَثُون".

([1]) ص 1384.

([2]) ص 40.

([3]) كما في "مختار الصحاح" ص 40 أيضا.

([4]) "تاج العروس" 112/3.

فإن قلت: أليس قد قال في "القاموس": "الأُنموذج" بضم[1] الهمزة لحن؟.

قلنا: تبع في ذلك الصاغاني في "التكملة"، وانتقده الفاضلان النواجي في "التذكرة" والشهاب الخفاجي في" شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل".

قال الأول: "هذه دعوة لا تقوم عليها حجة، فما زالت العلماء قديما وحديثا يستعملون هذا اللفظ من غير نكير، حتى إن الزمخشري – وهو من أئمة اللغة – سمى كتابه في النحو "الأنموذج"، وكذلك الحسن بن رشيق القيرواني؛ وهو إمام المغرب في اللغة، سمى كتابه به[2] في صناعة الأدب". نقله العلامة ابن الطيب الشرْكي في "حواشي القاموس"، ومن يده تلقاه تلميذه في شرح القاموس.اهـ.

وأما الثاني: فقال في" شفاء الغليل": "وما ذكره "القاموس" فمردود كما يشير إليه قول صاحب "المصباح المنير": الأنموذج بضم الهمزة..إلخ. أشار إلى كلام الشهاب – أيضا – في "شرح القاموس" فقال: وكذلك الخفاجي في" شفاء الغليل" نقل عبارة "المصباح" وأنكر على من ادعى فيه اللحن، ومثله عبارة "المعرب" للناصر بن عبد السيد المطرز في "شرح المقامات". اهـ.

وكذا الحافظ الأسيوطي له تأليف سماه: "أنموذج اللبيب في خصائص الحبيب". وقد ذكر ما يقرب من عشرين مؤلفا في "كشف الظنون" مسماة بهذا الاسم، وجُلّ أهلها أقدم من صاحب "القاموس". فارجع إليها.

([1]) في ط بضمير.

([2]) اسمه "الأنموذج في شعراء القيروان" انظر "كشف الظنون" 1102/2.

قلنا: ومن خالط المطوّلات من الكتب في كل فن؛ وجدهم لا يتحاشون عن هذا التعبير، فكم عبر به في" الكشاف"، وكذا العلامة أبو السعود، وكذا الفخر الرازي في "التفسير الكبير"، والشيخ زاده في "حواشي البيضاوي"، والسيد فيما له على "الكشاف"، وفي "حواشيه"، لا على الشمسية ولا على المختصر القزويني، ولا في شرحه للمواقف العضدية، والبيضاوي طالما عبر به...

إنما من ابتلي بالقصور؛ فلا عليه أن يدفع المراتب كلها لأجل أنه لم يستحضر ما فيها، ومن ترك "لا أدري"؛ أصيبت مقاتله .

وليت شعري؛ من لا يحيط[1] حتى بعشرين مادة من كتاب من كتب اللغة، ولم يستحضرها عن ظهر قلب؛ أيسوغ له عقلا أو طبعا أو شرعا أو عادة أن يناهز بالمناكب أو يدافع بالصدر أو يتجشم الموارد المهلكة؟، أو يغمس الحقوق، أو يذهل عما أمر الله سبحانه ورسوله أن يعتبر دائما، ولا يذهل عنه، ويكون على طرف التمام؟.

فها نحن قد أتينا على الألفاظ اللغوية، وقد وُجدت ناهجة النهج العربي السليقي. إنما المنكر أحق أن ينكر عليه، والمعترض شغله بدواء جهله أولى به من التعرض للتمضمض بالأعراض، وهو من أعظم الأمراض. ولهذا قالوا: "ومن لم يتغلغل في علوم القوم؛ مات مصرا على الكبائر وهو لا يشعر". وصدقوا رضي الله تعالى عنهم.

[شرح معاني الألفاظ ومدلولاتها]:

([1]) في ط يحط.

ثم نرجع ونقول في معنى الجملة الجمليِّ قوله: **"وصورة هيكله الجسماني على صورة "أنموذج "**..

"على" بمعنى: "في"؛ لأن حروف الجر مشتركة ينوب بعضها عن بعض. فالمعنى: صلِّ يا رب على مولانا أحمد الذي جعلت اسمه مقارنا لاسمك في كل موطن، وجعلت صورة جسمانيته المحمدية في صورة الأنموذج، والأنموذج هو: المثال الذي يُعمل عليه.

فكان المعنى: إنك – يا الله – بلَغت جلالة نبيك الكريم عندك إلى أن جعلت جميع صور الإنسان مُصَوَّرَةً على صورته الشريفة، ومُشَكَّلَةً على شكله المحمدي:

فالرأس: بمنزلة الميم، والجناحان: بمثابة الحاء على ما كانت تكتب عليه في القديم، والميم الوسطى: بمثابة البطن، والدال: بمثابة الفخذين والساقين.

فعلى هذا؛ كان الله سبحانه لما سبق في سابق علمه أن الأشياء لا تبرز صورُها إلا على هذه الصورة المخلوقة على رسم حروف محمد؛ صار الاسم "محمد" بمثابة الأنموذج الذي يُعمل عليه.

قال في "المواهب اللَّدُنِية"[1] من المقصد الثاني: "ثم إن في اسمه "سيدنا محمد" خصائص؛ ومنها أنه قيل: إن مما أكرم الله سبحانه به الآدمي أن كانت صورته – قال الزرقاني: أي تصويره – على شكل كتابة هذا اللفظ؛ فالميم الأولى: رأسه؛ أي: بمنزلته كما عبر الشامي في "السيرة"، والحاء: جناحاه؛ أي: يداه، وبه عبر الشامي، والميم: سرته، والدال: رجلاه. زاد الشامي: وباطن الحاء كالبطن، وظاهرها كالظهر، ومجمع الأليتين والمخرج كالميم، وطرف الدال كالرجلين. وفي ذلك أنشد:

---

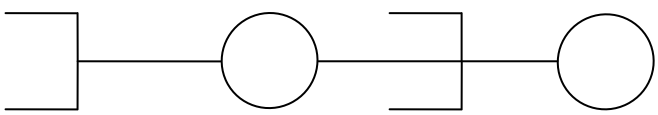
(1) 371/1.

لـــه اســـم صـــوّر الـــرحمنُ ربي   خلائقَـــه عليـــه كـــما تـــراه
لـــه رِجـــلٌ وفـــوق الرجـــل ظهـــرٌ   وتحت الـرأس قـد خُلقـت يـداه". اهــ

قال العلامة ابن زكري في "شرح المشيشية": "وفي "الشعب" و"المواهب" وغيرها: إن آدم ووُلده أجمعين خُلقوا على صورة حروف اسمه صلى الله عليه وآله وسلم. وقرره الإمام السبكي في الحديث الطويل الذي أخرجه أبو مروان الطلبي في "فوائده" التي خطها بيده وأخذها عن شيوخه بمكة - زادها الله شرفا - بسنده عن ابن عباس وابن عمر وأبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنهم: يا عمر؛ أتدري من أنا؟. أنا الذي خلق الله آدم وذريتَه على حروف هجاء اسمي محمد".

"هكذا كانت كتابة اسمه في القديم: فالرأس والوجه بمنزلة الميم، واليدان إذا مددتهما بمنزلة الحاء، والبطن بمنزلة الميم الأخرى، فهو محمد ولا فخر".اهـ. ثم ذكر البيتين المتقدمين.

"وصورة هيكله الجسماني على صورة أنموذُج": أي: أبرزت يا الله يا رحمن يا عليم، يا عفو يا غفور يا ستار يا رحيم، يا حليم يا كريم يا مصور يا خالق يا حكيم، جميع صور سيدنا آدم من الأنبياء والرسل مخلوقة على شكل حروف:



هكذا. فقوله: "صورة هيكله"؛ مدخولة لجعلت. أي: جعلت اسمه مقارنا لاسمك، وجعلت صورته في مُلكك هي الأصل وعليها شُكلت الصور، وعلى صورتها خُلقت الخلائق، وعلى مثال حروف اسمها أبرزت الأجسام. وفي هذا من جلالة هذا النبي الكريم عندك ما لم تَهَبْهُ لغيره من نبي ورسول وملك، على أن الأنبياء والرسل – عليهم الصلاة والسلام – مخلوقون – أيضا – على حروف مولانا محمد، وهو من الله تعالى غاية السؤدد للجناب المحمدي الذي لا فخر فوقه في هذا الباب. وإن كانت فضائله صلى الله تعالى عليه وسلم لا تحصرها الأقلام ولا تضبطها آلات العد[1].

وقد أنشد الإمام الحلبي في "مقاماته" التي عارض بها مقامات الحريري وجعلها في الكمالات المحمدية، وعاب عليه تضييع الزمان والأوقات في حكايات أشياء لا وجود لها في الخارج؛ قال:

حبيــب عــلى حُسْــنٍ شــكل اســمه　　وهيئتـــه شُـــكِّل كـــلُّ البشرـــ
ففـــي كـــل لحظـــة طـــرف يـــرى　　جمـــال الحبيـــب بتلـــك الصـــور
وحـــــلَّ جســـــومَهمُ نـــــورُه　　وخلـــــل أعضـــــاءهم وانتشرـــ
فـــما يقـــع اللحـــظ إلا عـــلى　　حـــــروف محمـــــد المعتـــــبر
فـــلا ترســـل اللحـــظ يومـــا إلى　　ســـوى صـــورة للحبيـــب الأغـــر
إذا مـــا نظـــرت إلى غـــيره　　أمـــا تســـتحي منـــه عنـــد النظـــر؟
فمنظـــورك اســـم الحبيـــب عـــلى　　ملـــيح نظـــرت فنـــقَّ النظـــر

[1] في ج وط جملة مكررة حذفتها.

وينبني[1] على هذا المعنى الشريف وهذا المدح الكامل الذي أُعْطِيَهُ مولانا رسول الله: حيث لم يكن في العالم ولا في الملك إلا تفاصيل صور حروف اسمه مبان.

ومنها: ما ذكره ابن مرزوق في "شرح البردة" ونقله في "المواهب"[2]: أنه لا يدخل النار من يستحق دخولها – أعاذنا الله سبحانه منها – إلا ممسوخ الصورة، إكراما لصورة اللفظ الشريف.اهـ. وما أرشق قول من قال:

مقامـــك يـــا إمـــام المرســـلين   تحـــير فيـــه مـــدح المـــادحين
فغايـــة مـــا نقـــول إذا اختصرـــنا   بأنـــك أنـــت خـــير العـــالمين

ومن المباني التي تنبني على كون سيدنا آدم وذريته خُلقوا على شكل حروف اسم مولانا محمد – وهو عجيب شريف – ما ذكره العلامة ابن الطيب الحسن بن يوسف بن مهدى الزياتي على الصلاة المشيشية، ونصه: "وإذا نظرت بعين الحقيقة؛ فما صلى على سيدنا محمد صلى الله تعالى عليه إلا سيدنا محمد، فإن الله تعالى خلق سيدنا آدم وولده أجمعين على صورة حروف اسمه صلى الله تعالى عليه، كي لا يُرى بالبصر إلا اسمه، ولذلك من أحب شيئا لا يرى إلا صورته، فجعل الميم الأولى هي الرأس، فما صدرت الصلاة عليه إلا من ميم صورة اسمه. وجعل الحاء هي اليدان. وجعل الميم الثانية هي البطن. وجعل الدال هي الفخذان والساقان والقدمان. وهكذا كانت صورته في الخط القديمOـQـ]، وعلى هذه الصورة صورة أهل الجنة رجالا ونساء وولدانا كي يُرى اسمه في كل مُكَرَّم ومحبوب مُعَظَّم، فيعم حبه كل شيء برؤية اسمه صلى الله تعالى عليه.

([1]) في ط وينبَني.

([2]) 101/1.

وإنما خرجت البهائم والنباتات والمعادن والجواهر والأثاث وسائر الأشخاص عن هذه الصورة المحمدية؛ من جهة أنها مستخدمة مملوكة لبني آدم، مخلوقة من أجلهم، كي لا يُستخدم اسم الحبيب ولا يُبتذل".اهـ لفظه.

ومن المباني التي تنبني على هذه: الإشارة إلى سبقية الرحمة الغضب، فحيث ينظر الله سبحانه لهذه الصور المخلوقة على حروف اسم حبيبه؛ يسكن غضبه سبحانه وتعالى، وهذا مما يُسْتَرْوَحُ من قوله سبحانه: {وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم}. [الأنفال/ 32]. فهذا من معاني كونه عليه الصلاة والسلام فيهم، ولذلك لم تُعَذَّبْ هذه الأمة عذاب استيصال، وجعل سبحانه عذابها في الهموم والغموم والأحزان، وتوالي الأمراض والمفزعات، واسترسال المنغصات والأزمات.

ولهذا(1) القدر ينبغي للخلق أن يراعوا(2) حرمة هذا التشريف الإلهي الذي شرفهم به الحق سبحانه، ومن هنا: عظمت حقوق هذا النبي الكريم علينا، وعظم إحسانه إلينا، حتى قال بعض الظرفاء: "لو كانت كل شعرة منا تصلي عليه بلسان فصيح، من بدء الدنيا إلى انتهائها؛ لم نَقُمْ بمعشار عشر حقه صلى الله تعالى عليه، إذ هو السبب في وجودنا وبقائنا، وإيماننا وتخليدنا في النعيم المقيم إن شاء الله تعالى".

ومنه يتبين أنه – أيضا – أولى بنا من أنفسنا، وأن من الإيمان أن نحبه أكثر من والدينا وأبنائنا وأنفسنا والناس أجمعين(3).

---

(1) في ج وهذا.

(2) في ط يرعوا.

(3) لحديث: "والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين". رواه البخاري 14/1 ح 15 عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

ومن هنا شُرِعَ لنا أن نبتدئ بذكره وتعظيمه بالصلاة والسلام عليه في مهماتنا بعد ذكر الله تعالى شكرا له، إذ هو الواسطة فيها. فيتأكد على المؤمن عند تجدد نعمة عليه في دينه أو دنياه، من هداية ولو لكلمة خير، وتيسير طعام أو شراب أو لباس، أو شفاء من مرض، أو نجاة من مصيبة؛ أن يستحضر أن ذلك ببركة سيدنا صلى الله تعالى عليه ووساطته. ويبادر إلى شكره بمدحه والثناء عليه بالصلاة والسلام.

وانظر قول سيدنا أبي بكر لمولاتنا عائشة رضي الله تعالى عنهما لما نزلت براءتها من الإفك على لسان رسول الله: "اشكري رسول[1] الله[2]. "ولا شيء إلا وهو به منوط؛ إذ لولا الواسطة لذهب كما قيل الموسوط"[3].

أنـــت واســـطة الوســـائط، لـــولا فضـــلكم مـــا تشرـــف الشرـــفاء

ومن المباني التي تنبني على هذا: زيادةُ تعظيم لهذه الأمة المحمدية، ملاحظةً لهذا الملحظ الأصلي في ذواتهم، وتكون الملاحظ الأخر تبعا له.

ولعله لأجل هذا نقل في "الجدوة" أن: "إدخال ألف كافر في الإسلام بشبهة أهون عند الله تعالى من إخراج مسلم من الإسلام بألف شبهة". ونقل بعضَه القاضي البيضاوي

([1]) في ط لرسول.

([2]) كما في "صحيح البخاري" 942/2 ح 2518 و"صحيح مسلم" 2136/4 ح 2770 عن عائشة، وفي البخاري أن الذي طلب منها شكر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هو أمها لا سيدنا أبو بكر، وذكرت روايات أخرى أن كليهما أمرا سيدتنا عائشة بذلك، كما في البخاري 1781/4 ح4479.

([3]) جزء من الصلاة المشيشية.

في "التفسير"[1] عند قوله سبحانه: {ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلم لست مؤمنا تبتغون عرض الحياة الدنيا فعند الله مغانم كثيرة} . [النساء/ 94].

وإذا كان العرش على عظمته اضطرب، ولما كُتب عليه اسم سيدنا محمد سكن؛ فكيف لا تُرحم هذه الأمة المحمدية وهي صُوِّرَتْ على صورة الاسم نفسه؟!.

قال في "المواهب"[2] عن بعض أهل الإشارات في قضية الإسراء: "ولما انتهى إلى العرش؛ تمسك العرش بأذياله، وناداه بلسان حاله: يا محمد؛ أنت في صفاء وقتك، آمنا من مقتك، أَشْهَدَكَ جمال أحديته، وأطلعك على جلال صمديته، وأنا الظمآن إليه، اللهفان عليه، المتحير فيه، لا أدري من أي وجه آتيه؟، جعلني أعظم خلقه، فكنت أعظمهم منه هيبة، وأكثرهم فيه حيرة، وأشدهم منه خوفا، خلقني فكنت أعد لهيبة جلاله، فكتب على قائمتي "لا إله إلا الله" فازددت لهيبة اسمه ارتعادا وارتعاشا، فكتب "محمد رسول الله" فسكن لذلك قلقي، وهدأ روعي، وكان اسمك لقاحا لقلبي، وطمأنينة لسري، فهذه بركة اسمك علي، فكيف إذا وقع جميل نظرك إلي؟!". اهـ المراد منه .

وإذا كان هذا مفهوما من لسان حال العرش، ودلالة الحال أقطع من دلالة المقال، وكان العرش الذي السماوات السبع والأرضون السبع وما بينهما بالنسبة إليه كحلقة ملقاة في فلاة من الأرض، مرحوما باسمه ومتشرفا بكتابته عليه، وموقنا بالنسبة إليه برسمه فيه، وفهمتَ هذا؛ ظهرت لك رفعة ذكره وعلو شأنه، على أن حقيقة هذا خفي

---

(1) 273/2 بتصرف.

(2) 119/1.

عنا تعظيم الأنبياء لجالاله الجلالة المحمدية، وإنما يعرف ذلك أكابر الخلق من الأنبياء والرسل.

ولنذكر لك حكاية تعرّفك بما ذكرناه: أخبر الشيخ مكين الدين الأسمر، وهو الذي شهد له أبو الحسن بالخصوصية، قال: "دخلت مسجد نبي بالإسكندرية، فوجدت النبيَّ المدفون هنالك قائما يصلي، عليه عباءة مخططة. فقال لي: تقدم فصل!. فقلت له: تقدم أنت فصل. قال: تقدم أنت فصل، فإنكم من أمة سيدنا محمد، لا ينبغي لنا التقدم عليه. قال: فقلت له: بحق هذا النبي إلا ما تقدمت فصليت. قال: فأنا أقول بحق هذا النبي إلا وهو قد وضع فمه على فمي إجلالا للفظ النبي كي لا يبرز في الهواء. قال: فتقدمت فصليت".اهـ. فقف واعتبر هذا التعظيم العظيم من عظماء خواص الخلق، حتى قدم النبي واحدا من أمة نبينا على نفسه في الصلاة، وامتنع هو من أن يتقدم عليه، وحافَظَ على اسم نبينا صيانة وتكريما فلم يتركه يذهب في الهواء. اهـ.

قال ابن زكري في "شرح همزيته": "ومن أنباء الاسم الشريف "محمد" باعتبار الهيئة: الإشارةُ إلى أنه المقصود الأكبر من النوع الإنساني، ولذلك خُلقوا على صورة اسمه وشكل كتابته". ثم ذكر نحو ما قدمناه عنه في" شرح المشيشية"، ثم ذكر بعض لطائف الاسم الشريف.

وكل ذلك ذكره بحروفه – البغيض – فيما كتب، ولم يعزُ لأحد، بل عزاه لمن تلقوه عن ابن زكرى ولم ينسبوه له، وناشد – لما ذكره – حتى كأنه يقتطف من تفسير الشيخ الأكبر الكبير الذي وصل فيه لقوله سبحانه: {وعلمناه من لدنا علما}. [الكهف/ 65]، وقد وصل إلى خمس وتسعين مجلدا. ولكن من لم يطلع على مراتب الناس، ولم يُكشف له عن خواص الله في خلقه؛ تقلب في الأمور كيف شاءت الأهواء.

{وأفوض أمري إلى الله إن الله بصير بالعباد}

فهذا معنى قوله في الصلاة "**وصورة هيكله الجسماني على صورة أنموذج**".

[الإشكال الخامس في قوله: " حقيقة خلق الله آدم على صورته"]

ثم قال في الصلاة:"**حقيقة خلق الله آدم على صورته**".

استشكل – أيضا – هذه الجملة ظنا من المستشكِل أن هذا من بنات الأفكار، وأنتجته قرائح الأنظار، أو للفتح فيه مساغ، وللكشف فيه أدنى بلاغ، أو من طامات الصوفية، أو تلبيسات أهل الحكمة العقلية، أو تَسَوُّرٌ على محراب الإخبار عن الله تعالى، وماهو عليه من الشؤون ببضاعة العقول، أو اطلع على شيء من ذلك البحر الطامس، أو الليل العابس، أو الطريق الدامس، أو الرَبع الذي الطريق إليه دارس.

مع أن هذا كلام من لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى، القائل: "لا أقول إلا ما أقول، فاكتبوا عني ما أقول في حالة الرضى والغضب، فإني لا أقول إلا حقا"[1]، وحاشاه عليه الصلاة والسلام؛ فإن قلبه عرشي، وبساط نفسه كرسي، وسره جبروتي،

(1) لحديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: "كنت أكتب كل شيء أسمعه من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أريد حفظه، فنهتني قريش، وقالوا: أتكتب كل شيء تسمعه ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بشر يتكلم في الغضب والرضا ؟. فأمسكت عن الكتاب فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: "اكتب، فوالذي نفسي بيده ما يخرج منه إلا الحق". رواه أبو داود في "سننه" 3/318 ح 3646.

ومظهر روحه ملكوتي، ومقتضى عقله قدسي. وإذا كان هكذا وفوق هذا؛ فأنى يتطرق إلى كلامه الشريف اختلال، أو يعترى لَبِنات مشيداته نقض أو زوال؟.

وإذا كان هذا اللفظ لفظ حديث نبوي، إنما ضمن في الصلاة لمعنى شريف عال، لما فيه من الإدماج في المدح النبوي. فما معنى الاستشكال؟. ولكن اسمع ما يلقى عليك. ولنحصر الكلام عليه في ثلاثة فصول:

الفصل الأول: فيمن خرجه من أهل الصحيح:

حتى يعلم أن المنكر إنما ينكر بحسب الأهواء والأغراض، وإلا؛ حيث كان اللفظ نبويا وكان معناه مقررا[1] في الكتب والمطولات والمختصرات منذ أزمان، واللفظ الكريم على أحد احتمالاته هو من المتشابه، والمتشابهُ معلوم فيه مذهب السلف والخلف، فمن أوّل فليؤول هنا حتى يتضح معناه كما يحتاج إلى تأويله إذا سئل عنه، أو إذا وجده في كتب ووقع البحث عن معناه، فلا بد أن تطالَع فيه كتب الحديث، وما فسرَته به تشرحه أنت به.

وعلى هذا؛ فما معنى هذا الهبل هنا وهذا التربب على عبيد الله وإطلاق القالة فيهم أنهم لا يعرفون المحكم ولا المتشابه ولا يعرفون مذهب السلف والخلف؟.

([1]) في ج مقرورا.

مع أن هذا المنكر لو سئل على البديهة عن من خرج هذا اللفظ الكريم من الكتب الحديثية لغص بريقه، ولو طالبته بما قال الناس فيه لما وجد مسلكا. ثم يكر بالإنكار والاعتراض وتوهيم الناس أنه على الجادة وغيره على غير طريق.

وهذا لم يأمر به علم ولا عقل ولا أدب، وإنما يُنْتِجُ هذه الأحوال مجالسة النساء واستماع كلامهن وبناء المباني عليه لا غير، سيما المرأة المسنة؛ فإنها على النصف أو الربع من نفسها. فإن كون المرأة ناقصة عقلا ما لم تُعَمّر، فإذا عُمرت ازدادت نقصا. قال سبحانه {ومن نعمره ننكسه في الخلق}، [يس/ 68]، فكيف والمرأة لا تقبل وحدها؟. فنقول:

خرّج هذا الحديث الإمامُ البخاري في مواضع، من ذلك كتاب الاستيذان[1]، من طريق معمر بن راشد البصري عن همام عن أبي هريرة، بلفظ: "خلق الله آدم على صورته، طوله ستون ذراعا، فلما خلقه قال له...الخ". وفيه: "فكل من يدخل الجنة على صورة آدم".

وفي كتاب الأنبياء[2] من طريق عبد الله بن المبارك، عن عبد الرزاق عن معمر به... إلا أنه لم يزد فيه هنا "على صورته".

وأخرج البخاري[3] في كتاب العتق، ومسلم[1] وغيرهما عن سيدنا أبي هريرة: "إذا قاتل أحدكم؛ فليجتنب الوجه". رواه مسلم[2] من طريق أبي أيوب المراغى عنه: "فإن الله خلق آدم على صورته".

([1]) 2299/5 ح 5873.

([2]) 1210/3 ح 3148.

([3]) 902/2 ح 2420.

وبلفظ البخاري في العتق: أخرجه عبد بن حميد في "مسنده"[3] من طريق حجاج بن أرطاة عن عطية عن أبي سعيد. والحجاج[4] ضعيف جدا. لكن خرج له مسلم، ولكن في المتابعات أيضا، حسبما في كتب التعديل والتجريح.

وأخرجه[5] في مسند أبي سعيد أيضا، عن إبراهيم بن الأشعث: ثنا الفضل بن عياض عن سليمان بن عطية عن أبي سعيد، بلفظ: "فإن الله سبحانه خلق آدم على صورته".

وهكذا أخرجه الإمام أحمد[6] وعبد الرزاق[7] في مسانيدهم، والضياء المقدسي في "المختارة"[8] وأبو يعلى[9].

وأخرجه الإمام أحمد[10] ومسلم[11]، وعبد الرزاق[12]، والدارقطني في "الأسماء والصفات"[13]، والطبراني في "السنة"، وابن عساكر[1]، عن أبي هريرة بلفظ: "إذا ضرب

([1]) 2016/4 ح 2612.

([2]) 2016/4 ح 2612.

([3]) ص 280.

([4]) انظر ترجمته وأسباب ضعف حديثه في "ميزان الاعتدال" 198/2.

([5]) "مسند عبد بن حميد" ص 283.

([6]) "المسند" 251/2.

([7]) "مصنف عبد الرزاق" 445/9.

([8]) لم أقف عليه في النسخة المطبوعة من "الأحاديث المختارة" للمقدسي.

([9]) "مسند أبي يعلى" 203/11.

([10]) 251/2.

([11]) لم أجده في صحيح مسلم بالزيادة المذكورة هنا عن أبي هريرة.

([12]) 445/9.

([13]) ص 35.

أحدكم فليجتنب الوجه، ولا تقل: قبح الله وجهك، ووجهَ من أشبه وجهك، فإن الله عز وجل خلق آدم على صورته". أورده الأسيوطي في "جمع الجوامع"[1].

وأخرجه الدارقطني في "الأسماء والصفات"[2] عن أبي هريرة - أيضا - بلفظ: "إذا ضرب أحدكم فليجتنب الوجه، فإن صورة الإنسان على صورة الرحمن".

وأخرجه الطبراني في "السنة" عنه أيضا: "إذا قاتل أحدكم فليجتنب الوجه، فإن صورة وجه الإنسان على صورة وجه الرحمن". وبلفظ: "إذا قاتل أحدكم فليتق الوجه، فإن الله تعالى خلق آدم على صورة وجهه".

قال الحافظ ابن حجر في "فتح الباري"[3]: "الزيادة – يعني: فإن صورة وجه الإنسان - أخرجها ابن أبي عاصم في "السنة"[4]، والطبراني[5] من حديث ابن عمر بإسناد رجاله ثقات. وأخرجها ابن أبي عاصم[6] – أيضا - من طريق أبي يونس عن أبي هريرة قال: من قاتل فليجتنب الوجه، فإن صورة وجه الإنسان على صورة الرحمن. وقال إسحاق الكوسج: سمعت أحمد يقول: هو حديث صحيح". اهـ. ونحو ما نقله الحافظ عن إسحاق ابن راهويه[7] نقله الإمام فخر الدين الرازي صدر "التفسير الكبير"[1].

([1]) "تاريخ دمشق" 315/52.

([2]) ص 37.

([3]) 183/5.

([4]) 230/1.

([5]) في كتاب "السنة" له غالبا إذ لم أجده في المعاجم الثلاثة.

([6]) 230/1.

([7]) الذي نقله الحافظ عن إسحاق بن راهويه هو هذا: "وقال حرب الكرماني في كتاب "السنة": سمعت إسحاق بن راهويه يقول: صح أن الله خلق آدم على صورة الرحمن". اهـ من "الفتح" 183/5.

فإذا أحطت بهذا خُبرا؛ علمت أن الحديث ثابت صحيح، والمنكِر إذ لم يدر حاله، وأين مرتبته من العلم، فهل ينكر أنه لفظ نبوي مع علمه به أنه حديث؟. فهذا يصدق عليه: "من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار"[2]. فإن أنكره وهو لم يعلم جلية أمره، فأين مقتضى خلوص الإيمان ونور الرابطة التي بين كل مؤمن ونبيه؟. فإن المؤمن الكامل من شأنه أن يعرف كلام نبيه إذا ذكره، لقوة الرابطة الإيمانية التي بيننا وبينه.

ويا للعجب؛ إذا ألزمتَ هذه الإلزامات القوية للمنكر ترى من يذب عن المنكر ويقول إنه: "لا يقصد هذا المعنى". ونحن لما لم يتبادر لأذهانهم إلا المعاني التي لم تخطر لنا ببال، ولم يقصدها كامل الإيمان يلطخونا بها، ويقولون: إن الألفاظ لم يتبادر منها إلا هذا ولا يستحضرون هنا التماس المعاذر.

وحيث عُلم أن هذا المنكر هكذا بالسَّبْرِ والتقسيم، فلا يُكترث بكلامه؛ لأنه ليس على اعتدال في أمره. واقتفينا في هذا على المنكر قواعد العلم فيما ذُكِر في مسالك العلة من علم الأصول من استقصاء الاحتمالات على المنكر حتى يَقَرَّ أو يثابر على إنكاره فيعلم أنه معاند وليس له دواء.

قال الشيخ زروق في "القواعد"[3]: "إنكار المنكِر: إما أن يستند لاجتهاد، أو لحسم ذريعة، أو لعدم التحقيق، أو لضعف الفهم، أو لقصور العلم، أو لجهل المناط، أو لانبهام

([1]) 20/1

([2]) حديث متواتر مشهور أخرجه أصحاب الصحاح والسنن والمعاجم والمسانيد عن جمع من الصحابة.

([3]) ص 129.

البساط، أو لوجود العناد. فعلامة الكل: الرجوع للحق عند تعيينه، إلا الأخير؛ فإنه لا يقبل ماظهر ولا تقبل دعواه ولا يصحبه[1] اعتدال في أمره".اهـ.

الفصل الثاني: في معنى هذا الحديث الكريم وكلام العلماء فيه:

ليُعلم أن الناس اختلفوا في معاد الضمير؛ فمنهم من أعاده على سيدنا آدم، والمعنى عليه: أن الله – جلت قدرته – خلق آدم من أول الأمر بشرا سويا كامل الخلقة، طويلا ستين ذراعا، كما هو المشاهد، بخلاف غيره؛ فإنه يكون أولا نطفة، ثم علقة، ثم مضغة، ثم جنينا، ثم طفلا، ثم رجلا..حتى يتم طوله، فله أطوار.

وهذا القول أيده الحافظ ابن حجر في "فتح الباري"[2] برواية مَعْمَر عن همام: "خلق الله آدم على صورته؛ طوله: ستون ذراعا"، قال: "فأعاد الضمير على آدم". وبه جزم القسطلاني في "شرحه"[3]، فقال: "وفيه كما قال ابن بطال: إبطال قول الدهرية أنه لم يكن قط إنسانا إلا من نطفة، ولا نطفة إلا من إنسان".اهـ. وقول الطبيعيين: إن الإنسان قد يكون من فعل الطبع وتأثيره. وزعم القدرية أن صفة آدم على نوعين: ما خلقها الله سبحانه، وما خلقها آدم بنفسه.

ومنهم: من أعاد الضمير على الحق سبحانه، وتمسك هؤلاء بما سبق ذكره من الروايات، من نحو قوله: "على صورة الرحمن".

([1]) في ط بصحبه.

([2]) 366/6.

([3]) 150/5

قال الحافظ في "الفتح"[1]: "فتعين إجراء ذلك على ما تقرر بين أهل السنة من إقراره كما جاء، من غير اعتقاد تشبيه، أو من تأويله على ما يليق بالرحمن جل جلاله".

وإلى نحوه أشار المحقق التوربشتي مع زيادة، ونصه: "أهل الحق في ذلك على طبقتين؛ أحدهما: المُتَنَزِّهُون عن التأويل، مع نفي التشبيه، وإحالة العلم إلى علم الله تعالى الذي أحاط بكل شيء علما، وهذا أسلم الطريقتين. والطبقة الأخرى: ترى الإضافة فيها إضافة تكريم وتشريف. وذلك: أن الله خلق آدم على صورة لم يشاركها شيء من الصور في الجمال والكمال، وكثرة ما احتوت عليه من الفوائد الجليلة".اهـ

وهذا الأخير أحسن، وأحسن منه: قول الإمام الفخر الرازي صدر "التفسير الكبير"[2]: "قوله: على صورة الرحمن. أي: خلقه على صفته في كونه خليفة في أرضه، متصرفا في جميع الأجسام الأرضية، كما أنه تعالى نافذ القدر في العالم".اهـ. وهو منه مصير إلى شرح الرواية المفصِحة على معاد الضمير، إلا أنه أولَ الصورة بمعنى الصفة. أي: أنه - جل أمره - أناب آدم - عليه السلام - خليفة عنه - جل أمره وتقدس مجده - في الأرض يحكم، ويتصرف ويمضي، ويقدم ويؤخر، ويعطي ويمنع، ويبسط اليد على حسب مرتبة الخلافة: {وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة}. [البقرة/ 30].

---

(1) 183/5.

(2) 20/1

قال في "المصباح"[1]: "تطلق الصورة ويراد بها: الصفة؛ كقولهم: صورة الأمر كذا. أي: صفته. ومنه: قولهم: صورة المسألة كذا. أي: صفتها".اهـ.

قال في"شرح القاموس"[2]: "ومن استعمال الصورة بمعنى الصفة: حديث: أتاني الليلة ربي في أحسن صورة[3]. أي: أحسن صفة".

قال ابن الأثير[4]: "الصورة ترد في كلام العرب على ظاهرها، وعلى معنى حقيقة الشيء وهيئته، وعلى معنى صفته. يقال: صورة الفعل كذا وكذا. أي: هيئته. وصورة الأمر: كذا. أي: صفته". فيكون المراد بما جاء في الحديث أنه: أتاه في أحسن صفة".

"ويجوز أن يعود المعنى إلى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم[5]، (أي)[6]: أتاني ربي وأنا في أحسن صورة. وتجري معاني الصورة كلها عليه؛ إن شئت ظاهرها، أو هيئتها أو صفتها. فأما إطلاق ظاهر الصورة على الله سبحانه؛ فلا!، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا".اهـ.

وقال صاحب "القاموس" في كتاب له سماه "البصائر": "الصورة: ما ينتقش به الإنسان، ويتميز بها عن غيره، وذلك ضربان: ضرب محسوس يُدْرِكُه الخاصة والعامة،

([1]) ص 76

([2]) 120/5

([3]) "سنن الترمذي" 367/5 ح 3234 عن ابن عباس.

([4]) "النهاية في غريب الحديث" 58/3.

([5]) وسلم زائدة في ط.

([6]) زيادة من النسخة المطبوعة من "النهاية".

بل يدركها الإنسان وكثير من الحيوانات؛ كصورة الإنسان والفرَس والحمار. والثاني: معقول يدركه الخاصة دون العامة؛ كالصورة التي اختص الإنسان بها من العقل والرؤية والمعاني التي مُيِّزَ بها".

"وإلى الصورتين أشار تعالى بقوله[1]: {وصوركم فأحسن صوركم}. [غافر/ 64]، {في أي صورة ما شاء ركبك}. [الانفطار/ 8]، {هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء}. [آل عمران/ 6]. وقوله صلى الله تعالى عليه: إن الله خلق آدم على صورته. أراد بها: ما خص الإنسان به من الهيئة المُدْرَكَة بالبصر والبصيرة، وبها فضله على كثير من خلقه، وإضافته إلى الله تعالى على سبيل التشريف والملك، لا على سبيل البعضية والتشبيه، تعالى الله عن ذلك. وذلك كما قيل في حرم الله تعالى وناقة الله ونحو ذلك". اهـ، ونحوه للراغب في "المفردات". وزاد: "وروح الله".

قال صاحب "روح البيان"[2] عند قوله سبحانه: {المصور}. [الحشر/ 24]. ما نصه: "الضمير المجرور في صورته يرجع إلى الله لا إلى آدم. والصورة الإلهية: عبارة عن الصفات السبع المرتبة، وهي: الحياة والعلم، والإرادة والقدرة، والسمع والبصر والكلام. وآدم: مَظهر هذه الصفات بالفعل، بخلاف سائر الموجودات. وإطلاق الصورة على الله تعالى مجاز. إذ لا تُستعمل في الحقيقة إلا في المحسوسات. وأما عند أهل الحقيقة؛ فحقيقة؛ لأن العالم الكبير بأسره صورة الحضرة الإلهية فَرقا وتفصيلا، وآدم صورته جمعا وإجمالا".اهـ.

([1]) في ج وط خلقكم ثم صوركم الخ وهو سبق قلم.

([2]) 300/7

فكأنه يشير إلى أن معنى كون آدم مخلوقا على صورة الرحمن: أنه مخلوق بمقتضى الخلافة عن الله سبحانه على صورة الحضرة الإلهية، أي: متخلق بأخلاق الله في ملكه، وفي تصرفاته، ومصادره وموارده عليه الصلاة والسلام.

قال في "اليواقيت"[1]: "فإن قلت: فإذا كان الحق تعالى لا يشبه خلقه في شيء مطلقا، فما معنى قوله عليه الصلاة والسلام: إن الله خلق آدم على صورته"؟".

"فالجواب: ما قاله الشيخ في الباب الحادي والستين وثلاثمائة: إن المراد هنا بالصورة: أن الله تعالى جعل كلا من آدم وبنيه يأمر وينهى، ويعزل ويولي، ويؤاخذ ويسامح ويرحم...ونحو ذلك؛ لكونه خليفة في الأرض، إذ الصورة تُطلق ويراد بها الشأن والحكم والأمر، أي: الله تعالى جعل آدم يفعل بأمره ما يشاء الله سبحانه له. فهذا هو معنى الصورة".

الفصل الثالث: في وجه تطبيقه على ما قبله من المدح النبوي:

إن من أحاط بهذا خُبْرا؛ علم السر في الإتيان بهذا الحديث الكريم النبوي الصحيح هنا، وأن سيدنا آدم الجسماني – الذي هو أول هذا النوع الإنساني – إذا كان مخلوقا على صورة الحضرة الإلهية، وعلَّمه تعالى الأسماء كلها، إذ لا تصح الخلافة عن الله إلا بالعلم الكامل، فعلم سيدنا آدم الأسماء كلها حتى تصح له الخلافة عن الله فيمن استكشف عن سر خلافته. فأقام تعالى عليهم الحجة بقوله: {أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين}.

([1]) ص 75.

[البقرة/ 31]، ثم قال: {يآدم أنبئهم بأسمائهم}. [البقرة/ 33]. فهناك أمرهم سبحانه بالسجود لهذا الخليفة، وذلك عنوان كونه خليفة.

فإذا كان سيدنا آدم بهذه الجلالة وهذه المكنة من الخلافة عن الله سبحانه، وهذا العلم الشامل المتعلق بالله سبحانه وبالأشياء، ومع ذلك لا يختلف عاقلان أن سيدنا آدم مخلوق على الشكل المحمدي، إذ[1] لم يُنقل أن من تقدمنا من الأمم السالفة على غير الشكل المحمدي؛ فيؤخذ من هذا: أن ما فُعل بسيدنا آدم من المكانات إلى أن أُسجدت له الملائكة وعُلِّم الأسماء كلها، وانسلخت منه الذوات الجسمية؛ فكله في الحقيقة إدماج لجلالة هذه الحقيقة المحمدية المخلوق على صورتها وشفوف لها[2] على مراتب الأكوان، وإرفاع لمجادتها على كراسي الاصطفاء التام، وأوج الكمال العام. فهذا وجه تطبيق هذا الحديث الكريم على ما قبله من جمل الصلاة[3].

وليت شعري؛ أي بدع في هذا النمط، وأي ملام يتوجه عليه؟!. ولأجل موقع هذه النكتة زاد في الصلاة لفظ "حقيقة"، فقال: **"وصورة هيكله الجسماني على صورة أنموذج حقيقة خلق الله آدم على صورته"**.

([1]) في ج إذا.

[2] هكذا في النسختين المعتمدتين

([3]) قال الإمام المؤلف في "الدوانة" ص 97: "فإن قلت: ولم تأخر ظهور هيكله ولم يبرز في تلك الأزمنة؟. قلت: اعلم أنه صلى الله عليه وآله وسلم نسخة الوجود المطلق ووحدة الوحدات الإحاطية والإنسان الحقي، فهو مظهر لكل شيء من الكمالات الإلهية، فكما أن الأنموذج تقدم له البطون الذاتي وهو حالة الكنزية على الظهور الجلي بشاهد "كنت كنزا" المصحح عندنا، كذلك ناموسه تقدم له البطون على الظهور بمعونة: "خلق الله آدم على صورته". أي: ما هو على استحقاق جميع الرتب الذاتية المنشطة منه إليه، غير الوجوب الذاتي، فهو خاص بالأنموذج كما يرشد لذلك قوله "خلق". اهـ.

تنبيهات

التنبيه الأول: [تكرر الإضافات، والاطراد، وميزتها البلاغية]:

وقع تكرر الإضافات في هذا الموطن من الصلاة؛ وهو: "على صورة أنموذُج حقيقة"، ولا يخلُّ ذلك بالفصاحة. ففي القرآن المحكم: {مثل دأب قوم نوح}. [غافر/ 31]، وقوله جل شأنه: {ذكر رحمة ربك عبده زكريا}. [مريم/ 2]، وقوله سبحانه: {ونفس وماسواها فألهمها فجورها وتقواها}. [الشمس/ 7، 8]. وفي "الصحيح"[1]: "الكريم بن الكريم بن الكريم بن الكريم: يوسف بن يعقوب بن إسحق بن إبراهيم".

قال في "المطوّل"[2]: "قال الشيخ عبد القاهر: قال الصاحب: إياك والإضافات المتداخلة؛ فإنها لا تحسُن"...وذكر أنها تُستعمل في الهجاء، كقوله:

يــا عــلي بــن حمــزة بــن عــمارة   أنــــت والله ثلجــــة في خيــــارة

([1]) "صحيح البخاري" 3/1237 ح 3202 عن سيدنا عمر رضي الله عنه.

([2]) ينظر "الإيضاح في علوم البلاغة" ص 12.

ثم قال الشيخ: "لا شك في ثقل ذلك في الأكثر، لكنه إذا سلم من الاستكراه؛ ملح ولطف، كقوله:

فظلت تدير الكأس أيدي جآذر عتاق دنانير الوجوه ملاح".

ومنه: الاطراد[1] المذكور في علم البديع؛ كقوله: بعتيبة بن الحارث بن شهاب.

قال في "المطول": "وما أورده المصنف في "الإيضاح" من كلام الشيخ؛ مشعرٌ بأنه: جعل تتابع الإضافات أعم من أن تكون مترتبة، لا يقع بين المضافين شيء غير مضاف، كما في البيت، أو غير مترتبة. كما في الحديث. وأنه: أورد الحديث مثالا لكثرة التكرار وتتابع الإضافات جميعا..ثم قال: وإلا؛ فلا جهة لإخلالهما بالفصاحة. كيف وقد وقعا في التنزيل؟".اهـ.

التنبيه الثاني: [من مزايا هذه الصلاة: الإدماج والتضمين]:

قلنا: إن الحديث الكريم فيه إدماج، وهو: الثناء على الجلالة المحمدية. فإن صور الأكوان حيث كانت مخلوقة على هذا الشكل المحمدي، وأول هذه الصور: سيدنا آدم الجسماني، وقد جاء فيه عن المعصوم أنه: مخلوق على صورة الحضرة الإلهية. ومع أنه على الصورة المحمدية؛ ففيه إدماج عظيم لمدحه والثناء عليه عليه الصلاة والسلام.

([1]) قال في "الإيضاح" ص 354: "ومنه: الاطراد وهو أن يأتي بأسماء الممدوح أو غيره وآبائه على ترتيب الولادة من غير تكلف في السبك حتى تكون الأسماء في تحدرها كالماء الجاري في اطراده وانسجامه".

وعَرَّف ابن أبي الأصبغ الإدماج فقال[1]: "هو: أن يدمج المتكلم غرضا في غرض، أو بديعا في بديع، بحيث لا يظهر في الكلام إلا أحد الغرضين أو أحد البديعين، كقوله تعالى: {له الحمد في الأولى والآخرة}. [القصص/ 70]: أُدمج غرض في غرض، فإن القصد منها: تفرده تعالى بوصف الحمد، وأدمج فيه الإشارة على يوم البعث والجزاء، أو أدمج فيه المبالغة في المطابقة"...الخ.

ويقرب منه: "التضمين". ذكر القاضي أبو بكر الباقلاني في "إعجاز القرآن"[2]: أن من الإعجاز نوعا يسمى "التضمين"؛ وهو: "حصول معنى في لفظ من غير ذكر له باسم هو عبارة عنه". قال: "وهو نوعان، أحدهما: ما يفهم من البنية؛ كقوله: معلوم. فإنه يوجب أنه لا بد من عالم. والثاني: هو معنى العبارة، ك: بسم الله الرحمن الرحيم. فإنه تضمن تعليم الاستفتاح في الأمور باسمه على جهة التعظيم لله تعالى والتبرك باسمه".اهـ.

التنبيه الثالث: [لا حرج في تضمين الآيات القرآنية والأحاديث النبوية في الكلام]:

قيل: "لا يجوز درج آيات القرآن الكريم في غضون الكلام من غير تبيين، كي لا يشتبه". أي: وكذلك الحديث.

([1]) ينظر "الإيضاح" ص 348.

([2]) ص272.

قال في "المثل السائر"[1]: "وهذا القول لا أقول به؛ فإن القرآن الكريم أبين من أن يُحتاج إلى بيان، وكيف يخفى وهو المعجز الذي لو اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله؟. فإن كانت المفاوضة في التفرقة بينه وبين غيره من الكلام إذا أُدرج فيه مع جاهل لا يعرف الفرق؛ فذاك لا كلام معه، وإن كان الكلام مع عالم بذلك؛ فلا يخفى عنه القرآن الكريم من غيره".اهـ.

وكذا الحديث؛ فالجاهل لا يعرف الفرق، أي: ما لم يعلم ويعرف وتبين له الأمور. والعالم: لا تشتبه عليه الأمور. والحمد لله على ذلك.

قلنا: بل هذا مخالف لكل الأمة؛ إذ أطبقت الأمة على الاقتباس من القرآن، ومعلوم أنه مأخوذ في تعريفه: أن لا يصرح بأنه من القرآن[2]. وفي "المشيشية": "{إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد}، {ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيء لنا من أمرنا رشدا}".

التنبيه الرابع: [مذاهب أهل السنة في المتشابه]:

معلوم أن لفظ الحديث النبوي من قسم المتشابه، ومعلوم مذهبا السلف والخلف فيه.

أما السلف: فأجمعوا على عدم التأويل، مع إجماعهم على تنزيه الحق عما يقتضيه ظاهر اللفظ من التشبيه. وعلى هذا؛ فقولهم: إجماع السلف على التفويض، أي: مع ضرب من التأويل أيضا. فالتعبير فيه تَسَمُّح.

---

(1) 323/2.

(2) انظر "خزانة الأدب" 455/2، قال في "إيضاح البلاغة" ص 381: "أما الاقتباس فهو أن يضمن الكلام شيئًا من القرآن أو الحديث لا على أنه منه".اهـ.

قال الترمذي[1] في الكلام على حديث الرؤية: "المذهب في هذا عند أهل العلم من الأئمة – مثل: سفيان الثوري ومالك، وابن عيينة ووكيع..وغيرهم – أنهم قالوا: نروي هذه الأحاديث كما جاءت، ونؤمن بها، ولا يقال: كيف ولا نفسر، ولا نتوهم".اهـ.

وكان إمامُ الحرمين يذهب للتأويل، ثم رجع عنه، فقال في "الرسالة النظامية": "الذي نرتضيه دينا ونَدين الله به عقدا: اتباع سلف الأمة؛ فإنهم درجوا على ترك التعرض لمعانيها"...

وقال ابن الصلاح: "على هذه الطريقة مضى صدر الأمة وساداتها، وإليها أشار أئمة الفقهاء وقادتها، وإليها دعا أئمة الحديث وأعلامه، ولا أحد من المتكلمين من أصحابنا يصدف عنها، وأما الخلف؛ فأولوا".

فمن تمذهب هنا بمذهب السلف؛ فليفوض مراد الرسول صلى الله تعالى عليه إلى الله تعالى، وإليه مراده بهذا الحديث، ولينزه الحق عما يقتضيه ظاهر اللفظ. ومن تمذهب بمذهب الخلف المؤولين؛ فليؤول.

وقد سمع ما قاله علماء اللغة والحديث والتفسير والتصوف في معنى هذا الحديث الكريم. فأي محل بقي للاعتراض هنا؟. اللهم لمن ينكر وجود هذه الكتب، ويقول: إن هذا كله مختلق. فهذا لا كلام معه.

التنبيه الخامس: [حد المحكم والمتشابه]:

([1]) "سنن الترمذي" 4/691.

معلوم في علم الأصول[1] أن المحكَم: ما اتضح معناه، والمتشابِه: بخلافه. لأن اللفظ الذي يقبل معنى: إما أن يحتمل غيره أم لا. والثاني: النص. والأول: إما أن تكون دلالته على ذلك الغير أرجح أو لا. والأول: هو الظاهر. والثاني: إما أن يكون مساويا أو لا. والأول: هو المجمل. والثاني: المؤول. فالمشترك بين النص والظاهر هو: المحكم، والمشترك بين المجمل والمؤول هو: المتشابه. والمتشابه وارد في القرآن الكريم، قال سبحانه: {هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات}. [آل عمران/ 7].

ومنها: {الرحمن على العرش استوى}. [طه/ 5]، {كل شيء هالك إلا وجهه}. [القصص/ 28]، {ويبقى وجه ربك}. [الرحمن/ 27]، {ولتصنع على عيني}، [طه/ 39]، {يد الله فوق أيديهم}. [الفتح/ 10]، {والسماوات مطويات بيمينه}. [الزمر/ 67]، {ياحسرتى على ما فرطت في جنب الله}. [الزمر/ 56]، {واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا}. [الطور/ 48]، {فأينما تولوا فثم وجه الله}. [البقرة/ 115].

التنبيه السادس: [كيف يتخلص المرء من توهم التشبيه]:

لما ذكر القاضي أبو الفضل في "الشفاء"[2] في فصل: تشريف الله سبحانه سيَدنا محمدا بما سماه به من أسمائه الحسنى ووصفه به من صفاته العليا. وقال: "إن الله تعالى خص كثيرا من الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - بكرامة خلعها عليه من أسمائه..ثم قال:

([1]) انظر "البرهان في أصول الفقه" للجويني 126/1.

([2]) ص 44.

وفضّل نبينا سيدنا محمدا صلى الله تعالى وسلم عليه بأن حلاَّه منها في كتابه العزيز وعلى ألسنة أنبيائه بعدة كثيرة، وحرَّرنا منها في هذا الفصل نحو ثلاثين اسما – أي: من أسمائه تعالى – سمى بها نبيه الكريم الأسنى".اهـ. ثم ذكرها، وبين وجه قيامها بالذات المحمدية...

قال: "وهاهنا أذكر نكتة أذيّل بها هذا الفصل، وأختم به هذا القسم، وأزيح الإشكال بها فيما تقدم عن كل ضعيف الوهم سقيم الفهم، تُخَلِّصه من مهاوى التشبيه، وتزحزحه عن شبه التمويه. وهو: أن تعتقد أن الله - جل اسمه - في عظمته وكبريائه وملكوته وحسنى أسمائه وعُلا صفاته؛ لا يشبه شيئا من مخلوقاته ولا تشبّه به. وأنَّ ما جاء مما أطلقه الشرع على الخالق وعلى المخلوق – أي: كالشكور والحفيظ، أو: كالثلاثين اسما من الأسماء الإلهية التي سمى سبحانه بها نبيه الكريم – فلا تشابه بينهما في المعنى الحقيقي، إذ صفات القديم بخلاف صفات المخلوق، فكما أن ذاته لا تشبه الذوات، فكذلك صفاته لا تشبه صفات المخلوقين، إذ صفاتهم لا تنفك عن الأغراض والأعراض. وهو تعالى منزه عن ذلك، بل لم يزل بصفاته وأسمائه. وكفى بهذا – أي: يكفي في إثبات كون ذاته وصفاته وأسمائه لا يشبهه شيء فيها- قوله تعالى: {ليس كمثله شيء}. [الشورى/ 11]".

"ولله در من قال من العارفين المحققين: التوحيد إثبات ذات غير مشبهة للذوات ولا معطلة من الصفات. وزاد هذه النكتةَ الواسطيٌّ بيانا، وهي مقصودنا. فقال: ليس كذاته ذات، ولا كاسمه اسم، ولا كفعله فعل، ولا كصفته صفة، إلا من جهة موافقة اللفظ أي كسميع وبصير وحي. وجلت الذات القديمة أن تكون لها صفة حادثة، كما استحال أن يكون للذات المحدَثة صفة قديمة. وهذا كله مذهب أهل الحق والسنة والجماعة".

"وقد فسر الإمام القشيري قوله -أي الواسطي هذا- ليزيده بيانا، فقال: هذه الحكاية تشتمل على جوامع من التوحيد، وكيف تشبه ذاته ذات المُحدَثات وهي بوجودها مستغنية؟، وكيف يشبه فعله فعل الخلق وهو لغير جلب أنس أو دفع نقص حصل، ولا بخواطر وأغراض ولا بمباشرة ومعالجة ظهر؟. وفعل الخلق لا يخرج عن هذه الوجوه".

"وقد قال آخر من مشايخنا: ما توهمتموه بأوهامكم، أو أدركتموه بعقولكم؛ فهو محدَث مثلكم. وقال الإمام أبو المعالي الجويني: من اطمأن إلى موجود انتهى إليه فكره؛ فهو مشبه – أي: معتقد لتشبيه الله بغيره – لما في خزانة فكره، وهو خطأ؛ لأنه ليس كمثله شيء. ومن اطمأن إلى النفي المحض بأن نفى ذات الباري حقيقة أو حكما؛ فهو مُعطِّل، كالفلاسفة القائلين: لا يصدر عن الواحد بالذات إلا واحد. وإن قطع بموجود اعترف بالعجز عن درك حقيقته؛ فهو موحد. وما أحسن قول ذي النون المصري: حقيقة التوحيد: أن تعلم أن قدرة الله في الأشياء بلا علاج، وأن صنعه لها بلا مزاج، وعلة كل شيء: صنعه، ولا علة لصنعه. وما تصوره وهمك؛ فالله بخلافه.اهـ. وهذا كلام عجيب نفيس محقَّق".

"والفصل الأخير من كلام ذي النون، وهو قوله: "وما تصوره وهمك فالله بخلافه"، تفسير لقوله: {ليس كمثله شيء}. فإن من لا مثل له لا يرتسم في الوهم".

"والثاني، وهو قوله: "وعلة كل شيء صنعه، ولا علة لصنعه". تفسير لقوله: {لا يسأل عما يفعل وهم يسئلون}. [الأنبياء/ 23]".

"والثالث: وهو قوله: "حقيقة التوحيد: أن تعلم أن قدرة الله تعالى في الأشياء بلا علاج، وصنعَه لها بلا مزاج". تفسير لقوله: {إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون}. [النحل/ 40]".

"ثبتنا الله على التوحيد والإثبات والتنزيه، وجنّبنا طرفي الضلالة والغواية من التعطيل والتشبيه".اهـ كلام القاضي عياض مع زيادة بيان وإيضاح، وجلبناه لحسنه وجمعه، ورفعِه به الوهم على الفصل الذي ذُكر قبل هذا الفصل في "الشفاء"، وهو: تسميته عليه الصلاة والسلام بثلاثين اسما من أسمائه سبحانه. فربما يوهم سماع ذلك التشبيه أو المماثلة، فرفع ذلك الإيهام والإبهام بالفصل الذي بعده، وكذلك الاستشهاد هنا بالحديث النبوي على هذا النمط.

وانسب إلى ذاته ما شئت من شرف   وانسب إلى قدره ما شئت من عظمِ
فإن فضل رسول الله ليس له   حد فيعرب عنه ناطق بفم

التنبيه السابع: [أنواع المتشابه]:

قال ابن عطية[1] عند قوله سبحانه: {والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا}. [آل عمران/ 7]: "المتشابه نوعان: نوع انفرد الله سبحانه بعلمه. ونوع يمكن وصول الخلق إليه، فيكون الراسخون ابتداء بالنظر إلى الأول، وعطفا بالنظر إلى الثاني".اهـ. ونقله أبو زيد[2] في "حواشي الجلالين".

---

(1) "المحرر الوجيز" 382/1.

(2) يقصد به الإمام العارف أبا زيد عبد الرحمن بن محمد الفاسي الفهري، رحمه الله. وهو الشهير بالعارف الفاسي.

قال في "جمع الجوامع"[1]: "المتشابه: ما استأثر الله بعلمه، وقد يُطْلِعُ عليه بعض أصفيائه".اهـ.

قال الشيخ زروق في "شرح الحزب الكبير"[2] لما تكلم على فواتح السور: "هذه رموز من الحق سبحانه في كتابه، وقد حارت العقول في رموز الحكماء، فكيف بالعلماء، أم كيف بالأنبياء، فكيف بالمرسلين، فكيف يطمع في حقائق رموز رب العالمين؟!. هيهات؛ لا يدرَك إلا به ومنه، وهي: إحاطته، فلا يمكن ارتفاع الاختلاف منها، لكن قد يُفتح لبعض الخواص من نفحاتها على قدرهم، لا على قدره"...الخ كلامه. فانظر كيف صرّح أن الخواص يطلعون على فواتح السور.

وقد حنش صاحب "نوادر الأصول" في الفصل السادس والعشرين لما بسطه الشيخ زروق هنا، وذكر أن فواتح السور، مثل: (الم)، من المتشابه الذي شبه على العامة، وطوى علمه عنهم، وأوصله إلى أهله يعلمهم حشو ما في السورة للعباد من زاد الإيمان وجهازه. فإن العباد خلصوا إلى الإيمان بما ضمن الإيمان، وذلك مكنون في الإيمان، فإنما ظهر عندهم وعنهم الإيمان، وهذا لا يدركه إلا حكم الله في أرضه وأوتاد أرضه، وهم: قوم وصلت قلوبهم إلى فردانيته، فتناولوا هذا العلم من الفردية. وهو: علم حروف المعجم، وبهذه الحروف تعبر العلوم كلها. وبالحروف ظهرت أسماؤه حتى عبروها بالألسنة ففهموا معانيه من قبل الحروف، فهذه الحكمة العليا من الفردية خرجت إلى العباد، وإنما

---

(1) ص 80.

(2) ص 36.

يهتدي إليها أهل حديث التقريب".اهـ، ونقله أبو زيد في "حواشي الجلالين" أول سورة آل عمران.

وهذا جوابٌ مِن كُتُب أهل العلم عن تهويسك وتهويلك بأن المتشابهات لا تُذكر، مع ما قاله العلماء من أن منها ما يُطَّلع عليه.

التنبيه الثامن: [الحكمة من ورود المتشابه في الكتاب والسنة، وكيف يتعامل معها]:

ههنا معركات وتبيينات لما اختلج في الصدور وأوقعها في الشك الموقع، وهو أنه: أورد على ذكر المتشابه في القرآن والسنة إشكال عظيم، له وقع في القلوب.

أما ذكر المتشابه في السنة الطاهرة؛ فقد أورد الإمام أبو حامد الغزالي الإشكال في "إلجام العوام"[1] وقرره بيانا، أوجب بعض جفاءٍ مع حضرة النبوة، وإن كان ذلك التقرير منه بلسان الخصم. ولنذكره بلسان آخر، فنقول:

السؤال إن قال قائل: ما الحكمة في وضع هذه الألفاظ المتشابهة الموهمة من الرسول صلوات الله وسلامه عليه، مع الاستغناء عنها، ولم يعزب عن علم الرسول أنها توهم التشبيه وتؤدي الخلق إلى غلط كبير، وربما يسوقهم ذلك إلى اعتقاد الباطل في ذات الله تعالى وصفاته – وحاشا منصب النبوة أن يخفى عليه ذلك، أو عرف ذلك ولم يبال بجهل الجاهل وضلالة الضال. وتتحاشى رتبة الرسالة عن ذلك – مع أن الرسول يبعث شارحا لا مُبهِما، ومُبينا لا مُجملا وملغزا؟.

([1]) ص 97.

قال في "إلجام العوام"[1]: "وهذا الإشكال له وقع في القلوب، حتى جر بعض الخلق إلى سوء الاعتقاد". فما سبيل حل هذا الإشكال؟.

والجواب: أن هذا الجواب منحل عند أهل البصائر. وبيانه: أن هذه الكلمات لم يصدر من الرسول إلا هي، أو تكلم بها دفعة واحدة. بل ما بُعث الرسول إلا ليقرر كمالات الربوبية في طباع الخلائق، وقد دعا إلى الله تعالى أولا، وإلى توحيده في الذات والصفات والأسماء والأفعال، فعرَّف الخلق أن كل من بلغه حديث من هذه الأحاديث يجب عليه فيه سبعة أمور:

1- التقديس. أي: تنزيه الرب عن الجسمية وتوابعها.

2- ثم التصديق. أي: الإيمان بما قاله الرسول، وأن ما ذكره حق، وفيما قاله صادق، وأنه حق على الوجه الذي قاله وأراده.

3- ثم الاعتراف بالعجز. وهو: أن يقر بأن معرفة مراده ليست على قدر طاقته.

4- ثم السكوت.

5- ثم الإمساك. أي: بأن لا يتصرف في تلك الألفاظ بالتصريف والتبديل بلغة أخرى، والزيادة فيه والنقصان منه، والجمع والتفريق.

6- ثم الكف.

7- ثم التسليم لأهل المعرفة، بأن يعتقد أن ذلك - وإن خفيَ عليه لعجزه - فما خفي على رسول الله أو على الأنبياء أو على الصديقين والأولياء.

([1]) ص 97.

فهذه سبع وظائف أول ما يبعث الرسول لا يدعو الأمة إلا إليها، لئلا يظنون أن المدعوَّ له شبيه في الخلق، ولهذا كانت الدعوة إلى الأصول التوحيدية قبل الدعوة إلى الفروع الفقهية.

فإذا عُلم هذا القدر؛ انحل الإشكال في الجملة، فإنه إذا كان ذكر هذه المتشابهات من الرسول مسبوقا بهذه المقدمات وهذه التشبيهات؛ فلا يضر ذلك، بل لا يذكرها الرسول - أيضا - إلا مع قرائن وإشارات يزول معها إيهام التشبيه. وقد أدركه الحاضرون المشاهدون. فمن تقدمت له هذه المعرفة اليقينية - وهي: هذه السبع وظائف - كانت تلك المعرفة ذخيرة له راسخة في نفسه، مقارنة لكل ما يسمع، فينمحق معه الإيهام انمحاقا لا يشك فيه. وهذا مقرور في طبع كل مسلم موحِّد، فأي ضرر ينشأ من سماع ذلك؟، سيما وهيبة الربوبية لا تدع أحدا من أهل الدين يبحث عن ذلك، بل يغلب عليه الإيمان، ومع هذه التقريرات ينحل وقع هذا الإشكال.

وأزيد الباحث بيانا: أن هذا له أمثلة، ولنقتصر على مثال واحد، وقد ذكر أبو حامد الغزالي -حجة الإسلام - لذلك أمثلة في "إلجام العوام"، قال[1]: "إذا جرى لفقيه في كلامه لفظ الصورة بين يدي الصبي، فقال: صورة هذه المسألة كذا، وصورة الواقعة كذا. ولقد صورت للمسألة صورة في غاية الحسن. ربما توهم الصبي - الذي لا يفهم معنى المسألة - أن المسألة شيء له صورة، وفي تلك الصورة أنف وفم وعين على ما عرفه واشتهر عنده، أما من عرف حقيقة المسألة، وأنها عبارة عن علوم مرتبة ترتيبا مخصوصا؛

([1]) ص 98.

فهل يتصور أن يفهم عينا وأنفا وفما كصورة الأجسام؟. هيهات، بل يكفيه معرفته بأن المسألة منزهة عن الجسمية وعوارضها".

"فكذلك معرفة نفي الجسمية عن الإله، وتقدُّسه عنها، تكون قرينة في قلب كل مستمع، مفهمة لمعنى الصورة في قوله: خلق الله آدم على صورته. ويتعجب العارف بتقديسه عن الجسمية ممن يتوهم لله تعالى الصورة الجسمية كما يتعجب ممن يتوهم أن للمسألة صورة جسمانية".اهـ لفظه. وأكثر من هذا البيان لا يكون!.

وحيث كان اللفظ لفظ النبوة؛ فيجتهد المؤمن أن لا يقع في قلبه أدنى اعتراض على حضرة الرسالة حيث ذكرت هذه الألفاظ الموهمة، مع الاستغناء عنها: {فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما}. [النساء/ 65].

التنبيه التاسع: [الرد على شبهة أن الاستدلال بنطق النبي ﷺ لا يصح في عصرنا]:

تهويس البغيض في قوله: "إن الاستدلال بنطق الرسول بها لا يصح؛ لأن الرسول خاطب بها العرب وهم يعرفون العربية. فكيف يسوغ لغيره أن ينطق بها وقد تغيرت العربية من العربية إلى البداوة؟".

قلنا: وجوابه أن الرسول علِم أن الحضارة في العربية لا تدوم، وعلم أن البداوة ستدخلها وتنسخها كما وقع، ومع ذلك تكلم بها ولم ينبه[1] فيما جاء به عن الله سبحانه أنه إذا وقع التغير باللسان فيحرم عليكم النطق بهذه الألفاظ الموهمة، أو يدعيها مسلم.

[1] في ج ينه

وحيث كان كذلك؛ فما بقي إلا أن الإنسان ادعى أنه خاف على أمة سيدنا محمد ما لم يخف عليها نبيها، ورحمها أكثر مما رحمها نبيها، فكان هذا ادعاء نبوة أخرى!.

وقد نقل "في سنن المهتدين"(1) عن ابن عبد البر أنه قال: "من خاف على أمة سيدنا محمد ما لم يخف عليها نبيها؛ فقد باء من التعسف بما لا يخفى".

وقد عاب أكابر الصحابة رضي الله تعالى عنهم على عائشة حيث قالت: "لو رأى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ما أحدث النساء اليوم لما قال: لا تمنعوا إماء الله مساجد الله"(2). فقالوا: "إن هذا تفقه على الشارع وتنبيه له، سيما مع علم أن الشارع - على الحقيقة - هو الله جل جلاله، وأما الرسول؛ فإنما هو مبين ومبلغ عن الله تعالى".

وحيث كان الله سبحانه هو المشرع؛ فلا تأخذه سنة ولا نوم، {وما كنا عن الخلق غافلين}. [المؤمنون/ 17]، {وما كان ربك نسيا}. [مريم/ 64]، {إن الله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء}. [آل عمران/ 5]، فأين تَفَقُّهك على الشارع، وقولك: إن أمثال هذه الأحاديث لا يتحدث بها؟. مع أن هذا تجهيل للحق سبحانه حيث نسب له أنه ذهل عما كان لا ينبغي الذهول عنه.

وقد ذكر العلماء أن: بمثل هذا السبب كفر إبليس اللعين؛ لأنه لما أمره الحق سبحانه بالسجود لسيدنا آدم فقال: {آسجد لمن خلقت طينا}. [الإسراء/ 61]؛ كان في هذا أنه: ينسب الجهل للحق سبحانه، حيث أمره أن يسجد - وهو صاحب العنصر الشريف في وهمه الناري - لصاحب العنصر الترابي، وعند إبليس أن سجود الفاضل للمفضول ليس

---

(1) ص 123.

(2) رواه البخاري 305/1ح 858، ومسلم 327/1ح 441 عن عبد الله بن عمر.

من الحكمة ولا من العدل، وحيث أمره الحق بالسجود، ومع ذلك تقدم بين يديه ووجه هذا البحث وقال: إن المصلحة ليست كذلك. فمن هنا كفر حيث نسب الجهل إلى الحق، ونسب إليه عدم الاطلاع على الحكَم والمصالح. وإلا؛ فليس سبب كفر إبليس هو مجرد العصيان، وإلا لزم عليه أن: كل عاص كافر. ولم يأت بذلك شرع.

فكذلك هذا المفتات؛ لما اختار أن لا تذكر هذه الأحاديث مع أنها صدرت من المعصوم، وعلم الصادق المصدوق أن اللسان العربي سيتغير ولا يُفهم القصد منها إذا ذُكرت بعد ذلك العصر الأول، ومع ذلك ألغى هذا وذكرها.

والفرض أنه: أوصل إليهم التنبيهات السبعة المتقدمة، وأمرهم أن يوصلوها إلى الأمة. فأي بدع في التحدث بذلك؟، والعلماء والحمد لله بين ظهراني العامة يفهمونهم ما لم يفهموا، ويفقهونهم ما لم يفقهوا، ويوضحون لهم ما أشكل، حتى لا تقع العامة في الاعتراض على نبيها، أو يسوء اعتقادها فيه، حيث تسمع أن الأولى: عدم ذكر أمثال هذه الأحاديث. فيقولون: وحيث هي كذلك، والرسول إنما بعث شارحا وهاديا ومبينا، لا مجمِلا ولا ملغزا، فأي شيء دعاه إلى ذكر هذه الألفاظ المتشابهة مع الاستغناء عن تلك الألفاظ؟.

فإذا سمعوا أمثال هذا الذب عن الرسول وعن علمه وعن وحيه؛ تراجعوا وعلموا أنه وحي يوحى، وما ينطق عن الهوى. وإذا نُصر رسول الله بالرعب مسيرة شهر[1]؛ فليت شعري كم ينصر الرب جل جلاله بالرعب حتى لا يهجم هاجم على السؤال عما يرجع لذاته وأسمائه وصفاته ونعوته وشؤونه؟، و{سبحان ربك رب العزة عما يصفون}.

([1]) كما ورد في حديث جابر الذي أخرجه البخاري 128/1 ح 328 ومسلم 370/1 ح 521.

[الصافات/ 180]، فنزه سبحانه نفسه عما يصفونه به. والفرض: أن السامع لذلك من أهل الخير والدين، وممن لا يفارق الصادقين المأمور الخلائق أن لا يفارقوهم في قوله سبحانه: {وكونوا مع الصادقين}. [التوبة/ 119]، {وسلام على المرسلين. والحمد لله رب العالمين}. [الصافات/ 181، 182].

التنبيه العاشر: [فوائد ذكر المتشابهات في القرآن الكريم]:

ذكر الفخر الرازي أن بعض الملحدة طعن في القرآن الكريم لأجل اشتماله على المتشابهات، وقال: "إنكم تقولون: إن تكاليف الخلق مرتبطة بهذا القرآن إلى قيام الساعة، ثم إنا نراه بحيث يتمسك به صاحب كل مذهب على مذهبه".

وهذا كقول بغيض أهل البيت. وإن زعمت أنك تعرف بواطن القرآن؛ فأخبرنا عن سبب نزول المتشابهات في القرآن. فما جوابك عن سبب نزولها على قدر عقلك وما تفهمه، لا على حسب الأمور الغيبية؟.

والحمد لله الذي جعل الحكمة فينا أهل البيت، والحمد لله إذ قال مولانا رسول الله: "تعلموا من قريش ولا تعلموهم؛ فإنهم أعلم منكم"[1]، والقائل: "لا تزالون بخير ما دام العلم في قريش"[2].

والجواب[1]: أن العلماء ذكروا لوقوع المتشابه في القرآن فوائد:

([1]) رواه ابن أبي عاصم في "السنة"637/2 عن عبد الله بن السائب، وأبو نعيم في "حلية الأولياء"94/9 عن أنس بن مالك.

([2]) الذي وقفت عليه هو قوله صلى الله عليه وآله وسلم: "العلم في قريش" رواه الطبراني في "الأوسط"366/6 عن عبد الله بن الحارث ابن جَزء، وإسناده حسن كما قال الهيثمي في "مجمع الزوائد" 25/10.

الفائدة الأولى مِن ذكر المتشابهات في القرآن: أنه يوجب مزيد المشقة في الوصول إلى المراد، وزيادة المشقة توجب مزيد الثواب، قال الله سبحانه: {أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين}. [آل عمران/ 142].

2- الفائدة الثانية: أنه لو كان القرآن كله محكما؛ لما كان مطابقا إلا لمذهب واحد، وكان بصريحه مبطلا لكل ما سوى ذلك المذهب. وذلك مما ينفر أرباب سائر المذاهب عن قبوله وعن النظر فيه والانتفاع به. فإذا كان مشتملا على المحكم والمتشابه؛ طمع صاحب كل مذهب أن يجد فيه ما يؤيد مذهبه وينصر مقالته.

فينظر فيه جميع أرباب المذاهب، ويجتهد في التأمل فيه صاحب كل مذهب. وإذا بالغوا في ذلك؛ صارت المحكمات مفسِّرة للمتشابهات، وبهذا الطريق يتخلص المبطل من باطله ويتوصل إلى الحق.

3- الفائدة الثالثة: أن القرآن إذا كان مشتملا على المتشابه؛ اقتضى الحال العلم بطريق التأويلات وترجيح بعضها على بعض، وافتقر في تعليم ذلك إلى تحصيل علوم كثيرة: من علم اللغة والنحو، والمعاني والبيان، وأصول الفقه...ولو لم يكن الأمر كذلك؛ لم يحتج إلى تحصيل تلك العلوم الكثيرة، ولما كان في إيراد المتشابه هذه الفوائد الكثيرة.

4- الفائدة الرابعة: أن القرآن مشتمل على دعوة الخواص والعوام، وطبائعُ العوام تنفر في أكثر الأمر عن درك الحقائق، فمن سمع من العوام في أول الأمر إثبات موجود ليس بجسم ولا متحيز ولا مشار إليه؛ ظن أن هذا عدمٌ ونفي، ووقع في التعطيل.

([1]) ساقطة من ط.

فكانت الحكمة أن يخاطبوا بألفاظ دالة على بعض ما يناسب ما توهموه ويتخيلوه، ويكون ذلك مخلوطا بما يدل على الحق الصريح.

فالقسم الأول – وهو الذي يخاطبون به في أول الأمر: يكون من المتشابهات.

والقسم الثاني – وهو الذي يُكشف لهم في آخر الأمر: من المحكمات.

فهذه فوائد أربعة؛ عدد حروف "أحمد"، في سر وحكمة ورود المتشابه في القرآن، وبهذا كله يُعلم أن هذا المغتر بهواه، بغيض أهل البيت؛ ظن أن الجو خال من العلماء والمطلعين، وظن أن أفعال العقلاء لا تصان عن العبث، وظن أن لا علم إلا ماعلم. وقديما قيل لكليم الله ورسوله: "بلى؛ عبدنا خضر أعلم منك"، وظن أن الظواهر هي علوم الأسرار التي الخوض فيها ممنوع، مع أن هذه الأسرار التي تنكرها وتشنع من أجل عدم فهمك لها وعدم وصولك لأدنى حيِّها من وراء التسجيعات اللفظية التي كل كلامك فيها، ومن وراء المثل الهجائية التي لما عيَّرَ الصحابي سيدنا بلالا بأمه قال له المعصوم: "إن فيك خصلة جاهلية"، أو: "إنك امرؤ فيك جاهلية"[1].

فالإسلام أذهب عن أهله وصمة التهجين والعيب، وتتبُّع العورات والقدح في الأنساب، فأغنانا الله – والحمد لله – بشعار الإسلام عن شعار الجاهلية. وتأليفه كله شعار من لم يتأدب بآداب الشريعة. ومع هذا قال: إنه يغترف من بحري الشريعة

([1]) رواه البخاري 20/1 ح 30 ومسلم 1282/3 ح 1661 عن أبي ذر. وأبو ذر رضي الله عنه هو الذي عيَّر بلالا فعاتبه النبي صلى الله عليه وآله وسلم كما هو مشهور وثابت. وانظر معي كيف أن المؤلف رحمه الله ترك ذكر اسمه احتراما لمقام الصحبة ومنزلة ذلك الصحابي الجليل، مع هذا الذي قاله فيه النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وإبقاءً على عموم تعديل الله للصحابة الكرام رضوان الله عنهم. وانظر كيف أن المؤلف ذكر اسم بلال بالتسييد تعظيما له وتنزيها لجنابه مما قيل فيه. وهكذا يجمع المؤلف الشيخ الإمام بين العلم والأدب والحكمة فرضي الله عنه ورحمه.

والحقيقة!. {أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا فإن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء}. [فاطر/ 8].

التنبيه الحادي عشر: [من أسباب ذكر المتشابه في القرآن: التعبد بتلاوته]:

على أن المتشابه مما لا يمكن علمه؛ قال الجلال السيوطي في "الإتقان"[1]: "فوروده في الكتاب والسنة لفوائد؛ منها: ابتلاء العباد بالوقوف عنده، والتوقف فيه، والتفويض، والتسليم، والتعبد بالاشتغال به من جهة التلاوة، وإن لم يجز العمل بما فيه".اهـ.

وهذا جواب عن سؤال آخر، وهو: أنه ما الحكمة في رفع الحكم في الآي المنسوخة وبقاء التلاوة؟.

وجوابه: أن القرآن كما يُتلى ليُعرف الحكم منه والعمل به، فيتلى لكونه كلام الله سبحانه، فيثاب عليه، فبقيت التلاوة لهذه الحكمة. وما هذا بأول متشابه ورد في الكتاب والسنة حتى نحتاج لهذا التهويل والتشغيب والتطويل، بما ليس عليه تعويل، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

وإن كانت المصالح التي أبداها هذا المعترض في عدم ذكر هذا المتشابه كلها تفقُّهٌ على الله سبحانه، وتعليم له، وتسفيه لعمله المحيط، وعز جلال الحكيم البديع حيث ذكرها في كتابه. وكأن بغيض أهل البيت يظن أنه سبحانه لم يعلم أن القرآن تتداوله أيدي الصبيان والنساء، ومع ذلك أبرز لهم ما يضرهم ويوقعهم في حيرة، بل اليوم عندنا بفاس المرأة

---

(1) 30/2.

تُقريء الصبيان القرآن ويقال لها: "فقيهة". فهل لم يعلم الشارع - الذي هو الله سبحانه - وصول الأمر لهذا الطرف؟.

والقول بأنه لم يعلم كفرا وعلمه ولم يبال بمضرته. وفيه نسبة الحيف إلى الربوبية. وكله يَلزم هذا المتفقه على الله سبحانه وعلى رسوله.

وقد ذكر القرافي في "الفروق"[1] أن هذا السبب - وهو: نسبة الحق سبحانه إلى الجهل والعبث - من أجله كفر إبليس اللعين في قوله: {أرأيتك هذا الذي كرمت علي لئن اخرتني إلى يوم القيامة لأحتنكن ذريته إلا قليلا} . [الإسراء/ 62].

التنبيه الثاني عشر: [الطاعة والتسليم في المتشابه تدل على تمام الانقياد]:

لما تكلم أرباب التفسير على أن فواتح السُّور: هل هي مما يُعلم أو من المتشابه؟. ورجح قوم منهم أنه:ا مما لا يعلم. واستدلوا على ذلك بالمنقول كما بسط ذلك في "التفسير الكبير"؛ استدلوا - أيضا - بالمعقول. وهو قولهم: الأفعال التي كلفنا بها قسمان:

منها: ما نَعرف وجه الحكمة فيها على الجملة؛ كالصلاة والزكاة والصوم. فإن الصلاة تواضع محض وتضرع للخالق، والزكاة سعي في دفع حاجة الفقير ووقاية شح النفس، والصوم سعي في كسر الشهوة.

ومنها: ما لا نعرف وجه الحكمة فيه؛ كأفعال الحج؛ فإنا لا نعرف الحكمة في رمي الجمرات والسعي بين الصفا والمروة، والرمَل والاضطباع.

---

(1) 94/2

ثم اتفق المحققون على أنه: كما يحسن من الله تعالى أن يأمر عباده بالنوع الأول، لأن الطاعة في النوع الأول والمعقولِ المعنى لا تدل على كمال الانقياد، لاحتمال أن المأمور إنما أتى به لما عرف بعقله من وجه المصلحة فيه. أما الطاعة في النوع الثاني - وهي: الغير المعقول المعنى، وهو التعبدي - فإنه يدل على كمال الانقياد ونهاية التسليم؛ لأنه لما لم يَعرف فيه وجه المصلحة البتة؛ لم يكن إتيانه به إلا لمحض الانقياد والتسليم.

فإذا كان الأمر كذلك في الأفعال؛ فلِمَ لا يجوز - أيضا - أن يكون الأمر كذلك في الأقوال؟.اهـ. هذا آخر القول في هذه الجملة من جمل الصلاة.

[الإشكال السادس في قوله: " وفجرت عنصر مادة محموله من أنية أنا الله"]

[شرح مفردات الألفاظ]:

ثم قال: "وفجَّرْتَ عُنْصُر موضوع مادةِ محموله من أَنِيَة[1] "أنا الله".

قبل شرح المعاني؛ لا بد من حل مقفل المباني، وما وُضعت المتون من أصلها إلا لحل المقفل من الأصل الأصيل. وما وضعت الشروح على تلك المتون إلا لحل مقفلات المتن. وما وضعت الحواشي على تلك الشروح إلا لذلك، وما وضعت التقارير وحواشي الحواشي - أيضا - إلا لبيان ما أشكل في الذي قبله.

([1]) في ط آية وهو خطأ.

وسبحان من باين بين إدراكات خلقه وعقولهم ومَلاحظهم، ومباحثهم وعلومهم وفتوحاتهم، حتى احتاج مقتضى عقل هذا إلى أن يُبَيَّن، واحتاج بيان هذا إلى تبيين أيضا. فرُبَّ مسألة بينة عند عاقل مشكلة عند آخر، ورب مشكل عند شخص واضح عند آخر.

فلذلك احتاجت الكتب إلى البيان مع أن مؤلفها لا إشكال عنده فيها، وهذه حكمة ربانية رتب عليها شؤون خلقه حتى يخالف صورَهم المعنويةَ كما خالف بين صورهم الحسية: {إن في ذلك لآيات للعالمين}. [الروم/ 22]. ولو خلي "المختصر" مثلا وسبيله؛ ما احتاج فيه صاحبه إلى شرح، لأنه شاهد ابن الحاجب الأصلي الفقهي وابن شاس في "الجواهر" فاختصرهما[1]، وحصل ما فيهما وقرّبه إلى التناول، وكذا ابن الحاجب؛ لما وضع المختصر؛ لم يحتج في بيان معناه إلى شرح...وهكذا. {وربك على كل شيء حفيظ}. [سبأ/ 21].

قوله: **"وفجّرت"**، يقال: فَجَّرْتُ الماء أُفَجِّرُه[2]، بالضم، فجرا، فانفجر. أي: بَجَسْته فانبجس، وفجرته شُدِّد للكثرة، فتفجر. والفُجرة بالضم: موضع تفتُّح الماء، ومَفاجر الوادي: مَرافضه حيث يرفض إليه السيل، ومنفجَر الرمل: طريق يكون فيه.

فائدة: والفجار: يوم من أيام العرب[3]، وهي أربعة أفجرة كانت بين قريش ومن معها من كنانة، وبين قيس غيلان في الجاهلية، وكانت الوبرة على قيس. وإنما سمت قريش هذه الحرب فجارا؛ لأنها كانت في الأشهر الحرُم، فلما قاتلوا فيها قالوا: "قد

---

(1) في ط فاختصرها.

(2) انظر "لسان العرب" 5/45-46 و"مختار الصحاح" ص 206، و"القاموس" 1/584.

(3) انظر "البداية والنهاية" 2/289.

فجرنا"؛ فسميت فُجّارا. قال في "المصباح"[1]: "فجر الرجل القناة فجرا، من باب مَثَّل: شقها، وفجر الماء: فتح له طريقا. أي: فانفجر، أي: فجرى".

وأما "**العنصر**"؛ ففي "الصحاح"[2] للجوهري: "والعنصر: الأصل والحسب".اهـ.

وفي "المصباح"[3]: "والعنصر: الأصل والنسب، ووزنه فُنْعُل (بضم الفاء والعين، وقد تفتح العين للتخفيف). والجمع: العناصر".

وأما "**الموضوع**" و"**المحمول**"؛ فلوحظ فيهما[4] معنى آخر مناسب لحقيقته صلى الله تعالى عليه وسلم الأولية التي انشقت عنها[5] الأسرار، وانفلقت منها الأنوار. ولا يضر أن أُشرب هذا الحرف معنى هذا الحرف، وَضمن هذا الكلم معنى هذا الكلم؛ فهذا جواب عما يقال: "هذان لفظان منطقيان من علم المنطق[6] فما معنى الإتيان بهما هنا؟".

والجواب أنه: لا بِدع في إشراب هذا الحرف معنى هذا الحرف، وتضمين معنى هذه المادة بهذه المادة، كما أن الحروف ينوب بعضها عن بعض. على أن الحاذق اللبيب لو شاء أن يطبق معنى هذين اللفظين على ما الصلاةُ بصدده من وصف حقائقه صلى الله تعالى عليه وسلم النورانية، التي رُكِّبت منها حقيقته الروحانية في العالم الروحاني؛ لقال: إن

([1]) ص77

([2]) ص 183.

([3]) ص79

([4]) في ط فيها.

([5]) هكذا في ج وفي ط "منها" وهو الصواب كما هو لفظ الصلاة المشيشية.

([6]) قال في "التعريفات" ص 305: "الموضوع هو: محل العرض المختص به، وقيل هو الأمر الموجود في الذهن". وقال ص 263: "المحمول هو: الأمر في الذهن".

الموضوع عند المناطقة هو: المبتدأُ عند النحاة في الجملة الاسمية، والفاعلُ أو نائبه في الجملة الفعلية. وهو: المحكوم عليه عند الأصوليين. وهو: المسند إليه عند البيانيين. كما أن المحمول عند المناطقة: هو الخبر والفعل عند النحاة. والمسند عند البيانيين. والمحكوم به عند الأصوليين.

فـ: "الموضوع" عند المناطقة تخيل فيه كأنه شيء وضع – أي: نُصب – ليُحمل عليه شيء آخر، فهو استعارة تصريحية. وذلك أنه: شبّه ذكر الشيء ليسند له بوضع الشيء ونصبه، ليحمل إليه بجامع الإضافة والنسبة لكل، واقتصر على لفظ المشبه به فكانت استعارة تصريحية[1]، ثم اشتق من "وضع" بالمعنى المجازي "الموضوع"؛ فكانت الاستعارة في المصدر أصلية، وفي الوصف تبعية. وهذا باعتبار اللغة. وإلا؛ فقد صار الموضوع في المحكوم عليه حقيقة عرفية.

وكذا يقال في "المحمول"؛ قد شبه إسناد المحكوم به للموضوع بحمل الشيء على الذات، كحمل الذات المحمدية على العرش ليلة الإسراء، بجامع الكون على الكل، والمخالطة والإثبات له. ثم اقتصر على لفظ المشبه به؛ فكانت الاستعارة تصريحية. ثم اشتق من الحمل بالمعنى المجازي المحمول؛ فكانت الاستعارة في المصدر أصلية وفي الوصف تبعية. وهذا بالنظر لأصل اللغة. وإلا؛ فهو الآن حقيقة في المحكوم به.

([1]) قال القزويني في "الإيضاح" ص 261: "الضرب الثاني من المجاز: الاستعارة، وهي ما كانت علاقته تشبيه معناه بما وضع له، وقد تقيد بالتحقيقية لتحقق معناها حسا أو عقلا، أي: التي تتناول أمرا معلوما يمكن أن ينص عليه ويشار إليه إشارة حسية أو عقلية، فيقال إن اللفظ نقل من مسماه الأصلي فجعل اسما له على سبيل الإعارة للمبالغة في التنبيه. أما الحسي: فكقولك: رأيت أسدا وأنت تريد رجلا شجاعا".اهـ. قلت: سماها المؤلف التصريحية وهي التحقيقية ولا إشكال.

فبعد أن عرف أن معنى "الموضوع" تخيل فيه كأنه شيء وضع ونصب ليحمل عليه شيء آخر هذا معناه اللغوي، و"المحمول" تخيل فيه كأنه شيء جعل فوق "الموضوع"، فيحمل الموضوع والمحمول هنا على معناهما اللغوي، وتقرر فيهما الاستعارة التصريحية كما قررنا.

وتقرير ذلك أن تقول: "**وفجرت يا الله**"؛ أي: شققت، عنصر النور الأعظم، أول بارز من حضرة الغيب، وأول منشق انشق عن حضرة العناية[1]، وهو: النور المحمدي موضوع الأشياء، الذي عنه انسلخت الكائنات وتكونت الأشياء كلها، علويها وسفليها، من بحر نوره وسعة حقيقته، مادةُ الأشياء التي لا شيء إلا وهو به منوط، ولم ينفصل عنها شيء ولم يخرج عن دائرتها شيء من الأشياء، بل هو الدائرة الكبرى التي عنها كانت الدوائر، والنقطة الشاملة منها تفرعت النقط.

"محموله": قد قدمنا أنه: شبْه إسناد محكوم به، وهو: كون هذه الحقيقة الأحمدية هي مدد الكل، ومنها المبدأ، ولم يخرج شيء عن كونها الأصل فيه والسبب في وجوده، للموضوع بحمل الشيء على الشيء كحمل الجلالة المحمدية على صفحات السماوات ليلة الإسراء، بجامع الكون على الكل، والمخالطة والإثبات له.

ثم اقتصر على لفظ المشبَّه به؛ فكانت استعارةً تصريحية، ثم اشتق من الحمل بالمعنى[2] المجازي المحمولَ، فكانت الاستعارة في المصدر أصلية وفي الوصف تبعية. ولا حامل في الحقيقة هنا ولا محمول، ولا واضع ولا موضوع كما سيتبين.

([1]) وردت في ذلك أخبار تقدم بعضها .

([2]) في ط بمعنى.

[لم يزل العقلاء يورون في كلامهم باصطلاحات العلوم]:

ولم يزل العقلاء والفضلاء من أهل كل فن يورُّون باصطلاحات العلوم في خلال كلامهم المنظوم الذي يضيق عن تحمل المعاني المودَعة في النفس، فكيف بالمنثور الذي لا ضيق فيه؟. ومن التوريات عندهم في علم المنطق: قولهم:

سـلب القـوى منـي بإيجـاب الصـبا فاعجـب لجمـع السـلب والإيجـاب!

ومراده بالسلب: النقض. وبالإيجاب: الإبرام. والسلب عند المناطقة: رفع الحكم، والإيجاب: إثباته. ولا يتأتى الجمع بين السلب والإيجاب، فلذلك قال: فاعجب لجمع السلب والإيجاب.

ومن المنطق: قول الصلاح الصفدي في "المغالطات" وقد كاتب بها السبكي:

مقـــدمتان ســـلمتا يقينـــا ولكـــن أنتجـــا مـــا لا يصـــير
تقـــول: البـــدر في فلـــك صـــغير وذلـــك في كبـــير يســـتدير
فيلـــزم أن بـــدر الـــتم ثـــاو بمنزلـــة الكبـــير، وذاك زور
فأوضـــحْ مـــا تقـــاعس عنـــه فهـــم فأنـــت بحلـــه طـــبٌّ خبـــير

فأجابه بقوله

مقـــدمتان شرطهـــما اتحـــاد بأوســـط أن يفـــت فـــات السرـــور
وهـــذا منـــه بالإنتـــاج عقـــم وأعقبـــه عـــن التصـــديق زور

وذلـــــك أن قولـــــك في صـــــغير هـــو المحمـــول لـــيس هـــو الصـــغير

وحاصل الجواب: أنهم اشترطوا في الحد الأوسط – وهو: المكرر – الاتحادَ، لينتج صادقا، وإلا كان عقيما. وهنا لم يتحد؛ لأن حده الوسط، وهو قولنا: "في فلك صغير"، فكان القياس أن يقال: "وفي فلك صغير في فلك كبير"، وهو تركيب فاسد، من مناجاة المغالطة.

ومنه[1]:

تَـــوَقَّ أُناســـا بـــات بـــابُ ودادهـــم لنـــا مرتجـــا والمَـــم بهـــم غـــير مـــرتج
فمـــنطقكم عـــذب قضـــاياه لفِّقــت مـن الكـذب يلفـى شـكلها غـير منـتج

ومن ذلك قول ابن الوردي في شخص رسام:

موضـــوع محمـــول غرامـــي عـــلى رســـــامكم أنـــــتج لي ســـــقم
انظـــــر كريميـــــه وأجفانَـــــه تفـــرق بـــين الحـــد والرســـم

ومن المنطق قول آخر:

قلـــت لمـــا ســـمعت منـــه حـــديثا عـــرض ذا الكـــلام وهـــو جـــواهر
دار وجـــدي مـــع الجـــمال وجـــودا وانعـــداما بـــرغم كـــل منـــاظر
فتحققـــت أنـــه علـــة الوجـــ ـــه، فـــما لي أراده وهـــو الـــدائر

([1]) في ط: ومنها.

وفي هذه الأبيات شيئان عجيبان عند المناطقة: الأول: كون الشيء الواحد عرَضا وجوهرا. الثاني: كون الشيء علة لشيء ومعلوما له!.

وتكفي هذه النبذة في التنظير، ولولا خوف التطويل؛ لذكرنا نحوا من ثلاثين علما، وكلها ألمَّ العقلاءُ باصطلاحاتها في ضمن كلامهم، وعُدَّ ذلك من حسن تصرفهم، ولم يَعُدَّه أحد من خبالهم. وربك الفتاح.

ومن اللطائف هنا: قصيدة ابن فرح الإشبيلي التي ضمنها مصطلح أهل الحديث، وهي:

غرامي صحيح والرجا فيك معضل ووجدي ودمعي مرسل ومسلسل

وينبغي أن تذكر كلها بتمامها هنا:

غرامي صحيح والرجى فيك ووجدي ودمعي مرسل ومسلسل
وصبريَ عنكم يشهد العقل أنه ضعيف ومتروك، وذلِيَ أجمل
ولاحسنٌ إلا في استماع حديثكم مشافهة يملى علي فأنقل
وعذلُ عذولي منكر لا أشيعه وزورٌ وتدليس، يُرد ويهمل
وأمري موقوف عليك وليس لي على أحد إلا عليك معول
ولو كان مرفوعا إليك لكنت لي على رغم حسادي ترق وتعدل
أُقضّي زماني فيك متصل الأسى ومنقطعا عما به أتوصل
وها أنا في أثواب هجرك مدرج تكلفني ما لا أطيق فأحمل
فمتفق وجدي وسهدي وعبرتي ومفترق صبري وقلبي المبلبل
ومؤتلف حبي وشوقي وفكرتي ومختلف حظي وما منك آمل

خـذوا الوجـد عنـي مسـندا ومعنعنـا ... فغـــيري بموضـــوع الهـــوى يتعلـــل

وذا نُبــذ مـــن فهـــم الحـــب فـــاعتبر ... وغامضـــه إن رمـــت شرحـــا أفصـــل

عزيـــز بكـــم فـــرد ذليـــل لغـــيركم ... ومشـــهور أوصـــاف المحـــب التـــذلل

غريـب يقـاسي البعـد عـنكم ومالـه ... وحقـــك عـــن دار الهـــوى متحـــول

فرفقـــا بمقطـــوع الوســـائل مالـــه ... إليـــك ســـبيل لا ولا عنـــك معـــدل

فـلا زلـت مملوكـا ولا زلـت مالكـا ... ولا زلـــتَ تعلـــو بـــالتجني وأنـــزل

وأما لفظ **"الأَنِيَة"** هكذا؛ فهي لفظة استعملها الناس قديما، وخصوصا أهل الحقائق - قدس الله أسرارهم - وقد تكلم على لفظ "الأنِيَة" الفخر الرازي صدر "تفسيره الكبير"، وكذا العارف سيدي عبد الكريم الجيلي، والحاتمي في "الفتوحات".

أما نص الفخر الرازي؛ فهو قوله[1]: "المسألة العاشرة: في إطلاق لفظ "الأنية" على الله سبحانه. اعلم أن هذه اللفظة تُستعمل كثيرا، وشرحه بحسب أصل اللغة أن لفظة "أن" في لغة العرب تفيد التأكيد والقوة في الوجود. ولما كان الحق سبحانه واجب الوجود؛ لا جرم أطلق بهذا التأويل لفظ الأنية عليه".اهـ الخ.

على أن لفظ "الأنية" في الصلاة هنا لم يُطلق على الله سبحانه، وإنما أريد به مدلول قول[2] الحق جل جلاله وتقدس مجده وعلا كبرياؤه: "أنا"، فاصطلح القوم على إطلاق الآيات الكريمات المذكور فيها، مثلا: {إني أنا الله}. [القصص/ 30]: آية الأنية... والمراد منها: الآية الدالة على تفرده سبحانه بالثناء على نفسه، وأنه لا إله غيره.

---

(1) 110/5

(2) ساقطة من ط.

وأما لفظ صاحب "الإنسان الكامل"[1]؛ فقال: "الباب السابع والعشرون في "الأنية"...وتكلم عليها بكلام يفقهه أهله من موارده؛ فليرجع إليه.

وكذا الحاتمي في "الفتوحات"؛ فليرجع إليه.

إلا أن كلامهما لما كان فيه غموض؛ أبقيناه في محله يطلبه مبتغيه، وهو - وإن كان متشابها في ظاهره - فهو محكم عند أهله؛ لأن لكل قوم اصطلاحا في فنهم. والتصوف بقسميه علم مستقل بنفسه له اصطلاحات تخصه. ومعلوم أن اصطلاحات أرباب كل فن لا يعلمها إلا أهل ذلك الفن.

وقال الشيخ مصطفى باش ترزلي القسمطيني في "المنح الربانية شرح المنظومة الرحمانية" ما نصه: "قال الراغب: يقال: أنية الشيء، كما يقال: ذاته؛ إشارة إلى وجوده. وقال محيي الدين ابن العربي[2] قدس سره: الهوية هي الحقيقة في عالم الغيب، والأنية هي الحقيقة بطريق الإضافة".اهـ لفظه.

وقوله هنا: "من أنية أنا الله" على حذف القول، كما هو كثير في الكتاب والسنة، ومنه قوله: {يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فأما الذين استودت وجوههم أكفرتم}. [آل عمران/ 106]، أي: يقال لهم. ومنه: {وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا}. [البقرة/ 127]، أي: يقولون ربنا. ومنه قوله سبحانه: {والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم}. [الزمر/ 3]، أي: يقولون. وكذا قوله: {فلما جن عليه اليل رءا كوكبا

([1]) يعني العارف الجيلي قدس سره. انظر ص 134 منه.

([2]) هكذا في ج وط ابن العربي بإثبات الألف واللام خلافا لما اشتهر عند البعض من أن محذوف التعريف "ابن عربي" هو الشيخ الأكبر محيي الدين، والمعرف "ابن العربي" هو أبو بكر المعافري. وقالوا: "إنما حذفنا التعريف في الشيخ محيي الدين ليتميز عن المعافري". والصواب خلافه كما أثبته المؤلف رحمه الله.

قال هذا ربي}. [الأنعام/ 76]، أي: قال إبراهيم لقومه: يقولون هذا ربي. أي: هذا هو الذي يدبرني ويربيني. ومنه:

حتـــى إذا جـــن الظـــلام واخـــتلط جاؤوا بمذق هـل رأيـت الـذيب قـط؟

أي: يقولون فيه عند رؤيته: هل رأيت الذيب؟.

حتى قال الأخفش: "حذفُ القول في القرآن من باب: حدِّث عن البحر ولا حرج".

أي: "وفجرَت"، وشققت نوره وعنصره وحقائقه التي رُكِّبَت منها ذاته الأحمدية؛ من حضرة الربوبية، المدلول عليها بقول من لا يصح أن يقول: "أنا" إلا هو، جل جلاله، وتعالى جَده وجل ثناؤه، وعز سلطانه ولا إله غيره.

والأحاديث القدسية الواردة عن الله سبحانه، المبدوءة بـ: "أنا الله"؛ كلها من هذا النمط.

وبعد هذا؛ فمعنى هذه الجملة: إنك - يا الله، جل مجدك وتعاليت في كبريائك، وتعززت في سنا مجدك - شققت نورَ هذه الحقيقة المحمدية من نورك، وأبرزت تراكيبها المعنوية وحقائقها التي خُلِقَت منها من حضرة نورك. أي: لم تكن عليها هيمنة، لا للعناصر الترابية، ولا للموارد الطبيعية.

بل تجلى عليها الرب - جل جلاله - من حضرة البهاء والجمال والكمال. فَكَوَّنَها من نوره وقال لها: كوني محمدا، فكانت.

قال صاحب "روح البيان" في التفسير عند قوله: {وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين}. [الأنبياء/ 107] ما نصه(1): "واعلم أنه: لما تعلقت إرادة الحق بإيجاد الخلق؛ أبرز الحقيقة الأحمدية من كمون الحضرة الأحدية، فميزه بميم الإمكان، وجعله رحمة للعالمين، ومَيَّزَ به نوع الإنسان، ثم انبجست منه عيون الأرواح، ثم بدا ما بدا في عالم الأجساد والأشباح، كما قال عليه السلام: أنا من الله والمؤمنون من فيض نوري(2). فهو الغاية الجليلة من تركيب مبادئ الكائنات، كما قال تعالى: لولاك ما خلقت الأفلاك(3)"...الخ كلامه.

وقال في "المواهب اللدنية"(4): "فأطلع – جل ثناؤه – في سماء الأزل، شمس أنوار معارف النبوة المحمدية، وأشرق من أفق أسرار مظاهر الرسالة تجلي الصفات الأحمدية، أحمده على أن وضع أساس نبوته – أي: نبوة سيدنا محمد المستفادة من المحمدية والأحمدية – على سوابق أزليته – أي: على الأمور التي اعتبروها في الأزل سابقة على غيرها – ورفع دعائم رسالته على لواحق أبديته"....

ثم قال: "هذه لطيفة من لطائف نفحات العواطف الرحمانية، ومنحة من منح مواهب العطايا الربانية، تنبيء عن نبذة من كمال شرف نبينا عليه أفضل الصلوات وأنمى التسليمات(5)، وأسنى الصلات(1)، وتنبيء عن سبق نبوته في الأزمان الأزلية، وثبوت

---

(1) 233/4

(2) قال العجلوني في "كشف الخفا" 237/1: "هو كذب مختلق كما قاله الحافظ ابن حجر. وقال بعض الحفاظ: لا يعرف بهذا اللفظ مرفوعا".

(3) قال العجلوني في "كشف الخفا" 214/2: "قال الصغاني: موضوع، وأقول: لكن معناه صحيح، وإن لم يكن حديثا". اهـ.

(4) 19/1.

(5) في ط التسليم.

رسالته في الغايات الأحدية، والتبشير بأحمديته في الأزمان الخالية، والتذكير بمحمديته في الأمم الماضية".اهـ.

فشرّفه الله سبحانه بسبق نبوته في سابق أزليته، ونشر منشور رسالته في مجلس موانسته، وكتبِهِ توقيعَ عنايته في حضائر قدس كرامته.

فمحصول مدلولِ هذه الجملة: أن هذه الأنوار المحمدية، والتجليات الأحمدية، المعبرُ عنها بالعنصر والموضوع والمادة والمحمول؛ برزت من نور الأنوار قبل كل شيء، وأنها أول الأشياء.

قال في "المواهب اللدنية"[2]: "لما تعلقت إرادة الحق بإيجاد خلقه وتقدير رزقه؛ أبرز الحقيقة المحمدية من الأنوار الصمدية في الحضرة الأحدية، ثم سلخ منها العوالم كلها، علوَّها وسُفلها، على صورة حُكمه، كما سبق في سابق إرادته وعلمه، ثم أعلمه بنبوته، وبشّره برسالته. هذا وآدم لم يكن إلا كما قال: بين الروح والجسد[3]. ثم انبجست منه - صلى الله تعالى عليه وسلم - عيونُ الأرواح، فظهر بالملأ الأعلى، وهو بالمنظر الأجلى، وكان لهم الموردَ الأحلى. فهو صلى الله تعالى عليه وسلم الجنسُ العالي على جميع الأجناس،

([1]) هكذا في ج وط وفي "المواهب".

([2]) 27/1.

([3]) سبق تخريجه.

والأب الأكبر لجميع الموجودات[1] والناس، من حيث إن الجميع خُلقوا من نوره كما في حديث عبد الرزاق[2]".

ثم قال: "خرّج الإمام مسلم في "صحيحه"[3] من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رفعه: إن الله عز وجل كتب مقادير الخلق قبل أن يخلق السماوات والأرض

([1]) للمؤلف رحمه الله كتاب في أبوة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لجميع المخلوقات، طبع ضمن مجموع أوله "الديوانة في وقت ثبوت الفتح للذات المحمدية"، بتحقيق الدكتور إسماعيل المساوي. طباعة دار الكتب العلمية.

([2]) هو حديث جابر المشهور في كتب القوم. قال عنه العجلوني في "كشف الخفا"311/1: "كذا في "المواهب". وقال فيها أيضا: "واختلف هل القلم أول المخلوقات بعد النور المحمدي أم لا؟. فقال الحافظ أبو يعلى الهمداني: الأصح أن العرش قبل القلم؛ لما ثبت في الصحيح عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "قدر الله مقادير الخلق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء". فهذا صريح في أن التقدير وقع بعد خلق العرش والتقدير وقع عند أول خلق القلم. فحديث عبادة بن الصامت مرفوعا: "أول ما خلق الله القلم فقال له اكتب، فقال رب: وما أكتب؟. قال: اكتب مقادير كل شيء". رواه أحمد والترمذي وصححه. وروى أحمد والترمذي وصححه أيضا من حديث أبي رزين مرفوعا: "أن الماء خلق قبل العرش". وروى السدّي بأسانيد متعددة "أن الله لم يخلق شيأ مما خلق قبل الماء". فيجمع بينه وبين ما قبله بأن أولية القلم بالنسبة إلى ما عدا النور النبوي المحمدي ظاهرا والعرش". انتهى. وقيل: الأولية في كل شيء بالإضافة إلى جنسه، أي أول ما خلق الله من الأنوار نوري، وكذا باقيها. وفي "أحكام" ابن القطان فيما ذكره ابن مرزوق عن علي بن الحسين عن أبيه عن جده أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "كنت نورا بين يدي ربي قبل خلق آدم بأربعة عشر ألف عام". انتهى ما في "المواهب".

تنبيه: الشبراملسي: ليس المراد بقوله من نوره ظاهرَه من أن الله تعالى له نور قائم بذاته، لاستحالته عليه تعالى، لأن النور لا يقوم إلا بالأجسام، بل المراد خلق من نور مخلوق له قبل نور محمد وأضافه إليه تعالى لكونه تولى خلقه. ثم قال: "ويحتمل أن الإضافة بيانية أي خلق نور نبيه من نور هو ذاته تعالى، لكن لا بمعنى أنها مادة خلق نور نبيه منها، بل بمعنى أنه تعالى تعلقت إرادته بإيجاد نور بلا توسط شيء في وجوده. قال: هذا أولى الأجوبة، نظير ما ذكره البيضاوي في قوله تعالى: {ثم سواه ونفخ فيه من روحه}. حيث قال: أضافه إلى نفسه تشريفا وإشعارا بأنه خلق عجيب، وأن له مناسبة إلى حضرة الربوبية. انتهى ملخصا"ا. هـ من "الكشف".

قلت: وقد تكلم المحدثون في هذا الخبر من جهة الثبوت، فأنكره جماعة وحكموا ببطلانه، منهم: المحدث أبو الفضل عبد الله ابن الصديق الغماري الذي ألف في بيان بطلانه جزءا سماه: "إرشاد الحائر إلى بطلان حديث جابر". هذا من جهة الإسناد وهو صحيح من جهة الكشف كما تقرر عند أهله واطرد واشتهر.

([3]) 2044/4 ح 2652 ولفظ مسلم: "كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والارض بخمسين ألف سنة، قال: وعرشه على الماء".

بخمسين ألف سنة، وكان عرشه على الماء، ومن جملة ما كتب في الذكر: إن محمدا خاتم النبيين".

"وعن ميسرة الفجر قال: قلت يا رسول الله؛ متى كنت نبيا؟. قال: وآدم بين الروح والجسد. هذا لفظ الإمام أحمد[1]. ورواه البخاري في "التاريخ الكبير"[2] وأبو نعيم في "الحلية"[3]، ورواه البغوي وابن السكن، كلهم من هذا الوجه. وصححه الحاكم[4]. قال في "الإصابة"[5]: وسنده قوي".

"وعن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه أنهم قالوا: متى يا رسول الله وجبت لك النبوة؟. - أي: حصلت وثبتت - قال: وآدم بين الروح والجسد. أي: وجبت في هذه الحالة. فعامل الحال وصاحبها محذوفان. رواه الترمذي[6] وقال: حديث حسن".

"وعن الشعبي؛ قال رجل: يا رسول الله؛ متى استُنبئت؟. قال: وآدم بين الروح والجسد، حين أُخذ مني الميثاق. رواه ابن سعد[7] من رواية جابر الجعفي فيما ذكره الحافظ

([1]) "المسند" 59/4.

([2]) 374/7 خلال ترجمة ميسرة الفجر.

([3]) 53/9.

([4]) "المستدرك" 665/2.

([5]) 239/6.

([6]) رواه الترمذي في "سننه" 585/5 ح 3609 والحاكم في "المستدرك" 665/2، وقال أبو عيسى عقبه: "هذا حديث حسن صحيح غريب من حديث أبي هريرة لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وفي الباب عن ميسرة الفجر".اهـ. قلت: هو الحديث السالف الذكر.

([7]) "الطبقات الكبرى" 148/1.

ابن رجب. وأشار الخفاجي في "شرح الشفاء" إلى أن المراد بالبينية هنا: عدم الطرفين: الروح والجسد، كما يقال: لون بين الحمرة والبياض، ومزاج بين الصحة والمرض".

قال في "المواهب اللدنية"[1]: "رُوِّينا في جزء من أمالي ابن سهل القطان، عن سهل بن صالح الهمداني، قال: سألت أبا جعفر محمد بن علي الباقر: كيف صار سيدنا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم يتقدم الأنبياء وهو آخر من بعث؟. قال: إن الله تعالى لما أخذ الميثاق من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم: ألست بربكم؟؛ كان محمد صلى الله تعالى عليه وسلم أولَ من قال: بلى أنت ربنا. ولذلك صار سيدنا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم يتقدم الأنبياء وهو آخر من بعث".

"وذكر ابن سبع والعزفي عن سيدنا علي؛ أن الله سبحانه قال لنبيه: من أجلك أسطّح البطحاء – أي: أمد الأرض – وأموّج الموج، وأرفع السماء، وأجعل الثواب والعقاب. قيل: وليس هذا لغيره من نبي ولا ملك".

فالحقيقة الأحمدية الأصل الأصيل في وجود الأشياء، والمبدأ الأول الذي عنه تفرعت الكائنات أجمعها، ولولا ذلك النور الأحمدي الذي وقع التجلي عليه حتى انبجست عنه مقتضيات الأشياء، وصلحت الأشياء للظهور وأمكنها تلقي الإمداد، حيث أفيضت الأَمداد والكمالات على ذلك المظهر النوراني أولا، وتحقق بالتخلق بمقتضيات أسماء ربه سبحانه، إلى أن كان ثمة حقيقةٌ نورانية قدسية، جامعة بين الأسرار الإلهية والكمالات الخلقية.

---

(1) 30/1.

فلولا تلك المظهرية الكاملة الجامعة الاعتدالية لما وُجدت الأشياء ولا ظهرت، ولما خرجت من العدم إلى الوجود. ولا تكاد تسمع هذه النكتة هكذا معبّرا عنها، أعني: معنى كونه عليه الصلاة والسلام:

لولاه لم تخرج الدنيا من العدم[1]

وهذا من باب الحكمة الربانية، وإلا؛ فأفعال الله تعالى لا تعلَّل ولا تُوقف على سبب ولا على شيء، ولكن هكذا جرت الحكمة الربانية الإلهية.

روى أبو الشيخ في "طبقات الأصفهانيين"[2]، والحاكم[3] عن ابن عباس: "أوحى الله تعالى إلى سيدنا عيسى: آمن بمحمد ومُر أمتك يؤمنوا به، فلولا محمد ما خلقت آدم ولا الجنة ولا النار، ولقد خلقت العرش على الماء؛ فاضطرب، فكتبتُ عليه: لا إله إلا الله محمد رسول الله. فسكن. صححه الحاكم، وأقره السبكي في "شفاء الأسقام"[4]، والبُلقيني في "فتاويه". ومثله لا يقال رأيا، فحكمه الرفع.

وروى الديلمي[5] عن ابن عباس رفعه: "أتاني جبريل فقال: إن الله تعالى يقول: لولاك ما خلقت الجنة، ولولاك ما خلقت النار".

([1]) كما قال الإمام البوصيري رضي الله عنه في "البردة".

([2]) 287/3.

([3]) "المستدرك" 671/2.

([4]) ص 296.

([5]) "الفردوس بمأثور الخطاب" 227/5.

والعلم الجامع في هذا الباب: حديث عبد الرزاق عن سيدنا جابر بن عبد الله قال: "قلت: يا رسول الله؛ بأبي أنت وأمي؛ أخبرني عن أول شيء خلقه الله تعالى قبل الأشياء؟. قال: يا جابر؛ إن الله تعالى قد خلق قبل الأشياء نورَ نبيك من نوره، فجعل ذلك النورُ يدور بالقدرة حيث شاء الله تعالى، ولم يكن في ذلك الوقت لوح ولا قلم، ولا جنة ولا نار، ولا ملك ولا سماء، ولا أرض ولا شمس ولا قمر، ولا جنيٌّ ولا إنسي...ولما أراد الله أن يخلق الخلق؛ قسم ذلك النور أربعة أجزاء: فخلق من الجزء الأول القلم، ومن الثاني اللوح، ومن الثالث العرش، ثم قسم الجزء الرابع أربعة أجزاء، فخلق من الأول حملة العرش، ومن الثاني الكرسي، ومن الثالث باقي الملائكة. ثم قسم الرابع أربعة أجزاء، فخلق من الأول السماوات، ومن الثاني الأرضين، ومن الثالث الجنة والنار. ثم قسم الرابع أربعة أجزاء؛ فخلق من الأول نور أبصار المؤمنين، ومن الثاني نور قلوبهم؛ وهي: المعرفة بالله تعالى، ومن الثالث نور أنسهم؛ وهو: التوحيد: لا إله إلا الله محمد رسول الله". الحديث.

وفي "أحكام" ابن القطان، فيما ذكره ابن مرزوق عن سيدنا علي بن الحسين عن أبيه سيدنا الحسين السبط عن جده سيدنا الإمام كرم الله تعالى وجهه: أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال: "كنت نورا بين يدي ربي – أي: في غاية القرب المعنوي منه – قبل خلق آدم بأربعة عشر ألف عام".

قال في "المواهب"[1]: "وفي حديث سلمان الفارسي الذي تشتاق له الجنة، عند ابن عساكر[2]، قال: هبط جبريل على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال: إن ربك يقول: إن

([1]) 44/1.

([2]) "تاريخ دمشق" 517/3.

كنتُ اتخذتُ إبراهيم خليلا فقد اتخذتك حبيبا، وما خلقت خَلْقا أكرم عليَّ منك، وما خلقت الدنيا وأهلها إلا لأعرِّفهم كرامتك ومنزلتك عندي، ولولاك ماخلقت الدنيا".

وما أحسن قول أبي الحسن علي وفا في قصيدته الدالية:

روحُ الوجود حياة من هو واجد

قال الزرقاني: "أي: هو صلى الله تعالى عليه وسلم[1] سبب لحياة من وجدهم من الخلق، أي: علمهم موجودين منهم؛ لأنه: لولاه ما تم الوجود لما وجد".

عيسى وآدم والصدور جميعهم ... هم أعين هو نورها لما وَرَدْ
لو أبصر الشيطان طلعة نوره ... في وجه آدم كان أول من سَجَدْ
أو لو رأى النمرود نور جماله ... عَبَدَ الجليل مع الخليل وما عَنَدْ
لكن جمال الحق جلَّ فلا يُرى ... إلا بتخصيص من الله الصَمَدْ

فهذه الدلائل الشريفة كلها ناصة عن سبقية هذا النور المحمدي، ودالة على أنه: لم يتقدمه في البروز من عالم الغيب نور من الأنوار، وأنه النُّقطة التي انبجست عنه النقط[2] التي هي أعين الكائنات العُلوية والسفلية، وهذا غاية ما تعطيه جملة: **"وفجّرتَ عُنصُرَ موضوع مادةِ محموله من أنية** – قول الحق– **أنا الله"**.

([1]) "وسلم" زائدة في ط.

([2]) في ط النقطة.

لطائف

الأولى: [الحقيقة المحمدية هي حقيقة الحقائق]:

قال الكاشي في لطائفه: "يشيرون بالحقيقة المحمدية إلى الحقيقة المسماة بحقيقة الحقائق، الشاملة لها، أي: للحقائق، والسارية بكليتها في كلها سريان الكلي في جزئياته. قال: وإنما كانت الحقيقة المحمدية هي صورة لحقيقة الحقائق؛ لأجل ثبوت الحقيقة المحمدية في خلق الوسطية والبرزخية والعدالة، بحيث لم يغلب عليه – صلى الله تعالى عليه وسلم – حكمُ اسمه أو وصفه أصلا، فكانت هذه البرزخية الوسطية هي: عين النور الأحمدي المشار إليه بقوله عليه الصلاة والسلام: أول ما خلق الله سبحانه نوري. أي: قدر على أصل الوضع اللغوي. وبهذا الاعتبار؛ سمي المصطفى صلى الله عليه بنور الأنوار، وبأب الأرواح. ثم إنه آخر كل كامل؛ إذ لا يخلق الله سبحانه بعده مثله".اهـ.

اللطيفة الثانية: [الحقيقة المحمدية منبجسة من الحقيقة الأحمدية]:

حقيقته عليه الصلاة والسلام المحمدية، منبجسة عن الحقيقة الأحمدية؛ لأن الحقيقة الأحمدية عبارة عن المعلوم الأول، أولِ نور تعلقت به الإرادة الإلهية في الأزل، وما انتخبت من بين حقائق الأنبياء والرسل إلا لأن جلال الربوبية حَمَدها في غيبه وفي حضرة علمه، أكثرَ مما حمد الخلائق. فكانت هي أحمد المحمودين. ولا مِرية أن هذا القدر – باعتبار التعقل – هو الأول، وهو مطابق للأحاديث في أنَّ أولَ ما خلق الله النورَ الأعظمَ الأحمديَّ الظاهرَ في الجسم المحمدي.

ثم لما ظهرت المحمدية وكثُرت كمالاتُها؛ كثر حمد الخلائق لها؛ فاشتق لها من كثرة مقتضيات الحمد القائمة بها اسما؛ فقيل لها: "محمد".

فانظر كيف اشتق الاسم **"أحمد"** من ثناء الحق تعالى عليه، واشتق الاسم **"محمد"** من كثرة حمد الخلائق له؛ إذ ذاك هو الذي يقتضيه التفعيل.

وانظر - أيضا - كيف تَنَشَّأ الاسم الكريم **"محمد"** من الاسم العظيم **"أحمد"**.

وانظر - أيضا - كيف كانت المحمدية فرعا عن الأحمدية. وقد جاء: "إن الله خلق الأرواح قبل الأشباح بألفي سنة"[1]، والروح هنا؛ هو: الروح الأحمدي. فاعقل هداك الله.

اللطيفة الثالثة: [من أسماء الحقيقة الأحمدية عند القوم]:

لذلك النور الأولي الأحمدي المحمدي صفات قامت به، وكلها اشتق له منها أسام، فتُسمى بالدرة البيضاء، وتسمى بالنور الأعظم، وتسمى بحقيقة الحقائق، وتسمى بالعالم الكبير، وتسمى بالروح الحقي، وبروح القدس، وبعرش التجلي، وبكرسي التدلي، وبمَظهر الاسم الأعظم، وبالاسم الجامع، وبالنسخة الجامعة، وبالعقل الأول، وبالروح الكلية، وبالنور[2].

---

(1) لم أقف عليه.

(2) ولقد عُدَّ للمؤلف في باقي مصنفاته عشرات الأسماء للحقيقة الأحمدية المحمدية منها: قطب الدائرة، نقطة الكمالات، عين الوجود، نقطة الجمال، غاية الوصال، سدرة منتهى الأسرار . . .الخ.

اللطيفة الرابعة: [الحقيقتان المحمدية والأحمدية برزخ بين الحق والخلق]:

هذه الجلالة الأحمدية والحقيقة المحمدية قال في طالعة "المواهب"[1]: "السر الجامع الفرقاني، المُخَصَّصُ بمواهب القرب من النوع الإنساني، مورد الحقائق الأزلية ومصدرُها".

أي: إن ذاته محل لورود الحقائق عليها من الحق، ومحل لصدورها عنها إلى الخلق، وجامعُ جوامعِ مفرَداتها ومنبرها وخطيبُها، إذا حضر في حظائر قدسها. ومحضرها بيت الله المعمور، الذي اتخذه لنفسه، وجعله ناظما لحقائق أنسه، مدة إمداد نقطة الأكوان، ومنبع ينابيع الحكم والعرفان، الممد من بحر مدده الوفاء، على القائل من أهل المعارف والاصطفاء، حيث خاطب الذات المحمدية، بالمنح الأنفسية:

فأنــــت رســــول الله أعظـــم كـــائن	وأنــت لكــل الخلــق بــالحق مرســل
عليـك مـدار الخلـق إذ أنـت قطبـه	وأنـــت منـــار الحـــق تعلـــو وتعـــدل
فـــــؤادك بيـــــت الله دار علومـــــه	وبـــاب عليـــه منـــه للخلـــق يـــدخل
ينـــابيع علـــم الله منـــه تفجـــرت	ففـــي كـــل حـــي منـــه لله منهـــل
منحـت بفـيض الفضـل كـل مفضـل	فكــل لــه فضــل بــه منــك يفضــل
نظمــتَ[2] نَثـار[3] الأنبيـاء؛ فتـاجهم	لـــديك بـــأنواع الكـــمال مكلـــل
فيـــا مــــدد الإمــــداد نقطـــة خطـــه	ويـــا ذروة الإطـــلاق إذ يتسلســـل

([1]) 19/1.

([2]) في ط لظمت.

([3]) نثر الشيء ينثره نثرا ونثارا: رماه متفرقا. انظر "القاموس المحيط" ص 4265.

محـال يحـول القلـب عنـك وإننـي　　وحقـك لا أسـلو ولا أتحـول
عليـك صـلاة الله منـه تواصـلت　　صـلاة اتصـال عنـك لا تتنصـل

وأنشد الشيخ الأكبر في "عنقاء مُغرب في ختم الأولياء وشمس المغرب":

ألا بـأبي مـن كـان ملكـا وسـيدا　　وآدم بـين الطـين والمـاء واقـف
فـذاك الرسـول الأبطحـي محمـد　　لـه في العـلا مجـد تليـد وطـارف
أتـى بزمـان السـعد في آخـر المـدى　　وكـان لـه في كـل عصر مواقـف
أتـى لانكسـار الـدهر يجـبر صـدعه　　فأثنـت عليـه ألسـن وعـوارف
إذا رام أمـرا لا يكـون خلافـه　　وليس لـذاك الأمـر في الكـون صـارف

ولم يعزُ هذه الأبيات لا صاحب "المواهب" ولا شارحه، ولا غيرهما.

اللطيفة الخامسة: [قصيدة فيها تضمين توسل سيدنا آدم بسيدنا محمد صلى الله عليهما وسلم]:

ضمن صالح بن حسين الشاعر توسل أبينا آدم عليه السلام بهذا النور الأعظم، وهو قوله: "قال في "شرح المواهب": ما عمل مثلها في عصره":

وكان لـدى الفـردوس في زمـن الصـبا　　وأثواب شـمل الأنـس محكمـة السـدى
يشـاهد في عـدن ضـياء مشعشـعا　　يزيـد عـلى الأنـوار في الضـوء والهـدى
فقال: إلهي مـا الضـياء الـذي أرى　　جنـود السـما تعشـو إليـه تـردُّدا؟
فقال: نبيي خيـر مـن وطـأ الثـرى　　وأفضـل مـن في الخـير راح أو اغتـدى

تخيرتـــُه مـــن قبـــل خلقـــك ســـيدا وألبســـته قبـــل النبيـــين ســـؤددا
وأعددتـــه يـــوم القيـــــامة شـــافعا مطاعـــا إذا مـــا الغـــير حـــاد وحُيِّـــدا
فيشـــفع في إنقـــــــاذ كـــل موحـــد ويدخلـــه جنـــات عـــدن مخلـــدا
وإن لـــه أســـماء سمـــــــيته بهـــا ولكننـــي أحببـــت منهـــا محمـــدا!

وقد قدمنا أن محمدا كأحمد في المعنى:

فقـــال إلهـــي امـــنن عـــلي بتوبـــة تكـــون عـــلى غســـل الخطيئـــة مســـعدا
بحرمـــة هـــذا الإســـم والزلفـــة التـــي خَصَصْـــتَ بهـــا دون الخليقـــة أحمـــدا
أقلنـــي عِثـــاري يـــا إلهـــي فـــإن لي عـــدوا لعينـــا جـــارَ في القصـــد واعتـــدى
فتـــاب عليـــه ربـــه وحمـــاه مـــن جنايـــة مـــا أخطـــاه لا متعمـــدا

ذكرها بتمامها صاحب "مصباح الظلام"[1] وغيره، والله رؤوف بالعباد.

وإن أردت العجائب المتعلقة بهذه الحقيقة، حقيقة الحقائق؛ فانظر شرحنا على همزية المديح عند قوله:

أنت مصباح كل فضل...

فقد ذكرنا كيفية انقسام النور المحمدي وما يتبعه، والله أعلم وأحكم[2].

([1]) ص 26.

([2]) مخطوط، ثمة نسخة مبتورة الأول والآخر، بخط المؤلف، في مكتبة العلامة الدكتور علي بن المنتصر الكتاني رحمه الله.

[الإشكال السادس في قوله: بل حتى إذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده"]

ثم قال في الأنموذجية: **"بل حتى إذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده"**.

ههنا أُغلقت الحقائق على المعترض، وانبهمت عليه الأمور، ونظر شبرا وغاب عن ألف فرسخ، ونطق بما عاد إليه، وتوهم أن القصد من الآية: نفي وجوده عليه الصلاة والسلام.

ويا للعجب؛ كيف توهم هذا مِمَّن أفنى عمره في الدلالة على الكمالات المحمدية، كيف يتوهم منه هذا؟. لولا تطلُّب العيوب وبغيه للبرآء العيب، وهو وصفُ أبغض الخلق إلى الله سبحانه كما في السنة: أن "أبغض الخلق إلى الله تعالى: المفرقون بين الأحبة، المشّاؤون بالنميمة، الباغون للبرآء العيب"[1]. {إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة}. [النور/ 19].

وصرح بالتكفير حيث توهم أن "بل" هنا للإضراب، وهي تقتضي إبطال ما قبلها. ونطق بما لا يسوغ النطق به إلا ممن خبثت طويته:

إذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه ... وصدق ما يعتاده من توهما[2]

([1]) أخرجه الإمام أحمد في "مسنده" 162/3 عن عبد الرحمن بن غنم، وفيه شهر بن حوشب، وبقية رجاله يحتج بهم في الصحيح كما قال المنذري في "الترغيب والترهيب" 325/3، وفي ألفاظه اختلاف.

([2]) البيت للمتنبي في قصيدة مطلعها:

مع أن كل من تكلم على "بل"، لا من أهل اللغة، ولا من أهل الأصول، ولا من أهل النحو، ولا من أهل التفسير؛ لم يقتصروا على أنها لا ترِد إلا للإضراب. بل صرحوا لها بمعان فيها، هي ترِد عليك. ثم يطبَّق عليها المعنى المراد بها جُلبت له.

[معاني لفظة "بل" في اللغة]:

قال في "التهذيب": "قال المبرّد: "بل" حكمها: الاستدراك أينما وقعت في جحد وإيجاب، وبلى يكون إيجابا للمنفي لا غير".

وقال الفرّاء[1]: ""بل": يأتي بمعنيين؛ يكون إضرابا عن الأول، وإيجابا للثاني. كقولك: عندي له دينار، لا؛ بل ديناران. والمعنى الآخر: أنها توجب ما قبلها وتوجب ما بعدها، وهذا يسمى: الاستدراك؛ لأنه أراده فنسيه ثم استدركه".

وقال الراغب: ""بل" للتدارك، وهو: ضربان؛ ضرب يناقض ما قبله ما بعده، لكن ربما يُقصد لتصحيح الحكم الذي بعده وإبطالِ ما قبله، وربما قُصد تصحيح الذي قبله وإبطالُ الثاني. ومنه قوله سبحانه: {إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين. كلا بل ران على قلوبهم ماكانوا يكسبون}. [المطففين/ 14]، أي: ليس الأمر كما قالوا، بل جهلوا. فنبَّهَ بقوله: {بل ران على قلوبهم}، على جهلهم. وعلى هذا قوله في قصة إبراهيم:

فـــراق ومـــن فارقـــت غـــير مـــذمم وأَمٌّ ومـــن يممـــت خـــير مـــيمم

([1]) في ط البراء.

{قالوا أأنت فعلت هذا بآلهتنا يإبراهيم قال بل فعله كبيرهم هذا فسئلوهم إن كانوا ينطقون}. [الأنبياء/ 39]".

ثم قال: "والضرب الثاني من "بل": هو أن يكون سببا للحكم الأول، وزائدا عليه بما بعد "بل"، نحو قوله: {بل قالوا أضغاث أحلام بل افتراه بل هو شاعر}. [الأنبياء/ 5]. فإنه نبه على أنهم يقولون: أضغاث أحلام بل افتراه، يزيدون على ذلك بأن الذي أتى به مفترى افتراه. بل يزيدون فيَدَّعُون أنه كذاب. والشاعر في القرآن: عبارة عن الكاذب بالطبع، وعلى هذا قوله سبحانه: {لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم ولا هم ينصرون. بل تأتيهم بغتة}. [الأنبياء/ 39]، أي: لو يعلمون ما هو زائد عن الأول وأعظم منه، وهو: أن تأتيهم بغتة. قال الراغب: وجميع ما في القرآن من لفظ "بل" لا يخرج عن أحد هذين الوجهين وإن دق الكلام في بعضه".اهـ.

قلنا: بل نقل الأخفش[1] عن بعضهم أن: "بل" في قوله سبحانه: {بل الذين كفروا في عزة وشقاق}. [ص/ 2]، بمعنى: "إن"، فيزاد هذا على القسمين. فلذلك صدر القسم عليها.

قال الجوهري في "الصحاح"[2]: "وربما وضعوا "بل" موضع "رُبَّ"، كقول الراجز:

بل مَهْمَهٌ قُطعتْ بعد مَهْمَهِ

([1]) ذكره في "لسان العرب" 70/11، وذكره عنه جمع من المفسرين عند الآية، منهم: الألوسي في "روح المعاني" 162/23.

([2]) ص 26.

يعني: رُبَّ مهمه. كما يوضع الحرف موضع غيره اتساعا".اهـ. ولم ينسبه في "الصحاح" لقائله، ونسبه في "شرح القاموس" لسيبويه.

قال في "الصحاح"[1] نقلا عن الأخفش: "وربما استعملت العرب "بل" في قطع كلام واستيناف آخر، فينشد الرجل منهم الشعر، فيقول في قول العجاج:

بل ماهاج أحزانا وشجوا قد شجا ويقول: بل، وبلدة ما الأنس من أهالها

قوله: "بل"؛ ليست من البيت ولا تُعَدُّ في وزنه، ولكن جُعلت علامة لانقطاع ما قبله".اهـ. زاد في "شرح القاموس": "تمام بيت العجاج:

من طلل كالأَتْحَمِيِّ[2] أنهجا". اهـ.

قال المجد الشيرازي في "القاموس"[3]: "و"بل": حرف إضراب، إن تلاها جملة كان معنى الإضراب؛ إما الإبطال: كقوله سبحانه: {بل عباد مكرمون}. [الأنبياء/ 26]، وإما الانتقال من غرض إلى آخر: كقوله تعالى: {فصلى. بل تؤثرون الحياة الدنيا}. [الأعلى/ 16]، وإن تلاها مفرد؛ فهي عاطفة، أي: يعطف بها الحرف الثاني على الحرف الأول".

"ثم إن تقدمها أمر أو إيجاب؛ ك: اضرب زيدا، بل عمرا. أو: قام زيد بل عمرو. فهل تجعل ما قبلها كالمسكوت عنه؟. وإن تقدمها نفي أو نهي؛ فهي لتقرير ما قبلها على حاله،

([1]) ص 26.

([2]) في ط تحمي.

([3]) ص 1251.

وجعل ضده لما بعدها. وأجيز أن تكون ناقلة معنى النفي والنهي إلى ما بعدها، فيصح أن يقال: ما زيد قائما بل قاعدا. و: ما زيد قائم بل قاعد. ويختلف المعنى...ويزاد قبلها "لا" لتوكيد الإضراب، بل للإيجاب. كقوله:

وجهك البدرُ، لا؛ بل الشمس لو لم

ولتوكيد تقرير ما قبلها بعد النفي؛ كقوله:

وما هجرتك، لا؛ بل زادني شغفا". اهـ.

وفي "المصباح"[1]: "و"بل": حرف عطف، ولها معنيان؛ أحدهما: إبطال الأول وإثبات الثاني، وتُسمى: حرف إضراب، نحو: اضرب زيدا بل عمرا. معه دينارا بل درهما. والثاني: الخروج من قصة إلى قصة من غير إبطال، وترادف الواو. كقوله تعالى: {والله من ورائهم محيط. بل هو قرآن مجيد}. [البروج/ 20، 21]. والتقدير: وهو قرآن مجيد. وقول القائل: له علي دينار بل درهم. محمول على المعنى الثاني؛ لأن الإقرار لا يُرفع بغير تخصيص".اهـ منه.

فانظر كيف صرح صاحب "التهذيب" والمبرّد والفرّاء والأخفش، والراغب وصاحب "القاموس"، وصاحب "المصباح"؛ من أهل اللغة؛ بأن "بل" كما ترد:

1 - للإضراب. ترد:

2 - للاستدراك.

3 - والتدارك.

---

(1)

4 –والعطف.

5 –والخروج من قصة إلى قصة، ومن غرض إلى غرض.

ومَثَّلَ صاحبُ "القاموس"[1] بقوله سبحانه: {فصلى. بل تؤثرون الحياة الدنيا}، فلو كانت "بل" هنا: حرف إضراب؛ لزم إبطال ما قبلها، مع أنه[2] الذي حضت عليه الشرائع كلها: أن من تزكى وذكر اسم ربه فصلى؛ أفلح.

ومَثَّل له صاحب "المصباح" بقوله جل أمره: {والله من ورائهم محيط. بل هو قرآن مجيد}. فما قبل "بل" على حاله.

وكأن بغيض أهل البيت يلتزم أن "بل" في سائر هذه المواطن للإضراب؛ فيلزمه بأن يقول بأن الله ليس من ورائهم محيط، فيلزمه الخلل في عقائده؛ لأن "بل" إذا كانت لم تأت إلا لإبطال ما قبلها، فهو لا يتعقل غير هذا المعنى، ولو تعقل غيره لحمل عليه كلام أخيه المسلم.

وكأني به لا علم له بكلام أهل اللغة الشارحين هذا الحرف وغيرَه هذا الشرح، إنما تلقّف كون "بل" تقتضي الإضراب من طرر "الأجرومية"، فحمل عليها "بل" حيث وجدها، وهذا الذي يقتضيه حاله، وإلا؛ كيف يتجهم مسلم يؤمن بالله واليوم الآخر ويعلم المواد اللغوية ويكفر الآلاف من المسلمين لأجل أن وجد معنى من المعاني اللغوية تحتمله مادة فقطع النظر عما وراءها، واقتصر عليه، وزين له الهوى ما قال؟.

([1]) "القاموس المحيط" ص 1252.

([2]) في ط: أنَّ.

ولأجل هذا؛ حذر الناس المفتي أن يفتى حتى يتبحر في كل علم، وخصوصا: العلوم اللسانية، ويحصل له التوسع في اللسان العربي، وهناك يطبق الفتوى على محتملات الألفاظ. فلا يكون لفظ له معان[1]، وتسعة من معانيه تقتضي الإسلام وواحد يقتضي خلافه، ويميل متدين يعلم ما يأتي وما يذر مع المعنى البعيد، ويقطع النظر عن تلك المعاني المتوافرة، ويُجحف على نفسه بقصر النظر على ذلك المعنى الواحد الموقع في غضب الله وسوء عقابه.

وليت شعري؛ كيف ذهل بغيض أهل البيت حتى عن "جمع الجوامع"، وهو متداول بين الطلبة الصغار؟، ولما تكلم على الحروف وذكر "بل" قال ما نصه[2]: "أو للانتقال من غرض إلى آخر". قال "المحلي" والأزهري في شرحيهما: "نحو: {ولدينا كتاب ينطق بالحق وهم لا يظلمون. بل قلوبهم في غمرة من هذا}. [المؤمنون/ 62، 63]، فما قبل "بل" فيه على حاله".

وإذا لم يترجح الإضراب هنا؛ فمن أين يطرأ عليه ما بناه عليه، وهو التكفير؟، وهل يقدر أن يلتزم هو أو غيره في جميع هذه الآيات التي فيها "بل" أنها إضرابية إبطالية؛ فيلزمه أنها في آية: {ولدينا كتاب ينطق بالحق وهم لا يظلمون}: أن هذا مبطل في القرآن الكريم؛ لأنه تعالى قال بعده: {بل قلوبهم في غمرة من هذا}. وكذا: {والله من ورائهم محيط. بل هو قرآن مجيد}. فيلزمه أنه: لا يقول بإحاطته تعالى بالأشياء؛ لأن "بل" تقتضي إبطال ما قبلها. وهو مروق من الدين!.

([1]) هكذا في ج وط، وفي الجملة سقط لا محالة تقديره: عشرة معان.

([2]) ص 175.

وأين ما ذكره المعترض من اقتصاره في معاني "بل" على الإضراب من إنكار الجمال ابن مالك في الكافية أنها: لا تقع في القرآن للإضراب. والتزم أنها لا تقع إلا للانتقال من غرض إلى آخر؟.

فإن قيل: أليس قد وَهَّمَه ابنُ هشام[1] وأبو حيان والمُرادي، واستدلوا بقوله سبحانه: {وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون}. [الأنبياء/ 23]. وبقوله جل جلاله: {أم يقولون به جنة بل جاءهم بالحق}. [المؤمنون/ 70]، فالجائي بالحق لا يكون به جنون؟.

قلت: أليس أجاب الشيخ زكريا الأنصاري في "حواشي جمع الجوامع"[2] عن ابن مالك بأن: "الإضراب في الآيتين لا يتعين كونه للإبطال؛ لاحتمال أنه للانتقال من جملة القول لا من جملة المقول، وجملة القول: إخبار من الله تعالى عن مقالتهم، وهو صدق لم يبطله الإضراب، وإنما أفاد: الانتقال من إخبار عن الكفار إلى إخبار وقع الوصف فيه من النبي والملائكة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين".اهـ.

فإن قيل: أليس قد اعترضه البناني في "حواشي المَحَلي" بقوله: "لم يَدَّعِ أبو حيان ومَن معه تعين كونها في الآيتين المذكورتين للإبطال حتى يجاب بما ذُكر، بل مجرد صحة كونها فيهما للإبطال، وهو كاف في الرد على ابن مالك في قوله بتعين كونها للانتقال"؟.

([1]) وهذه عبارة ابن هشام في "مغني اللبيب" ص 152: "وأما الانتقال من غرض إلى آخر"، ووهم ابن مالك إذ زعم في شرح كافيته أنها لا تقع في التنزيل إلا على هذا الوجه.

([2]) 50/2

قلت: إن كان البنانى لم يفهم من كلام أبي حيان ومن معه أنهم يقولون بتعيين كون "بل" في الآيتين للإبطال، وهو الذي صرح به؛ فعلى هذا: هم يوافقون ابنَ مالك في كونها للانتقال.

وأفاد الانتقال هنا – الذي التزمه ابنُ مالك – ما أفاده الإبطال، إلا أن المعنى الذي من أجله تنكّب الإبطال – وهو: الانتقال من جملة المقول – لم يلتزمه هنا، بل قال[1]: "هو انتقال من جملة القول". وعلى هذا؛ الكلُّ يقول بما يقول به ابنُ مالك، وإن كان فُهِمَ غيرُ هذا؛ فما قاله الشيخ زكريا هو الظاهر عند التأمل.

على أن ابنَ مالك سبقه لذلك صاحبُ "البسيط"، ووافقه ابن الحاجب، فقال في "شرح المفصل": "إبطال الأول وإثباته للثاني: إن كان في الإثبات من باب الغلط؛ فلا يقع في القرآن".اهـ.

فإذا كان وقوع الإضراب في القرآن مختلَفا فيه، بل أنكره ابن مالك فارس الميادين النحوية والمرجوع إليه، وهو الحجة الضبط الثبت الأمين، وسبقه لذلك صاحب "البسيط"، ووافقه ابن الحاجب في شرح "المفصَّل"؛ فكيف يقتصر عليه بغيض أهل البيت ويجعله كأنه المنكور.

على أنه؛ هب أنه أنكر، وكانت تخرّج المسألة عليه؛ فليقتصر عليه إن كان قصده الذبَّ عن المسلمين والقيام برسوم العلم. {ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا}. [المائدة/ 41].

([1]) "قال" ساقطة من ط.

والآن؛ أغنانا الله تعالى عن شعار الجاهلية بشعار الإسلام، و: "إنها لمشية يبغضها الله إلا في مثل هذا الموطن!"[1].

وبسطَ هذا المعنى - أيضا - الحافظ الإمام في كل الفنون، الأسيوطي، في "الإتقان"[2]، في الفصل الذي ذكر فيه معنى الأدوات التي يحتاج إليها المُفَسِّر، والمراد بالأدوات: الحروف وما شاكلها من الأسماء والأفعال والظروف، وهو: النوع الأربعون عنده.

ولكن؛ ليس العجب منه بعد أن ظهر منه ما ظهر من تكفير أهل البيت، بل العجب ممن يقرأ "الألفية" وفي شروحها هذا المعنى، وأن "بل" تأتي للانتقال من غرض إلى غرض آخر!. والعجب ممن يقرأ "المصباح" وهو من أخصر كتب اللغة، ولم تحركه ريح العناية إلى أن يقف على هذا الموضع منه، وكذا "القاموس" و"حاشيته" و"شرحه"، و"جمع الجوامع" وشروحه، والكتب المؤلفة في أدوات التفسير وعلوم القرآن!!.

[وجه الاقتباس من آية {بل حتى إذا جاءه...}]:

وبعد أن عرفنا أن "بل" ههنا ليست[3] إبطالية؛ فلنرجع ولنذكر وجه القصد من الاقتباس من الآية الكريمة، فنقول:

(1) اقتباس من حديث أخرجه الطبراني في "الكبير"104/7 قال الهيثمي في "المجمع" 109/6: "فيه من لم أعرف".

(2) 425/1.

(3) في ط ليس.

إنه لايخفى على من له أدنى خوض في العلوم الدينية، أن الآية الكريمة نزلت في عتبة بن ربيعة بن أمية: تَعَبَّد في الجاهلية والتمس الدينَ، فلما جاء الإسلام؛ أنكر. وأن الآية التي قبلها، وهي: {الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكوة فيها مصباح}. [النور/ 35]...الخ؛ نزلت على أحد معانيها كما قال البيضاوي[1]: "تمثيل لما نور الله تعالى به قلب المؤمن من المعارف والعلوم بنور المشكاة المنبث فيها من مصباحها. ويؤيده قراءة أُبَيّ: {مثل نور المؤمن}"اهـ. أو غير هذا من المعاني على حسب ما ذكر أرباب التحقيق في الآية. والكلام عليها يسع مجلدا بحسب الفهم القاصر.

ثم قال الله سبحانه: {يهدي الله لنوره من يشاء}. ثم مثل أعمال الكفار بالآيتين بعد؛ وهي: {والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة}. [النور/ 36]. أي: والذين كفروا أعمالهم على الضد من ذلك، والآية بعدها، وهي: {أو كظلمات في بحر لجي}. [النور/ 37]...الخ. والكلام عليها يُنظر في التفاسير.

وغاية ما نستحضره من تفاسير هذه الآية الكريمة، حتى لا يظن أننا تهجمنا هذا البحر الكبير، ونطقنا به على فرض أنها منطوق بها ولم نَدْرِ لها معنى: تفسيرُ الإمام البغوي، وتفسيرُ ابن عطية، وتفسيرُ ابن جُزي، وتفسيرُ الثعلبي، وتفسيرُ الحافظ ابن كثير؛ وهو[2] طَرْزٌ ما أُنْسِجَ على منواله فيما نعلم، و"الأحكام الكبرى" لابن العربي، و"الدر المنثور"، والمولى أبو السعود، والفخر الرازي، و"حواشي الجلالين": الجمَل والصاوي، والعارف الفاسي، والقاضي، والشيخ زاده عليه، والخازن، والخطيب،

([1]) "تفسير البيضاوي" 190/4.

([2]) يعني "تفسير" ابن كثير.

و"روح البيان"، و"التأويلات النجمية"، والإمام الورتجبي...وكل هذه الكتب في خزانتنا.

ولما ذكر هؤلاء الثلاثة، والعارف – أيضا – الآية؛ وهي: {مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كسراب بقيعة} ..الخ؛ طرقوا فيها – أيضا – أنها تمثيل للمُرائي بعمله المعجَب به، فإنه يظنه شيئا، والحال أنه كسراب بقيعة. وبنوه على أن: الرياء شرك أصغر كما في الأحاديث. فأخرج صاحب "روح البيان" و"التأويلات النجمية" والورتجبي والعارف الفاسي الآية عن ظاهرها، بأن ذكروا: الإشارة؛ وهو أمر معروف عندهم. و"روح البيان" والورتجي معلومان بهذا النمط، سيما وكل إشارة عند الصوفية في القرآن واعتُرضت عليهم، كلها أجد الحافظ ابن كثير ينقلها في تفسيره عن السلف، ومن قصر به علمه كثر اعتراضه.

وقد قال لي الشيخ ماء العينين يوما في هذا المعرض لما أُنكرت أمور علينا: "{بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله}. [يونس/ 39](1)، {والله يقلب الليل والنهار}!".

[اتفق السلف والخلف على جواز استعمال ألفاظ من القرآن مرادا بها غير المعنى الذي أريدت به في القرآن]:

(1) هو شيخ الإسلام محمد مصطفى ماء العينين الشنقيطي، إمام شنقيط في وقته، العالم المجاهد، والإمام القدوة. توفي – رضي الله عنه – عام 1328هـ بتزنيت ببلاد السوس وسط المغرب. وقد ذكر ذلك في تقريظه لرسالة: "لقطة عجلان في شرح الصلاة الأنموذجية" للمؤلف قدس سره، وهي مطبوعة طبعة حجرية.

وبعد هذا؛ نقول لك – يابغيض أهل البيت – إنه اتفق السلف والخلف على جواز استعمال ألفاظ من القرآن مرادا بها غير المعنى الذي أريدت به في القرآن، ويسميه أهل الصدر الأول من الصحابة والتابعين فمن بعدهم من الأئمة والعلماء: "ضربَ مثل، وتمثلا، واستشهادا"، إذا كان في النثر، وقد يسمى "اقتباسا" بحسب اختلاف المورد.

وقد كَثُر استعمال الصحابة والتابعين وتابعيهم...وهلم جرا من طبقات الخلق له في كل موطن بما يناسبه، ولم يَعِبْ ذلك عليهم أحد. وقد جمع ما لعلماء الإسلام في ذلك: الحافظ الأسيوطي في رسالة سماها "رفع الباس وكشف الالتباس في ضرب المثل من القرآن والاقتباس"، وصدّره بقوله[1]: "أصل هذا التأليف في جواز استعمال ألفاظ من القرآن في المحاورات والمخاطبات، والمجاوبات والإنشاءات، والخطب والرسائل والمقامات...مرادا بها غير المعنى الذي أريدت به في القرآن".

ثم استشهد على ذلك بكلام النبوة وضربها الأمثال، مع أن تلك الجمل القرآنية لم تنزل في ذلك المورد، بل نزلت – بالإجماع – في غير ذلك الموطن، وبكلام الصحابة، وبكلام التابعين، وكلام أئمة الاجتهاد، وكلام أهل البيان والفصاحة، وكلام طبقات أهل العلوم.

[اقتباس النبي ﷺ من القرآن الكريم]:

أما ألفاظ النبوة؛ فمن ذلك: قوله عليه الصلاة والسلام لأبي بكر وعمر حين استشارهما في أسارى بدر: "مثلك يا أبا بكر مثل إبراهيم حيث قال: {فمن تبعني فإنه

([1]) 399/1 من "الحاوي" للسيوطي.

مني ومن عصاني فإنك غفور رحيم}. [إبراهيم/ 36]، ومثلك يا عمر مثل نوح حيث قال: {لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا}. [نوح/ 26][1]. وفي رواية[2]: إن مثلك - يا أبا بكر - مثل عيسى حيث قال: {إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم}. [المائدة/ 116]، وإن مثلك - يا عمر - مثل موسى حيث قال: {ربنا اطمس على أفواههم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم}. [يونس/ 88]".

وكفى بهذا حجة؛ فإنه - عليه السلام - شبههما بالأنبياء، وشبه اختيارهما باختيارهما، وضرب لذلك مثلا كما قالوا.

وقد صح أنه - عليه الصلاة والسلام - قال: "إذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه، {إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير}"[3]، قال الحافظ[4]: "وفيه حجة لأمر آخر؛ وهو: أنه يجوز تغيير بعض النَّظم بإبدال كلمة بأخرى وبزيادة ونقص، كما يفعله أهل الإنشاء كثيرا، إلا أنه لا يُقْصَد به التلاوة ولا القراءة ولا إيراد النظم على أنه قرآن.

ومن الأحاديث في الباب، الدالة على الجواز: قوله الكريم[5]: "الله أكبر؛ خربت خيبر، {إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين}. [الصافات 177]". قال الحافظ[1]: "قال

([1]) الحديث بطوله في "المعجم الكبير" للطبراني 143/10 عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

([2]) عند ابن أبي شيبة في "المصنف" 359/7 والبيهقي في "السنن الكبرى" 82/7 عن أبي حازم.

([3]) أخرجه بهذا اللفظ سعيد بن منصور في "سننه" 190/1 بسند فيه انقطاع، ورواه الترمذي 394/3 ح 1084 وابن ماجه 632/1 ح 1967 والطبراني في "الأوسط" 142/1 كلهم عن أبي هريرة بلفظ: "وفساد عريض".

([4]) أي السيوطي في "رفع الباس".

([5]) أخرجه البخاري 145/1 ح 364 ومسلم 1044/2 ح 1365.

بعضهم: هذا الحديث من أدلة الاقتباس. وقال ابن عبد البر(2): فيه جواز الاستشهاد بالقرآن فيما يحسن ويجمل. وقال النووي في "شرح مسلم"(3): في الحديث جواز الاستشهاد في مثل هذا السياق بالقرآن في الأمور المحققة".

وأخرج ابن أبي شيبة حديث: "من تكلم يوم الجمعة والإمام يخطب فهو {كالحمار يحمل أسفارا}. [الجمعة/ 5]"(4).

وأخرج ابن سعد في "الطبقات"(5) عن فروة بن نوفل الأشجعي قال: "قال ابن مسعود: إن معاذ بن جبل {كان أمة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين}. [النحل/ 120]. فقلت: غلط أبو عبد الرحمن؛ إنما قال الله: {إن إبراهيم كان أمة قانتا لله}. فقلت له: إنه تعمد الأمر تعمدا. فسكت. فقال: أتدري ما الأمة وما القانت؟. قال: قلت: الله تعالى أعلم. فقال: الأمة: الذي يعلم الناس الخير، والقانت: المطيع لله تعالى ورسوله. وكذلك كان معاذ يعلم الناس الخير وكان مطيعا لله ورسوله!".

[اقتباس الصحابة رضوان الله عنهم من القرآن الكريم]:

---

(1) "فتح الباري" 468/7.

(2) "التمهيد" 223/2.

(3) 164/12.

(4) والحديث لم أجده عند ابن أبي شيبة في "مصنفه"، ووجدته عند الطبراني في "المعجم الكبير" 90/12 عن ابن عباس، كما ذكره المنذري في "الترغيب والترهيب" 292/1 دون أن يعزوه إلى ابن أبي شيبة، وكذا السيوطي في "الجامع الصغير". وقال الحافظ الهيثمي في "مجمع الزوائد" 184/2: "وفيه مجالد بن سعيد وقد ضعفه الناس ووثقه النسائي في رواية".

(5) "الطبقات الكبرى" 349/2.

وأما ضرب الصحابة الأمثال، واقتباسهم المعاني مع عدم ورودها في ذلك المورد، ولم تنزل الآية فيما استشهد به هذا المريد للاقتباس؛ فربما لا يُوقف له على طرف.

ومن ذلك: مرَّ سيدنا ابن مسعود بأعرابي يصلي في مكة ويقول: "نحج بيت ربنا"...في كلام له، فقال: {ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة إن هذا إلا اختلاق}. [ص/ 7][1].

وأشرف سيدنا عثمان على الناس من داره وقد أحاطوا به، فقال: {يا قوم لايجرمنكم شقاقي أن يصيبكم...إلى قوله: وما قوم لوط منكم ببعيد}. [هود/ 89][2].

ولما بلغ حفصة أم المؤمنين قتل عثمان قالت: {قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله}. [النحل/ 112][3]..الآية.

وقالت الصديقية في قضية الإفك: "وإني لا أجد لي ولا لكم مثالا إلا قول أبي يوسف: {فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون}. [يوسف/ 83][4]. ومن ههنا سماه العلماء: ضرب مثل.

وسَمِعَتْ أُمُّ هانيء رجلين يقولان: "بايَعَتْه أيدينا ولم تبايعه قلوبنا". فذكرت ذلك لعلي، فقال: {فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسنؤتيه أجرا عظيما}. [الفتح/ 10][1].

([1]) الأثر اخرجه عبد الرزاق في "مصنفه" 401/2 والطبراني في "الكبير" 276/9.

([2]) الأثر أخرجه ابن أبي شيبة في "مصنفه" 441/7 و 515/7.

([3]) أول الآية: {وضرب الله مثلا قرية} الآية، والأثر أخرجه عبد الرزاق في" مصنفه" 302/3.

([4]) الأثر أخرجه البخاري في "صحيحه"945/2 ح 2518 ومسلم أيضا 2135/4 ح 2770 عن عائشة رضي االله عنها.

وقد دخل سيدنا كعب على سيدنا عمر وقد طعن، فقال: {الحق من ربك فلا تكونن من الممترين}. [البقرة/ 147](2).

ولما طُعن ابنا معاذ بن جبل قال: "كيف تجدانكما؟". قالا: "يا أبانا؛ {الحق من ربك فلا تكونن من الممترين}. [البقرة/ 147](3). قال: وأنا {ستجدانني إن شاء الله من الصابرين}. [القصص/ 27](4).

وأُتِي عمرُ بن عبد العزيز بقوم قعدوا على شراب، معهم رجل صائم، فضربه، وقال: {لا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره}. [النساء/ 140](5).

ولما بلغ أبا الدرداء أن أبا ذر أُخرج إلى الرَّبَذة؛ استرجع قريبا من عشر مرات، فقال: "{فارتقبهم واصطبر}. [القمر/ 27] - كما قيل لأصحاب الناقة - اللهم إن كذبوا أبا ذر؛ فإني لا أكذبه، وإن اتهموه؛ فإني لا أتهمه، والذي نفسي بيده؛ لو أن أبا ذر قطع بيميني ما أبغضته بعد الذي سمعت من رسول الله يقول: ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء أصدق لهجة من أبي ذر!"(6).

---

(1) الأثر أخرجه ابن أبي شيبة في "المصنف" 192/6.

(2) الأثر أخرجه ابن سعد في "الطبقات الكبرى" 342/3.

(3) الأثر أخرجه ابن سعد في "الطبقات الكبرى" 342/3.

(4) رواية أن المطعون ولدان اثنان لمعاذ بن جبل عند ابن سعد في "الطبقات الكبرى" 589/3 388/27. والمشهور في كتب التاريخ والتراجم أن: الذي عليه بعد أن طعن هو ابنه عبد الرحمن كما أخرجه أحمد في "المسند" 240/5 وابن أبي شيبة في "المصنف" 161/6 والبزار في "المسند" 114/7والحاكم في "المستدرك" 304/3 وغيرهم.

(5) الأثر أخرجه ابن شيبة في "المصنف" 69/5 وابن جرير في "التفسير" 330/5، وعندهما: "فضربهم" بدل فضربه.

(6) الأثر بطوله أخرجه أحمد في "مسنده" 197/5 بسند رجاله موثقون، وفي بعضهم خلاف كما قال الهيثمي في "مجمع الزوائد" 330/9.

[اقتباس التابعين رضوان الله عليهم من القرآن الكريم]:

وأما التابعون؛ فكثير اقتبسوا معاني من القرآن لم تنزل فيها الآيات الكريمة:

لما أمر الحجاج بقتل سعيد بن جبير قال: {وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين}. [الأنعام/ 79]. فقال الحجاج: "شدوا به لغير القبلة". فقال: {فأينما تولوا فثم وجه الله}. [البقرة/ 115]. فقال الحجاج: "كبوه لوجهه". فقال سعيد: {منها خلقناكم وفيها نعيدكم}. [طه/ 55]. وفي رواية: {إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيا}. [مريم/ 18][1].

[اقتباس أئمة الإسلام رضوان الله عليهم من القرآن الكريم]:

وأما ما نُقل عن الأئمة؛ فكان الإمام مالك رحمه الله تعالى إذا سئل عن مسألة يظن أن صاحبها غيرُ متعلم وأنه يريد المغالطة؛ يقول: {وللبسنا عليهم ما يلبسون}. [الأنعام/ 9].

وكتب الإمام الشافعي إلى صاحب مكة شفاعة في الحاج: "إني مهدي إليك يا سيد البطحاء: {كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء}. [إبراهيم/ 24]،

([1]) قصة الحجاج مع ابن جبير في "حلية الأولياء" 294/4.

وأنا أتشفع إليك في ضعفاء الحاج من ركب البحر ومضغة الشيخ[1]. كتبه محمد بن إدريس الشافعي".

وأُمِر مالك بصلاة في وقت كراهة؛ فقام وصلى، فقيل له في ذلك؟. فقال: "لا أكون ممن {إذا قيل لهم اركعوا لا يركعون}. [المرسلات/ 48]". ومثل هذا عنهم كثير.

وقد وقع لحجة الإسلام الغزالي والسبكي وابن الوردي، وأئمة المالكية والشافعية والحنفية والحنابلة ما يستدعي مجلدات جمة، حذفنا الإشارة لبعضها نظما ونثرا، وقد أكثر علماء البيان في كتبهم من ذلك.

وقد نص القاضي أبو بكر الباقلاني في "إعجاز القرآن"[2] له على: تضمين كلمات من القرآن في نثر الكلام ونظمه، وذكر من ذلك جملة.

["الاقتباس" من علوم البلاغة والبيان]:

وأما أئمة البيان، وأهل الفصاحة، وأهل الاجتهاد في بدائع اللسان في المحاورات والمخاطبات، والمجاوبات والإنشاآت، والخطب والرسائل والمقامات، وهم من أئمة المسلمين وعلمائهم؛ فقد أوضحوا القول في ذلك، وسموه بالاقتباس، ولم يكتفوا في ذلك بحكم الجواز فقط، وإنما جعلوه من حسن الكلام وجيده، ومعدودا في طبقات الفصاحة. إذ هو عندهم من أنواع البديع.

---

[1] هكذا في النسختين ولم أتبين وجه الكلام

([2]) ص 205.

قال الأسيوطي[1]: "فقد أجمع على التصريح بالمقصود من ذلك أئمة الفتوى وأئمة الفصاحة، وشواهده من السنة وكلام السلف والخلف كثيرة جدا".

وبعد هذا قال في "التلخيص"[2]: "وهو – أي: الاقتباس – ضربان ما لم ينقل فيه المقتبس عن معناه الأصلي كما تقدم، والثاني: خلافه. أي: نقل فيه المقتبس عن معناه الأصلي؛ كقوله[3]:

لـــــئن أخطـــــأت في مدحيــــــــ ـــــــك مــــــا اخطـــــأت في منـــــع
لقــــــد أنزلـــــــتُ حاجاتــــــــي بـــــــــــــواد غـــــــــــير ذي زرع

قال في "المطول"[4]: "فقوله: بواد غير ذي زرع. مقتبس من قوله تعالى حكاية: {ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم}. [إبراهيم/ 37]، لكن معناه في القرآن: بواد لا ماء فيه ولا نبات. وقد نقله ابن الرومي عن هذا المعنى إلى: جناب لا خير فيه ولا نفع".اهـ.

قلت: ولا أقل أن تكون هذه الآية الكريمة المستشهد بها هنا من ضرب الاقتباس الذي نُقِل عن معناه الأصلي إلى معنى آخر. وقد سمعتَ ما أجمع عليه السلف من جوازه،

([1]) في "الإتقان" 296/1.

([2]) ص177

([3]) أي: ابن الرومي كما في "خزانة الأدب" 456/2.

([4]) ص 88

بل زادوا أن جعلوه من حسن الكلام، بل زادوا على أن نقلوا اللفظ عن معناه الأصلي. والمعنى المستشهد بها[1] من أجله حوله نُدندن، وسيُشْرَحُ إن شاء الله تعالى.

قال في "المطول"[2]: "ومن لطيف هذا الضرب: قول بعضهم في شخص دخل الحَمَّام فحلق رأسه:

تجــرد للحــمَّام عــن قشرــ لؤلــؤ وألــبس مــن ثــوب الملاحــة ملبوســا
وقــد جــرد الموســى لتــزيين رأســه فقلت: "لقد أوتيت سؤلك يـا موسـى"

بل قال في "التلخيص"[3]: "ولا بأس بتغيير يسير في اللفظ المقتبس للوزن أو للتقفية، كقوله:

قــد كــان مــا خفــت أن يكونــا إنــــا إلى الله راجعونـــــا

وفي القرآن: {إنا لله وإنا إليه راجعون} .[البقرة/ 46]".

ووقع في دمشق أن ابن الصلاح أفتى بالمنع من صلاة الرغائب، ثم لما قدم العز بن عبد السلام أفتى بالمنع منها، فعارضه ابنُ الصلاح ورجع عما أفتى به أولا، وألف كراسة في الرد عليه، وضرب له المثل بقوله سبحانه: {أرأيت الذي ينهى عبدا إذا صلى}. [العلق/ 12]، فألف ابن عبد السلام كراسة في الرد عليه[4]. وقال: "وأما ضربه إلي المثل

(1) هكذا في ج وط.

(2) ص 87

(3) ص 177

(4) ذكرها بتمامها ابن السبكي في "طبقات الكبرى" 251/8.

بقوله سبحانه: {أرأيت الذي ينهى عبدا إذا صلى}؛ فأنا إنما نَهَيْتُ عن شيء نهى عنه رسول الله".

وقد حكم بذلك أبو شامة في كتابه "الباعث على إنكار البدع والحوادث"، وقال: "إن الناس ضربوا لابن الصلاح المثل بقول عائشة في حق سعد بن عبادة[1]: "وكان قبل ذلك رجلا صالحا، ولكن احتملته الحمية".

وحيث أتينا على الدلائل الدالة على أن الاقتباس استعمله المُبَيِّن عن الله تعالى وأصحابه الكرام، والإمامان مالك والشافعي رضي الله عنهما ومن بعدهم؛ فلننقلب ولنذكر وجه[2] الآية الكريمة. فنقول:

[مفهوم آية {بل حتى إذا جاءه..} في الصلاة الأنموذجية]:

إن قبل هذه الجملة في الصلاة كان يصف كمالات محمدية، وأن هذا الجناب المحمدي بلغ من جلالته ومكانته عند الرب - جَلَّت كلمته - أن جعل اسمه ركنا من أركان الإيمان لا يتم الإيمان إلا به، وأَشْهَرَ اسمَه في السماوات والأرضين والجنان، وظاهر الكون وباطنه، بل ربط - سبحانه - نعته بنعت نبيه، بل جعل الربُّ الكريمُ، الرحمن الرحيم، صورَ الأشياء الظاهرة في الأكوان لم تُصَوَّر إلا على صورة اسم نبيه، ولم تُشَكَّل إلا على شكل حروف اسم نبيه الأسمى.

---

(1) "صحيح مسلم" 2137/4 ح 2770.

(2) في ط زيادة لفظة "التوقيع" ولا معنى لها هنا فيما يبدو. والله أعلم.

ثم استشهد على ذلك بأن: أول الذوات الإنسانية - سيدنا آدم - خليفة الله في الأرض، الذي أسجد الله سبحانه له الملائكة وعلمه الأسماء كلها، ومع ذلك جاء فيه أنه: مخلوق على صورة الحضرة الإلهية، ومع ذلك سيدنا آدم مخلوق على الشكل المحمدي.

ثم ذكر أن حقائق هذا الجناب العظيم، وتراكيبه التي رُكِّبت منها ذاتِه النورانية لم تكن مقتبسة - في الحقيقة - إلا من الأسرار الإلهية والرقائق القدسية، ولم تتكوّن حقيقته المبدئية من الأطوار الخِلقية التي خلقت منها الحقيقة الإنسانية.

ثم بعد هذا؛ ذكر أن الإنسان الكامل صلوات الله وسلامه عليه، لو نظر إليه الناظر المكاشف، وتحققه المتحقق الرباني، ونظر إليه نظرا قُدسيا، وجاءه من جهة ما أنزله فيه ربه جل جلاله من المنزلة والمكانة؛ لوجده أعظم مَظهر من مظاهر الرب، وأنه بلغ من المكانة إلى أن قال فيه خالقه جل أمره: {إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله} . [الفتح/ 10].

والمعنى هنا الفرعي في الآية على حد ما تقدم عن "التلخيص"، من أنه: يجوز أن يُنْقَل المُقْتَبَسُ عن معناه الأصلي: أن الجائي[1] المكاشَفُ، المكتحِلُ بإثمد النور القدسي، المتقرِّب بالنوافل حتى أحبه الحق سبحانه؛ فإنه يجد الحقيقةَ المحمديةَ النورَ الأعظمَ والمظهرَ الأتَمَّ، ولم يجدها كالأشياء، بل وجدها كالياقوت بين الأحجار، حجرٌ وليس بحجر، بشر وليس كالبشر؛ لقيامه بالسر الرباني في قوله: {إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله} . وهو قوله: {لم يجده شيئا ووجد الله عنده}[2].

([1]) اسم فاعل جاء في آية: {حتى إذا جاءه} .

([2]) هذه جمل اختصر فيها الإمام هنا ظاهر معنى الصلاة الأنموذجية.

قال الشيخ جَسّوس في آخر "شرح الشمائل"[1]، عند قوله: "من رآني فقد رأى الحق"[2]: "يحتمل أن يكون مفعولا به؛ أي: فقد رأى الحق سبحانه وتعالى. لأنه صلى الله تعالى عليه وسلم المَجلى الأعظم والمرآة الكبرى لظهوره تعالى وظهور صفاته، إذ أقواله وأفعاله وأحواله كلها دائرة على الدلالة على الله تعالى والتعريف به، فمن رآه شهد فيه جلال الله وجماله. أما أقواله؛ فظاهر. وأما أفعاله؛ فلأن إرادته تابعة لإرادة الله تعالى بمقتضى الخلافة والتمكين في العوالم، فتعرف من مشاهدة أفعاله أفعالُ الله تعالى. وأما أحواله وأخلاقه؛ فلأنه متخلق بأخلاق الرحمن".

"قال الورتجبي في قوله تعالى: {إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله}: جعل نبيه مرآة لظهور ذاته وصفاته. وقال في قوله تعالى: {لتؤمنوا بالله ورسوله}. [الفتح/ 9]، أي: ليشاهدوا بأسرارهم اللهَ تعالى، ويدركوك في محل الجلال والجمال، ويعرفوا قدرك في قدري وقدري في قدرك، حيث صِرتَ مرآتي، أتجلَّى منك لهم لذلك. قال عليه الصلاة والسلام: من رآني فقد رأى الحق".اهـ.

قال الشيخ جسوس[3]: "وهذا معنى قولهم: إن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم هو الإنسان الكامل، وإنه مخلوق على صورة الله، وعلى صورة الرحمن. وقد ورد الخبر بذلك. وفي آية: {إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم}؛ تصريح بمقام الخلافة العظمى، وإشارة إلى أن المطلوبَ: التمسكُ بسنته، والتعلقُ بشريعته، وعدمُ الانحرافِ عن طريقته، وأنه بابُ الله تعالى الأعظم".اهـ كلام جسوس بلفظه.

---

(1) ص 241.

(2) رواه البخاري في "صحيحه" 2568/6 ح 6595 ومسلم في "صحيحه" 1776/4 ح 2267 عن أبي قتادة.

(3) ص 244.

قلت: وأصله للعلامة ابن زِكْري في شرح همزيته، عند قوله:

في مبايعـــــة جُعِلـــــتمُ مجـــــلى   فلأهـــل الشـــهود منـــك اللقـــاءُ
جمْـعُ جمـع أفـاض عنـك لـذي القـر   ب، فمـــــــــــنك والأنـــــــواءُ

قال في الشرح: "ولذا كانت رؤيته وتَشَخُّصُه واستحضاره، وسماع كلامه؛ مستلزمةً لتذكره تعالى نوعَ استلزام؛ إذ هو رسول الله، والمبلِّغ لوحيه، والداعي لدينه".

ثم قال: "ومن هنا سُمي صلى الله تعالى عليه وسلم بكثير من أسماء الله تعالى؛ كالحق، والشاهد والخبير، والعظيم والكريم، والرؤوف والرحيم...إلى غير ذلك؛ لأنه متخلق بأخلاق الربوبية. وآيةُ المبايعة متضمنة لهذا المعنى وشاهدة به، وهي قوله تعالى: {إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم} . قال الورتجبي في تفسيرها: جعل الله نبيَّه مرآة لظهور ذاته وصفاته".اهـ. وهو المعني هنا في قوله على طريق الاقتباس: "**ووجد الله عنده**".

ومن معناه: "خيركم من إذا رُؤي ذُكر الله سبحانه". أي: لِما يعلوهم من الهيبة والجلالة. ولذلك كان الصحابة يجلسون عنده صلوات الله عليه كأنما على رؤوسهم الطير[1]، لما هو عليه من الهيبة والإجلال.

قال في "شرح الدليل"[1]، عند قوله في الأسماء المحمدية: ذكرُ الله. ما نصه: "عن مجاهد في قوله تعالى: {ألا بذكر الله تطمئن القلوب}. [الرعد/ 28]، قال: هو سيدنا محمد صلى الله تعالى عليه وأصحابه رضي الله[2] تعالى عنهم".

([1]) روى أبو داود في "سننه" 3/4 ح 3855 عن أسامة بن شريك قال: "أتيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه كأنما على رؤوسهم الطير، فسلمت ثم قعدت"...الخ.

"ومعناه: أن من رآه صلى الله تعالى عليه وسلم أو سمع باسمه وأحواله وأخلاقه الحميدة؛ ذَكَرَ الله سبحانه، وحمده، وأثنى عليه بما هو أهله، وآمن به وصدقه، فكان وجوده سببا في ذكر الله، فسماه الله سبحانه: {ذكر الله}، ولأن ذاته توجب ذكرَ الله، وصفاتِه توجب توحيدَ الله، وأفعالَه تدل على الله، وأقوالَه تأمر بذكر الله. فكان صلى الله تعالى عليه وسلم ذِكرَ الله في كل أفعاله وأحواله وصفاته ونومه ويقظته، ولكثرة ذكره صلى الله تعالى عليه وسلم لمولاه سبحانه في دنياه وأخراه وحمده إياه في جميع أحواله، ولرفعة قدره عند الله تعالى وشرف منزلته عنده. والذكر: الشرف. ولِذِكر الله سبحانه له قبل الخلق؛ فإنه أول ما جرى في الذكر ذكرُه".

"وهو الأول في المقادير، وأول مذكور في اللوح، ولكثرة ذكره له؛ لأنه مكتوب على العرش وعلى السماوات، وخَلَقَ خلقه على صورة اسمه صلى الله تعالى عليه، وأضاف اسمه إلى نفسه، وقرن اسمه مع اسمه، واشتق اسمه من اسمه، ومن ذكره فقد ذكر الله، ومن أطاعه فقد أطاع الله، ومن بايعه فإنما يبايع الله، فكان صلى الله تعالى عليه وسلم ذكرَ الله بكل وجه".اهـ نص شارح الدليل.

وكيف سوّغ مجاهد أن يجعل ذكر الله واقعا على الذات المحمدية، ويجعله من أسمائها، مع أنه لم يتقدم عهد هنا لذكر الجناب المحمدي؟. ولكن لاشتمال ذاته المحمدية على تلك الشؤون التي ذكرها، أو هو: كون شؤون الذات المحمدية كلها من الله إلى الله بالله، وليس لها منها شيء، بل أنوار الربوبية هي الظاهرة فيها ظهورا تاما أكثر من غيرها من المظاهر.

([1]) يعني: شرح العلامة المهدي بن علي الفاسي الفهري – رحمه الله – على "دلائل الخيرات" المسمى: "مطالع المسرات". وهو مطبوع بدار الكتب العلمية طبعتين، وبدار الرشاد.

([2]) اسم الجلالة ساقط من ط.

ولذلك كان لا يُرى[1] له ظل لا في شمس ولا قمر؛ لغلبة النورانية عليه. ولذلك قال كما في "الصحيح"[2]: "إني لست كهيئتكم".

قال في "الطبقات"[3] في ترجمة أبي المواهب الشاذلي: "قلت: مرة في مجلس:

محمـــــــد بشرــــــ لا كالبشرـــــــ   بـــل هـــو كاليـــاقوت بـــين الحجـــر

فرأيته صلى الله تعالى عليه وسلم، فقال لي: غفر الله لك ولكل من قالها معك!".

وأوضح هذا الشيخ أبو طالب المكي في "القوت" الذي أثنى عليه صاحب "العوارف"، شيخ المحقق الطيبي في "عوارفه"، ونقل الشيخ بناني في "فهرسته" عن مشيخته أنه يقال للقوت: "مدونة الصوفية"، فقال[4]: "هذه أمدح آية في كتاب الله عز وجل، وأبلغ فضيلة فيه لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم؛ لأنه جعله في اللفظ بدلا منه، وأقامه في الحكم مقامه، ولم يُدخل بينه وبينه كاف تشبيه فيقول: كأنما. ولا لام المِلك فيقول: لله. وليس هذا المقام من الربوبية للخلق سوى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم".اهـ.

[الاقتباس جائز عند الشافعية والمالكية]:

([1]) أخرج الحكيم الترمذي، عن ذكوان، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يكن يُرى له ظل في شمس ولا قمر، ولا أثرُ قضاء حاجة"، وهو مرسل كما في "الخصائص الكبرى" للسيوطي 122/1.

([2]) "صحيح البخاري" 678/2 ح 1822 مسلم في "صحيحه" 744/2 ح 1102 عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه.

([3]) إن كان الشيخ يقصد "الطبقات الكبرى" للإمام الشعراني؛ فلم أجد هذا المنقول في ترجمة أبي المواهب الشاذلي.

([4]) "قوت القلوب" 12/1.

وما تضمنه اقتباس هذه الآية الكريمة هنا في الصلاة لا يعدو اقتباسه هذا الكلام من هؤلاء الأئمة. والاقتباس جائز عند المالكية والشافعية باتفاق كما في صدر "شرح المواهب" للإمام الزرقاني. قال[1]: "هكذا حكى اتفاق المذهبين الشيخُ داود الشاذلي الباخلي[2]. وقد نص على جوازه: القاضي عياض وابن رشيق والباقلاني، وهم من أجلة المالكية، والنووي شيخ الشافعية، ورواه الخطيب البغدادي وغيره بالإسناد إلى الإمام مالك، أنه كان يستعمله".

قال السيوطي[3]: "وهذه أكبر حجة على من يزعم أن مذهب مالك تحريمه، وقد نفى الخلاف في مذهبه الشيخ داود، وهو أعرف بمذهبه. ثم قال: فمن نسب إلى مذهبنا تحريمه؛ فقد فسر وأبان أنه أجهل الجاهلين".اهـ. وهذا من السيوطي يقضي بأنه غلط في ما أورده في "عقود الجمان" في قوله:

قلـــت: وأمـــا حكمـــه في الشرـــع فمالـــك مشـــدد في المنـــع...الـــخ

ونقل المُقتبِس الاقتباسَ عن معناه الأصلي إلى معنى آخر نصَّ عليه علماءُ البديع، ولم يعرفوا غيره، بل جعلوه من جنس الكلام. أعني: لم يجعلوه من قبيل ما يخرج عليه الكلام، بل جعلوه من جملة أجناس الكلام.

وهذا الاقتباس على هذا النوع وقع من خلائق من الذين يُعَبِّرون عن مثل هذا النوع من علوم الأسرار، فلا أَقَلَّ أن يقال لنا ما قيل لهم، وهو المعنى الذي أشار إليه الشيخ

([1]) 65/3 بتصرف من المؤلف.

([2]) في ج الباهلي، وكتب على طرتها: "ولعله الباخلي كما في حواشي البيضاوي".

([3]) "رفع الباس" 411/1 من "الحاوي".

الجامع بين العلمين سيدي ماء العينين حسبما هو بالظهير السلطاني من أنه: "لا يفهم هذه الصلاة إلا أحد رجال ثلاثة؛ ومنهم: رجل طالع كتب القوم الذين قبله، الذين يتكلمون بهذا النوع من علوم الأسرار، لا مطلق أهل التصوف"[1].

وذكر الحافظ ابن كثير في تفسيره، الذي قل من نسج على منواله فيه، لدى قوله سبحانه: {وله المثل الأعلى في السموات والأرض}. [الروم/ 27]، ما لفظه[2]: "أنشد بعض المفسرين عند هذه الآية لبعض أهل المعارف:

إذا سكن الغدير على صفاء	وجُنِّب أن يُحَرِّكه النسيم
ترى فيه السماء بلا امتراء	كذاك الشمسُ تبدو والنجوم
كذاك قلوب أرباب التجلي	يُرى في صفوها الله العظيم"

اهـ بحروفه.

[اقتباس الإمام ابن مشيش رضي الله عنه في صلاته]:

([1]) ودونك ما قاله الشيخ ماء العينين عند قراءته لشرح الصلاة الأنموذجية الموسوم بـ:"لقطة عجلان": "الحمد لله وحده، والسلامان على أفضل من عبده، هذا وليعلم الواقف هنا من جميع أهل العلم أني أيها الكويتب لهذه الحروف غفر الله لي وأعاذني من كل مخوف، تصفحت كلام هذا السيد الجليل فلم أجد فيه ما أنقم عليه بما لا يحتمل تأويلا صحيحا. وأظن أن أحد ثلاثة لا ينقم عليه شيئًا مما قال: أحدهما (هكذا في النسخة الحجرية) رجل ذاق مذاقه وشاهد مشهده، والثاني: رجل تبحر في لسان العربية وعلم دقائقه من مجاز واستعارة وعموم وخصوص وغير ذلك من أنواع علوم العربية التي تحتوي عليه، والثالث: رجل طالع كتب القوم الذين قبله، الذين يتكلمون بمثل هذا. ولو لم يتركوا لضاع الدين وضاع كثير من الذين هذا المسلك سلكوا"...الخ كلامه. وقد كان السلطان المولى عبد العزيز رحمه الله ضمن نص كلام الشيخ ماء العينين في الظهير الذي أصدره في تبرئة الشيخ قدس سره مما نسب إليه من الحياد عن الشرع.

([2]) 432/3.

فهذه الصلاة المشيشية؛ ضَمَّنها صاحبُها من باب الاقتباس آية: {إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد} . [القصص/ 58]، وفي بادئ[1] الأمر؛ أيُّ مناسبة بين ما نزلت الآية بسببه وما سيقت له في المعنى العام في التفسير، وبين ما ساقها له القطب رضي الله عنه؟. فإنه كان يتكلم في مقام استغراق أهل الشهود التام، المعبّر عنه عند أهل هذا الفن بـ: "جمع الجمع"، وهو قوله: "وأغرقني في عين بحر الوحدة حتى لا أرى ولا أسمع ولا أجد ولا أحس إلا بها"، ثم قال: "وانصرني بك لك، وأيدني بك لك، واجمع بيني وبينك، وحُل بيني وبين غيرك". ثم كرر الاسم المفرد ثلاث مرات، إشارة إلى أنه يطلب من الكريم الوهاب أن ينقله بذكر الاسم الأول من عالم المُلك، ويدرجه في ميادين عالم الملكوت بذكر الاسم الثاني، ثم ينقله إلى فسيح حضرات عالم الجبروت المدلول عليه بذكر الاسم الثالث. ويَحْتَمِل التعددُ معان لسنا بصدد ذكرها.

ثم بعد هذا الاستغراق وهذا التدله[2] التام في الحضرة الإلاهية قال: {إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد} ، وقطعا لم يأت بالآية الكريمة إلا لمعنى صحيح موافق لقواعد العلم، مع أن سبب النزول ينافي موضع اقتباسه لها.

خرّج ابن أبي[3] شيبة، وعبد بن حميد[1]، والبخاري[2] والنسائي[3]، وابن جرير[4] وابن المنذر، وابن أبي حاتم[5] وابن مردويه[6]، والبيهقي في "الدلائل"[7] من طرق عن ابن عباس عباس رضي الله عنهما في قوله: {لرادك إلى معاد} : "إلى مكة".

([1]) في ط: مبادئ.

([2]) قال في "لسان العرب" 488/13: "التدله: ذهاب العقل من الهوى".

([3]) هكذا عزاه المؤلف لابن أبي شيبة تبعا للسيوطي في "الدر المنثور" 455/6، والذي وقفت عليه في "مصنفه" 144/7 عن أبي سعيد: "لرادك إلى معاد". قال: "معاده: آخرته الجنة". ولعل الوهم فيه من السيوطي لأنه ذكره في "لباب النقول" ص166 ولم يعزه إلى ابن أبي شيبة. قلت: وقد اختلفت الروايات عن ابن عباس في هذا. قال ابن كثير في "تفسيره": قال

وأخرج الفريابي وعبد بن حميد[8]، وابن أبي حاتم[9] والطبراني[10] وابن مردويه عن ابن عباس: {لرادك إلى معاد}؛ قال: "إلى الموت".

وخرج عبد بن حميد وابن مردويه[11]، وأبو يعلى[12] وابن جرير[13]، عن أبي سعيد الخدري: {لرادك إلى معاد}؛ قال: "إلى الآخرة".

وأخرج الفريابي وعبد بن حميد، وابن المنذر[1] وابن أبي حاتم[2]، عن مجاهد: {إن الذي الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد}؛ قال: "يُحْيِيكَ يوم القيامة".

السدي عن أبي صالح عن ابن عباس: {إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد} . يقول: لرادك إلى الجنة ثم سائلك عن القرآن. قال السدي: وقال أبو سعيد مثلها . وقال الحكيم عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما: {لرادك إلى معاد} . قال: إلى يوم القيامة. ورواه مالك عن الزهري. وقال الثوري عن الأعمش، عن رجل، سعيد بن جبير عن ابن عباس: {لرادك إلى معاد} : إلى الموت، ولهذا طرق عن ابن عباس رضي الله عنهما ، وفي بعضها: لرادك إلى معدنك من الجنة" .اهـ.

([1]) كما في "الدر المنثور" 445/6.

([2]) 1790/4 ح 4495.

([3]) "السنن الكبرى" 425/6 ح 113876 من كتاب التفسير.

([4]) "تفسير ابن جرير" 125/20.

([5]) "تفسير ابن حاتم" 3025/9.

([6]) كما في "الدر المنثور" 445/6.

([7]) 521/2.

([8]) كما في "الدر المنثور" 446/6.

([9]) "تفسير ابن أبي حاتم" 3025/9.

([10]) "المعجم الكبير" 447/11.

([11]) "الدر المنثور" 445/6.

([12]) "مسند أبي يعلى" 370/2.

([13]) "تفسير ابن جرير" 124/20.

وأخرج ابن أبي حاتم[3] عن نعيم القاري في قوله: {لرادك إلى معاد}؛ قال: "إلى البيت المقدس".

وأخرج ابن مردويه[4] عن علي بن الحسين بن واقد، قال: "كل القرآن مكي أو مدني، غير قوله: {إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد}؛ فإنها نزلت بالجُحْفَة حين خرج مهاجرا إلى المدينة، فلا هي مكية ولا مدنية".

وبعد هذا؛ فأيُّ علاقة بين رده صلى الله تعالى عليه وسلم إلى البيت المقدّس أو إلى مكة، أو لا بد أن يحييه يوم القيامة، مما ساقها له مولانا عبد السلام؟، فلم يطابق استشهاده بها شيئا من أسباب النزول.

لكن قال الخروبي في شرحه لها: "هذه آية قرآنية أتى بها لِمَا فيها من معنى الرجوع والمعاد، على منحى أهل الإشارات اللطيفة والمعاني الشريفة، مع تقريرهم للآية على ظاهرها المعروف، وفهم معناها المألوف".اهـ.

وقال الإمام العلامة المشارك أبو الطيب سيدي الحسن بن يوسف بن مهدى الزياتي في شرحها أيضا ما نصه: "تفسير الآية معروف، ويُقتبس منها هنا: البشارة بإجابة قوله: وحقيقته جامع عوالمي بتحقيق الحق الأول. على ما قدمنا من أن: المراد به معرفة يوم

([1]) "الدر المنثور" 445/6.

([2]) "تفسير ابن أبي حاتم" 3026/9.

([3]) "تفسير ابن أبي حاتم" 3026/9.

([4]) انظر "تفسير ابن كثير" 404/3 و"الدر المنثور" 447/6.

الميثاق إذ ذاك هو معاد أرواحنا، لكن لتراكم الجهل وطول الغفلة نسينا العهد القديم".اهـ نصه.

فانظر كيف سَوَّغ اقتباس هذا المعنى البعيد من الآية بالذي لم يذكره أحد من المفسرين ولا عرج عليه، والذي عرج عليه السلف في الآية هو ما ذكرناه عنهم، ومع ذلك انتزع الشيخ منها، مع أنها خطاب للجناب المحمدي، معنى رجوع الشيخ للوطن الأول الذي هو موطن عالم الأرواح. فكأنه على هذا توطينٌ لنفسه وتبشير لها بأن العناية لا بد أن ترده إلى شهوده الأصلي الذي كانت مستغرقة فيه الأرواح.

وقال العلامة ابن زكري في شرحها ما نصه: "اعلم أن المؤلف وقّع بالآية الكريمة ليشعر بالرجوع إلى الشهود بعد الموت، اختيارا للتفسير الأول، فإن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم إذا وُعد بأمر دخل أتباعُه معه على حسب مراتبهم، وذلك أن الشهود هو المقصود بالذات عند العارفين بالثواب".اهـ.

وإذا تأمل المنصف؛ يجد في ظاهر الأمر أي مناسبة بين كون الآية الكريمة نزلت مخاطبة له عليه الصلاة والسلام على حسب ما قدمنا بسبب نزولها، هل هي وعد له عليه السلام بأن يرده سبحانه إلى بيت المقدس؟، أو وعد له بأنه سَيُحْيِيه بعد الموت؟. أو وعد له بأن يرجع إلى مكة؟. وبين تعلق الشيخ بها واقتباسه المعنى الذي قصده هو منها، ولم يَعُدَّ أحدٌ ذلك منافيا لسبب النزول، ولا قالوا: إنها تحريف لما فسرها به المفسرون، سيما على كلام ابن زكري من أن الشيخ لم يخاطبه عليه الصلاة والسلام بها في الصلاة، وإنما قصد بها إشعار نفسه برجوعه إلى الشهود الحقيقي. واحتاج ابن زكري إلى أن يذكر أن أتباعه عليه السلام مندرجون معه فيما وعد به.

وقال ابن زكري عند قول صاحب الصلاة أيضا: {ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيء لنا من أمرنا رشدا} . [الكهف/ 10]، مع أنها دعاء أهل الكهف، ما نصه: "اعلم أن المؤلف وقع بالآية الشريفة ليشعِر بمفارقة الخلق وهجرانهم، والفرار منهم واطراحهم، ونبذ الأغيار كلها تعلقا بالله وإقبالا عليه، وإيواء إليه، طالبا أن تهُب عليه نفحاتُ الرحمة من ربه، ويكون أمره في ذلك رشَدا وخيرا، وأن يكون له حظ من حال أهل الكهف في الخفاء عن الأضداد وعدم اطلاع الأغيار، لأن ذلك اعتناء من الله تعالى بهم وإعزاز لهم".

"قال في "لطائف المنن"[1]: فأولياء الله أهل كهف الإيواء، فقليل من يعرفهم. وقال أبو يزيد: أولياء الله عرائس، ولا يرى العرائس إلا من كان مَحرَما لهم، وأما غيرهم؛ فلا، وهم مُخَدَّرُون عنده في حجاب الأُنس، لا يراهم أحد في الدنيا ولا في الآخرة".اهـ المقصود منه.

فانظر - أيضا - كيف انتزع مولانا عبد السلام هذا المعنى من هذه الآية، مع أنها دعاء أهل الكهف في فرارهم من الملك الجبار ذلك الوقت.

[اقتباس الإمام ابن عطاء الله رضي الله عنه في حكمه]:

قلت: وانتزاعات الصوفية - رضي الله تعالى عنهم - من القرآن أمثالَ هذا المعنى كثيرة جدا؛ وهذه "الحكم العطائية" مملوءة بذلك، وقد شرحها نحو الخمسمائة من الناس، وما تعقّب تلك الانتزاعات أحد، عِلما منهم أن بحر القرآن واسع، يغترف منه

([1]) ص 68.

الأولون والآخرون، ولا يزال بكرا لم يُفتَضّ له ختام حتى يوم القيامة، فيجده الخلائق لا زال لم يفتض.

وأقرب الشارحين مَن سَلَّم استدلال صاحب الحكم بهذه الآيات: العارف ابنُ عباد، والطرابلسي، وشيخ أبي سالم العياشي السيدُ القشاني، والعلامة ابن زكري في شرحه، والشيخ الطيب بن كيران، والشرقاوي...فكلهم سلموا الاستدلال بتلك الآيات. فهلا وَسِع البُوعَزّاوي ما وسعهم؟. {ستكتب شهادتهم ويسئلون}. [الزخرف/ 19].

والآيات المذكورة في "الحِكم العطائية" على منحى أهل إشارات الآيات، ولم يفسرها بالمعنى الذي ذكرها صاحب "الحكم" أحد من المفسرين أصلا:

1- الحكمة الأولى؛ قوله: "ما أرادت همة سالك أن تقف عند ما كُشف لها؛ إلا ونادته هواتف الحقيقة الذي تطلب أمامك، ولا تبرجت ظواهر المُكوَّنات إلا ونادته حقائقُها: {إنما نحن فتنة فلا تكفر}. [البقرة/ 102]". مع أن هذه الآية جاءت في هاروت وماروت اللذان كانا يعلمان الناس السحر[1]. فانتزعها صاحب "الحكم" لمن يفتتن بالأكوان عن المُكوِّن، وأين سبب نزولها مما وقعها فيه لولا مراعاة التأويل؟.

2- الحكمة الثانية؛ قوله: "{لينفق ذو سعة من سعته - الواصلون إليه - ومن قُدر عليه رزقه}. [الطلاق/ 7]: السائرون إليه".

3- الحكمة الثالثة؛ قوله: "اهتدى الراحلون إليه بأنوار التوجه، والواصلون لهم أنوار المواجهة، فالأولون للأنوار وهؤلاء الأنوار لهم؛ لأنهم لله لا لشيء دونه: {قل الله

(1) انظر "الدر المنثور" 235/1.

ثم ذرهم في خوض يلعبون}. [الأنعام/ 91]". أين ما انتزع الآية لأجله مع سبب نزولها؟.

4- الحكمة الرابعة: "العجب كل العجب ممن يهرب مما لا محيد له عنه، ويطلب ما لا بقاء له معه؛ {فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور}. [الحج/ 46]".

5- الحكمة الخامسة؛ قوله: "لا ترحل من كون إلى كون فتكون كحمار الرحى، يسير والذي ارتحل إليه هو الذي ارتحل منه، ولكن ارحل من الأكوان إلى المكوِّن؛ {وأن إلى ربك المنتهى}. [النجم/ 42]". مع أن الآية نزلت في: أن إليه المرجع والمصير في الآخرة، بدليل ما قبلها: {وأن ليس للانسن إلا ما سعى}. [النجم/ 39]، فوقع بها المصنف على المعنى الذي أشار إليه من الرحلة من كون إلى كون.

6- الحكمة السادسة؛ قوله: "لا تُفرِحك الطاعات[1] لأنها برزت منك، وافرح بها لأنها برزت من الله إليك: {قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون}. [يونس/ 58]". فلم تزل هذه الآية فيمن يفرح بكون الطاعات برزت له من الرب سبحانه، ولا يفرح بها لأنها برزت منه، ومع ذلك وقعها هنا.

7- الحكمة السابعة؛ قوله: "خَفْ من وجود إحسانه إليك ودوام إساءتك معه أن يكون ذلك استدراجا لك: {سنستدرجهم من حيث لايعلمون}. [الأعراف/ 182]". قال الشيخ الطيب في شرحه: "والآية نزلت في الكفار، بدليل: {والذين كذبوا بآياتنا}.

([1]) في ط الطاعة.

[الأعراف/ 182]، لكن الآية تجر ذيلها على غفلة المؤمنين".اهـ كلام الشيخ الطيب في الشرح.

ومع ذلك كل من شرح "الحكم" منذ سبعمائة سنة لم يعترض الاستدلالَ بهذه الآيات، مع مباينة الاستدلال بها لأسباب النزول، ومع ذلك لما لم تخرج عن القواعد لم يكن بذلك من بأس.

8- الحكمة الثامنة؛ قوله: "قوم أقامهم الحق لخدمته، وقوم اختصهم لمحبته: {كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا}. [الإسراء/ 20]". والآية وردت في بيان اشتراك أهل السعادة والشقاوة في إجراء الأرزاق الحسية الدنيوية، كما دل عليه قوله: {من كان يريد العاجلة}. [الإسراء/ 20]...الخ، والمصنف[1] قطع النظر عن السوابق واللواحق، ونزّلها على مقصوده.

9- الحكمة التاسعة؛ قوله: "ربما أفادك في ليل القبض ما لم تستفده في إشراق نهار البسط: {آباؤكم وأبناؤكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا}. [النساء/ 11]".

10- الحكمة العاشرة؛ قوله: "الحقائق تَرِدُ في حال التجلي مجملة، وبعد الوعي يكون البيان: {فإذا قرأناه فاتبع قرآنه. ثم إن علينا بيانه}. [القيامة/ 18]". قال الشيخ الطيب: "اقتبس هذه الآية للتنظير بأصل معناها"...الخ ما قرر فيها.

11- الحكمة الحادية عشرة؛ قوله: "متى وردت الواردات إليك هُدمت العوائد عليك: {إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها}. [النمل/ 34]". قال سيدي الطيب: "اقتبس الآية تنظيرا بمعناها الأصلي لما هو بصدده".

([1]) في ط: "والمص" على طريقة اختصار بعض الكلمات كما في كتابات المتأخرين.

12 – الحكمة الثانية عشرة: "الوارد يأتي من حضرة قهار، لأجل ذلك لا يصادم شيئا إلا دمغه: {بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق}. [الأنبياء/ 18]". فأي مناسبة – أيضا – بين ما نزلت الآية فيه وما ساقها له؟. ولكن مراعاة الاقتباس والتأويل سوَّغ ذلك!.

فهذه آيات ذكرها صاحب "الحكم العطائية" هي كأحد عشر كوكبا والشمس والقمر، وكلها لم تنزل من السماء على المعنى الذي قصدها له، ولم يفسرها بذلك مفسر، وسوغ له ذلك مراعاة الاقتباس والتأويل الذي ضل عن مراعاته مثيرُ الفتن الذي أراح بتلبيسه شياطين الجن.

مع أن الذي ذكرناه هنا مما تُحمَل عليه آية: {بل حتى إذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده}؛ كلَّه واضح لا غبار عليه أصلا، ولا ينافي القواعد. بل اعتراضه وإلغاؤه القواعد العلمية العملية التي خرّجنا عليها لفظ الآية الكريمة هو الذي تنافيه القواعد ولا تقتضيه؛ لأن فيه الخدشَ في جميع من ارتكب هذا الصنع، وهم الذين سوّغوا الاقتباس، وأقرب من يعترض عليه: صاحب "الحكم العطائية"؛ حيث ملأ الحكم من آيات انتزعها لمعان لم تُذكر في تفسير متقدم ولا متأخر.

وكان ينبغي لهذا المعترض أن يستحضر هذا كلَّه؛ لما أنه قال: "يغترف من بحر الشريعة والحقيقة". فهلا اعترضوا على جميع من ذكر هذه الآيات وأمثالها من أفاضل الأمة سلفا وخلفا، أو أجابوا عنا بمثل ما أجابوا عنهم؛ لما أن المؤمنين يد واحدة؟. ولكن: {ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله}. [فاطر/ 44].

[أقوال المفسرين في آية: {بل حتى إذا جاءه...}]:

وأما هذه الآية الكريمة هنا؛ وهي آية: {بل حتى إذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده}؛ فاقتبست إلى المقام الذي صرح به العلامة ابن زكري في متن همزيته، وهو قوله:

في مبايعـــــة جُعلـــــــــــتمُ مجـــــلى | فلأهـــــل الشـــــهود منـــــك اللقـــــاء
جمـعُ جمْـعٍ أفـاضَ عنـك لِـذي القـر | ب؛ فمنـــــــــــــــك والأنـــــــــواء

قال في الشرح: "والجمع عند أرباب الطريق؛ هو: الفناء في الله تعالى بشهوده دون الأغيار، وجمع الجمع؛ هو: البقاء بالله. وهو: أن يكون الجمع في باطنه مشهودا، والفرق على ظاهره موجودا، فصاحبه عند الله سبحانه وإن كان في الدنيا. قال الحسين بن منصور: لم يُظهر الحق تعالى مقام الجمع على أحد بالتصريح إلا على أخص نسمه وأشرفه؛ فقال: {إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله}. [الفتح/ 10]. وقال القشيري: أي عقدُك عليهم هو عقد الله. ثم قال: وفي هذه الآية تصريح بعين الجمع كما قال: {وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى}. [الأنفال/ 17]. وقال الورتجبي: فجعل نبيّه مرآةً لظهور ذاته وصفاته".اهـ كلام ابن زكري بلفظه.

قال صاحب "روح البيان"[1] عند قوله سبحانه: {إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم}؛ ما نصه: "قال أهل الحقيقة: هذه كقوله تعالى: {من يطع الرسول فقد أطاع الله}. [النساء/ 80]، فالنبي – عليه السلام – قد فنى عن وجوده بالكلية،

(1) 210/7

وتحقق بالله في ذاته وصفاته وأفعاله، فكل ما صدر عنه صدر عن الله؛ فمبايعته مبايعة الله كما أن إطاعته إطاعة الله".

"ولهذا السر يقول يوم القيامة: أمتي أمتي. دون: نفسي نفسي(1). لأنه لم يبق فيه بقية الوجود أصلا، وفيه أسوة حسنة للكُمَّل من أفراد أمته. فاعرف جيدا!"...ثم ذكر كلاما غامضا ما أنسبه بهذا الموضع.

ثم قال:..."والحاصل؛ إن الله تعالى جعل نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم مَظهرا لكمالاته، ومرآة لتجلياته، ولذا قال عليه السلام: من رآني فقد رآى الحق(2). ولما فنى – عليه السلام – عن ذاته وصفاته وأفعاله؛ كان نائبا عن الحق".

قال صاحب "روح البيان"(3): "قال الواسطي: أخبر الله بهذه الآية أن البشرية في نبيه عارية، وإضافة لا حقيقة".اهـ.

وقال العارف في "حواشي الجلالين" عند قوله: {إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله}، ما نصه: "قال القشيري: أي: عقده عليهم هو عقد الله. ثم قال: وفي هذه الآية تصريح بعين الجمع كما قال: {ومارميت إذ رميت ولكن الله رمى}".اهـ.

ومثله للثعلبي؛ ونصه: "إن أخذك للبيعة عليهم عقدُ الله عليهم".اهـ، وهو نص الواحدي أيضا.

---

(1) أخرجه في حديث الشفاعة الطويل البخاري في "صحيحه" 2727/6 ح 7072 ومسلم في" صحيحه" 183/1 ح 193 عن أنس بن مالك.

(2) أخرجه البخاري 2568/6 ح 6595 ومسلم 1776/4 ح 2267 عن أبي قتادة.

(3) 210/7

وقال ابن جزي[1]: "هذا تشريف للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم حيث كانت مبايعته بمنزلة مبايعة الله، ثم أكد هذا المعنى بقوله: {يد الله فوق أيديهم}، وذلك على وجه التخييل والتمثيل، يريد أن: يد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم التي تعلو أيدي المبايعين له في المعنى، وإن لم تكن كذلك في الحقيقة. وإنما المراد: أن عقد ميثاق البيعة مع الرسول كعقده مع الله، كقوله: {من يطع الرسول فقد أطاع الله}. وتأول المتأولون ذلك بأن يد الله معناها: النعمة والقوة. وهو بعيد هنا".اهـ.

قال العارف في "حواشي التفسير": "فسلك في تفسير الآية معنى المجاز ذي المشابهة، وهو: الاستعارة. وهو خلاف ما أشار إليه القشيري من الجمع المنبّه عليه في حديث: فإذا أحببتُه كنت سمعه ويده وسائر قواه[2]. الذي هو سر الخلافة والبقاء بالله".اهـ كلام العارف. فجعل ابنُ جزي الآية الكريمة استعارةً تمثيلية، ونحوه في "الكشاف"[3].

قال في "المفتاح"[4]: "أما حُسن الاستعارة التخييلية؛ فبحسب الاستعارة بالكناية، حتى كانت تابعة لها، كما في قولك: فلان بين أنياب المنية ومخالبها. ثم إذا انضم إليها المُشاكلة كما في: {يد الله فوق أيديهم}؛ كانت أحسن وأحسن. يعني: أن في اسم الله تعالى استعارة بالكناية، واليد استعارة تخييلية، مع أن فيها – أيضا – مشاكلةً لذكرها مع أيدي

---

(1) "تفسير ابن جزي" 53/3.

(2) يعني به الحديث المشهور: "من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب. . ."الخ. الذي أخرجه البخاري في "صحيحه" 2384/5 ح 6137 عن أبي هريرة.

(3) 543/3.

(4) يعني: "مفتاح الشفا" لسيوطي عصره، الإمام عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي، ، عارض به شفاء القاضي عياض رحمهما الله تعالى. انظر ترجكته في "سلوة الأنفاس"، و"نشر المثاني"، و"صفوة ما انتشر"، و"فهرس الفهارس"، و"زهر الآس" . . .وغيرها.

الناس، وامتناع الاستعارة في اسم الله تعالى إنما هو في الاستعارة التصريحية دون المكنية؛ لأنه لا يلزم إطلاق اسمه تعالى على غيره سبحانه".اهـ.

فليت شعري؛ أي معتبة وأي ملام على من[1] قال: إن الحقيقة المحمدية إذا جاءها الجائي وجدها غائبة في أنوار ربها، متلاش وجودُها في وجود الحق سبحانه، واقتبسَ هذا من قوله: {بل حتى إذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده}، فكأن "بل" هنا للعطف، كما تقدم عن "القاموس" في جملة معانيها. ولم يزل العارفون ينطقون بما هو أعظم من هذا وأغرب وأغمض.

قال الإمام القدوة، الجامع بين العلمين؛ ابن عباد، في "شرح الحكم"[2]، عند قوله: "الكون كله ظلمة، وإنما أناره ظهور الحق فيه، فمن رأى الكون ولم يشهده فيه أو عنده أو قبله أو معه أو بعده؛ فقد أعوزه وجود الأنوار، وحُجبت عنه شموس المعارف بسُحب الآثار. مما يدلك على وجود قهره سبحانه: أن حجبك عنه بما ليس بموجود معه". ما نصه: "سئل أبو سعيد ابن الأعرابي عن الفناء؛ فقال: الفناء: أن تبدو العظمة والجلال على العبد فتنسيه الدنيا والآخرة، والأحوال والمقامات والدرجات. والأذكارُ تفنيه عن كل شيء، وعن عقله وعن نفسه وفَنائه عن الأشياء، وعن فنائه عن الفناء؛ لأنه يغرق في التعظيم عقلُه".اهـ.

وقال – أيضا – ثمة: "قال بعض العارفين: أَبَى المحققون أن يشهدوا غير الله؛ لما حققهم به من شهود القيّومية وإحاطة الديمومية. وقال سيدي أبو الحسن الشاذلي: إننا

([1]) في ط: ما.

([2]) ص 20.

لننظر إلى الله تعالى ببصر الإيمان والإيقان؛ فأغنانا ذلك عن الدليل والبرهان، ونستدل به على الخلق؛ هل في الوجود شيء سوى الواحد الحق؛ فلا نراهم، وإن كان ولا بد؛ فنراهم كالهباء في الهواء: إن فتشتهم لم تجدهم شيئا. وقال أيضا: قَوِيَ عليَّ الشهودُ يوما، فسألته أن يستر ذلك عني، فقيل لي: لو سألته بما سأله موسى كليمُه، وعيسى روحُه، ومحمد صفيُّه صلى الله تعالى عليهم؛ لم يفعل، ولكن سَلْه أن يقويك. فسألته؛ فقواني".

"قال العارف بالله: قال في "التنوير": فما سوى الله تعالى عند أهل المعرفة لا يوصف بوجود ولا فقد، إذ لا يوجد معه غيره؛ لثبوت أحديته. ولا فقد لغيره؛ لأنه لا يُفقد إلا ما وُجد، ولو انتُهك حجاب الوهم؛ لوقع العيان على فقد الأعيان، ولأشرق نور الإيقان فغطى وجود الأكوان. وقال بعضهم: لو كُلفت أن أرى غير الله؛ لم أستطع، فإنه لا غير معه حتى أشهده معه!. وأنشدوا:

مُـــذ عرفـــتُ الإلـــه لم أر غـــيرا ... وكـــذا الغـــير عنـــدنا ممنـــوع

وأنشدوا:

فالعـــارفون فنـــوا ولمـــا يشـــهدوا ... شـــيئا ســـوى المتكـــبر المتعـــال
ورأوا ســـواه عـــلى الحقيقـــة هالكـــا ... في الحـــال والمـــاضي والاســـتقبال

قال سيدي ابن عباد: "وقال سيدي محي الدين: من شهد الخلق لا فعل لهم؛ فقد فاز!، ومن شهدهم لا حياة لهم؛ فقد حاز!!، ومن شهدهم عينَ العدم؛ فقد وصل!!!. وأنشدوا:

مـــن أبصرـــ الخلـــق كالسرـــاب ... فقـــد ترقّـــى عـــن الحجـــاب

إلى وجـــــود يـــــراه رتقـــــا	بـــــلا ابتعـــــاد ولا اقـــــتراب
ولم يشـــــاهد بـــــه ســـــواه	هنـــــاك يُهـــــدى إلى الصـــــواب
فـــــلا خطـــــابٌ بـــــه إليـــــه	ولا مشـــــيرٌ إلى الخطـــــاب"

اهـ كلام العارف ابن عباد.

الخاتمة

وحيث وصل بنا جواد القلم[1] إلى هنا؛ فلنذكر ههنا لؤلؤات؛ وهي الخواتم:

(1) قال الإمام المؤلف رحمه الله في "الرقائق الغزلية": "والمراد من الجمل: بل حتى إذا جاءه صلى الله عليه وآله وسلم الجائي بعقله وروحه وقواه، لم يجده شيئًا أي موجودا، وذلك لأن الشيء عندهم من خواص الموجود. وعليه فلم يجده موجودا لولا وجود الحق المفيض أمطار التوجيهات الإرادية، فبها قام الوجود، وهي عين الذات، ووجد الله عنده هو الموجد للوجود، أي حتى إذا جاءه صلى الله عليه وآله وسلم الذي هو كل الوجود وإنسان الوجود، لم يجده موجودا إلا بالوجود الحقي عنده". اهـ.

اللؤلؤة الأولى: من يوم كَوَّنَ الله الإسلام والناس يقولون هذا الفن:

قال سيد هذه الأمة أبو بكر الصديق: "ما رأيت شيئا إلا رأيت الله قبله". فيصدُق بكل مَن يُطلق عليه "شيء" أنه لا يراه حتى يرى الله قبله؛ إذ هو – سبحانه – الذي له القدم والأزلية والأولية المطلقة، وما سواه كلُّه: {أتى عليه حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا}. [الإنسان/ 1].

وقال سيدنا عمر: "ما رأيت شيئا إلا رأيت الله بعده".

وقال سيدنا عثمان: "مارأيت شيئا إلا رأيت الله معه".

وقال سيدنا علي: "مارأيت شيئا إلا رأيت الله فيه".

فِلأيِّ شيء لم يُقل لهؤلاء الأعيان: إنكم أبقيتم عيون الأشياء ثم أثبتم ما شاهدتم فيها؟. وخصوصا قول سيدنا علي: "ما رأيت شيئا إلا رأيت الله فيه". يصدق "الشيء" هنا حتى بالجانب المحمدي؛ إذ هو أعظم مَظهر الحق في ملكه.

ولكن هذا المعترض وقف مع ظواهر الأمور، وألغى اصطلاح القوم وخوْضهم من أول هذه الدولة الإسلامية إلى الآن، وما ألفوا ووَضّحوا وملأوا به الآلاف من المجلدات، وقطعَ النظر عن هذا النوع كأنه لم يُسمع إلا منا، فهَوَّل ولَبَّس وخَوَّص، وأثار

وقال أيضا نجل الإمام المؤلف العلامة محمد الباقر الكتاني في "الفتوحات القيومية" ص 18: "حتى إذا جاءه الجائي المكتحل بإثمد النور القدسي المتقرب بالنوافل تقربا، نشأت عنه محبة ربه له من جهة ما أنزله فيه جل جلاله من المنزلة والمكانة، "لم يجده شيئًا" كالأشياء، بل وجده كالياقوت بين الأحجار، حجرا وليس بحجر بشرا وليس كالبشر، بل وجده أعظم مظهر من مظاهر الحق سبحانه لقيامه بالسر الرباني"... الخ كلامه.

ما آثاره، وأوهم أنه ذابٌّ عن الشريعة، وهو قد هدمها، أين جاء في الشريعة تكفير أهل القبلة؟[1].

اللؤلؤة الثانية: [التكفير صعب للغاية]:

كيف ينسب مسلم لنا أننا ننفي وجوده عليه الصلاة والسلام، إلا شخص حريص على تطلب العورات، غائب عن وقوفه بين يدي قهار الأرضين والسماوات، مصطلم[2] تحت ما أقامه مولاه فيه من الهوى الفاتك، والإرجاف الهالك، وغمص الحقوق وبطر الحق.

قال المجّاصي في "فتاويه" بعد كلام: "وقد وقفتُ على كلام جيد نقله السيد عبد الوهاب الشعراني عن الأطرعي؛ قال: سألت شيخنا شيخ الإسلام تقي الدين السبكي عن تكفير أهل الأهواء والبدع، فقال: إن ذلك لعظيم، لِتَوَقُّف ذلك على أمرين عزيزين:

- تحرير المعتقَد. وهو صعب من جهة الاطلاع على ما في القلب وتخليصه. والإنسان يعسر عليه تحرير اعتقاده في نفسه فضلا عن غيره.

(1) قلت: وهذه آفة الآفات التي ابتُليت بها الأمة في هذا العصر، وكانت سبب ضعفها وذلتها بين الأمم، وتقهقرها وقلة غيرة أهلها بعضهم على بعض، والاستكانة إلى أعدائهم ضد إخوانهم، والشيطان يريهم ذلك قربة وطاعة ودفاعا عن الدين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

(2) قال في "لسان العرب" 340/12: "واصطُلِم القوم أبيدوا، والاصطلام إذا أبيد قوم من أصلهم قيل اصطلموا. . .الاصطلام افتعال من الصلم القطع". والاصطلام عمد الصوفية: الفناء في الشهود، بحيث يغيب المرء عن كل ما حوله، فانيا في الحق تعالى.

- الثاني: أن ذلك – أيضا – من العويصات؛ لصعوبة العلوم التي يحكم بها، كعلم الكلام.

ثم إن ذلك – أيضا – إما أن يكون في حق شخص معين؛ فشرطه مع ذلك: اعتراف الشخص. وهيهات يحصل نيلها؛ لأنها تحتاج في الفهم إلى ما قدمناه من الأمرين. وإما أن يكون ذلك في حق طائفة؛ فلا يُقبل ذلك إلا من حيث العلم الإجمالي. وإما على ناس بأعيانهم؛ فلا سبيل إلى ذلك إلا بإقرار جميعهم، ولا يكفي في ذلك أن يقال: هذا من تلك الطائفة. لصعوبة تحرير ما قدمناه. والغالب على أهل الفرق الزائغة: أنهم عوام لا يعرفون حقيقة الاعتقاد، وإنما يحبون مذهبا ينتمون إليه من غير إحاطة بكنهه، فلو حكمنا بتكفيرهم؛ لجر ذلك إلى فساد عظيم!".

ثم قال: "التكفير صعب بكل حال؛ فالأولى: الإعراض عن عوام أهل الأهواء والبدع، وإن وجدنا أحدا منهم يقبل الهُدى هديناه، وَكَلْنا أَمْر من لم يقبل طريق أهل السنة والجماعة إلى خالقه العالم بسريرته، فيجازيه يوم بعثه".اهـ.

هذا في أهل الأهواء والبدع، وأما أهل العلم والمعرفة؛ فكيف يختلج في وهم مُتدين قول[1] هذا أو تسليمه لمن يقوله؟!. وحسبنا الله ونعم الوكيل.

قال المجاصي: "ومنه قال شيخ الإسلام المخزومي: وقد أفتيتُ مرة بقتل يهودي انقتص من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، فعاتبني على ذلك الشيخ جلال الدين

(1) في ط قبل.

البُلقيني، ولدُ شيخنا الشيخ سراج الدين، وقال: هلا كنت بعثت به إلى المالكية[1] وأَرَحت نفسك من تبعته في الآخرة؟".

قال: "وقد أفتى شيخنا شيخ الإسلام الزُّهري بقتل رجل سبَّ أمَّنا عائشة رضي الله تعالى عنها، ونهاه فلم يرجع، فلما خرجوا به يَجُرُّونه إلى القتل؛ صار يقول بأعلى صوته: يا زهري؛ تقتلون رجلا يقول: ربي الله ومحمد نبيه؟!. قال المخزومي: فكان الزهري لا يزال يتذكر قوله ويبكي، ويقول: إني أخاف أن يؤاخذني الله تعالى به يوم القيامة!".اهـ نص المجاصي.

قلت: ولما نقله في "اليواقيت"[2]؛ عقّبه بقوله: "هذا الخوف في حق من سب من صرّح القرآن ببراءتها، فكيف يتجرأ على الإفتاء بقتل أحد من أولياء الله تعالى بعبارة لم يفهمها على وجهها لغلظ حجابه؟".اهـ.

(1) قال ابن عبد البر في "التمهيد" 167/6: "عن أنس قال: دخل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مكة ثم قال: من رأى منكم ابن خطل فليقتله. وزعم بعض أصحابنا المتأخرين أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إنما قتل ابن خطل لأنه كان يسبه صلى الله عليه وآله وسلم. .ولو كانت العلة في قتله ما ذكره هذا القائل ما ترك منهم من كان يسبه، وما أظن أحدا منهم امتنع في حين كفره ومحاربته له من سبه. وجعل القائل هذا حجة لقتل الذمي إذا سب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهذا لا يجوز عند أحد علمته من العلماء أن يقيس الذمي على الحربي. لأن ابن خطل في دار حرب كان ولا ذمة له. . .ثم قال ابن عبد البر: . .وقد اختلف الفقهاء في الذي يسب رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقال مالك: من شتم النبي صلى الله عليه وسلم من أهل الذمة قتل إلا أن يسلم. وقال أبو حنيفة وأصحابه والثوري: يُعَزَّر ولا يُقتل. وقال الليث: يقتل مكانه. وقال الشافعي: يؤخذ على من صولح من الكفار".

قلت: إنما أنكر الجلال البلقيني (820هـ) على جمال الدين المخزومي (817 هـ) إفتاءه بقتل اليهودي، لأنهما شافعيان، ومذهب الشافعي في ذلك: ألا يقتل، بل يؤخذ على من صولح من الكفار كما ذكر ابن عبد البر وغيره، فكان يرجو البلقيني لو ترك هذا على مذهب المالكية إبراء للذمة، وكذلك أدب العالم وأمانته.

(2) ص 26.

قال البيضاوي عند قول الله العظيم: {ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلم لست مؤمنا تبتغون عرض الدنيا}. [النساء/ 94]، ثم قال سبحانه: {فتبينوا}. [النساء/ 94]؛ قال[1]: "فإن إبقاء ألف كافر أهون عند الله تعالى من قتل امرئ مسلم".اهـ.

اللؤلؤة الثالثة: [حكم تكفير أهل الأهواء والبدع]:

ومن أسئلة الأذرعي التي قدمها للشيخ تقي الدين: "ما يقول سيدنا ومولانا في تكفير أهل الأهواء والبدع؟".

فكتب له: "يا أخي؛ وفقني الله سبحانه وإياك: إن الإقدام على تكفير المؤمنين عسير[2] جدا، وكل من في قلبه إيمان يستعظم القول بتكفير أهل البدع مع قولهم: لا إله إلا الله محمد رسول الله. فإن التكفير أمرٌ هائل عظيم الخطْر، ومن كفّر إنسانا؛ فكأنه أخبر عن ذلك الإنسان بأن عاقبته في الآخرة العقوبة الدائمة أبدا الآبدين، وأنه في الدنيا مباحُ الدم والمال، لا يُمَكَّنُ من نكاح مسلمة، ولا تجري عليه أحكام أهل الإسلام في حياته، ولا بعد مماته. والخطأ في قتل مسلم أرجح في الإثم من ترك ألف كافر".

"ثم إن تلك المسائل التي يُحكم فيها بالتكفير لهؤلاء المتبدعة في غاية الدقة والغموض؛ لكثرة شعبها، ودقة مداركها، واختلاف قرائنها، وتفاوت دواعي أهلها، ويحتاج من يحيط بالحق فيها إلى الاستقصاء في معرفة الخطإ بسائر صنوف وجوهه،

(1) "تفسير البيضاوي" 237/2.

(2) في ط عسر.

والاطلاع على حقائق التأويل وشرائطه في الأماكن، ومعرفة الألفاظ المحتملة للتأويل[1] وغير المحتملة، وذلك يستدعي معرفة جميع طرق أهل اللسان من سائر قبائل العرب في حقائقها ومجازاتها واستعاراتها، ومعرفة دقائق الأمور في التوحيد...إلى غير ذلك مما هو متعذر جدا على غالب العلماء فضلا عن غيرهم".

وأطال في ذلك، ثم قال: "فعُلم أن: القول بتكفير أهل الأهواء والبدع يحتاج إلى أمرين عزيزين:

- أحدهما: تحرير المعتقد. وهو صعب من جهة عدم الاطلاع على ما في القلب، وتخليصه مما يشوبه، مع تعذر أن الشخص ينطق عند حاكم بها يُعرف أن به يكون قتله، هذا أمر أعز من الكبريت الأحمر. وكذلك البينة على ما في قلب الشخص يتعذر إقامتها.

- الثاني: أن الحكم بأن ذلك كفر؛ صعب من جهة صعوبة علم الكلام ومواطن الاستنباط، وتمييز الحق فيه من غيره. وإنما يحصل ذلك لرجل جمع صحة الذهن ورياضة النفس، حتى خرج عن الهواء[2] والتعصب بالكلية، مع امتلائه من علوم الشريعة، والاطلاع على أسرارها ومَنازع الأئمة المجتهدين فيها. وهذا أقل من أن يوجد الآن عند شخص. وإذا كان الإنسان يعجز عن تحرير اعتقاد نفسه في عبارة؛ فكيف يقدر على تحرير اعتقاد غيره في عبارة؟.

---

(1) وقع في ط تقديم وتأخير لهذه العبارة غيَّر معناها.

(2) هكذا في ج وط ولعله الهوى أو الأهواء.

فالأدب من كل مؤمن أن لا يكفر أحدا من أهل الأهواء والبدع، لا سيما وغالب أهل الأهواء إنما هم عوام مقلدون بعضهم بعضا، لا يعرفون دليلا يناقض اعتقادهم"...الخ. قال في "اليواقيت": "وهو كلام في غاية الجودة والنفاسة".

اللؤلؤة الرابعة: [حال الذي يكفر الطائفة أشادها الله]:

من هاهنا يُعلم أن كل من له أدنى مسكة من التمييز، ما حال بغيض أهل البيت في تكفير الجم الغفير من أهل الإسلام والإيمان والإحسان، وتصميمه على ذلك.

ولعَمري؛ بأي وجه تلقى نبيَّك غدا يوم ينادي المنادي ويؤذن المؤذن بينهم؟.

وهل أحطت بسائر وجوه الخطأ وصنوفه، واطلعت على حقائق التأويل وشرائطه في الإمكان، ومعرفة الألفاظ المحتملة للتأويل وغير المحتملة؟.

وهل عرفت جميع طرق أهل اللسان من سائر قبائل العرب في حقائقها ومجازاتها واستعاراتها؟.

وهل عرفت دقائق الأمور في علم التوحيد؟.

وهل عرفت مواطن الاستنباط وتمييز الحق فيه من غيره، حتى يمكنك التهجم على الأسوار التي تسورتها والاستشراف للموارد التي وردتها؟.

وهل عندك بيِّنة ظاهرة على ما في معتقد الناس؟. كلا؛ {لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله}. [النمل/ 65].

وإذا كان التكفير موقوفا على هذا؛ فمِن أين لك به؟، وما هذا الجزاف الذي صدر في الكلام؟. فلقد أعظمت على الله – سبحانه – الفرية في تقويل الشيطان لك أن: من قرأ "الأنموذجية" كذا، ولا يموت إلا على كذا، ويحضره كذا عند النزع... الخ ما ألقاه إليكم الشيطان لتجادلوا به، بعد أن بينا معناها بنصوص التفسير والحديث والسير والمعاني والبيان والحقائق. فإن كان الأمر كما قلت؛ فهو تكفير منك لأفاضل علماء الإسلام الذين نقلنا عنهم تبيان مكنون المغلقات، وشرحنا ببيانهم خبيئة المغفلات.

اللؤلؤة الخامسة: [من فضائل قراءة الصلاة الأنموذجية]:

كنت تخاطبني فيما سوَّدتَ، مع أني لست المخاطِبَ لك أولا، وكل ما في ذلك التأليف ليس لي منه بنتُ شفة.

وأما الآن؛ فاسمع لما أقول: والذي لا يُحلف بغيره، ومن عنت وجوه الأنبياء والرسل لجلال هيبته، وخرّت خضعانا أنوارُ ملائكة الملكوت لقهر عزيز سطوته: **إن قاريء الأنموذجية له مكانة عند مولانا رسول الله لا تُنال بسبب إلا بسببها، وله من النظرات المحمدية كل يوم – لأجل إدمانه قراءتها – ما لا يُنال بجد ولا تشمير.**

حتـــى رأيتــك تجتبـــي وتخـــص مـــن تختـــــاره بلطـــــائف الأمنـــــاح

ويحضره مولانا رسول الله عند موته، ويسقيه كأسا خاصا من كؤوس التخصيص والتشريف الإلهي الاجتبائي ما تنحلُّ حبوتك عند رؤية أثره يوم التغابن، ولم يزل بين كل مُقبل على الله تعالى وبين نبيه سر خاص لا يطلع عليه غيره.

فإنكارك للتخصيصات الإلهية لمن شاء الله من خلقه؛ إنكار يُنبي عن تحجيرك للربوبية، وتقفصك في قفص التقليد الرديء، وليس الأمر بأمانيّك. وليس الأمر بأمانيّك. وليس الأمر بأمانيّك!.

ولقد أنبأتَ الناس على ما حصلتَ مدة خفائك، فإن تلك الاعتكافات أنتجت لك تكفير أعيان الملة الإسلامية، وهو يؤذن أن العكوفات على غير نظر الشارع بدليل ما أنتجت. وحاشى تربية الشريعة أن تنتج هذا الخبال وهذا الهبل وهذا التخليط الذي أنتجه التقسيط. {والله من ورائهم محيط}. [البروج/ 20].

والخلوة تنتج لأربابها آلافا من الخُلع؛ أولها: التأدب مع مظاهر الرب جل أمره، وحفظ الحرمة النبوية في التأدب مع هذه النقوش الكونية المرقومة على تمثال حروف اسم سيدنا ومولانا ﷺ، ولأمر ما جاء في السنة[1] التماس المعاذر من شعب الإيمان.

وأيم الله؛ ليرضى الله جل جلاله، وتعزز مجده وتقدس سلطانه، عن هذه الطائفة الكتانية رضاء تَسقُط الأماني حسرى دونه يوم يقوم الناس لرب العالمين:

أرى العنقـــاء تكــبر أن تصـــادى فعانـــدْ مـــن تطيـــق لـــه عنـــادا

(1) لم أقف على شيء من هذا في المرفوع، والله أعلم، لكن وجدت في "شعب الإيمان" للبيهقي ما يلي:

-بسنده عن محمد بن سيرين، قال: "إذا بلغك عن أخيك شيء فالتمس له عذرا، فإن لم تجد له عذرا فقل: "له عذر". 323/6.

-وبسنده إلى جعفر بن محمد نحوه 323/6.

-وبسنده إلى حمدون القصار قال: "إذا زل أخ من إخوانكم فاطلبوا له سبعين عذرا، فإن لم يقبله قلوبكم فاعلموا أن المعيب أنفسكم حيث ظهر لمسلم سبعون عذرا فلم يقبله". 522/7. وبوب على هذا بقوله: "فصل: في ترك تتبع عورات المسلمين وفي قبول عذرهم".

وكيف تُسُلّط عليك حتى نقضتَ إجماع المسلمين فيما كتبت مرات؟، ومنها أنه: لا يكفر أحد بذنب من أهل القبلة، وهو إجماع من جملة العقائد الدينية، فكيف بك حتى فسختَ عراه، وهدمت بناه؟. وقد قلتَ أنك تغترف من بحر الشريعة والحقيقة، وخارق الإجماع قال فيه سبحانه: {نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا}. [النساء/ 115].

قال في "الشفاء"(1): "وحكوا الإجماع على تكفير من خالف الإجماع، وذهب آخرون إلى الوقف"...الخ.

اللؤلؤة السادسة: [لا يكفر مؤمن بذنب]:

لما تكلم القاضي عياض في "الشفاء"(2) على المبتدعة قال - مع شارحه: "ومنهم: من أبى التكفير، ولم ير إخراجهم من سواد المسلمين، وهو قول أكثر الفقهاء؛ كأبي حنيفة والشافعي، والمتكلمين من الأشعرية والماتريدية، وقالوا: هم عصاة ضُلاَّل"...

ثم قال: "وإلى نحوٍ من هذا ذهب القاضي أبو بكر الباقلاني - إمام التحقيق والحق - وقال: إن مسألة التكفير من المعوصات إذا القوم لم يصرحوا باسم الكفر".

ثم قال: "وأكثر قول الإمام الأشعري: ترْكُ التكفير، وأن الكفر خصلة واحدة، وهو: الجهل بوجود الباري. ولمثل هذا ذهب أبو المعالي في "أجوبته" لأبي محمد عبد الحق، وكان سأله عن مسألة فاعتذر له بأن الغلط فيها يصعب؛ لأن إدخال كافر في الملة الإسلامية أو

---

(1) 176/2.

(2) 177/2.

إخراج مسلم منها عظيم في الدين، ولعله لأجل هذا قال مولانا رسول الله: أجرؤكم على الفتيا أجرؤكم على النار[1]".

"وقال غيرهما – أي: الأشعري وأبي[2] المعالي – من المحققين: الذي يجب هو الاحتراز من التكفير في أهل التأويل؛ فإن استباحة دماء الموحدين خطر، والخطأ في ترك ألف كافر أهون من الخطإ في سفك محجمة من مسلم واحد".

قال المُلا علي في "شرح الشفاء"[3]: "قال علماؤنا: إذا وُجد تسعةٌ وتسعون وجها تشير إلى تكفير مسلم، ووجهٌ واحد إلى إبقائه على إسلامه؛ ينبغي للمفتي والقاضي أن يعملا بذلك الوجه. وهو مستفاد من قوله عليه السلام: ادرأوا الحدود عن المسلمين ما استطعتم، فإن وجدتم للمسلم مخرجا؛ فخلوا سبيله، فإن الإمام لأن يخطأ في العفو خير له من أن يخطأ في العقوبة. رواه الترمذي[4] وغيره، والحاكم[5] وصححه".

وقال عليه الصلاة والسلام فيما رواه الشيخان[6]: "فإذا قالوها – أي: الشهادة – عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها – أي: بحق الإسلام – وحسابهم على الله".

قال ابن سلطان: "وورد: ما أمرت أن أشق عن قلوب الناس[1]".

---

(1) رواه الدارمي في "سننه" 69/1 ح 157 عن عبيد الله بن جعفر مرسلا.

(2) هكذا في ج وط.

(3) 50/2

(4) "سنن الترمذي" 33/4 ح 1424.

(5) "المستدرك" 426/4، ورواه أيضا البيهقي في "السنن الكبرى" 123/9.

(6) "صحيح البخاري" 17/1 ح 25 و"صحيح مسلم" 53/1 ح 22 ، ورواه مسلم عن جابر أيضا 52/1 ح 21.

وصح[2] أنه قال لأسامة: "هل شققت عن قلبه؟".

قال في "الشفاء"[3]: "فالعصمة للدماء والأموال مقطوع بها مع الشهادة، ولا يرتفع ويستباح خلافها إلا بقاطع الأدلة، ولا قاطع من شرع ولا قياس عليه، وألفاظ الأحاديث الواردة في الباب مُعَرَّضة للتأويل".

وكيف تجرأت أن صرحت بكفر من يقرأ الصلاة وإمامنا في المعتقدات الأشعرية لم يمت حتى أشهد الله على نفسه أنه: لا يكفر أحدا من أهل القبلة؟. فهل هذا - أيضا - منك من الاغتراف من الشريعة والحقيقة ولم تحتج لأشعري ولا غيره؟.

كان الإمام زاهر بن أحمد السرخسي أخص أصحاب الشيخ أبي الحسن الأشعري يقول: "لما حضرت الوفاة أبا الحسن الأشعري في داره ببغداد؛ أمر بجمع أصحابه، ثم قال: اشهدوا عليَّ أنني لا أكفر أحدا من أهل القبلة بذنب؛ لأني رأيتهم كلَّهم يشيرون إلى معبود واحد، والإسلام يجمعهم ويشملهم". اهـ[4].

وقد توقف كثير من السلف عن إطلاق القول بتكفير كلب ثقيف الحجاج الثقفي، مع ما عُلم من حاله. ومع ذلك قال الزروقي في "النصيحة": "ولا التفات لمن قال بكفره".

---

(1) "صحيح البخاري"1581/4 ح 4094 و"صحيح مسلم" 742/2 ح 1064 عن أبي سعيد الخدري بلفظ: "إني لم أؤمر أن أنقب عن قلوب الناس ولا أشق بطونهم". وأما اللفظ الذي ذكره ابن سلطان هنا؛ فهو رواية أبي يعلى في "مسنده" 391/2 عن أبي سعيد أيضا.

(2) رواه مسلم في "صحيحه" 96/1 ح 96 في القصة المشهورة بلفظ "أفلا شققت عن قلبه...". وكذا أبو داود في "السنن" 44/3 ح 2643.

(3) 175/2.

(4) انظر "تبيين كذب المفتري" لابن عساكر ص 149.

فكيف بمن يقول: لا إله إلا الله أربعا وعشرين ألف مرة في اليوم عدد الأنفاس، وقد كان هذا العدد من أورادي لما كنت بالمكتب؟!.

{وأفوض أمري إلى الله إن الله بصير بالعباد}

مع أن الحجاج أُحصيَ من قتلهم صبرا لا لموجب أصلا؛ فبلغوا مائة ألف وأربعة وعشرين ألفا كما قال الذهبي وابن خلكان.

وكان الإمام الغزالي يقول: "من أكبر الآثام تخطئة العلماء من غير اطلاع على مرادهم، وحمل كلامهم على حال قد لا يرتضونها".

وقال في كتابه "المنقذ من الضلال"[1]: "إنما يجب على العلماء بيان ما يتبين لهم أنه الحق، لا ما لا يتبين لهم".اهـ.

فقد عَلِم من وفقه الله سبحانه من هذا أن جميع العلماء المتدينين أمسكوا عن القول بالتكفير لأحد من أهل القبلة بذنب: {فبهداهم اقتده}. [الأنعام/ 90]. {وأن مردنا إلى الله وأن المسرفين هم أصحاب النار}. [غافر/ 43].

{وأفوض أمري إلى الله إن الله بصير بالعباد}

(1) ص 35.

اللؤلؤة السابعة: [مشروعية التفسير الإشاري]:

قال أبو حيان[1]: "ذهب من عاصرنا إلى أن: علم التفسير مضطر إلى النقل في فهم معاني تركيبه بالإسناد إلى مجاهد وطاوس وعكرمة وأضرابهم، وأن فهم الآيات يتوقف على ذلك. قال أبو حيان: وليس كذلك**!**".

وقال السعد في "شرح النسفية"[2] بعد إبطال الاتحاد: "وأما ما يذهب إليه بعض المحققين من أن النصوص على ظواهرها، ومع[3] ذلك فيها إشارات خفية إلى دقائق تنكشف على أرباب السلوك، يمكن التطبيق بينها وبين الظواهر المرادة؛ فهو من كمال الإيمان ومحض العرفان".اهـ.

خرّج الفريابي مرفوعا[4]: "لكل آية ظهر وبطن، ولكل حرف حد، ولكل حد مطلع".

وخرج الطبراني[5] وأبو يعلى[6] والبزار[7] عن ابن مسعود موقوفا: "إن هذا القرآن ليس منه حرف إلا له حد، ولكل حد مطلع".

---

(1) "البحر المحيط" 25/1

(2) ص 148.

(3) في ط وما.

(4) ذكر السيوطي في "الجامع الصغير" 54/3 (مع المناوي)، وكذا العجلوني في "كشف الخفا" 241/1 أن الطبراني أخرجه مرفوعا من رواية ابن مسعود، وكذا البغوي في "شرح السنة" عنه وعن الحسن. ووجدته عن الحسن في "مصنف" عبد الرزاق 358/3، وفي "الزهد" لابن المبارك ص 23، وعزاه إلى الفريابي عن الحسن السيوطي في "الإتقان" 486/2.

(5) "المعجم الكبير" 136/9.

(6) 82/9.

واختلف في الظهر والبطن على أقوال خمسة؛ الخامس منها: حكاه ابن النقيب، ونقله في "الإتقان"[2]: "أن ظهرها: ما ظهر لأهل العلم بالظاهر. وبطنها: ماتضمنته من الأسرار التي أطلع الله عليها أرباب الحقائق".اهـ، ونقله ابن زكري في شرح "النصيحة".

قال الزروقي في "النصيحة": "فللقرآن ظاهر[3]؛ وهو للنحاة والقراء - زاد في "شرح الحكم": والمفسرين – وباطن؛ وهو: لأصحاب المعاني. وحدٌّ؛ وهو: للفقهاء. ومَطلع؛ وهو: للعلماء أهل الذوق والشهود".اهـ.

وعبارته في "شرح الحكم": "والمطلع للأنبياء والأولياء، وكل واحد لايصح إلا بالذي قبله، وعلى ذلك جرى أئمة القوم. قال: وهو خلاف مذهب الباطنية الكافرة، والظاهرية الجامدة".اهـ. ونقله العارف الفاسي في "حواشي التفسير".

قال ابن زكري عند قوله "ومطلع": "هو: أن لا يشاهِد في قراءته إلا الله تعالى، وهذه درجة المقرّبين. وعنها أخبر سيدنا جعفر بن محمد الصادق فقال: واللهِ لقد تجلى الله سبحانه لخلقه في كلامه ولكنهم لا يبصرون!. وسمى ما ذُكر مطلعا؛ لأن صاحبه ينكشف له الملكوت، فيصير من أهل المكاشفات، ويطلع على الأسرار".اهـ لفظه.

وأخرج ابن أبي حاتم[4] من طريق الضحاك عن ابن عباس قال: "إن القرآن ذو شجون وفنون، وظهور وبطون، لا تنقضي عجائبه، ولا تُبلغ غايته، فمن أوغل فيه برفق

---

(1) لم أجده في مسند البزار.

(2) 486/2.

(3) عبارة "فللقرآن ظاهر" ساقطة من ط.

(4) كما في "الدر المنثور" 150/2.

نجا، ومن أوغل فيه برفق[1] هوى[2]، أخبار وأمثال، وحلال وحرام، وناسخ ومنسوخ، ومحكم ومتشابه، وظهر وبطن. فظهره: التلاوة. وبطنه: التأويل. فجالسوا به العلماء وجانبوا به السفهاء".

وقال ابن سبع في "شفاء الصدور": "ورد عن أبي الدرداء أنه قال: لا يفقه الرجل كلَّ الفقه حتى يجعل للقرآن وجوها. قال: وهذا الذي قاله لا يحصل بمجرد الظاهر". ونقله ابن زكري في "شرح النصيحة".

قلت: وأثر أبي الدرداء أخرجه ابن سعد في "الطبقات"[3]، وأبو نعيم في "الحلية"[4] عن أبي قلابة، كما أشار إليه[5] في صدر التفسير المسمى "الدر المنثور" أثناء الفاتحة.

وأخرج سعيد بن منصور في "سننه"[6]، وابن المنذر، والبيهقي في كتاب "الرؤية" عن سفيان قال: "ليس في تفسير القرآن اختلاف، إنما هو كلام جامع يراد به هذا وهذا".اهـ من "الدر المنثور"[7].

(1) هكذا في ج وط، وهو سبق قلم واللفظ الصحيح هو: "بعنف". كما عند ابن أبي حاتم في "تفسيره"، ونقله عنه السيوطي في "الدر المنثور" 150/2.

(2) في ط هدى.

(3) "الطبقات الكبرى" 357/2.

(4) 211/1، قلت: وأخرجه عنه أيضا ابن أبي شيبة في "المصنف" 142/6، ومعمر بن راشد كما في "الجامع " 255/2.

(5) السيوطي في "الدر المنثور" 40/1.

(6) 312/5.

(7) 40/1.

ونقل ابن زكري آخر "شرح النصيحة" [1]عن "الإتقان"(2) أنه قال: "قال بعض العلماء: لكل آية سبعون ألف فهم. فهذا يدل على أن في فهم معاني القرآن مجالا رحبا ومتسعا بالغا، وأن المنقول من ظاهر التفسير ليس ينتهي الإدراك فيه بالنقل، والسماع لا بد منه في ظاهر التفسير ليتقي(3) به موضع الغلط، ثم بعد ذلك يتسع الفهم والاستنباط".اهـ.

لها معان كموج البحر في مدد

اللؤلؤة الثامنة: [الصوفي أدق نظرا من المفسر والفقيه]:

قال الزروقي في "القواعد": "نظر الصوفي أخص من نظر المفسرِ وصاحبِ فقه الحديث، لأن كلا منهما يعتبِر الحكم والمعنى ليس إلا، وهو يزيد بطلب الإشارة بعد ما أثبتناه، وإلا؛ فهو باطني خارج عن الشريعة فضلا عن التصوف".اهـ.

اللؤلؤة التاسعة: [حكم تفسير القرآن بالرأي والفهم]:

---

[1] أي نقلا عن الإتقان

(2) 487/2 لكن بقوله: "عندي ستون ألف فهم"، بدل: "سبعون".

(3) في ج لينتفي وفي ط لينتهي، والذي في "الإتقان": "ليتقي"، وهو الموافق للسياق.

ما ورد من حديث: "من قال في القرآن برأيه فأصاب؛ فقد أخطأ"، قال العراقي(1): "رواه أبو داود(2) والترمذي(3) والنسائي(4). وقال الترمذي(5): حديث غريب. وسكت عنه أبو داود".

وأما حديث: "من قال في القرآن برأيه؛ فليتبوأ مقعده من النار". فرواه أبو داود(6) والترمذي(7) والنسائي(8). قال العراقي: "والمراد بقوله "برأيه"؛ هو: أن يكون مستنده في التفسير مجرد الرأي، من غير أن يكون ذلك جاريا على وفق كلام العرب وقواعد الشرع، فليس ذلك بالرأي. ولو كان كل تفسير لا بد وأن يكون قد ورد صريحا في كلام الله تعالى وفي كلام رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم؛ لتعذر أكثر فهم القرآن، وامتنع الخوض في ذلك جملة".

وقال أيضا: "وأما لفظ: من فسر القرآن برأيه فقد كفر. فلا أعرفه عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى آله(9)، وبتقدير وجوده؛ فليس المراد به الكفر المخرج عن الإسلام، الإسلام، وإنما المراد به: كفر النعمة كما في قول السائل: كفر دون كفر".

---

(1) في" المغني" 37/1 (مع الإحياء).

(2) 320/3 ح 3652 عن جندب رضي الله عنه.

(3) 200/5 ح 2952 عنه.

(4) في "السنن الكبرى" 31/5 ح 8086.

(5) 200/5 ح 2952 عنه.

(6) لم أجده عند أبي داود في "سننه".

(7) 199/5 ح 2951 عن ابن عباس.

(8) في "الكبرى" 31/5 ح 8085 عنه.

(9) و"على آله" ساقط من الأصل.

اللؤلؤة العاشرة: [رد على من حجر التفسير بالمنقول]:

قال العارف الفاسي في أول حواشي التفسير: "قال في "الإحياء"[1]: ما ورد من الآثار والأخبار في النهي عن تفسير القرآن بالرأي: إما أن يراد به الاقتصار على المسموع وترك الاستنباط والاستقلال بالفهم، أو يراد به أمر آخر. الأول: باطل قطعا؛ لوجوه:

"أحدها: أن يكون ذلك مسموعا من النبي صلى الله تعالى عليه وسلم، وذلك مما لا يصادف إلا في بعض القرآن. وأما قول ابن عباس وابن مسعود من أنفسهما؛ فينبغي أن لا يقبل[2] ويقال: هو بالرأي، إذ لم يسمعوه من النبي صلى الله تعالى عليه وسلم. وكذلك غيرهم من الصحابة".

"والثاني: أن الصحابة والمفسرين قالوا في بعض الآيات أقاويل مختلفة لا يمكن الجمع بينها. وسماعُ جميعها من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم محال، ولو كان الواحد مسموعا؛ لتُرك الباقي. فظهر على القطع أن كل مفسر قال في القرآن بما ظهر له باستنباطه. حتى قالوا في الحروف التي هي أوائل السور أقاويل كثيرة، والجمع بينها غير ممكن، فكيف يكون الكل مسموعا؟".

---

(1) 290/1.

(2) هكذا في "الإحياء" 190/1 وفي ط "يغفل"، وهو خطأ.

"والثالث: أنه قال عليه السلام لابن عباس: اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل(1)، فإن كان التأويل مسموعا كالتنزيل، ومحفوظا مثله؛ فما وجه تخصيصه بذلك؟".

"والرابع: قال تعالى: {لعلمه الذين يستنبطونه منهم}. [النساء/ 83]، أثبت لأهل العلم استنباطا، ومعلوم أنه وراء السماع".اهـ لفظه.

وقال الإمام الرازي(2): "اعلم أن الوجوه المنقولة عن المفسرين ليست نصا عن سيد المرسلين حتى لا تمكن الزيادة عليها، وما ذكروها إلا لكون اللفظ محتملا. فنحن إن وجدنا بين المعاني مفهوما مشتركا؛ حملنا اللفظ على ما يندرج تحته، ولكن لا نقول: إنه مراد الله على الجزم". ومثله نقله البرزلي عن شيخه ابن عرفة، وعن المرجاني أيضا.

قال العارف: "قلنا: وبه يندفع ما يشير إليه كلام ابن عطية من التعقب على من يفسر القرآن بالرمز، كما ذكر ذلك في قوله تعالى: {إذا الشمس كورت}. [التكرير/ 1]: أن بعضهم فسرها بالنفس. قال البزرلي: ومثله تفسير القشيري المسمى بـ: "الإشارات"؛ لأن جله رموز، وهو إمام الطريقة. وذكر ابن خلكان أن أبا القاسم القشيري صنف "التفسير الكبير" قبل سنة عشر وأربعمائة، وسماه "التيسير في علم التفسير"، وهو من أجود التفاسير".اهـ. فلعله غير المسمى بـ: "الإشارات"، فحقق ذلك(3).

(1) رواه البخاري في "صحيحه" 66/1 ح 143 من حديث ابن عباس دون قوله: "وعلمه التأويل"، وهذه الزيادة عند أحمد في "مسنده" 335/1 وابن حبان في "صحيحه" كما في "الإحسان" 531/15 والحاكم في "المستدرك" 615/3. وقال: "صحيح الإسناد ولم يخرجاه".

(2)

(3) قلت: أما "لطائف الإشارات" فهو تفسير إشاري صوفي، قال بعض الباحثين: إنه أول تفسير كامل للقرآن الكريم بلغنا إلى هذا اليوم، طبعه الدكتور إبراهيم بسيوني، وكتبه القشيري عام 434 هـ وذكره السيوطي في "طبقات المفسرين"، ورفع من قيمته.

اللؤلؤة الحادية عشرة: [موانع فهم القرآن الكريم]:

ذكر سيدي عبد الرحمن الفاسي أول حواشي "التفسير" أنه: "يحجب عن الفهم موانع:

"الأول: أن يكون الهم مقصورا على تحقيق الحروف بإخراجها من مخارجها، فهذا يتولى حفظها شيطان وُكِّل بالقراء، يصرفهم عن معاني كلام الله تعالى".

"الثاني: أن يكون مقلدا لمذهب سمعه بالتقليد وجمد عليه، وثبت في قلبه التعصب له بمجرد اتباع المسموع من غير وصول إليه ببصيرة".

"الثالث: أن يكون مصرا على ذنب، أو متصفا بكبر، أو مبتلى بهوى في الدنيا مطاع، فإن ذلك سبب ظلمة القلب، وهو كالخبث على المرآة، فيمنع جلية الحق فيه، وهو أعظم حجب القلب وبه حُجب الأكثرون".

"الرابع: أن يكون قد قرأ تفسيرا ظاهرا، أو اعتقد أنه لا معنى لكلمات القرآن إلا تناول النقل عن ابن عباس ومجاهد وغيرهما، وأن ما وراء ذلك تفسير بالرأي منهي عنه،

أما "التيسير في علم التفسير" والذي يعرف بالتفسير الكبير، فهو تفسير كامل للقرآن أيضا لا يزال مخطوطا. قال عنه السيوطي: "إنه من أحسن التفاسير"، وهو من أول ما كتبه القشيري سنة 410، وقد اهتم فيه بالجانب اللغوي وأسباب النزول والحديث. . .الخ وهذا التفسير رجح المستشرق ريتر كونه أنه من تأليف القشيري أبي النصر عبد الرحيم (ت 514 هـ)، أما التفسير الكبير فهو من تأليف القشيري الأب. وهو ما جزم به المستشرق بوورينج بعد مقارنة مخطوطة ليدن تحت رقم 1659، ومخطوطة جامعة استطنبول تحت رقم 3228.

ويقوي هذا الترجيح: أن ابا النصر القشيري قد ذكره السيوطي في "طبقات المفسرين" والسبكي في "الطبقات الكبرى" وابن خلكان مفسرا. قلت: والذي يقتضيه كلام السيوطي في "طبقات المفسرين" ص73 وأحمد الأدنروي في "طبقات المفسرين" ص 125 أن "لطائف الإشارات" و"التيسير" كلاهما تصنيف القشيري الأب صاحب "الرسالة"، والله أعلم بالصواب.

فهذا - أيضا - من الحجب العظيمة".اهـ. وأصله في "القوت" و"الإحياء"[1]. وارجع للإحياء في كتاب "آداب التلاوة"؛ ترَ ما لم يخطر بالبال ولا تظنُّ أنك مكلف به.

وقال الزروقي في "النصيحة": "من شروط التدبر: عدم التقيد بالمحفوظ من التفاسير". قال في "الشرح" ناقلا عن "الإحياء"[2]: "قال علي رضي الله تعالى عنه: إلا أن يؤتيَ الله عز وجل عبدا فهما في القرآن. فإن لم يكن سوى الترجمة المنقولة؛ فما ذلك الفهم. وقال أيضا: لو شئت لأوقرت[3] سبعين بعيرا من تفسير الفاتحة. مع أن تفسير ظاهرها في غاية الاختصار".اهـ.

[رد على أمور أخر اعترضها المخالف]

هذا آخر البحث مع هذا المعترض، وإنما لم نتبع غضون كلامه فصلا فصلا؛ لأن جلها تمويهات، ومغشى ظاهرها بقشر العلم، وإلا؛ فهي تغليطات للغير ومغالطات، مع نفس الإنسان.

واقتصرنا على الأمور الكلية في كلامه، وجلُّها قدح في أوراد الطريق، فلذلك اقتصرنا في الجواب عليها. والأمور الأخر لما كانت خارجةَ عن أوراد الطريق؛ ها نحن نشير إليها بطرف خفي هنا، وإلا؛ فليت شعري كيف يجمُل بمتدين أن يبني تأليفا له في أخيه المسلم

(1) 284/1.

(2) 289/1.

(3) الوَقر بالفتح: الثقل في الأذن، وبالكسر: الحمل. وقد أوقر بعيره. وأكثر ما يستعمل الوقر في حمل البغل والحمار، والوسق في حمل البعير. انظر "مختار الصحاح" ص 304.

على افتعالات لم تخطر ببال، ويبني المباني على ذلك الافتعال، ويغتر بذلك من لم تحركه داعية التوفيق أن يستخبرك عن أصل القضية وحاصل مآلها؟.

[لكل ذكر من الأذكار مناسبة بغض النظر عن الأفضلية]:

فإن الفقيه الذي أجابك - أولا - لم يدَّعِ أن الاستغفار أفضل من الهيللة حتى تحتاج لما قلت، إنما قال: "إن الهيللة لها موضع في الشرع الكريم، والاستغفار له موضع في الشرع العظيم". كما أن التسبيح له موطن أيضا، والحوقلة لها موطن، والحسبلة لها موطن خاص. فكل ذكر من الأذكار الإلهية له موقع كبير في الشريعة لا ينكره عالم، وكل ذكر من الأذكار لا يقوم مقام غيره من الأذكار، فكلٌّ له موطن خاص به. ولأي شيء لا تفتح أم العبادات – وهي: الصلاة – بـ: لا إله إلا الله، وإنما يجزيء الله أكبر؟. ولأي شيء لا تقول عند الخروج منها: لا إله إلا الله. وإنما يجزيء: السلام عليكم؟.

وهذا الركوع والسجود في الصلاة؛ لا يقوم مقام التسبيح فيه لا إله إلا الله، وهذا: حسبنا الله ونعم الوكيل. لا يقوم مقامها: لا إله إلا الله. كما وقع في القرآن: {الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل}. [آل عمران/ 173]، فلم يقولوا مثلا: لا إله إلا الله. لأن لكل من الأذكار موطنا خاصا به".

وكذلك ورد: "إذا وقعتم في الأمر العظيم؛ فقولوا: حسبنا الله ونعم الوكيل"[1]. وكذا: لا حول ولاقوة إلا بالله العلي العظيم. وكذلك الاستغفار؛ فلا يجهل موقعه في

(1) رواه ابن أبي شيبة في "مصنفه" 76/6 وبوَّب عليه بقوله: "ما يقول إذا وقع في الأمر العظيم".

الشريعة المطهرة، ولا يقع غيره موقعه. فلأي شيء لم يرد في السنة الغراء أن يقال في المواطن التي تشرع فيها البسملة: لا إله إلا الله مثلا؟. والمواطن التي تشرع فيها البسملة إجمالا هي قول أبي المودة[1]: "وتشرع في غسل وتيمم، وأكل وشرب، وذكاة وركوب دابة وسفينة، ودخول وضده لمنزل ومسجد، ولبس وغلق باب، وإطفاء مصباح، ووطء، وصعود خطيب منبرا، وتغميض ميت ولحده"[2].

فهلا التزم المعترض في هذه المواطن كلها أن يقال فيها: "لا إله إلا الله". وألغى مقتضيات هذه المواطن التي راعاها الشارع؟.

فلو فرضنا أن عالما مربيا أذن الناسَ بالإكثار من الاستغفار الكامل النبوي، الذي تواطأت عليه الأعصار من لدن عهد النبوة إلى قبل اليوم، لا الأبتر الذي غير، لكان قد فعل شيئا أمر به مولانا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، وحض عليه وفعله وواظب عليه.

[من فضائل الاستغفار وأنه أمان لأهل الأرض]:

وكيف عزب عنك ما ورد في الاستغفار كتابا وسنة، وأمرا وفعلا، ومواظبة وإدمانا؟. واقتصرت من فضائل الهيللة على أحاديث بلا إسناد، وربما أخذت من "نزهة

(1) في ط جاءت العبارة هكذا: "وقد أشير إلى بعض هذه المواطن في قول أبي المودة"...

(2) "مختصر الشيخ خليل" ص 14.

المجالس"[1] التي قال فيها الحفاظ: "لو ظفروا بها؛ لحرقت". وعدلت عن الأحاديث الصحيحة.

وأين أنت مما ورد في فضل الاستغفار؟. على أن كل ما أتيت به من فضل الهيللة كله شامل لمن يقول الاستغفار؛ ضرورةَ أن لفظ الاستغفار: "أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو". ففيه الهيللة. فما ذكرت كلّه خروج عن الموضوع الأصلي من الكلام، فالمبنى عليه والمبني كله منك أوتيت، وبفهمك جنيت على الناس وعلى نفسك.

ولقد حصل[2] لك من الترقي بسبب[3] وقوع الناس في الأعراض بسببك ما لم يقع بوهم. قال جل أمره: {والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم}. [آل عمران/ 135]. قال سيدنا عبد الله ابن مسعود[4]: "في كتاب الله عز وجل آيتان ما أذنب عبدٌ ذنبا فقرأهما واستغفر الله سبحانه إلا غفر الله جل مجده له: الآية الثانية: {ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما}. [النساء/ 110]".

وقال جل جلاله: {والمستغفرين بالأسحار}. [آل عمران/ 17]، وقال جل أمره: {وبالأسحار هم يستغفرون}. [الذاريات/ 18]، وقال جل من قائل، آمرا الجناب المحمدي: {فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا}. [النصر/ 3]، وقال جل من

(1) "نزهة المجالس ومنتخب النفائس" منسوب إلى الشيخ عبد الرحمان الصفوري الشافعي، مليء بالموضوعات والخرافات مما لا يقبله عقل ولا يستقيم مع شرع.

(2) في ط حصله.

(3) بسبب ساقطة من ط.

(4) هذا الأثر رواه الطبراني في "الكبير" 212/9 وقال عنه الحافظ الهيثمي في "مجمع الزوائد" 11/7: "رجاله رجال الصحيح".

قائل: {واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات}. [محمد/ 19]، وقال تقدس كبرياؤه: {وأن استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يمتعكم متاعا حسنا إلى أجل مسمى ويؤت كل ذي فضل فضله}. [هود/ 3].

خرج ابن أبي حاتم[1] قال: "قال ابن عباس: إن الله سبحانه جعل في هذه الأمة أمانين لا يزالون معصومين مجارين من طوارق العذاب ما دام بين أظهرهم: فأمان قبضه الله سبحانه إليه، وأمان بقي فيكم؛ قوله: {وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون}.[الأنفال/ 33]". وروى ابن مردويه وابن جرير[2] عن أبي موسى الأشعري نحوا من هذا. وكذا روي عن قتادة وأبي العلاء النحوي المقري[3].

وروى الترمذي[4] مرفوعا: "أنزل علي أمانان لأمتي: {وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون}، فإذا قضيتُ؛ تركت فيهم الاستغفار إلى يوم القيامة".

ويشهد لهذا: ما رواه الإمام أحمد في "مسنده"[5]، والحاكم في "مستدركه"[6]، من حديث عبد الله بن وهب عن أبي سعيد رفعه: "إن الشيطان قال: وعزتك - يا رب - لا

---

(1) "تفسير ابن أبي حاتم" 550/5.

(2) "تفسير الطبري" 236/9.

(3) "تفسير الطبري" 236/9.

(4) "سنن الترمذي" 27/5 ح 3082 عن أبي موسى الأشعري وقال أبو عيسى عقبه: "هذا حديث غريب، وإسماعيل بن مهاجر يضعف في الحديث".اهـ. ولفظ المؤلف فيه مخالفة يسيرة لما في نسختي من سنن الترمذي المطبوعة بدار إحياء التراث العربي ببيروت باعتناء العلامة أحمد محمد شاكر وآخرين، ومعلوم أن نسخ الترمذي كثيرة بينها كثير اختلاف.

(5) 76/3.

(6) 290/4.

أبرح أغوي عبادك ما دامت أرواحهم في أجسادهم!. فقال الرب: وعزتي وجلالي؛ لا أزال أغفر لهم ما استغفروني"، ثم قال الحاكم: "صحيح الإسناد ولم يخرجاه".

وفي المسند[1] للإمام أحمد، عن فضالة بن عبيد عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال: "العبد آمن من عذاب الله ما استغفر الله عز وجل".

فلينظر الموفّق الرشيد كيف قارن سبحانه وجل لطفه سرَّ الاستغفار وما يطلبه من الأمان والوقاية من غضب الله، مع سر وجود الحقيقة المحمدية في العالم؛ فإنها الأمان الأكبر المحيط، وما ادعى أحد – مع هذا – أفضليته على الهيللة. وكلُّ ما ذكرتَه افتعال، وحسيبك الله جل عزه، ورسوله الكريم الأسنى، والملائكة بعد ذلك ظهير عليهم السلام.

وقال الفخر الرازي[2]: "قال قتادة والسدي: {وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون}؛ أي: لو استغفروا؛ لم يعذبوا. فكأن المطلوب من هذا الكلام: استدعاء الاستغفار منهم، أي: لو اشتغلوا بالاستغفار لما عذبهم الله سبحانه". قال الحافظ ابن كثير[3]: "واختاره ابن جرير".

ثم قال الإمام الرازي[4]: "قال أهل المعاني: دلت هذه الآية على أن الاستغفار أمان وسلامة من العذاب".اهـ. ونحوه للخازن، ونحوه في جميع كتب التفسير.

---

(1) 20/6.

(2) 42/3

(3) "تفسير ابن كثير" 306/2.

(4) 43/3

وطرق الفخر الرازي وأبو السعود[1] والبيضاوي[2] تأويلا آخر في الآية الكريمة.

وزاده الشيخ زاده إيضاحا؛ فقال: "وقال بعضهم: هذا الاستغفار راجع إلى المشركين، وذلك أنهم: كانوا يقولون بعد الطواف: غفرانك. ولا يبعد أن يدفع ذلك عذاب الاستئصال مع كونه صادرا عن المشرك"!.اهـ.

وروى البخاري[3] من حديث أبي هريرة، أن مولانا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال: "إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة".

وروى الإمام مسلم[4] من حديث الأغر رفعه: "إنه ليغان على قلبي حتى إني لأستغفر الله في كل يوم مائة مرة".

قلت: ويالِلمسلمين؛ هل على من ذكر هذا الحديث الكريم تبعا لمائة ألف أو يزيدون من علماء الحديث الذين خرجوه مَلامٌ أو مَعتبة؟. وهل يلزم أن كل من ذكره فهو ينسبُ له عليه الصلاة والسلام الغين؟. هذا إن لزم كاتب الحروف أولا، وهو الفقيه؛ فيلزم جميع علماء الإسلام الذين خرجوه قبل أن يكون هو؟. ما هذا اللعب بالدين؟. وما هذا التهافت برسوم العلم؟. وكيف غلب اسوداد الطبع حتى ألزمتم الفقيه أنه ينسب الغين للجناب الأسمى الأحمى النبوي، ولم تلزموه الألف من الخلق؟. وهل كان يتكلم هو في معنى هذا الحديث الكريم وشرحه وتتبُّع فصوله حتى يُلزَم هذا الإلزام؟.

---

(1) "تفسير أبي السعود" 276/1.

(2) "تفسير البيضاوي" 105/3.

(3) "صحيح البخاري" 2324/5 ح 5948، ورواه أيضا ابن حبان في "صحيحه" كما في "الإحسان" 204/3.

(4) "صحيح مسلم" 2075/4 ح 2702، ورواه أبو داود في "سننه" 84/2 ح 1515.

إنما ذكره على أن مركز دائرة الرحمات كان يعطي المواطن حقها، وقد آثر في هذا الموطن الاستغفار على "لا إله إلا الله". ولا يلزم إهمال: "لا إله إلا الله" هنا، وفي كل موطن لم تُذكر فيه، كما لا يلزم إهمال الاستغفار حيث لم يذكر في كل موطن لا يقتضيه.

كما أن أحاديث الاستغفار لا تستلزم أفضليته على الهيللة، كما أن أحاديث الهيللة لا تقتضي أفضليتها على الاستغفار؛ ضرورةَ أن الشيء لا يفضُل نفسه. ولو قيل بالعكس؛ لاتجه ذلك؛ لما أن الاستغفار فيه الهيللة والاستغفار.

وقد كنا مستغنين عن هذا لولا خوضكم وتلبيسكم على الناس الحقائق. وليت علمي وعلم الألباء؛ مَنِ العالم المتلاعب بالسنة والسليم الصدر، أو النقّاب على العيوب، والمتقوّل على الناس ما لم يقولوا؟. وأين اغترافك من بحر الشريعة والحقيقة كما تدعي؟.

وروت عائشة - رضي الله تعالى عنها - أن مولانا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال: "اللهم اجعلني من الذين إذا أحسنوا؛ استبشروا، وإذا أساءوا؛ استغفروا". وهو تعليم للأمة وإرشاد لهم. رواه ابن ماجه[1]. وفيه علي بن زيد بن جدعان[2] مختلف فيه. ورواه البيهقي في "السنن"[3] بهذا الإسناد.

وروى الترمذي[4] من حديث أبي سعيد رفعه: "من قال حين يأوي إلى فراشه: أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه. ثلاث مرات؛ غفر الله

(1) في "سننه" 1255/2 ح 3820.

(2) علي بن زيد بن عبد الله بن زهير بن عبد الله بن جدعان التيمي البصري المعروف بعلي بن زيد بن جدعان، ينسب أبوه إلى جده، ضعيف. ينظر "الضعفاء والمتروكين" 193/2 و"ميزان الاعتدال" 156/5.

(3) هذا سبق قلم من المؤلف رحمه الله إذ الحديث بهذا السند عند البيهقي في "شعب الإيمان" 371/5، لا في "السنن".

(4) "سنن الترمذي" 470/5 ح 3397، وقال أبو عيسى عقبه: "هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، من حديث الوصافي عبيد الله بن الوليد".

سبحانه له ذنوبه وإن كانت مثل زبد البحر، أو عدد رمل عالج، أو كعدد ورق الشجر، أو كعدد أيام الدنيا". ورواه البخاري في "التاريخ"[1] دون قوله: "حين يأوي إلى فراشه"، وقوله: "ثلاث مرات". ورواه الإمام أحمد[2] وأبو يعلى[3]. ورواه ابن عساكر[4]، وزاد: "وعدد نجوم السماء". ورواه ابن السني[5] والطبراني في "الأوسط"[6]، وابن عساكر[7] وابن النجار من حديث أنس بنحوه.

وقال خالد بن معدان - التابعي الجليل، الذي كان يسبّح في اليوم أربعين ألف تسبيحة[8] - قال الله عز وجل[9]: "إن أحب عبادي إلي: المتحابون بحبي، والمعلقة قلوبهم بالمساجد، والمستغفرون بالأسحار، أولئك الذين إذا أردت أهل الأرض بعقوبة ذكرتهم

---

(1) "التاريخ الكبير" 379/3 خلال ترجمة زيد مولى النبي صلى الله عليه وآله.

(2) "المسند" 10/3.

(3) "مسند أبي يعلى" 495/2.

(4) "تاريخ دمشق" 86/51.

(5) "عمل اليوم والليلة" 320/1.

(6) 356/7 قال الحافظ نور الدين الهيثمي في "المجمع" 168/2: "وفيه عبد العزيز بن عبد الرحمن البالسي وهو ضعيف جدا".اهـ. قلت: ارتفع ضعفه بشواهده.

(7) "تاريخ دمشق" 108/51.

(8) كما أسنده عن سلمة عنه: أبو نعيم في "حلية الأولياء" 210/5، ونقله الذهبي في "سير أعلام النبلاء" 540/4، كلاهما خلال ترجمة خالد بن معدان.

(9) أخرجه ابن المبارك في كتاب "الزهد" ص 139 وأبو نعيم في "الحلية" 212/5.

وتركتهم وصرفت العقوبة عنهم". وروي مرفوعا من حديث سيدنا أنس، رواه البيهقي في "السنن"[1].

وقال سيدنا سلمان الفارسي رضي الله تعالى عنه رفعه[2]: "عَوِّدُوا ألسنتكم الاستغفار؛ الاستغفار؛ فإن الله تعالى لم يعلمكم الاستغفار إلا وهو يريد أن يغفر".

والعجب ثم العجب من قولك رادا استدلال الفقيه بآية: {استغفروا ربكم إنه كان غفارا}. [نوح/ 10]: أنها لا تدل على أفضلية الاستغفار على الهيللة. ومن اختلج في صدره هذا حتى تتعجب أنت منه، وحتى تختلس من الكلام ادعاء أفضلية الاستغفار على الهيللة؟. وهو محض بهتان. {سبحانك هذا بهتان عظيم يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبدا}. [النور/ 17].

وأما قولكم: إن آية: {استغفروا ربكم إنه كان غفارا}؛ تدل على النطق بـ: "لا إله إلا الله".

قلت: أَيْ خلال نطقهم بـ: "أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه"، وهو عين كلامنا أيضا. وإلا؛ فمن فسر الآية الكريمة لم يحمل الاستغفار إلا على الاستغفار، لا على النطق بالهيللة. على أن من فسر - من أهل التفسير - الاستغفار بالاستغفار من الشرك؛ محجوج بأنه: يلزمه وقوع التكرار في الكلام الفصيح،

(1) لم أقف عليه عند البيهقي في "السنن" إلا إن كان المؤلف - رحمه الله - يقصد حديث أنس المرفوع في "شعب الإيمان" 500/6: "إن الله سبحانه يقول: إني لأهم بأهل الأرض عذابا، فإذا نظرت إلى عمار بيوتي والمتحابين في والمستغفرين بالأسحار؛ صرفت عنهم".

(2) رواه الخطيب في "تاريخ" بغداد" 206/14 وابن مردويه في "التفسير" كما في "الدر المنثور" 290/8.

لأن الدلالة على التوحيد تقدمت صدر السورة في قوله: {أن اعبدوا الله واتقوه}. [نوح/ 3]، والأصل في الكلام هو: التأسيس لا التأكيد.

وإذا فُهِمَت الآية على ما قلت؛ صار الكلام مكررا، يلزمه على أن الاستغفار يصدُق بكل ما يُستغفر منه. وأول ما يستغفر منه الشرك، فهو أول داخل في الاستغفار. وهذا المعنى – أيضا – ليس فيه عدمُ النطق بالاستغفار كما هو صريح الآية الكريمة، على أن التهليل قد سبقت دلالة سيدنا نوح عليه السلام عليه في قوله صدر السورة: {يا قوم إني لكم نذير مبين. أن اعبدوا الله واتقوه وأطيعون. يغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم إلى أجل مسمى}. [نوح/ 1-3]، ثم استرسل في ذكر إبايتهم عن قبول دعوته عليه الصلاة والسلام، ثم قال: {فقلت استغفروا ربكم}. فليت علم العقلاء؛ أين دلالة هذا اللفظ الكريم على النطق بالهيللة – سيما وقدم الدلالة عليها – فكيف تقول؟. وانظر تفسير الآية تعلم حقيقتها.

وهذا تجرؤ على بحر كلام الله الذي لا يزال بكرا، لم يطلع على حقيقته – بالحقيقة – إلا الذي أنزله جل سلطانه. فكيف تقول تعلمُ حقيقتها؟. ولمثل هذا فزع الناس قديما إلى الفرق بين التفسير والتأويل والشرح، فلا يقال لكتب التفسير: شرح. وألحق بعض المحققين بذلك كتب الحديث؛ لِما أن الشرح يقتضي الاطلاع على كنه المشروح، وأنى لأحد بذلك، وإنما يقال: كتب التفسير، ويقال لكتب العلوم الأخر: شروح. ومع ذلك يقولون آخرا: "والله تعالى أعلم".

وأنت كأنك شققت على قلوبنا وعلمت ما فيها. وليت شعري؛ لو أُلجئتَ إلى أن تذكر الفرق بين ستين مسألة من علوم الخواطر على البديهية أو بالآجل، ما كنت قائلا

فيها؛ لأنا علمنا من مكتوبكم هذا مرتبتكم في العلم. والعرب داخل الباب لا بالباب. {فصبر جميل والله المستعان}.

على أنا راجعنا المفسرين فوجدناهم قالوا ما يُتلى، وأقرب المفسرين: الإمام الأسيوطي في "الدر المنثور"[1] قال عند قوله سبحانه: {فقلت استغفروا ربكم}، ما نصه: "أخرج ابن مردويه عن سلمان رفعه: أكثروا من الاستغفار؛ فإن الله تعالى لم يعلمكم الاستغفار إلا وهو يريد أن يغفر لكم. وفي أثناء هذه الآية الكريمة: {ما لكم لا ترجون لله وقارا}؛ أي: عظمة، كما رواه ابن جرير[2] والبيهقي[3]".

وأقربهم: القاضي البيضاوي؛ ونصه[4]: "وقيل لما طالت دعوتهم وتمادى إصرارهم: حبس الله سبحانه عنهم القطر أربعين سنة، وأعقم أرحام نسائهم، فوعدهم بذلك على الاستغفار عما كانوا عليه بقوله: {يرسل السماء عليكم مدرارا. ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا}، قال البيضاوي: ولذلك شُرع الاستغفار في الاستسقاء".اهـ.

ولكن لما كان الاستغفار فيه الهيللة؛ كان جامعا للذِّكرين، ومستجلبا للخيرين؛ الديني: وهو غفران الذنوب والشرك، والدنيوي: وهو قوله سبحانه: {يرسل السماء عليكم مدرارا. ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا}. فهذه الآية الكريمة تعطي أن: الاستغفار سبب شرعي قوي لدفع المحْل والجدب من الأرض،

---

(1) 290/8.

(2) رواه ابن جرير في "تفسيره" 24/29 عن ابن عباس وعن مجاهد وعن الضحاك.

(3) رواه البيهقي في" شعب الإيمان" 464/1 عن ابن عباس وجاهد والحسن 465/1.

(4) "تفسير البيضاوي" 393/5.

وأن الاستغفار من أعظم أسباب الغنى، فمن أراده؛ فعليه بالإكثار من الاستغفار، وأن الاستغفار يُنتِج الأرحام ويُكثر النسل وإن كانت عقيمة، فيلد من كان عقيما، وأن الاستغفار يأتي بالبساتين الكثيرة لمن ليست له، وأن الاستغفار يأتي بالأنهار خلال البساتين. فمن أراد هذه النعم الدنيوية؛ فعليه بالاستغفار بنص القرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

وأقربهم: الخازن؛ ونصه[1]، بعد ما ذكر نحو ما للبيضاوي: "وروى الشعبي[2] أن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه خرج يستسقي بالناس فلم يزد على الاستغفار حتى رجع، فقيل له: ما سمعناك استسقيت!. فقال: طلبت الغيث بمجاديح السماء الذي يُستنزَل منها القطر. ثم قرأ: {استغفروا ربكم إنه كان غفارا}".

قال الخازن[3]: "وعن الحسن أن رجلا شكى إليه الجدبَ، فقال له: استغفر الله. وشكى إليه آخر الفقر وقلة النسل، وآخر قلة ريع أرضه، فأمرهم كلهم بالاستغفار. فقال له الربيع بن صبحي: أتاك رجال يشتكون أنواعا فأمرتهم بالاستغفار؟. فتلا هذه الآية".اهـ.

تذنيب: [أنواع الكبائر التي تضمنها رد المعترض علينا]

(1) 165/6.

(2) هذا الأثر أخرجه عبد الرزاق في "المصنف" 87/3، وابن أبي شيبة في "المصنف" 61/6 وسعيد بن منصور في "سننه" 353/5 والبيهقي في "سننه" 351/3.

(3) 165/6.

إني أردت أن أبين لمن لم تستهوه الأهواء، ولم تحمله الأغراض على غمص الحقوق ما اشتملت عليه تلك الأوراق من المعاصي والمناهي والكبائر التي نهى عنها الشارع بالنص الصريح، وكلها ارتكبتموها ولم تبالوا، وظننتم أنكم أنكم، ومع ذلك قلتم أنكم تغترفون من بحر الشريعة والحقيقة، وكل من اعتقد صحة ما قلتم؛ كلّه ارتبك في تلك المناهي والكبائر، وتلبس بها، وكل ذلك في صحيفتك، فليُلْقَ إليها الصِّماخ.

1 – الكبيرة الأولى: الكذب في القول:

فإني ما كاتبتك أولا حتى تجهَّمتَ ما تجهمت، وإنما تقوُّلك أني كاتبتك؛ محض فرية، كما بينا ذلك صدر هذا التأليف.

خرّج ابن أبي الدنيا[1] عن الحسن أنه قال: "كان يقال: إن من النفاق: اختلاف السر والعلانية، واختلاف القول والعمل، واختلاف المدخل والمخرج. وإن الأصل الذي بني عليه النفاق: الكذب".

وروى البخاري[2] في حديث طويل: "رأيت كأن رجلا جاءني، فقال لي: قم!. فقمت معه، وإذا أنا برجلين أحدهما قائم والآخر جالس، بيد القائم كلوب من حديد يلقمه في شدق الجالس فيجذبه حتى يبلغ كاهله، ثم يجذبه فيلقمه الجانب الآخر، فيمده، فإذا مده؛ رجع الآخر كما كان. فقلت للذي أقامني: ما هذا؟!. قال: هذا رجل كذاب يعذَّبُ في قبره إلى يوم القيامة".

---

(1) أخرجه في كتاب "الصمت" ص 240.

(2) "صحيح البخاري 466/1 ح 1320 عن سمرة بن جندب.

وحسب الناس من كذب: القول في كلامكم أنكم ألزمتمونا أنا نفضل الاستغفار على الهيللة، وهو لم يقع منا في خلد. وألزمتمونا أنا ننسب الغين للجناب المحمدي، حيث استدل الفقيه بحديث: "إنه ليغان على قلبي". مع أنه إنما ذكر اللفظ النبوي، ويلزم من ذكركم له - أيضا - أنكم تنسبون الغين للجناب الشريف، وهو كذب صراح. وألزمتمونا أنا استدعيناكم للأخذ عنا؛ وهو فرية أخرى. ولو ألزمناكم ذلك؛ أيّ ملام وأي عتاب على من قال لشخص: هات نتعاون على البر والتقوى؟. ولكن العقل نور والتوفيق عزيز، ولا يهلك على الله إلا هالك.

وأعظمتم الفرية على الله سبحانه، ورسوله، مرات في إطلاق لسانكم في طائفتنا، كأنكم اطلعتم على الغيب أو اتخذتم عند الرحمن عهدا كلا.

وروى أبو داود[1] والترمذي[2] وحسنه، والنسائي في "الكبرى"[3] رفعه: "ويل للذي يحدث فيكذب ليضحك به الناس. ويل له. ويل له".

2- *الكبيرة الثانية: التعصب والتحامل:*

روى أبو داود[4]: "ليس منا من دعا إلى عصبية، وليس منا من قاتل على عصبية، وليس منا من مات على عصبية".

---

(1) في "سننه" 297/4 ح 4990 من حديث بهز بن حكيم عن أبيه عن جده.

(2) في "سننه" 557/4 ح 2315 عنه.

(3) 509/6 ح 11655 عنه ايضا.

(4) في "سننه" 332/4 ح 5121 عن جبير بن مطعم.

3- الكبيرة الثالثة: الغضب بالباطل:

خرج البيهقي[1] وابن عساكر[2]: "معاوية؛ إياك والغضب، فإن الغضب يفسد الإيمان كما يفسد الصبر العسل".

وروى الترمذي[3] الحكيم[4]: "للنار باب لا يدخله إلا من شفى غيظَه بسخط الله".

وقال مجاهد[5]: "قال إبليس: ما أعجزني بنو آدم فلن يعجزوني في ثلاث: إذا سكر أحدهم؛ أخذنا بخزامته فقدناه حيث نشاء، وعمل لنا بما أحببناه. وإذا غضب؛ قال بما لا يعلم، وعمل بما يندم. وإذا بخل بما في يده؛ مَنَّيْنَاه بما لا يقدر عليه".

وقال وهب[6]: "للكفر أركان أربعة: الغضب، والشهوة، والخلف، والطمع".

4- الكبيرة الرابعة: المكر والخداع:

روى الإمام أحمد[7] وأبو داود[1]: "لن يهلك الناس حتى يعذروا[2] من أنفسهم".

---

(1) "شعب الإيمان" 311/6 عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده، وليس عنده: "يا معاوية".

(2) "تاريخ دمشق" 80/23.

(3) في ج وط زيدت واو بين الترمذي والحكيم مما يوهم أن الترمذي أبا عيسى أخرجه، وليس كذلك، فالواو مقحمة سهوا.

(4) "نوادر الأصول" 296/1 عن ابن عباس رضي الله عنه، وفيه: إسماعيل بن شبيب واه، و وقدامة بن محمد الأشجعي متروك كما قال النقاد، انظر "ميزان الاعتدال" 392/1.

(5) أخرجه البيهقي في "شعب الإيمان" 13/5.

(6) أخرجه أبو نعيم في "الحلية" 70/4.

(7) 260/4 عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

وروى الترمذي[3]: "ملعون من ضار مؤمنا أو مكر به".

5- الكبيرة الخامسة: التزين للمخلوقين بما يحرم التزين به:

روى الديلمي[4]: "حب الثناء من الناس يعمي ويصم".

روى الشيخان[5] عن أبي هريرة رفعه: "إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها، فينزل بها في النار أبعد ما بين المشرق والمغرب".

وجاء أيضا[6]: "وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله، ما كان يظن أن تبلغ ما بلغت، يكتب الله سبحانه له بها سخطه إلى يوم القيامة".

---

(1) في "سننه" 125/4 ح 4374 عن رجل من الصحابة أيضا.

(2) في ج وط يغدروا بغين فوقانية، وهو وهم. قال العظيم أبادي في "عون المعبود" 336/11: "حتى يعذروا بفتح التحتية وكسر الذال المعجمة، أو يعذُروا من أنفسهم بضم التحتية من باب الأفعال...قال الخطابي: فسره أبو عبيد في كتابه. وحكى عن أبي عبيدة أنه قال: معنى يعذروا أي تكثر ذنوبهم وعيوبهم. وفيه لغتان: يقال أعذر الرجل إعذارا إذ صار ذا عيب وفساد".

ولينظر "الغريب" لابن سلام 131/1، و"الفائق" 401/2، و"النهاية في غريب الحديث"197/3، ولم يقل أحد منهم أنه الغدر الذي بمعنى المكر، فلعله سهو من المؤلف رحمه الله أو خطأ الطبعة الحجرية.

(3) في "سننه" 332/4 ح 1941 عن أبي بكر الصديق، قال أبو عيسى عقبه: "هذا حديث غريب".

(4) "مسند الفردوس" 142/2، قال العراقي في "تخريج الإحياء" 278/3: "عن ابن عباس بسند ضعيف".اهـ. قلت: لأن فيه حميد بن عبد الرحمن، قال الخطيب: "مجهول". والفضل بن عيسى، قال الذهبي: "ضعفوه"، عن عباد بن منصور، وقد ضعف أيضا. لكن للحديث شواهد تقويه عند البغوي والعسكري عن أبي الدرداء.

(5) "صحيح البخاري" 2377/5 ح 6112 و"صحيح مسلم" 2290/4 ح 2987 عن أبي هريرة.

(6) رواه الترمذي في "سننه" 559/4 ح 2319 عن بلال بن الحرث المزني. قال الترمذي: "هذا حديث حسن صحيح". وذكر له شواهد.

قال أهل العلم: "وهذا كالكلام عند الملوك والولاة مما فيه شر عام". ومنه: كلمة تضمنت مذمة سُنة، أو إبطال حق، أو سفك دم، أو هتك عرض، أو قطع رحم، أو وقوع غدرة بين المسلمين، أو فراق زوجة، أو نحو ذلك.

وروى الترمذي[1]: "من التمس رضى الله بسخط الناس؛ كفاه الله - سبحانه - مؤونة الناس، ومن التمس رضى الناس بسخط الله؛ وكَّله الله إلى الناس".

وروى البيهقي[2]: "مِن أسوأ الناس منزلة: مَن أذهب آخرته بدنيا غيره". وفي رواية[3] أنه: "أشر الناس ندامة". وفي رواية[4]: "إنه أشر الناس منزلة يوم القيامة".

وروى ابن عساكر[5]: "ألا أنبئكم بشر الناس؟. من أكل وحده، ومنع رفده، وسافر وحده، وضرب عبده. ألا أنبئكم بشر من هذا؟. من يبغض الناس ويبغضونه. ألا أنبئكم بشر من هذا؟. من يُخشى شره، ولا يُرجى خيرُه. ألا أنبئكم بشر من هذا؟. من باع آخرته بدنيا غيره. ألا أنبئكم بشر من هذا؟. من أكل الدنيا بالدين".

ويكفي من الدليل على عدم القصد الحسن، وإرادة المنزلة في قلوب الخلق: غفلتكم عن مائة ألف معصية وألف ألف ألف منكر ظاهرة في الحواضر والبوادي، وقد تضافرت النصوص الشرعية على حرمة ذلك والتوعد عليه، وما ألفتم فيهم، بل ربما تعرفتم

---

(1) "سنن الترمذي" 609/4 ح 2414 عن رجل من أهل المدينة عن معاوية، عن عائشة، بالحديث.

(2) في "شعب الإيمان" 358/5 عن أبي هريرة، ورواه ابن ماجه في "سننه" 1312/2 ح 3966 عن أبي أمامة.

(3) عند البخاري في "التاريخ الكبير" 128/6 عن أبي أمامة.

(4) رواها ابن ماجه في"سننه" 1312/2 ح 3966 عن أبي أمامة أيضا بسند حسن كما قال الحافظ البوصيري في "مصباح الزجاجة" 175/4.

(5) "تاريخ دمشق" 133/51.

وتحببتم لمن هو ملتبس بذلك، وآثرتم بالإنكار المقبلين على الله سبحانه: {الذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة}. [المؤمنون/ 60]، {الذين يبيتون لربهم سجدا وقياما}. [الفرقان/ 64]، {والذين لا يشهدون الزور وإذا مروا باللغو مروا كراما}. [الفرقان/ 72]، {الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا وعلى ربهم يتوكلون}. [الأنفال/ 2].

{الذين هم في صلاتهم خاشعون. والذين هم عن اللغو معرضون. والذين هم للزكاة فاعلون. والذين هم لفروجهم حافظون. إلا على أزواجهم أو مالكت أيمانهم فإنهم غير ملومين}. [المؤمنون/ 2-6]. {والذين هم لأمانتهم وعهدهم راعون والذين هم على صلواتهم يحافظون}. [المؤمنون/ 8-9]، {يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق. والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب. والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية ويدرأون بالحسنة السيئة}. [الرعد/ 20-21-22].

المعبود الحقيقي - جل أمره - يقول في من هذه صفته: {أولئك هم المؤمنون حقا}. [الأنفال/ 2]، وقال فيهم: {وعباد الرحمن}. [الفرقان/ 63]، وقال فيهم: {يجزون الغرفة بما صبروا ويلقون فيها تحية وسلاما. خالدين فيها حسنت مستقرا ومقاما}. [الفرقان/ 75-76]، وقال فيهم: {أولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون}. [المؤمنون/ 61]، وقال فيهم: {أولئك هم الوارثون. الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون}. [المؤمنون/ 10، 11]، وقال فيهم: {أولئك لهم عقبى الدار. جنات عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار}. [الرعد/ 22، 23].

وأَبَيْتَ أن تقول إلا: أشرارا ومبتدعة، فحسبك أن حَكَمْتَ على عبيد الله بغير ما حكم عليهم ربُّهم جل سلطانه. {ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون}. [المائدة/ 50]. فيا بخت عبدٍ حفظ اللهُ سبحانه عليه عبوديته، ولم يتربب في ملك الله جملة وتفصيلا، ولم يترأس فضلا عن أن ينازع الله في حكمه. {وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن تكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا}. [الأحزاب/ 36].

6- *الكبيرة السادسة: البهتان المبين:*

لأن ما وصفتَ به الطائفة ليس فيها منه في الواقع شيء. والبهتان من المعاصي والكبائر؛ لقوله في الحديث الصحيح[1] في الغيبة: "فإن لم يكن فيه؛ فقد بهتَه"، بل هو أشد من الغيبة، إذ هو كذب يشق على كل أحد، بخلاف الغيبة؛ لا تشق على بعض العقلاء؛ لأنها فيه.

خرّج الإمام أحمد[2]: "خمس ليس لهن كفارة: الشرك بالله سبحانه، وقتل النفس بغير حق، وبهت مؤمن، والفرار من الزحف، ويمين فاجرة يقتطع بها مالا بغير حق".

وخرج الطبراني[1]: "من ذكر امرء بشيء ليس فيه ليعيبه به؛ حبسه الله في نار جهنم حتى يأتي بنفاذ ما قال فيه"، وما انبسط القرآن الكريم في الإفصاح عن قضية الإفك ومآل أهلها إلا لأنها بهتان، ولينظر ما قاله أهل التفسير فيه.

(1) رواه مسلم في "صحيحه" 2001/4 ح 2589 عن أبي هريرة.

(2) "المسند" 361/2 عن أبي هريرة.

7- الكبيرة السابعة: التمضمض بأعراض المسلمين:

وظنك أنه غيرة على دين الله، وكأنه ليس في الأرض من المناكر ما يوجب لك أن تغار على جناب الله لأجله؛ إلا من جناب الطائفة الكتانية. ويكفي من انتصار الله لمن تمضمضتَ بأعراضهم هذا، ويكفي في ذم الغيبة ما صح من أنها: "أربى الربا"(2)، مع ما جاء أن درهما من الربا يأكله العبد أهون عند الله تعالى من ست وثلاثين زنية في الإسلام(3). والغيبة أشد من الربا، وجاء فيها أنها: "لو مُزجت بماء البحر أنتنته وغيرت ريحه"(4). وجاء أن: أهلها يأكلون الجيف في النار(5). وجاء أنهم: يعذبون في قبورهم(6). وبعض هذه كافية في أنها كبيرة، فكيف إذا اجتمعت؟.

---

(1) في "المعجم الأوسط" 380/8 عن أبي الدرداء. قال الحافظ الهيثمي في "المجمع" 94/8: "عن شيخه مقدام بن داود وهو ضعيف" .اهـ. قلت: جوّد هذا الحديث المنذري في "الترغيب والترهيب" 316/3، لعله لوروده من طريق آخر، عن أبي الدرداء، عند ابن جرير الطبري في "صريح السنة" ص 28، عن خلاد بن أسلم، عن النضر بن شميل، عن موسى بن عقبة، عن عمرو بن عبد الله، عن أبي الدرداء.

(2) رواه عن سعيد بن زيد أحمد في "المسند" 190/1وأبو داود في "السنن" 269/4 ح 4876 والحاكم في "المستدرك" 43/2 وصححه.

(3) رواه أحمد في "مسنده" 225/5 عن حنظلة والطبراني في "الكبير" 114/11 عن ابن عباس، ورجال أحمد رجال الصحيح كما قال المنذري في "الترغيب والترهيب" 5/3.

(4) أخرجه أبو داود في "السنن" 269/4 ح 4875 والترمذي في "السنن" 660/4 ح 2502 عن عائشة، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

(5) رواه أحمد في "مسنده" 257/1 عن ابن عباس وقال الهيثمي في "المجمع" 92/8: "رواه أحمد وفيه قابوس وهو ثقة وفيه ضعف، وبقية رجاله رجال الصحيح".

(6) رواه الطبراني في "الأوسط" 44/5 عن جابر وفي سنده ابن لهيعة فيه كلام كما في "المجمع" 55/3.

وقد جعل المعصوم – صلوات الله وسلامه عليه – الغيبة عديلة غصب المال وقتل النفس، لقوله[1]: "كل المسلم على المسلم حرام: دمه وماله وعرضه"، والغصب والقتل كبيرتان إجماعا، وكذا الوقوع في العرض، قال في "الزواجر"[2]: "قال بعضهم: أدركنا السلف وهم لا يرون العبادة في الصوم والصلاة، ولكن في الكف عن أعراض الناس. وسمع سيُّدنا علي بن الحسين رجلا يغتاب آخر، فقال: إياك والغيبة؛ فإنها إدام كلاب الناس".

"وروى الإمام أحمد بسند صحيح عن سيدنا جابر قال: كنا مع مولانا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، فارتفعت ريح منتنة، قال صلى الله عليه وسلم: أتدرون ما هذه الريح؟. هذه ريح الذين يغتابون المؤمنين[3]".اهـ.

وليت شعري؛ أين اغترافُك من بحر الحقيقة والشريعة هذا؟. ألم تجد في الشريعة هذا؟. ألم تُكشف لك الحقيقة عن شم الروائح منك حالة الكتابة؟. ألم تصلك رائحة غيبة واحدة وأنت في محلك من المشرق؟. ألم تصلك روائح الذين اشتغلوا بتأليفك؟. ولقد كادت النجوم أن يحال بين الناس وبينها بروائح الغيبة التي ثارت ممن أعانك على نشر ذلك التأليف، ولو علم الإنسان الشريعة؛ لصدَّق الرسولَ فيما أخبر به وآمن غيبا، ولو كان من أهل الشهود؛ لشاهد ما أخبر به الشارع عيانا بلا هذا ولا هذا.

---

(1) رواه مسلم في "صحيحه" 1986/4 ح 2564.

(2) 147/1.

(3) "المسند" 351/3، قال الحافظ الهيثمي في "المجمع" 91/8: "رواه أحمد ورجاله ثقات".

وليت شعري؛ فما التفاوت عند العارفين إلا في مراتب العلم بالله تعالى، أهكذا يكون الاغتراف من بحر الشريعة والحقيقة؟. وهكذا من يكون مستغنيا عن الشيخ الحي، وهكذا يكون مَنْ طريقته موصولة؟.

وروى ابن أبي الدنيا[1] والطبراني[2] والبيهقي[3]: "الغيبة أشد من الزنا". قيل: وكيف؟. قال: "الرجل يزني ثم يتوب، فيتوب الله عليه، وإن صاحب الغيبة لا يغفَر له حتى يغفر له صاحبُه".

وقد كانت الغيبة تنقض الوضوء وتبطل الصوم[4] على عهد النبوة. وهو من جملة السنن التي تنوسي العمل بها وصارت كأنها منسوخة.

وأما تصريح جمع من الشافعية بأن الغيبة من الصغائر، وقاله الرافعي وغيره[5]، ونقله المَحَلِّيُّ في "شرح جمع الجوامع"[6] وسكتوا عنه؛ فهو مصادم للإجماع كما قاله الحافظ في "فتح الباري"[7] نقلا عن "التفسير" للقرطبي[8]. وقد تكفل برد هذا القول الإمام ابن

---

(1) "الصمت" ص 119، وفيه عباد بن كثير الثقفي وهو متروك كما في "المجمع" 91/8.

(2) "المعجم الأوسط" 348/6 به مثله.

(3) "شعب الإيمان" 306/5 كذلك.

(4) قال الأوزاعي: "إن الغيبة تفطر الصائم وتوجب عليه قضاء ذلك اليوم". وروى البيهقي عن أبي هريرة موقوفا بسند ضعيف: "الغيبة تخرق الصوم، والاستغفار يرفعه". وعن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: "الغيبة تفطر الصائم وتنقض الوضوء". رواه الربيع في "مسنده" ص 58. وفي كتاب "الزهد" لأحمد بن حنبل ص 60، عن ابن أبي سلمة: "قلت لمجاهد: يا أبا الحجاج الغيبة تنقض الوضوء؟. قال: نعم، وتفطر الصائم".

(5) ينظر "مغني المحتاج" للشربيني 427/4، و"حواشي الشرواني" 214/10.

(6) ص301

(7) 470/10.

(8) 337/16 وعبارة القرطبي هكذا: "لا خلاف أن الغيبة من الكبائر".

حجر في "الزواجر عن اقتراف الكبائر"[1]: كتاب لا تستغني امرأة عن العمل بما فيه فضلا عن الرجل، ويجب على جميع المسلمين أن يشتغلوا به.

{وأفوض أمري إلى الله إن الله بصير بالعباد}

وانظر "إحياء علوم الدين" للغزالي؛ تعلم جَلِيَّةَ أمرك ومن استهويته، وخصوصا ربع المهلكات من "الإحياء". فأنشد الله جميع المسلمين أن يشتغلوا بربع المهلكات من "الإحياء"؛ فإنه ما طالعه أحد وبقي على حاله، خصوصيةً خُصَّ بها بين الكتب كما شعر به السبكي، وقد أَلَمَّ بذلك في "الطبقات الكبرى"، وانظر "الزواجر".

الكبيرة الثامنة: الدعوى في العلم أو القرآن أو شيء من العبادات زهوا[2] وافتخارا:

أخرج الطبراني في "الكبير"[3]، قال الحافظ المنذري[4]: "وإسناده حسن إن شاء الله تعالى". عن سيدنا ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن مولانا رسول الله صلى الله تعالى وسلم: قام بمكة من الليل فقال: "اللهم هل بلّغت؟". ثلاث مرات. فقام سيدنا عمر

(1) 9/1-10.

(2) في ج وط "زهدا"، والصواب زهوا بالواو بدل الدال، من الزهو وهو الرياء والمفاخرة كما هو سياق الكلام، وهو ما أثبتناه.

(3) 250/12.

(4) "الترغيب والترهيب" 76/1.

رضي الله تعالى عنه – وكان أواها – فقال: "اللهم نعم، وحرّضتَ وجاهدت ونصحت". فقال: "ليظهرن الإيمان حتى يَرد الكفر إلى مواطنه، ولتخاضن البحار بالإسلام، وليأتين على الناس زمان يتعلمون فيه القرآن يتعلمونه ويقرأونه، ثم يقولون: قد قرأنا وعلمنا، فمن الذي هو خير منا؟. فهل في أولئك من خير؟. قالوا: "يا رسول الله؛ ومن أولئك؟". قال: "أولئك منكم وأولئك هم وَقود النار".

وخرج الطبراني[1]: "من قال أنا عالم فهو جاهل".

الكبيرة التاسعة: إضاعة حق العلماء والاستخفاف بهم:

روى الإمام أحمد[2] بسند حسن[3]: "ليس من أمتي من لم يُجِلَّ كبيرنا، ويرحم صغيرنا، ويعرف لعالمِنا حقه".

وأخرج الإمام أحمد[4] بسند فيه ابن لهيعة: "اللهم لا يدركني زمان – أو: لا تدركوا زمانا – لا يُتَّبع فيه العليم، ولا يستحيا فيه من الحليم، قلوبهم قلوب الأعاجم، وألسنتهم ألسنة العرب".

---

(1) في "المعجم الأوسط" 59/7 عن ابن عمر رضي الله عنهما، وفيه ليث بن أبي سليم ضعيف، كما قال الحافظ الهيثمي في "المجمع" 186/1.

(2) "المسند" 325/5.

(3) كما قال الهيثمي في"المجمع" 14/8 والمنذري في "الترغيب والترهيب" 64/1.

(4) "المسند" 340/5.

الكبيرة العاشرة: بُغضُ الصالحين، والمحبة على الجور، والبغضُ على شيء من العدل:

خرج الحاكم[1] وصححه: "الشرك أخفى في أمتي من دبيب النمل على الصفاة في الليلة الظلماء، وأدناه: أن يحب على شيء من الجور ويبغض على شيء من العدل". وهل الدين إلا الحب في الله والبغض في الله؟.

وروى ابن حبان في "صحيحه"[2]: "لا تصاحب إلا مؤمنا ولا يأكل طعامك إلا تقي". فكما أن محبة الفاسق كبيرة كفعله، فكذا بغض الصالحين كبيرة.

قال ابن حجر في "الزواجر"[3]، في توجيه كون هذه كبيرة: "لأن حب أولئك الفاسقين وبغض الصالحين يدل على انفكاك ربقة الإسلام، وعلى بغضه، وبغضُ الإسلام كفر. فما يؤدي إليه ينبغي أن يكون كبيرة".

الكبيرة الحادية عشرة: إذاية أولياء الله تعالى ومعاداتهم:

خرج الإمام البخاري عن سيدنا أنس[4] وسيدنا أبي هريرة[5] عن مولانا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال عن الله سبحانه: "من أهان لي وليا؛ فقد بارزني

---

(1) "المستدرك" 319/2 عن عائشة.

(2) كما في "إحسان" ابن بلبان 314/2 عن أبي سعيد الخدري، وأخرجه الحاكم أيضا في "المستدرك" عنه 143/4 وصححه.

(3) 212/1.

(4) رواية أنس ليست عند البخاري بل هي في "المعجم الأوسط" للطبراني 192/1 وفيه عمر بن سعيد الدمشقي ضعيف كما في "المجمع" 270/10.

(5) "صحيح البخاري" 2384/5 ح 6137.

بالمحاربة"، وفي رواية: "إن الله تعالى قال: من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب". أي: أعلمته أني محارب له.

وفي الحديث الصحيح[1] أن أبا سفيان أتى على سيدنا سلمان وسيدنا صهيب وسيدنا بلال رضي الله تعالى عنهم، في نفر، فقالوا: "ما أخذتْ سيوفُ الله من عدو الله مأخذها إن لم تستوف حقها منه!". لأنه إذ ذاك على كفره. فقال سيدنا أبو بكر رضي الله تعالى عنه: "أتقولون هذا لشيخ قريش وسيدهم؟". فأتى النبيَّ صلى الله تعالى عليه وسلم فأخبره، فقال: "يا أبا بكر؛ لعلك أغضبتهم، لئن كنتَ أغضبتهم لقد أغضبت ربك". فأتاهم أبو بكر وقال: "يا إخوتاه، أغضبتكم؟". قالوا: "لا؛ يغفر الله لك يا أخي".

قال في "الزواجر"[2]: "لا أشد من وعيد محاربة الله للعبد، إذ محاربة الله للعبد لم تذكر إلا في آكل الربا ومعاداة الأولياء، ومن عاداه الله؛ لا يفلح أبدا، بل لا بد – والعياذ بالله – أن يموت على الكفر".اهـ نصه.

الكبيرة الثانية عشرة: الكلمة التي تَعظُم مفسدتها وينتشر ضررها:

مما يُسخط الله سبحانه ولا يُلقي لها قائلها بالا. وغير خفي ما أحدث من فتن ما سَوَّدتُم؛ فنفسُه كبيرة، وتقدمت أدلة هذه.

أخرج الإمام أحمد[1] وابن عساكر[2]: "إن أحبكم إلي وأقربكم مني: مَن لقيني على مثل الحال التي فارقني عليها".

---

(1) "صحيح مسلم" 1947/4 ح 2504 عن عائذ بن عمرو.

(2) 215/1.

الكبيرة الثالثة عشرة: العجب بما عليه الإنسان:

ولولا ذلك ما استسمجَ الإنسانُ فعل غيره، واستحسن فعله وأحواله.

روى الديلمي(3): "لولا أن المؤمن يُعجب بعمله؛ لعُصم من الذنب حتى لا يهِم به، ولكن الذنب خير له من العجب".

وروى أبو الشيخ(4): "شرار أمتي: المُعجب بدينه، المُرائي بعمله، المُخاصم بحجته". والرياء شرك.

وروى الدارقطني(5): "ليس بالخير أن يقضي العبد القول بلسانه والعجبُ في قلبه".

وروى أبو نعيم(6): "من حمد نفسه على عمل صالح؛ فقد قلَّ(7) شكره وحبط عمله".

---

(1) 195/1 عن أبي عبيدة.

(2) "تاريخ دمشق" 479/25.

(3) "مسند الفردوس" 335/3 عن أبي هريرة.

(4) ورواه أيضا الديلمي في "مسند الفردوس" 369/2 عن ثابت بن ثوبان.

(5) لم أجده عند الدارقطني في "سننه"، وهو عند الديلمي في "مسند الفردوس"407/3 عن أنس بن مالك.

(6) لم أجده في "الحلية"، ولكن رأيته مسندا عند أبي بكر الشيباني في "الآحاد والمثاني" 227/5، وعند الطبراني في "تفسيره" 206/8. وقال الحافظ في "الإصابة265/7: "أبو عبد العزيز ذكره ابن أبي عاصم في الصحابة.وروي من طريق بقية عن عبد الغفور الأنصاري، عن عبد العزيز، عن أبيه، وكانت له صحبة.فذكر حديثا تقدم فيمن اسمه سعيد، وأخرجه الطبري في "تفسير سورة الأعراف، عن عبد الغفار بن عبد العزيز الأنصاري، عن عبد العزيز الشامي، عن أبيه، وكانت له صحبة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "من لم يحمد الله على عمل من عمل صالح وحمد نفسه؛ قلَّ شكره وحبط عمله، ومن زعم أن الله جعل للعباد من الأمر شيئًا؛ فقد كفر بما أنزل على أنبيائه، لقوله تعالى: {ألا له الخلق والأمر}" .اهـ.

(7) في ج وط ضل بالضاد وهو سبق قلم.

الكبيرة الرابعة عشرة: اشتماله على التنابز بالألقاب المكروهة:

وهو من الكبائر حسبما في "الزواجر"(1). وفي "أذكار"(2) النووي: "اتفق العلماء على تحريم تلقيب الإنسان بما يكره، سواء كانت صفةَ له، أو لأبيه، أو لأمه، أو غيرهما مما يكره".اهـ.

على أن التنابز بالألقاب من إحدى فروع الغيبة؛ إذ حقيقته: تناول العرض بما يكره، وإنما كانت الغيبة أعظم من الزنا وأعظم من الربا؛ لأنها تؤذي المسلمين.

روى ابن أبي الدنيا(3) وأبو نعيم(4) عن مالك بن دينار قال: "مر سيدنا عيسى عليه السلام والحواريون معه على جيفة كلب، فقال الحواريون: ما أنتن ريح هذا. فقال سيدنا عيسى عليه السلام: ما أشد بياض أسنانه". كأنه نهاهم عن الغيبة، ونبههم على أن لا يذكر مِن خلقِ الله إلا أحسنه!.

وسمع علي بن الحسين(5) رجلا يغتاب آخر، فقال: "إياك والغيبة؛ فإنها إدام كلاب الناس".

---

(1) 227/2.

(2) ص 98.

(3) كتاب "الصمت" ص 172.

(4) "حلية الأولياء" 382/2.

(5) أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب "الصمت" ص 173.

وأخرج البيهقي[1] عن الصديقية رضي الله عنها قالت: "لا يتوضأُ أحدكم من الكلمة الخبيثة يقولها لأخيه، ويتوضأ من الطعام الحلال!".

وقال إبراهيم: "الوضوء: من الحدث وأذى المسلم". خرجه البيهقي[2].

وعن مولاتنا عائشة وسيدنا ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قالا: "الحدَث حدَثان: حدث من فيك، وحدث من نومك. وحدث الفم أشد: الكذب والغيبة". أخرجه البيهقي[3].

وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - أن رجلين صليا الظهر والعصر وكانا صائمين، فلما قضى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم الصلاة قال: "أعيدا وضوءكما وصلاتكما، وامضيا في صومكما، واقضيا يوما آخر مكانه". قالا: "لِمَ يا رسول الله؟!". قال: "قد اغتبتما فلانا". أخرجه الخرائطي في "مساوئ الأخلاق"، والبيهقي[4]. وهذا الباب من الشريعة كأنه نُسخ اليوم!.

[أسباب الغيبة]:

---

(1) "شعب الإيمان" 302/5.

(2) "شعب الإيمان" 302/5.

(3) "شعب الإيمان" 302/5.

(4) "شعب الإيمان" 302/5.

وقد ذكر في "الإحياء"[1] أن: "أسباب الغيبة أحد عشر سببا؛ ثمانية منها تَطَّرِدُ في حق العامة، وثلاثة تختص بأهل الدين والخاصة. أما الثمانية:

1 - فالأول: تشفي الغيظ - أي: الغضب - الكامن في القلب.

2 - الثاني من البواعث على الغيبة: موافقة الأقران، ومجاملة الرفقاء ومساعدتهم على الكلام، فإنهم إذا كانوا يتفكهون بذكر الأعراض؛ فيرى أنه لو أنكر عليهم وقطع المجلس؛ لاستثقلوه ونفروا عنه، فيساعدهم.

3 - الثالث[2]: التحامي عن رد قوله فيبادر الناس لإسقاط مكاناتهم عند الخلق ويطعن فيهم قبل أن يستطيلوا عليه.

4 - الرابع: أن يُنسب إلى شيء يريد أن يتبرأ منه، فيذكر الذي فعله. قلت: ولا يرد هذا علينا؛ فإن سندنا فيما قلناه: قول المعصوم صلوات الله وسلامه عليه: "بئس ابن العشيرة"، أو: "بئس أخو العشيرة". والمقول فيه ذلك معلوم عند عائشة رضي الله تعالى عنها، والحديث في الصحيح[3]، وغيره. وقد سمى الله - سبحانه - أقواما في القرآن، ووصفهم بأحسن شيء فيهم، وسمى أقواما في القرآن وذمهم بما فيهم، والكلام في محله صمت، والصمت في غير محله كلام وخور.

---

(1) 146/3.

(2) الباعث الثالث عند الغزالي في نسختي من "الإحياء"146/3: "أن تستشعر من إنسان أنه سيقصده ويطول لسانه عليه أو يقبح هو حاله ويطعن فيه ليسقط أثر شهادته أو يبتدئ بذكر ما فيه صادقا ليكذب عليه بعده، فيروج كذبه بالصدق الأول ويستشهد ويقول: ما من عادته الكذب، فإني أخبرتكم بكذا وكذا من أحواله فكان كما قلت".اهـ. قلت: ولعل المؤلف رحمه الله نقل معناه، أو أنه نقل من نسخة أخرى مختلفة، والله أعلم.

(3) "صحيح البخاري" 2244/5 ح 5685 و"صحيح مسلم" 2002/4 ح 2591 عن عائشة.

5 -الخامس من أسباب الغيبة: إرادة التصنع والمباهاة. وهو: أن يرفع نفسه بتنقيص غيره.

6 -السادس: الحسد. فيرى ألسنة الخلق مشتغلة بالثناء على شخص، فيريد زوال تلك النعمة عنه، فلا يجد سبيلا إليه إلا بالقدح فيه، يريد أن يُسقط ماء وجهه عند الناس حتى يكفوا عن كرامته والثناء عليه، وهو عين الحسد. والحاسد: عدوٌّ نعم الله سبحانه، وقد قال أهل الأنوار: "كلُّ مَن عادانا؛ أرضيناه، إلا الحسود؛ فلا نقدر على إرضائه؛ لأنه لا يرضيه إلا موتنا، وليس بأيدينا".

7 -السابع: اللعب والهزل، وتزجية[1] الوقت بالضحك، فيذكر عيوب غيره بما يضحك الناس، ومنشأهُ: التكبر والعُجب[2]".

قال الإمام أبو حامد في "الإحياء"[3] مع شرحها: "وأما الأسباب الثلاثة التي هي في الخاصة؛ فهي أغمضها وأدقها؛ لأنها شرور خبأها الشيطان في معرض الخيرات:

1 - الأول: أن تنبعث من الدين داعية التعجب في إنكار المنكر والخطإ في الدين، فيقول: "ما أعجب ما رأينا من فلان". فإنه قد يكون صادقا، ويكون تعجبه من المنكر، ولكن كان حقه أن يتعجب ولا يذكر اسمه، فيسهل الشيطان عليه ذكر اسمه في ذكر تعجبه؛ فصار به مغتابا من حيث لا يدري؛ لأنه لو بلغه؛ لكرهه وأثم في ذلك. وقَلَّ مَن يتفطن له إلا العارفون، ومن ذلك قول

(1) في ط شرحية.

(2) في ج وط التعجب والتصحيح من "الأحياء" 147/3.

(3) 146/3.

الرجل: "تعجبت من فلان، كيف يحب جاريته وهي قبيحة؟، وكيف يجلس بين يدي فلان وهو جاهل؟!".

2 - السبب الثاني من الأسباب الباعثة على الغيبة من الخاصة: الرحمة، وهو: أن يغتم بسبب ما يبتلى ويمتحن به، فيقول: فلان مسكين؛ قد غمنا أمره وما ابتلي به، فيكون صادقا في دعوى اغتمامه، ويلهيه الغم عن الحذر من ذكر اسمه، فيذكره فيصير به مغتابا، فيكون غمه ورحمته خيرا، ولكن ساقه الشيطان إلى معرض شر من حيث لا يدري، والترحم والاغتمام ممكن دون ذكر اسمه، فيُهَيّجه الشيطان على ذكر اسمه ليبطل به ثواب اغتمامه وترحمه.

3 - الثالث من بواعث غيبة الخاصة: الغضب لله تعالى، فإنه قد يغضب على منكَر قارفه وارتكبه إنسان؛ إذ رآه وسمعه، فيظهر غضبه، ويذكر اسمه. وكان الواجب عليه أن يظهر غضبه عليه بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولا يظهر على غيره ويستر اسمه ولا يذكره بالسوء، لحرمة عرضه".

قال الإمام حجة الإسلام: "فهذه الثلاثة مما يغمض دركها على العلماء، فضلا عن العوام، وهم يظنون أن التعجب والرحمة والغضب إذا كان لله سبحانه؛ كان عذرا مبيحا في ذكر الاسم. وهو خطأ".

وروى ابن ماجه[1] وابن أبي الدنيا[1] عن أبي هريرة رفعه: "الربا سبعون حوبا: أيسرها كنكاح الرجل أمه، وأربى الربا: عرض الرجل المسلم". ***وما فَرَّق كلمة الإسلام إلا مثل هذه الفوادح الموبقة.***

---

(1) 764/2 ح 2274.

روى ابن أبي الدنيا(2) عن وهب بن منبه: أن ذا القرنين قال لبعض الأمم: "ما بال كلمتكم واحدة، وطريقتكم مستقيمة؟". قالوا: "إنا لا نتخادع، ولا يغتب بعضنا بعضا".

الكبيرة الخامسة عشرة: السخرية والاستهزاء بالمسلم:

قال جل من قائل: {يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم}. [الحجرات/ 11].

قال القرطبي(3) في تفسير: {بيس الاسم الفسوق بعد الإيمان}: "مَن لقب أخاه وسخر به؛ فهو فاسق".اهـ. والسخرية: الاستحقار والاستهانة، والتنبيه عن العيوب والنقائص يوم يُضحك منه.

خرج الطبراني(4) بسند جيد: "من ذكر امرأ بشيء ليس فيه، ليعيبه به؛ حبسه الله تعالى في نار جهنم حتى يأتي بنفاذ ما قال". وفي رواية(5): "أيما رجل أشاع على رجل مسلم

---

(1) "كتاب "الصمت" ص 123.

(2) "كتاب "الصمت" ص 123.

(3) "تفسير القرطبي" 328/16.

(4) في "المعجم الأوسط" 380/8 عن أبي الدرداء. قال الحافظ الهيثمي في "المجمع" 94/8: "عن شيخه مقدام بن داود وهو ضعيف".اهـ. قلت: جوّد هذا الحديث المنذري في "الترغيب والترهيب" 316/3، لعله لوروده من طريق آخر، عن أبي الدرداء، عند ابن جرير الطبري في "صريح السنة" ص 28، عن خلاد بن أسلم، عن النضر بن شميل، عن موسى بن عقبة، عن عمرو بن عبد الله، عن أبي الدرداء.

(5) عند الطبراني في "الكبير" عن أبي الدراداء بسند رجاله ثقات كما قال الهيثمي في "المجمع" 201/4.

بكلمة وهو منها بريء، ويشينه بها في الدنيا؛ كان حقا على الله - سبحانه - أن يذيبه يوم القيامة بالنار حتى يأتي بنفاذ ما قال فيه".

وخرج أبو داود[1]: "ومن قال في مسلم ما ليس فيه؛ أسكنه الله - سبحانه - ردغة الخبال حتى يخرج مما قال". زاد الطبراني[2]: "وليس بخارج". وردغة الخبال: عصارة أهل النار. كذا جاء مفسَّرا مرفوعا[3].

مسألة وإيقاظ ونصيحة: [في فضيلة الذب عن عرض المسلم وعدم قبول غيبته]:

روى الإمام أحمد[4] وجماعة بسند حسن: "من ذب عن عرض أخيه بالغيبة؛ كان حقا على الله تعالى أن يعتقه من النار".

وروى الترمذي[5] وحسنه: "من رد عن عرض أخيه؛ رد الله سبحانه عن وجهه النار يوم القيامة".

وروى أبو الشيخ[6]: "من ذب عن عرض أخيه؛ رد الله سبحانه عنه عذاب النار يوم القيامة". وتلا مولانا رسول الله: {وكان حقا علينا نصر المؤمنين}. [الروم/ 47].

---

(1) "سنن أبي داود" 305/3 ح 3587 عن عبد الله بن عمر. وجاء في ج وط رذغة بالذال المعجمة والصواب بمهملة.

(2) "المعجم الكبير" 388/12.

(3) عند ابن ماجه في "سننه" 1120/2 ح 3377 عن عبد الله بن عمرو.

(4) "المسند" 461/6 عن أسماء بنت يزيد بلفظ: "من ذب عن لحم أخيه".

(5) "سنن الترمذي" 327/4 ح 1931 عن أبي الدرداء.

(6) في كتاب "التوبيخ" كما في "الترغيب والترهيب" للمنذري 334/3 عن أبي الدرداء.

وعن سيدنا أنس[1] رفعه: "من حمى عرض أخيه في الدنيا؛ بعث الله عز وجل ملكا يوم القيامة يحميه عن النار".

وأخرج الأصبهاني[2]: "من اغتيب عنده أخوه، فاستطاع نصرته، فنصره؛ نصره الله في الدنيا والآخرة، وإن لم ينصره؛ أذله الله في الدنيا والآخرة".

وروى أبو داود[3] وابن أبي الدنيا[4] وغيرهما: "ما من امريء مسلم يخذل أحدا مسلما في موضع تُنتهك فيه حرمته ويُنتقص فيه من عرضه؛ إلا خذله الله - سبحانه - في موطن يحب فيه نصرته، وما من امريء مسلم ينصر مسلما في موضع ينتقص فيه من عرضه، وينتهك فيه من حرمته؛ إلا نصره الله في موطن يحب فيه نصرته".

الكبيرة السادسة عشرة: سبُّ المسلم والاستطالة في عرضه:

روى الشيخان[5] والترمذي[6] والنسائي[7] وابن ماجه[1] عن سيدنا ابن[2] مسعود رفعه: رفعه: "سِباب المسلم فسوق، وقِتاله كفر".

---

(1) رواه عنه أبو داود في "سننه" 269/4 ح 4883.

(2) عزاه إليه المنذري في" الترغيب والترهيب" 334/3 عن أنس بن مالك. قلت: ورواه عنه أيضا معمر بن راشد في "الجامع" 178/11، وهناد في "الزهد" 566/2، وله شاهد من رواية ابن مسعود عند البخاري في "الأدب المفرد" ص 255.

(3) في "سننه" 271/4 ح 4884 عن جابر بن عبد الله.

(4) كتاب "الصمت" ص 149.

(5) البخاري 27/1 ح 48 ومسلم 81/1 ح 64.

(6) "سنن الترمذي" 353/4 ح 1983.

(7) 121/7 ح 4104.

وأخرج البزار[3] بسند جيد: "سباب المسلم كالمشرف على الهلكة".

وروى أبو داود[4] والترمذي[5] وقال: "حسن صحيح"، والحاكم[6] وقال: "صحيح الإسناد": "لا تلاعنوا بلعنة الله، ولا بغضبه، ولا بالنار".

وروى الترمذي[7] وقال: "حسن غريب": "لا يكون المؤمن لعانا"، وفي رواية له[8]: "ليس المؤمن بالطعان، ولا باللعان، ولا بالفاحش، ولا بالبذي". أي: المتكلم بالفحش والكلام القبيح.

وروى الحاكم[9] وقال: "صحيح الإسناد": "لا يجتمع أن تكونوا لعانين وصدّيقين".

[كان النبي ﷺ يراعي نوع الحيوانات إذا صدر من جنسها حسنة في زمن ما]:

---

(1) 27/1 ح 69.

(2) في ج وط أبي.

(3) عزاه إليه الهيثمي في "مجمع الزوائد" 73/8 عن عبد الله بن عمرو، ووثق رجاله، وجوّد هذا الحديث المنذري في "الترغيب والترهيب" 311/3.

(4) "سنن أبي داود" 277/4 ح 4907 عن سمرة بن جندب.

(5) "سنن الترمذي" 277/4 ح 4907 عنه أيضا.

(6) "المستدرك" 111/1.

(7) "سنن الترمذي" 371/4 ح 2019 عن ابن عمر.

(8) "سنن الترمذي" 350/4ح 1977 عن ابن مسعود.

(9) "المستدرك" 110/1 عن أبي هريرة.

وقد كان من أُرسل رحمة للعالمين يراعي نوع الحيوانات إذا صدر من جنسها حسنة في زمن ما، روى أبو داود[1]: "لا تسبوا الديك؛ فإنه يدعو إلى الصلاة".

وروى البزار[2] بسند رواته رواة الصحيح، إلا عباد بن منصور[3] ضعفه كثيرون، وحسّن له الترمذي غيرما حديث: "أن ديكا صرخ قريبا من النبي صلى الله عليه وسلم؛ فقال رجل: اللهم العنه!". فقال مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله: "مَهْ، كلا؛ إنه يدعو إلى الصلاة!!".

وروى أبو داود[4]: أن برغوثا لدغت رجلا فلعنها، فقال مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا تلعنها؛ فإنها نبهت نبيا من الأنبياء للصلاة". وفي رواية للبزار: "لا تسبه؛ فإنه أيقظ نبيا من الأنبياء لصلاة الصبح".

وصح[5] أن رجلا لعن الريح عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: "لا تلعنوا الريح؛ فإنها مأمورة، من لعن شيئا ليس له بأهل؛ رجعت اللعنة عليه!".

---

(1) "سنن أبي داود" 327/4 ح 5101 عن زيد بن خالد.

(2) كما في "المجمع" 77/8 عن ابن عباس رضي الله عنه.

(3) عباد بن منصور؛ هو: أبو سلمة الناجي البصري، ضُعِّف لقدريته وتدليسه، مات سنة 152 هـ كما في "ميزان الاعتدال" 41/4.

(4) هذا سبق قلم من المؤلف فالحديث ليس عند أبي داود في "سننه" ولا في غيرها، بل هو في "مسند أبي يعلى" 333/5، و"مسند البزار" أيضا كما قال الهيثمي في "المجمع" 77/8، كلاهما عن أنس بن مالك رضي الله عنه، والحديث صحيح.

(5) رواه أبو داود في "سننه" 278/4 ح 4908 والترمذي في "سننه" 350/4 ح 1978 وابن حبان في "صحيحه" 55/13 عن ابن عباس. وقال الترمذي: "حديث غريب، لا نعلم أحدا رواه غير بشر بن عمر".اهـ. قال الحافظ: "وبشر ثقة احتج به البخاري ومسلم وغيرهما، ولا أعلم فيه جرحا كما في "الترغيب والترهيب" 315/3".

فأين الاغتراف من الشريعة والحقيقة الذي تدعي؟، ولو كانت للإنسان أدنى ممارسة بالأنفاس المحمدية، وهي: الكتب الحديثية، وكان له حظ من التوفيق؛ لوقف عند تنبيهاتها وتأديباتها، وحدودها وإشاراتها وإيقافاتها. فقد كان العقلاء من أهل الله تعالى يقولون: "لو بلغنا أن مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بقرض لحومنا؛ لقرضناها، أو بقص الأعناق؛ لقصصناها".

[الاغتراف من الشريعة والحقيقة يعطي الاتساع في الدين لا التضييق]:

فكيف بضروريات دينه؟، فكيف يدعي الاغتراف من بحري الشريعة والحقيقة والشريعة تعطي الاتساع لا الضيق؟. ومن قال: إنه يعرف الشريعة المحمدية وتَلَبَّس بالضيق؛ علمنا أنه لم يدخل حضرات العيان والكشف حتى تعينَه على الاطلاع على الأسرار التشريعية؛ لأن حضرة المعاني أوسع من حضرات الألفاظ.

قال في "المستصفى"[1]: "ومن أخذ المعاني من الألفاظ؛ ضل وهلك، وصار يستدبر المشرق وهو يطلبه".اهـ.

والحقيقة – أيضا – تعطي الاتساع، فمن قال: إنه يعرفها ولم تنبسط عليه أشعاتها؛ فما وصلها. قال سيدنا أبو العباس الخَضِر لبعض الأكابر: "لو أن سالكا طاف أقطار المشارق والمغارب، على قدم التجرد والانقطاع، والتخلي عن الأشياء في طلب الحق، على غير سنة مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ لم يزدد من الله تعالى إلا بعدا".

(1) ص 18.

[الإسلام نهى عن التقعر في الحديث]:

والأمر العمومي الذي يشمل كل ما كتبتم: التقعر[1] في الكلام بالتشدق وتكلف السجع والأمثال الهجائية. قال الإمام أبو حامد في الآفة السادسة من آفات اللسان[2]: "وماجرت به عادة المتفاصحين المدعين للخطابة والشعر، وكل ذلك من التصنع المذموم في الشرع، ومن التكلف الممقوت".اهـ.

روى الإمام البخاري[3] عن سيدنا أنس عن سيدنا عمر رضي الله تعالى عنهما: "نُهينا عن التكلف".

وروى الإمام أحمد[4]، والطبراني في "معجميه الكبير"[5] و"الأوسط"[6]، وأبو نعيم في "الحلية"[7] عن سيدنا سلمان أنه قال لمن استضافه: "لولا أنا نهينا عن التكلف؛ لتكلفت

---

(1) في ط التبعقر.

(2) "إحياء عبوم الدين" 120/3.

(3) "صحيح البخاري" 2659/6 ح 6863.

(4) 441/5.

(5) 235/6.

(6) 104/6.

(7) لم أقف عليه في "حلية" أبي نعيم.

لكم". وهو شاهد لما في "الإحياء": "أنا وأتقياء أمتي أبرياء من التكلف"، وإن أغفله العراقي في التخريج[1].

وروى الإمام أحمد[2] من حديث أبي ثعلبة رفعه: "إن أبغضكم إلى الله تعالى وأبعدكم مني مجلسا: الثرثارون المتفيقهون، المتشدقون في الكلام".

وروى الديلمي[3] من حديث سيدنا أبي هريرة: "شرار أمتي: الثرثارون المتشدقون المتفيقهون، وخيار أمتي: أحاسنهم أخلاقا".

وروى الإمام مسلم[4] من حديث ابن مسعود: "ألا هلك المتنطعون". ثلاث مرات. قال في "الإحياء"[5]: "والتنطع هو: التعمق والاستقصاء".

وقال الفاروق رضي الله تعالى عنه[6]: "إن شقاشق الكلام من شقاشق الشيطان".

وجاء عمر بن سعد بن أبي وقاص إلى أبيه سعد يسأله حاجة، فتكلم بين يدي حاجته بكلام، فقال له سعد: "ما كنتَ من حاجتك بأبعدَ منها اليوم، إني سمعت رسول الله

---

(1) أخرجه الدارقطني في "الأفراد" بسند ضعيف: "ألا إني بريء من التكلف وصالحو أمتي"، وكذلك أخرجه ابن عساكر في "تاريخ دمشق"277/35 بلفظ: "إني وصالحو أمتي برآء من التكلف"، وذكر العجلوني هذا الحديث في "كشف الخفا" بلفظ: "أنا والأتقياء من أمتي بريئون من التكلف". وذكر عن النووي أنه قال: "ليس بثابت".

(2) "المسند" 193/4، قال الحافظ الهيثمي في "المجمع" 21/8: "رجال أحمد رجال الصحيح".

(3) "مسند الفردوس" 369/2.

(4) 2055/4 ح 2670.

(5) 95/1.

(6) أخرجه عنه البخاري في "الأدب المفرد" ص 302 وابن أبي شيبة في "المصنف" 300/5 عن عطية بن عمر.

صلى الله عليه وسلم يقول: يأتي على الناس زمان يتخللون الكلام بألسنتهم كما تتخلل البقر الكلأ بألسنتها". أي: يتشدق الكلام بلسانه كما تتشدق البقر، رواه الإمام أحمد[1].

قال في "الإحياء"[2]: "وكأنه أنكر عليه ما قدَّم على الكلام من التشبب، والمقدمة المصنوعة المتكلفة، وهذا - أيضا - من آفات اللسان، وكذلك التفاصح الخارج عن حد العادة".

[عاقبة سوء الخلق]:

وروى ابن أبي الدنيا[3] مرفوعا: "أربعة يؤذون أهل النار في النار على ما بهم من الأذى، يسعون بين الحميم والجحيم، يدعُون بالويل والثبور، [يقول بعض أهل النار لبعض: ما بال هؤلاء قد آذونا على ما بنا من الأذى؟. قال: فرجل مغلق عليه تابوت من جمر، ورجل يجر أمعاءه، ورجل][4] يسيل فوه قيحا ودما، [ورجل يأكل لحمه. فيقال للذي للذي يأكل لحمه: ما باله قد آذانا على ما بنا من الأذى؟]. فيقول له: ما بال الأبعد قد آذانا على مابنا من الأذى؟. فيقول: إن الأبعد كان ينظر كل كلمة قذعة - أي: قبيحة خبيثة - فيستلذ بها كما يستلذ الرفث". وهو: الفحش في المنطق.

---

(1) "المسند" 184/1 والبزار في "مسنده" 31/4، وقال الهيثمي في "المجمع" 116/8: "رواه من عدة طرق وفيه راو لم يسم، وأحسنها ما رواه أحمد عن زيد بن أسلم، عن سعد، إلا أن زيدا لم يسمع من سعد".

(2) 120/3.

(3) كتاب "الصمت" ص 128 عن شفي بن ماتع مرسلا، لأنه معروف في عداد التابعين كما في "الإصابة" 399/3.

(4) ما بين معكوفين ساقط من ج وط، وأثبته من كتاب "الصمت" على أن فيه تصرفا من المؤلف رحمه الله.

وروى ابن أبي الدنيا[1]: "يا عائشة؛ لو كان الفحش رجلا؛ كان رجُل سوء".

وروى الترمذي[2] وحسنه، والحاكم[3] وصححه على شرط الشيخين، من حديث سيدنا أبي أمامة رفعه: "البذاء والبيان شعبتان من شعب النفاق".

وروى الإمام أحمد[4] وابن أبي الدنيا[5] بإسناد صحيح عن سيدنا جابر رفعه: "إن الفحش والتفحش ليسا[6] من الإسلام في شيء، وإن أحسن الناس إسلاما: أحاسنهم أخلاقا".

وروى المسعودي[7] عن عوف بن عبد الله قال: "ألا إن الفحش والبذاء من النفاق، وهن مما يزدن في الدنيا وينقصن في الآخرة، وما ينقصن في الآخرة أكثر مما يزدن في الدنيا".

17 – مسألة وإيقاظ: [إسخاط الله لرضا الناس من الكبائر]:

---

(1) كتاب "مكارم الأخلاق" ص 39، ورواه في كتاب "الصمت" ص 168 و ص187 عن عطاء.

(2) "سنن الترمذي" 375/4 ح 2027 وقال: "حسن غريب".

(3) "المستدرك" 51/1 و 118/1.

(4) "المسند" 89/5. وجابر هو: ابن سمرة رضي الله عنه.

(5) كتاب "الصمت" ص 191.

(6) في ط ليستا.

(7) رواه عنه ابن أبي الدنيا في كتاب "الصمت" ص 186 وابن أبي شيبة في "المصنف" 230/7.

روى ابن حبان في "صحيحه"[1] عن مولاتنا عائشة رفعته: "من التمس رضى الله بسخط الناس؛ رَضِيَ الله عنه وأرضى عنه الناس، ومن التمس رضى الناس بسخط الله؛ سَخِطَ الله عليه وأسخط عليه الناس".

وروى الطبراني[2] بسند جيد قوي[3]: "من أسخط الله في رضى الناس؛ سخط الله عليه عليه وأسخط عليه من أرضاه في سخطه، ومن أرضى الله في سخط الناس؛ رضي الله عنه وأرضى عنه من أسخطه في رضاه، حتى يُزينَه ويُزينَ قوله وعمله في عينه".

وروى البزار[4]: "من طلب محامد الناس بمعاصي الله؛ عاد حامدُه له ذاما"، أو قال: "ذاما له".

وروى ابن حبان في "صحيحه"[5] واللفظ له، والبيهقي[6]: "من أرضى الله بسخط الناس؛ كفاه الله، ومن أسخط الله برضى الناس؛ وَكَّله الله إلى الناس".

وروى البيهقي[7]: "من أراد سخط الله ورضى الناس؛ عاد حامدُه من الناس ذاما".

---

(1) "الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان" 510/1.

(2) في "الكبير" 268/11 عن ابن عباس.

(3) كما قال الحافظ المنذري في "الترغيب والترهيب" 139/3.

(4) عزاه إليه الهيثمي في "المجمع" 225/10 عن عائشة، وقال عقبه: "من طريق قطبة بن العلاء، عن أبيه، وكلاهما ضعيف. قلت – أي البزار: وقد تقدمت أحاديث في نحو هذا". اهـ. قال العبد الضعيف: ورواه البيهقي في كتاب "الزهد الكبير" 331/2 بهذا الإسناد.

(5) "الإحسان" 511/1 عن عائشة رضي الله عنها.

(6) "الزهد الكبير" 332/2.

(7) " الزهد الكبير" 331/2 عن عائشة.

وروى الطبراني[1]: "من تحبب إلى الناس بما يحبوه، وبارز الله تعالى؛ لقي الله تعالى يوم القيامة وهو عليه غضبان". والأشهر: يحبونه[2]، وهذه الكبيرة السابعة عشرة.

18 – الكبيرة الثامنة عشرة: تعريض كلامكم بالطعن بالأنساب:

قال في "الزواجر"[3]: "الكبيرة الرابعة والتسعون بعد المائتين: الطعن في النسب الثابت في ظاهر الشرع. قال تعالى: {والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا وإثما مبينا}. [الأحزاب/ 58]".

وأخرج الإمام مسلم[4] عن سيدنا أبي هريرة رفعه: "اثنتان في الناس إنهم بهما كفر: الطعن في الأنساب، والنياحة على الميت".

وقد أدرج العلماء في كلية قول المختصر في باب الردة: وفي قبيح لأحد ذريته عليه الصلاة والسلام أن يقال لأحدهم: إن نسبه ظني، ونحو ذلك من العبارات. فإن التجويزات العقلية في أمثال هذا الفرع ألغاها الشارع ورتب الأحكام الشرعية القطعية على ظاهر الأمر.

---

(1) في "الكبير" 186/17 عن عبد الله بن عصمة بن مالك، وفيه الفضل بن المختار وهو ضعيف كما قال الهيثمي في "المجمع" 224/10.

(2) رواية الطبراني في "الأوسط" 166/3: "يحبون" بإثبات النون، وروايته في "الكبير": "يحبوه" بحذفها وإثبات هاء الضمير. ونقل المنذري في "الترغيب والترهيب" اللفظيّن معا، والظاهر أن ذلك من تصرف الرواة. والذي شهَّره المؤلف رحمه الله هو الصواب. (بل هو لغة عند العرب).

(3) 642/2.

(4) "صحيح مسلم" 644/2 ح 934 عن أبي مالك الأشجعي، بلفظ: "أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن: الفخر في الأحساب، والطعن في الأنساب، والاستسقاء بالنجوم، والنياحة".

وفوَّقوا السهام لمقالة المقَّري، وحرَّموا النطق بها، وألزموه عليها إلزامات، وجعلوه من القذف الذي يستحق صاحبه عليه التعزير والإقماع، لما تقرر في الفقه من أن تعريض غير الأب يوجب الحد، إلا الزوج بزوجه؛ ففيه قولان. وصرح بأنه قذف: الإمامُ أبو القاسم ابن حجو[1] حسبما في "النوازل العلمية"، وسلمه.

وفي جواب للعلامة سيدي محمد بناني الكبير: "فإن أهل التجريب نصوا على أن: سبب صلاح الأحوال بموالاتهم، وسبب الخلل بإهمالهم ومعاداتهم وإبداءِ شيء من إذايتهم".اهـ.

ولكن الأمر كما قال المغترفون من بحري التشريع والتحقيق، قال الإمام الشعراني في "عهود المشايخ"، لما تكلم على مقام أهل البيت، وأنه لا يصل إليه أحد ولو كان من أكابر الأولياء، ما نصه: "إن الله تعالى جعل مرتبة الشرفاء أعلى منا، أي: معاشر الأولياء، اختصاصا إلهيا، لا بعمل عملوه ولا بصالح قدموه، بل بسابق عناية من الله سبحانه لهم. فنهاية ما يصل إليه السالكون من درجات القرب المكتسبة دون درجات الشريف بيقين".اهـ.

وقال ابن السكّاك في "نصح ملوك الإسلام فيما يجب عليهم من حقوق آل بيت نبيهم عليه الصلاة والسلام": "العلم بحال أهل البيت مقامٌ من مقامات أكابر الأولياء، أعني: أن يفتح الله سبحانه للولي الذي قارب القطبانية في تعظيم أحفاد أحب الخلق إلى الله، ورؤية نفسه وجميع الأمة كالرِّق لهم، لعظمة منة جدهم...إلى أن قال:...وما رأيتُ قط

(1) في ط خجو.

تعظيم الخطب في آل البيت إلا في تأليف قطب أو صديق. ولولا خوف الإطالة؛ لذكرت من نصوصهم ما يقضى منه العجب، مما الناس عنه في غفلة ساهون".اهـ .

وقال أيضا: "إن الله تعالى أعطى لآل البيت عطاء جزيلا لا يحيط به وصف ولا تكييف، ولا يدخل تحت مقوله حد ولا تعريف"...الخ.

ومن تأليف سيدي عبد القادر بن عبد[1] الجوطي ما نصه: "جاء في بعض الآثار: أن درجة الصديقين لا تبلغ درجة المخلصين[2] من الشرفاء، فما بالك بالعلماء منهم والصالحين؟. قال الذي لا ينطق عن الهوى: أنا سيد ولد آدم ولا فخر[3]. فقوله حق، فإذا كانت ذاته الشريفة الهاشمية سيدةَ ولد آدم؛ فيكون جميع ما تنسل من النطفة النبوية الهاشمية إلى تمام الدنيا كلهم سادات بني آدم؛ لأَنَّه إذا صح معنى السيادة لذاته الشريفة صلى الله عليه وسلم؛ ثبتت كذلك بجميعهم؛ لأن أصلهم من ذاته، ومنها تَكَوَّنوا وعنها نشأوا؛ **لأن النطفة لا تخرج من بدن حتى تمتص من جميع الذات التي خرجت عنها من لحمها ودمها وعروقها.** فتأمل ما أعظم هذه الذات التي نشأوا عنها عند الله تعالى، فكيف يكون مَن هو أفضل منهم؟**!**".اهـ.

ولهذه المكانة الزلفى؛ اشتد غضب الله على من آذاهم، ولهذا كان مؤذيهم أحد الستة الذين لعنهم مولانا رسول الله ولعنهم الله جل مجده ولعنهم كل نبي مجاب، ومنهم: "المستحل من عترتي ما حرم الله".

---

(1) هكذا في ج وط.

(2) في ط المخلطين.

(3) "صحيح مسلم" 1782/4 ح 2278 عن أبي هريرة.

قال ابن حجر في "الصواعق": "وورد: من سب أهل بيتي فإنما يرتد عن الله تعالى والإسلام. ومن آذاني في عترتي؛ فعليه لعنة الله. ومن آذاني في عترتي؛ فقد آذى الله. إن الله سبحانه حرم الجنة على من ظلم أهل بيتي أو قاتلهم أو أعان عليهم، أو سبهم. يا أيها الناس؛ إن قريشا أهل أمانة، فمن بغاهم العواثر؛ كبه الله عز وجل لمنخريه مرتين. من يرد هوان قريش؛ أهانه الله. والمستحل محارم الله والمستحل من عترتي ما حرم الله والتارك للسنة. قال الله جل جلاله: {إن شانئك هو الأبتر}. [الكوثر/ 3]".

فكل من تعرض لآل بيت النبوءة؛ فقد أسخط الله تعالى ورسوله، وملائكة أهل السماوات والأرضين، وهو الأبتر: {ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز}. [الحج/ 40].

وليكن هذا آخر الكلام على ما اقتضاه النصح الإسلامي من الجواب عما غالطه به مَن لم يعلم ووهم وأوهم.

[من فضائل الورد الكتاني][1]:

وأما طعنه في ورد الطائفة؛ فستفضي النوبة - إن شاء الله تعالى - لعود الكلام فيه، وذكر الأسانيد التي بأيدينا مما تنتهي إلى الطرق، وهي أكثر من مائة طريق. وليت علمي؛

(1) لنجل المؤلف وخليفته، الإمام محمد الباقر بن محمد الكتاني قدس سره، عدة مؤلفات في الورد الكتّاني الشريف، منها في فضائله: "اللفظ المكرم، في فضائل الورد الكتّاني المحترم". (قيد التحقيق).

ما يقال في وِرْد[1] أوله: التعوذ؛ تعوذٌ خاص جاء فيه عن المعصوم: أن من[2] قاله صباحا أو مساءً؛ حفظ يومه وليلته من الشيطان.

ثم البسلمة؛ ووَرَدَ فيها أن: "من قالها أعطي أربعة آلاف حسنة، ورفعت له أربعة آلاف درجة، ومحيت عنه أربعة آلاف سيئة".

ثم آية الكرسي؛ وقد ورد في "الصحيح" أنها: "سيدة آي القرآن"[3]، وقال فيها سيدنا الجد كرم الله وجهه باب العلم: "آية الكرسي: خمسون كلمة، في كل كلمة خمسون بركة". وتكرر ثلاث مرات في الورد. وورد أنها: "تعدل ربع القرآن"[4]. فقراءتها بالورد بأزيَد من ختمة قرآنية.

وفيه: "دَستور يا رسول الله". ومعناها: أطلب الإذن. حتى قال أهل الطريق: "إنها الاستخارة الصغرى".

ثم في الورد الكتاني - أيضا - الاستغفار، وهو في القرآن الكريم، وخصوصا هذا الاستغفار ورد فيه أن: "من قاله؛ أعطي حسنات بعدد كل مؤمن ومؤمنة".

ثم الصلاة على مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم، والدلالة عليها في القرآن المجيد: {إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما}. [الأحزاب/ 56].

---

(1) في ط رد.

(2) في ط ما.

(3) "المستدرك" 286/2 عن أبي هريرة.

(4) رواه أحمد في "مسنده" 221/3 عن أنس بن مالك، وفيه: سلمة بن وردان ضعيف كما قال الهيثمي في "المجمع" 147/7.

ثم الاسم "الأحد"؛ وهو في القرآن الكريم: {ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه}. [الأعراف/ 80].

ثم صيغ من السلام على مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم، كما قال الصديق: "أفضل من عتق الرقاب، وأمحق للذنوب من كل شيء". وجاء أنه: يخفف سكرات الموت.

وجاء أن مولانا رسول الله صلى الله عليه: "رد السلام على من سلم عليه"[1]، هذا في سلام واحد، فكيف بثلاثين صباحا وثلاثين مساء؟.

فمن شاء فليغضب سواك، فلا أذى إذا[2] رضيت عني كرام عشيرتي

ثم الهيللة، وهي: دعامة[3] الإسلام، وعنوان الإيمان، والأصل الأصيل الذي ينبني عليه الدين كله، فمن أنكر هذا الورد؛ فقد أنكر القرآن:

عباراتنا شتى وحسنك واحد وكل إلى ذاك الجمال يشير

دعاء الختام

(1) رواه أحمد في "مسنده" 527/2 وأبو داود في "سننه" 218/2 ح 2041 عن أبي هريرة.

(2) في ط إذ.

(3) في ط عامة.

يا حكيم. يا عليم. يا علي. يا عظيم. يا كهيعص. يا حم. يا عسق. أعوذ بك من الذنوب التي بها تزيل النعم، وأعوذ بك من الذنوب التي بها تحل النقم، وأعوذ بك من الذنوب التي بها تثير الأعادي، وأعوذ بك من الذنوب التي بها تمسك القطر.

وأعيذ هذه الطائفة الكتانية بنور وجهك العظيم، الذي صلح عليه أمر الدنيا والآخرة، وبعزة عزة الله، وبأنوار عظمة عظمة الله، وبجلال جلال الله، وبباهر قدرة قدرة الله، وبسلطان سلطان الله، وبحصن آلاف ألف لا إله إلا الله سيدنا محمد رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى آله، وبوقاية آلاف ألف لا حول ولا قوة إلا بالله، وبصيانة كلاءة حفظ آلاف ألف حسبنا الله ونعم الوكيل، وبسر هيمنة إحاطة ديمومية آلاف ألف بسم الله الرحمن الرحيم.

وأعيذ هذه الطائفة الكتانية بسر أسرار استعلاآت الاسم الأعظم حتى تكون المظهر الأتم له، يا من خزائن سره في قول: "كن".

اللهم إني أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت الحنان المنان بديع السماوات والأرض ذو الجلال والإكرام، ويا مجلي العظائم من الأمور، ويا منتهى هم المهموم، ويا مفرج الكرب العظيم؛ إنا ندرأ بك في نحور شانئي هذه الطائفة الكتانية، ونعوذ بك من شروره، ومن كل طارق إلا طارقا يطرق بخير.

يا عظيمٌ يرجى لكل عظيم، مواعيدك الصادقة، وأياديك الفاضلة، ورحمتك الواسعة؛ اللهم احرسهم بعينك التي لا تنام، واكنفهم بركنك الذي لا يضام، وارحمنا بقدرتك علينا فلا نهلك، وأنت رجاؤنا، فكم من نعمة أنعمتَ بها علينا قلّ لك عندها شكرنا، وكم من بلية ابتليتنا بها قل لك عندها صبرنا.

فيا من قل له عند نعمه شكرنا، فلم يحرمنا، ويا من قل عند بليته صبرنا، فلم يخذلنا، ويا من رآنا على الخطايا، فلم يفضحنا؛ نسألك أن تصلي على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد كما صليت وباركت ورحمت على سيدنا[1] إبراهيم إنك حميد مجيد.

اللهم أعنا على ديننا بالدنيا، وعلى الآخرة بالتقوى، واحفظنا فيما غبنا عنه، ولا تكلنا إلى نفسنا فيما حضرناه، يا من لا تضره الذنوب، ولا تنقصه المغفرة؛ هب لنا ما لا يضرك، واغفر لنا ما لا ينقصك، اللهم إنا نسألك أن تجعل لنا فرجا قريبا، وصبرا جميلا، ونسألك العافية من كل بلية، ونسالك دوام العافية، ونسالك الغنى عن الناس، ونسألك السلامة من كل شيء. ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

انتهى بحمد الله وحسن عونه[2]

(1) "ورحمت" ثابتة في ج ساقطة من ط.

(2) انتهت قراءة هذا الكتاب النفيس والتعليق عليه صبيحة يوم الخميس 28 من شهر ربيع الأول سنة 1427هـ، قرأه وعلق عليه خادم أعتاب ساداته الأشراف العبد الحقير المتواضع الفقير عدنان بن عبد الله زُهار كان الله له، آمين.

الملحق

رد بعض علماء الطريقة الكتانية على رسالة البوعزاوي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أقام للإرشاد، من شاء من الأفراد، وابتلى بالانتقاد، من أراد حرمانه من أهل العناد والبعاد، والصلاة والسلام على سيدنا محمد القائل: "الله المعطي وأنا القاسم"[1] على العباد، وعلى آله وصحابته، ومن نهج منهجهم من ذوي الفضل والإرشاد.

أما بعد؛ فيقول كاتبه[2] تراب نعال ساداته ومواليه الكتانيين وكليبهم[3]:

قد وقفنا على كتاب لأخينا في الله الفقيه المنسوب سيدي محمد البُعَزَّوِي في الإنكار على أمور تتعلق بطائفتنا السعيدة، المؤسس مركز دائرتها على السنة والكتاب، زاعما أن الحامل له عليه: النصيحة للمسلمين، وإظهار الحق وتشييد أركان الدين...

وهو إنما حمله عليه: إرادته إطفاء أنوار النبوءة: {ويأبى الله إلا أن يتم نوره}. [التوبة/ 32]، وذلك من القصور، وقلة الاطلاع، وعدم المخالطة، والاقتصار على السماع، {بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتيهم تأويله كذلك كذب الذين من قبلهم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين}. [يونس/ 39][4].

---

(1) رواه البخاري في "صحيحه" 1134/3 ح 2948 عن معاوية بن أبي سفيان.

(2) لم نقف لحد الساعة على اسمه.

(3) هذا من شدة التواضع مع آل البيت الأشراف، وكليبهم يقصد به في مدارك الصوفية الأخيار أهل الإشارات شرفُ الصحبة، كما في تفاسيرهم لقصة أهل الكهف من سورة الكهف.

(4) وقد وهم الكاتب فبدل أن يقول: {فانظر كيف كان عاقبة المكذبين}. قال: {فهل على الرسل إلا البلاغ المبين}، التي في سورة النحل آية 35، ومنشأ الوهم: أن ما قبلها شبيه بما قبل آية سورة يونس، إذ فيها: {كذلك فعل الذين من قبلهم}.

فرأينا الصواب في عدم الجواب، لكن ربما يتوهم الضعاف، وأهل التعسف والاعتساف، الذين لا يفرقون بين الحق والباطل، والناقص والكامل، أن ما سطره في كتابه هو الصواب، وأن الناس عجزوا عن رد الجواب، فيعتقدون ذلك فيهلكون، فرأينا أن نجيبه لعل الله أن ينقذهم وإياه، امتثالا لقوله صلى الله عليه وسلم: "من استطاع منكم أن ينفع أخاه فليفعل"[1].

فقولك - أخي ووليي عفا الله عنا وعنك: "أنك تحققت ببعض المنتسبين لأهل العلم...الخ"؛ نعم، ما نقله لك الثقات صحيح، فإن الداخل في طريقتنا السعيدة من أول قدم يكون له حكم المشيخة، وإن كان من أهل الاستعداد والجد في الطريق؛ فيلقنُ الأوراد، ويرشد العباد، ويدل على الله بالحال والمقال، {قل هذه سبيلي أدعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني}. [يوسف/ 108].

وإن شئت أن تشاهد ذلك بالعيان، حتى ترجع من الشك إلى الإيقان؛ فابحث على إخواننا في القرى والبلدان، وخالطهم بعين الرضا والتسليم والإيمان، وإلا؛ فقد قال تعالى: {وتراهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون}. [الأعراف/ 198]، وقال: {وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا فانظر كيف كان عاقبة المفسدين}. [النمل/ 14]. اللهم إنا نسألك التصديق بأوليائك وعدم الإنكار عليهم، يا أرحم الراحمين.

---

(1) رواه مسلم في "صحيحه" 1726/4 ح 2199 عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه.

وقولك: "إنه يأمر الناس بالدخول في طريقته وترك غيرها...الخ"، ما ذكره هو المتعين عليه من قبل النصيحة، التي هي الدين في قوله صلى الله عليه وسلم: "الدين النصيحة..."[1] الحديث.

فإن شيخنا – رضي الله عنه، ونفع المسلمين به، ومتعهم بطول عمره – هو الوارث المحمدي، والفرد الأحمدي، ومن كان يدعو إلى الله في وقته؛ فبدستوره وإذنه، إما ظاهرا؛ كثر الله عددهم وقوى مددهم، وإما باطنا؛ كما في غيرهم، شعروا أو لم يشعروا، فالكل في وقته تحت نظره وحكمه.

ولـــيس يصـــح في الأذهـــان شيء إذا احتـــاج النهـــار إلى دليـــل

وكيف ينكَر على من دل الناسَ على الأصل، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول: "من غشنا فليس منا"[2]؟.

وقولك: "ألقيتُه في قسطاس الشريعة والحقيقة...الخ". إن كان مرادك أن الذي ألقيته هو: الأخذ للورد، فوجدتَه كما ذكرت؛ فذلك من القصور وقلة الاطلاع، وعدم معرفة القوابل. وإلا؛ فوصول كل واحد وتربيته على حسب قابليته واستعداده، يعرف ذلك من كان له نور يمشي به في الناس، يفرق به بين قوابلهم. و"كل ميسر لما خلق له"[3].

وإن كان مرادك: أن الذي أُلقيته هو الورد نفسه؛ فذلك لا يقول به أحد فضلا عن أمثالكم؛ لأن العارف لا يُعَرّف.

---

(1) رواه مسلم في "صحيحه" 74/1 ح 55 عن تميم الداري وعلقه البخاري في "صحيحه" 30/1.

(2) رواه مسلم في "صحيحه" 99/1 ح 101 عن أبي هريرة.

(3) "صحيح البخاري" 1891/4 ح 4666، "صحيح مسلم" 2040/4 ح 2646 عن علي عليه السلام.

[من مميزات الورد الكتاني]:

على أن ورد الرجال عندنا – والحمد لله – من الأوراد الجامعة لأشتات الكمالات؛ إذ فيه ما في غيره وزيادة:

فغيرنا يقتصر على: "لا إله إلا الله"، ونحن نزيد عليها "محمد رسول الله".

وفيه التعوذ الذي ورد فيه أنه: "من قاله صباحا أمن من الشيطان يومه، ومن قاله مساء أمن من الشيطان ليلته".

وفيه الصلاة الأنموذجية التي تعدل بـ: "دلائل الخيرات" بثمانمائة، وقد احتوت على الشمائل النبوية الظاهرية والباطنية.

وإن قيل: إن بعض الألفاظ فيها من المتشابه، والضعاف لا تطيق ذلك.

نقول: إن القرآن العظيم يحفظه الأقوياء والضعاف والنساء والصبيان، وقد اشتمل على آيات متشابهات. يقول الله تعالى: {هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشبهات}، فالجواب عن كتاب الله هو الجواب عنها.

وفيه السلام الذي قال فيه صلى الله عليه وسلم: "ما من أحد يسلم علي إلا رد الله علي روحي حتى أرد عليه السلام"[1].

---

(1) "سنن أبي داود" 218/2 ح 2041 عن أبي هريرة.

وفيه الاستغفار الذي قال فيه المعصوم عليه السلام: "من استغفر للمؤمنين والمؤمنات كتبت له حسنات بعدد كل مؤمن ومؤمنة"[1]. وفي حديث آخر: "كان من الذين يُستجاب لهم دعوتهم، ويُرزق بهم أهل الأرض".

وفيه الحافظة التي علمها رسول الله صلى الله عليه وسلم لسيدنا أنس، وقال له: "إن قرأتها؛ أمنت من السلطان والشيطان".

إلى غير ذلك من فضائله، وكلها - والحمد لله - أوراد نبوية، على وفق الشريعة ظاهرها وباطنها.

وأما ورد النساء؛ فالشيخ أدرى بقوابلهن؛ لأنه كالطبيب، والطبيب يعطي الدواء على حسب الداء. على أن الاستغفار الذي أنكرتَ الاقتصار عليه وعدم ذكر الهيللة معه في وردهن؛ فيه ما فيها وزيادة. إذ المقصود من الهيللة: إثبات الألوهية للحق تعالى، ونفيها عن غيره. وذلك موجود في الاستغفار مع زيادة طلب المغفرة.

والله يقول: {ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما}. [النساء/ 64].

وقال صلى الله عليه وسلم: "لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم"[2].

(1) رواه الطبراني في "المعجم الكبير" عن عبادة بن الصامت بإسناد جيد كما قال الهيثمي في "المجمع" 210/10.
(2) "صحيح مسلم" 213/4 ح 2749 عن أبي هريرة.

وقال القرآن: {وأن استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يمتعكم متاعا حسنا...}. [هود/ 3]...الآية، ولم ينكر الحق تعالى على سيدنا نوح الاقتصار على الاستغفار وعدم ذكر الهيللة معه.

على أن المشايخ - رضوان الله عليهم - لا سبيل للإنكار عليهم؛ إذ هم أعلم بالشريعة وأحوال النبي صلى الله عليه وسلم وأقواله. وورد أن: "لله طرائق على عدد أنفاس الخلائق"، ولا يصح أن يزن أوراد المشايخ وأحوالهم إلا مَن أحاط بالشريعة وبجميع الطرق الموصلة إلى الله تعالى، وأنى للضعاف بذلك؟!.

وقد استأذن بعضُ المريدين شيخَه في الإنكار على الأولياء، وقال له: "يا سيدي؛ لا أنكر عليهم إلا بميزان الشريعة، فمن وجدته مستقيما سلمتُ له، ومن وجدته مائلا؛ أنكرت عليه". فقال له شيخه: "أخاف ألا تكون عندك الصُنوج[1] كلها التي يوزن بها، وإذا كان عندك بعض الصنوج دون بعض؛ فلا يصح ميزانك".

يشير إلى أنه: لا ينكر إلا من أحاط بالشريعة، وقد ذكروا أنه: لا ينكَر إلا ما أُجمع على تحريمه.

وقد كان سيدي أبو مدين الغوث رضي الله عنه يأمر أصحابه بصلاة ركعتين بالسورة دون فاتحة الكتاب عند الفراغ من الطعام، مع أن النبي صلى الله عليه وسلم يقول: "كل صلاة لا يقرأ فيها بفاتحة الكتاب فهي خداج". ثلاثا[2]. ونقل ذلك الشعراني ولم ينكر عيله، ولا أنكر عليه من أهل البصائر.

---

(1) جمع "صنج" وهي: آلة وَتَرِية يعزف بها، انظر "لسان العرب" 311/2.

(2) "صحيح مسلم" 296/1ح 395.

فكيف مع هذا؛ من يأمر بالاقتصار على الاستغفار في ورد النساء دون ورد الرجال؟، مع أن ورد النساء عندنا فيه: "يا حي يا قيوم"، ومذهب جمهور السلف أنه: "هو اسم الله الأعظم، الذي إذا دُعي به أجاب، وإذا سئل به أعطى". فيناسب كثرة ما آتوا من الجرائم وقلة الدين. فيقابل الذكر بهذا الاسم ذنوبَهن وقبائحهن.

وفيه: الصلاة على النبي التي يُنقل صاحبها من ديوان الشقاوة إلى ديوان السعادة، وليست عندنا في صلوات شيخنا رضي الله عنه كلِّها صلاة بترا[1] كما زعمت، لا في ورد النساء ولا في غيره، ولا نقول بها.

وقولك: "ومحال أن يخصص صلى الله عليه وسلم أحدا بمزية". مع قولك: "ولا يلزم من الإذن الأفضلية...الخ"، هذا تحجير على النبي صلى الله عليه وسلم، وهو تحجير في الحقيقة على الحق تعالى؛ لأنه المعطي، وهو عليه السلام قاسم.

وفي ذلك من المعارضة للربوبية والمنازعة لها ما تقشعر منه الجلود، وتقام من أجله الحدود؛ لأن الحق سبحانه وتعالى يقول: {ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات}. [الزخرف/ 32]، وقال تعالى: {والله فضل بعضكم على بعض في الرزق}. [النحل/ 71]، والمحجِّر يعارضه فيما حكم.

ويكفي في الرد على المحجر: قوله تعالى: {أهم يقسمون رحمت ربك}. [الزخرف/ 32]، بعد قوله: {وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم}. [الزخرف/ 31]..الآية.

(1) هكذا في نسخة الكاتب.

وقد خصصه صلى الله عليه وسلم بخصيصات لم تثبت لغيره؛ منها: أنه أعطاه لسانه الشريف مرارا يمصه، ولو بسق في فم أحد أو صافحه؛ لتاه على الكون كله.

ومنها: أنه أعطاه كتابا لو رآه أحد لهام على وجه الأرض..إلى غير ذلك مما خصه به صلى الله عليه وسلم، وفضّله به على غيره.

وقولك: "بل للكلام في شروط المشيخة التي منها اتباع الكتاب والسنة...الخ"..كيف يقال في حقه ذلك وهو أحفظ للشريعة علما وعملا، وأعلم بها حالا ومقالا؟.

وقد ذكر – رضي الله عنه – في بعض رسائله؛ وهي: الرسالة المسماة بـ: "الستينية"[1]: أن الشيخ لا يتصدر للتربية إلا بعد أن يحيط بثلاثة آلاف علم، وإلا؛ فلا أقل من أن يحيط بعدد حروف اسمه؛ وهو: ستة عشر مائة علم وعشر[2]، وذكر فيها من العلوم ما يبهر العقول من المعقول والمنقول. قال رضي الله عنه:

لنا الخوض في بحر العجائب جهرة ولسنا أسارى الغير في فتح عجمتي

وقولك: "وليت شعري؛ أين غاب عقل هذا الشيخ عن قوله تعالى: {اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا}. [المائدة/ 3]. وهل عنده علم بها أو لا؟...".

(1) هي رسالة في علوم شيخ التربية، توجد منها عدة نسخ في خزانة العلامة الدكتور علي بن المنتصر الكتاني رحمه الله تعالى.

(2) هكذا في نسخة الكاتب.

فاعلم أخي أن هذا لا يخاطَب به أمثاله؛ لأنه مما لا يخفى على خدَمه وسدنته؛ إذ هو مسطور في الكتب المتداولة عند الخاصة والعامة من الطلبة؛ إذ كيف يجهل شيئا يعلمه الكهول من الطلبة والولدان، وهو يعرف من العلوم النقلية والعقلية ما لا تكيفه الأذهان؟. ولو سألت عن ذلك الصغير من أصحابه؛ لأجابك بما يبهر العقول من [...][1] أفكاره.

فعنده – والحمد لله – من المعارف الوهبية، والأسرار الربانية؛ ما يبهر العقول. ما تظن به أنه قرأ علوم المعقول والمنقول، مع أنه ربما تجده أميا صرفا لا يعلم الكتابة، فضلا عن أن يكون ممن تعاطى القراءة.

وإذا ما الجناب كان عظيما   مُدَّ منهُ لخادميه لواءُ

وكم عندنا في الزاوية الكتانية من الأميين، ولو رأيتهم تُسرد عليهم المقامات الحريرية وهم يشرحونها بالتصوف؛ لرأيت عجبا، مع أنها كلها لغة، والمتكلم أمي!.

وأما شيخنا – رضي الله عنه – فالكلام في شمائله وعوارفه وعلومه الظاهرة والباطنة، بحر زاخر، لا يُدرِك قعرَه من أراده من أهل البصائر، وكيف لا؛ وقد حاز المفاخر كلَّها، والأدلة النقلية والعقلية من أصلها؟. ما تكلم في مسألة إلا وسجدتْ لكلامه العقول السليمة، وما تصدى لحل عويصة إلا وصَيَّرها كشمس الظهيرة، وما توجه بهمته على شجرة يابسة إلا واخضرت من حينها، وأثمرت من وقتها، وكم من شارد عن الله رده، وكم من غافل ذكَّره، وكم من بعيد قربه، وكم من فقير أغناه، وكم من سُنة أحياها، وكم

(1) هنا بياض بالأصل.

من بدعة أماتها، وكم من فتان أزاح عن المسلمين شره، وقطع بصارم العلم والهمة دعواه. فجزاه الله خيرا عن المسلمين، وأطال عمره لنصرة الملة وتشييد أركان الدين.

والعلـم يكفـي حجـة بـين الـورى　　　وبعلـم آدم حجـة الـرحمن

ويكفي في حجته: ختمه لسيدي البخاري بالقرويين؛ فإنه - رضي الله عنه - جلس من صلاة الصبح إلى قرب الزوال وهو يملي من العلوم الوهبية والعقلية والنقلية، ما تحار فيه الأفهام، ولا تكيفه الأوهام، من غير كتاب ينظر فيه، ولا سارد يستند عليه، ولا تردُّد ولا غلط، ولا توقُّفٍ في مسألة ولا تعب ولا نصَب يحصل له، وذلك كله - والحمد لله - والمسجد غاص بالمسلمين والعلماء، وبعض أكابر الدولة، وخلق كثير من العامة والطلبة، وقد ذكر في الختمة أربعة وعشرين علما، وكلها استخرجها من الاسمين الكريمين أحمد ومحمد.

وما هي بأول بركاتكم يا آل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولو كانت البحار مدادا والأشجار أقلاما؛ ما كتبوا إملاآته. وراثة محمدية[1]، {والله ذو الفضل العظيم}.

اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع، وقلب لا يخشع، وسوء الأدب مع أهل الله أجمع، وحسبنا الله ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، والحمد لله رب العالمين.

(1) هكذا في نسخة الكاتب.

فهرس المواضيع